دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

السفر الثامن

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م



السفر الثامن

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى

صفحة

صفحة

صفحة

بيـــان

ليس لدينا من نسخ هــذا الجزء غير نســخة واحدة مأخوذة بالتصوير الشمسى ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٠ تاريخ، وهى المشار اليها فى بعض حواشى هــذا الجزء بحرف (ا) ، وقطعتين من نسختين أخريين أُخِذتا بالتصوير الشمسى وحُفِظتا بدار الكتب المصرية : إحداهما تحت رقم ٤١٦ (معارف عامة)؛ وهى المشار اليها فى بعض حواشى الجزء بحرف (ب) وتنتهى فى السطر التاســع من صفحة ٦٩ من هذ الجزء؛ وقد نبّهنا الى موضع انتهائها فى حواشيه ، والثانية تحت رقم ٥٥١ (معارف عامة)، وهى المشار اليها فى بعض الحواشى بحرف (ج) وتبتدئ من السطر السادس من صفحة ١٠١ وتنتهى فى السطر السادس من صفحة ١١٣ وقد نبهنا على موضع انتهائها فى الحواشى أيضا .

وليس التحريف فى هاتين القطعتين بأقلّ منه فى النسخة الأولى ، فإن التحريف فى جميع هذه الأصول يكاد يكون متفقا ، كما يتبين ذلك مما كتبناه فى بعض الحواشى إذ نقول : «فى كلا الأصلين» أو « فى كلتا النسختين كذا ؛ وهو تحريف » أو « تصحيف » .

وعلى كل حال فقد بذلنا ما نستطيع فى إصلاح المحرّف والمصحّف من كلماته ، وتكميل الناقص من جُمَله؛ وتحقيق أعلامه وضبطها، وضبط الملتبس من ألفاظه ، وتفسير غريبه ، و إيضاح الغامض من عباراته ، وشرح ما أشكل من أبياته ونسبتها الى قائليها ، وشرح ما فيه من أسماء البلاد والأمكنة ، والتنبيه على ما فى هذا الجزء — ولا سيّما فى كتابة الديوان — من الكلمات العامّيــة ، والألفاظ الاصطلاحية التى لم ترد فيما لدينا من كتب اللغة ، و بيان المراد منها ؛ فإن المؤلف قد استعمل بعض

هذه الكلمات جريا على مصطلح كتّاب الدواوين فى استعمالها ؛ كما أننا لم ندع التنبيه أيضا على ما استعمله المؤلف فى هذا الباب (أى كتابة الديوان) من مخالفات لغويّة فى صِيَغ الجموع وتعديةِ الأفعال، كأن يعدِّىَ الفعل بنفسه ومقتضى اللغة أن يتعدّى بالحرف، أو العكس، أو أن يعدّيَه بحرف واللغة تقتضى تعديَتَه بحرف آخر؛ وغير ذلك مما استعمله المؤلف متّبعا فيه اصطلاح كتّاب الدواوين فى ذلك العهد ولم نجده فى كتب اللغة التى بين أيدينا؛ ولم نغيّر بعض هذه الاستعمالات، بل أبقينا الأصل فيها على حاله لعِلْمنا أنها ترد كثيرا فى عبارات كتّاب الدواوين، وأوّلْنا ما يستطاع تأويله منها .

أمّا الصعوبات التى صادفناها فى تصحيح هذا الجزء فإننا لم نكد نجِدُ صفحة من أصوله التى بين أيدينا خالية من عدّة كلمات وعبارات محرّفة أو مصحّفة غير مستقيمة المعنى ولا واضحة الغرض، يحتاج إصلاحها إلى زمن طويل، وبحث غير قليل، وتحفُّظٍ من الخطإ، وحُسن اختيارٍ فى المحو والإثبات، وتفهُّمٍ لما يقتضيه السياق من المعانى والأغراض، ومعرفةٍ بأساليب الكتّاب ومصطلحاتهم فى كل عصر، ليكون المحو والإثبات تابعَين لما تقتضيه هذه الأساليب وتلك المصطلحات وخبرة بالكتب وأغراضها، ومكان الفائدة منها، لئلا يضيع الزمن فى البحث عنها وتصفُّح جملتها .

أمّا طريقتنا فى التصحيح فقد كنّا نقف بالكلمة المحرّفة أو العبارة المغلقة فنحملها على ما يستطاع حملها عليه من المعانى، ونقلّبها على ماتحتمله من الوجوه، ونقرأ مادّة الكلمة فيما لدينا من كتب اللغة، ونرجع إلى ما نعرفه من مظانّها، فاذا لم يستقم المعنى بعد ذلك قلّبنا حروفها بين التحوير والتغيير، والتقديم والتأخير، والحذف والزيادة،

والإعجام والإهمــال، حتى يستقيم المعنى و يظهر الغرض ، منبهين فى الحواشى على ما كان فى الأصل من حروف هذا اللفظ و وجهِ آختيار غيره و إثباتِه مكانه .

وقد تمّ طبع هذا الجــزء فى عهد المدير الحازم ، والمربّى الفاضل ، الأســتاذ "محمد أسعد براده بك" مدير دار الكتب المصرية .

فلا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نشكره الشكر الجزيل على ما بذله ويبــذله من العناية الصادقة بهذه الكتب، وما يسديه إلى مصححيها من الإرشادات القويمة ، والاراء السديدة .

كما لا يفوتنا أن نثنى الثناء الجميل على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ "السيد محمــد الببلاوى" مراقب إحياء الاداب العربيّــة على حسن معاونته بمــا لديه من المعلومات الواسعة عن الكتب وأغراضها، والبحوث ومظانّها . ونسأل الله سبحانه حسن المعونة والتوفيق فى العمل .

مصحّحه

أحمــــد الزين

أسماء أهمّ الكتب والمصادر التى رجعنا اليها فى تصحيح هذا الجزء

وهى مرتّبة على حروف المعجم ومبيَّن فيها ماهو مطبوع فى غير مصر وما هو مخطوط أو مأخوذ بالتصوير الشمسي، ورقمه فى دار الكتب المصرية

أساس البلاغة، لجار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى .

الأغانى، لأبى الفرج على بن الحسين الأصفهانى .

إرشاد الأريب الى معرفة الأديب ، وهو معجم الأدباء لأبى عبد الله ياقوت الرومى الحموى .

أعيان العصر وأعوان النصر ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المأخوذ منه بالتصوير الشمسي بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ .

الأمالى، لأبى علىّ القالى .

الإرشاد الشافى على متن الكافى فى العروض والقوافى، وهو الحاشية الكبرى للسيد محمد الدمنهورى .

أقرب الموارد فى فُصَح العربية والشوارد ، لسعيد الخورى الشرتونى اللّبنانى .

إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى ، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب القسطلانى .

إخبار العلماء بأخبار الحكماء، للوزير جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى، طبع أوربا .

الأحكام السلطانية، لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب المعروف بالماوردى طبع أوربا ومصر .

الأوائل ، لأبى هلال العسكرى، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ .

الأطعمة المعتادة، المأخوذ منه بالتصوير الشمسى نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية؛ ولم يُعلَم مؤلّفه .

بدائع الزهور فى وقائع الدهور، المشهور بتاريخ مصر، لمحمد بن أحمد المعروف بابن إياس المصرى .

تاريخ العينى ، المسمى بعقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، للحافظ بدر الدين محمود، المعروف بالعينى المأخوذ منه بالتصوير الشمسى نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

تاج العروس، وهو شرح القاموس، لمحب الدين السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى .

تاج اللغة وصحاح العربية، لأبى نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهرىّ الفارابى .

التذكرة الصفدية، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، المحفوظ منها بدار الكتب المصرية بعض أجزاء مخطوطة تحت رقم ٤٢٠ أدب .

تاريخ أبى الفداء ، وهو المختصر فى أخبار البشر، للملك المؤيد أبى الفداء ، المعروف بصاحب حماة .

تاريخ ابن الأثير ، وهو المسمى بالكامل، لعز الدين على بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير الجزرىّ، طبع ليدن .

تاريخ الأمم والملوك ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، طبع أوربا .

تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، طبع بغداد .

التحفة السنية فى أسماء البلاد المصرية ، لشرف الدين يحيي المعروف بابن الجيعان .

الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى .

الجامع لديوان الأدب ، فى اللغة ، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥ لغة تأليف أبى ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابى .

حاشية الخضرى، على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك .

حاشية الصبّان، على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك .

الحاوى الكبير، فى الفقه، لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى المعروف بالماوردى ، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعى .

خريدة القصر وجريدة أهل العصر، للوزير أبى عبد الله محمد بن محمد بن أبى الرجاء الكاتب الأصبهانى. وهذا الكتاب مأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب .

الخراج، ليحيي بن آدم بن سليمان القرشي .

الخراج، لأبى يوسف يعقوب صاحب الإمام أبى حنيفة .

خطط المقريزى، وهو المسمى بالمواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار .

ديوان الشريف الرضىّ .

ديوان جرير .

ديوان الحماسة، لأبى تمّام حبيب بن أوس الطائى .

ديوان أبى الطيّب المتنبىّ .

دائرة المعارف، للبستانى .

درّة الغـوّاص فى أوهام الخواصّ ، تأليف أبى محمد القاسم بن على الحريرى.

الروضتين فى أخبار الدولتين، لشهاب الدين أبى شامة المقدسى .

روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، للسـيد محمود بن عبد الله الألوسى البغدادى .

زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبى اسحاق ابراهيم بن على المعـروف بالحصرى القيروانى .

سقط الزند، لأبى العلاء المعرّى .

سيرة ابن هشام، وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى .

سرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون، لجمـال الدين أبى بكر محمـد بن محمد المعروف بابن نباتة المصرى .

شرح التنوير على سقط الزند، لأبى يعقوب يوسف بن طاهر النحوى .

شرح ديوان أبى تمّـام حبيب بن أوس الطائى، لأبى زكريا يحيى بن على المعروف بالخطيب التبريزى؛ وهذا الكتاب محفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش .

شرح حماسة أبى تمّـام، لأبى زكريا يحيى بن على المعروف بالخطيب التبريزى .

شرح ديوان أبى الطيّب المتنبىّ ، وهو المسمى بالتبيان لأبى البقاء عبد الله بن الحسين المعروف بالعكبرى .

شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين الخفاجى .

شرح كافية ابن الحاجب فى النحو ، لرضىّ الدين محمد بن الحسن الإستراباذى النحوىّ .

صبح الأعشى فى كتابة الإنشا ، لشهاب الدين القلقشندى .

صحيح البخارى .

الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، لكمال الدين أبى الفضل الإدفوى .

طبقات الشعراء ، تأليف أبى عبدالله محمد بن سلّام الجمحىّ البصرىّ ، طبع أوربا .

الطبقات الكبرى ، لأبى عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدى طبع أوربا .

عيون الأخبار ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدينورى .

العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبىّ .

الفاضل من كلام القاضى الفاضل ، اختيار جمال الدين أبى بكر المعروف بابن نباتة المصرىّ ، وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٢ أدب .

القاموس ، لمجد الدين الفيروزابادى .

قوانين الدواوين ، للأسعد بن مماتى .

لسان العرب ، لأبى الفضل جمال الدين المعروف بابن منظور الإفريقىّ المصرىّ .

لزوم ما لا يلزم ، لأبى العلاء المعرّى .

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، لشهاب الدين المعروف بابن فضل الله العمرى القرشى ، وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

مغنى اللبيب ، لجمال الدين بن هشام الأنصارى .

ملخّص تاريخ الخوارج، للشيخ محمد شريف سليم .

المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، لأبى المحاسن جمال الدين المعروف بابن تغرى بردى وهذا الكتاب محفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ .

المصباح المنير، لأحمد بن محمد المقرى الفيومى .

المغرب فى ترتيب المعرب، لأبى الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزى .

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى .

المستطرف فى كل فن مستظرف، لشهاب الدين أحمد الأبشيهى .

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لأبى الفتح عبد الرحيم العباسى .

معيد النعم ومبيد النقم، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى ، طبع أوربا .

المعرّب والدخيل ، للشيخ مصطفى المدنى، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة .

المعرّب من الكلام الأعجمى ، لأبى منصور موهوب المشهور بالجواليق ، طبع أوربا .

معجم البلدان، لياقوت، طبع أوربا .

مقدمة ابن خلدون .

المعجم الفارسى الإنجليزى، تأليف ستاين جاس .

مفاتيح العلوم، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمى، طبع أوربا .

مناقب الليث بن سعد، للحافظ أبى الفضل شهاب الدين أحمد الشهير بابن حجر العسقلانى .

المخصّص، فى اللغة، لأبى الحسن على بن اسماعيل المعروف بابن سيده .

مفردات الأدوية والأغذية، لضياء الدين أبى محمد عبد الله بن أحمد الأندلسى المعروف بابن البيطار .

نهاية الأرب فى فنون الأدب، للنويرى .

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، للأمير أبى المحاسن جمال الدين المعروف بابن تغرى بردى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين المعروف بابن خلّكان .

يتيمة الدهر فى شعراء أهل العصر، لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى النيسابورى .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر نبذة من كلام القاضي الفاضلِ الأسعدِ محيي الدين

أبى علىٍّ عبدِ الرحيم ابنِ القاضى الأشرفِ [أبى المجدِ على](1) بنِ الحسنِ(2) بنِ الحسين ابنِ أحمدَ اللَّخْمىِّ الكاتبِ المعروفِ بالبَيْسانىِّ — رحمه الله تعالى — إليه انتهت صناعةُ الإنشاء ووَقفتْ، وبفضله أَقرّتْ أبناءُ البيان واعترفتْ، ومن بحرِ علمِه رَوِيَتْ ذوو الفضائل واغترفتْ؛ وأمامَ فضله ألقت البلاغةُ عصاها(3)، وبين يديه استقرّتْ بها نواها(3)؛ فهو كاتبُ الشرقِ والغربِ فى زمانه وعصره، وناشرُ ألوية الفضل فى مصره وغير مصره؛ ورافعُ عَلَمِ البيان لا محَالَه، والفاضلُ بغير إطاله؛ وقد أنصف بعضُ الكتّاب فيه، ونطَقَ مِن تفضيله بِملءِ فيه؛ حيث قال:

---

(1) التكملة عن كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسى ج ٢ ص ٢٤٢ طبع مطبعة وادى النيل. وفى (ب): «أبى الحسين» بدل «أبى المجد». وفى وفيات الأعيان ترجمة القاضى الفاضل زيادة فى هذا النسب لم ترد فى الأصل ولا فى الروضتين؛ وهذا نص عبارته: «ابن القاضى الأشرف بهاء الدين أبى المجد علىّ ابن القاضى السعيد أبى محمد محمد بن الحسن» الخ. وكذلك ورد نسب القاضى الفاضل مشتملا على هذه الزيادة فى عقد الجمان للعينى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ.

(2) فى (ا): «أبى»؛ وهو تحريف.

(3) يشير بهاتين العبارتين إلى قول معقر بن حمار البارقىّ؛ وقيل: الطرماح بن حكيم:

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى ... كما قرّ عينا بالإياب المسافر

انظر تاج العروس مادة «نوى».

كُلّ فاضلٍ بَعدَ الفاضل فضْله ،وكُلٌّ قد عَرَفَ له فضلَه ؛وستقف إن شاء الله من كلامه على السحر الحلال ، فتُروِى صداك من ألفاظه بالعذب الزُّلال ؛ فمن ذلك قوله : وافَينا قلعةَ نجمٍ(١) [وهى نجمٌ(٢)] فى سحاب ، وعُقابٌ فى عِقاب(٣) ؛ وهامةٌ لها الغمامةُ عِمامه ، وأَنمُلَةٌ اذا خَضَبها الأصيلُ كان الهلال لها(٤) قُلامه .

ومن رسائله ما كتب به الى النظام أمير حلب : ورد كتاب المجلس السامى — حرس الله به نظامَ المجد [وأطلق فيه لسان الحمد](٢) ، ودامت مساعيه مصافحةً ليد السعد ، وأحسن له التدبيرَ فى اليومين : مِن قَبلُ ومِن بَعد — فمرحبا بمَقْدَمِه ، وأهلا بمَنْجَمه ؛ والشوقُ تختلف وفودُ(٥) صُروفِه ، وتتنوّع صنوفُ ضيوفِه ؛ فلابد أن تَتبعّض اذا تبعّضت المسافات ، وتَبرُدَ وتَخمُدَ اذا عُبّدَت(٦) ودنت الطُّرقات ؛ ولو بمقدار ما يدنو اللقاءُ على الرسول السائر ، بالكتاب الصادر ، والخيالِ الزائر ، بالحبيب العاذر ، والنسيمِ الخاطر ، من رسائل الخواطر ؛ وقد وجدتُ عندى أنسا لا أعهدُه ، وعَددتُ نقصَ البُعدِ أحدَ اللقاءين ، كما كنتُ أعُدّ زيادةَ البعدِ أحدَ النأيَين ؛ فزاده الله من القلوب

(١) كذا وردت هذه العبارة فى (أ) ، (ب) ؛ والذى فى كتاب الروضتين ج ١ ص ٢٣٩ «والشيخ الفقيه قد شاهد ما يشهد به من كونها نجما فى سحاب» الخ والشيخ الفقيه هو زين الدين بن نجا الواعظ ؛ والقلعة التى وصفها ، هى قلعة حمص ، كما ذكره صاحب الروضتين أيضا . وفى وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٠٣ طبع بولاق أن هذه القلعة يقال إنها قلعة كوكب .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٣) العقاب بكسر العين : المراقى الصعبة من الجبال ، مفرده عقبة بفتح العين والقاف .

(٤) فى الروضتين : « منها » .

(٥) فى الأصل : «فقود» ؛ وهو تحريف .

(٦) عبدت : ذللت ومهدت . وفى كلا الأصلين : « بعدت » ؛ وهو غير مستقيم ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما قبله وما بعده من الكلام .

حُظوه، ولا أخلاه من بسطِ يدٍ وقدمٍ فى حظِّ وحُظوه(١)؛ ووقفتُ على هذا الكتاب المشارِ اليه وما وقفتُ عنه لسانا شاكرا، ولا صرفتُ عنه طَرْفا ناظرا، و بلغتُ من ذلك جَهدى و إن كان قاصرا، واستفرغتُ له خاطرى وما أُعِدّه اليوم خاطرا؛ ومما أُسَرّ به أن يكون فى الخدمة السلطانية — أعلاها الله و رفَعها، و وصَلها ولا قطَعها، وألّف عليها القلوبَ و جمَعها، واستجاب فيها الأدعيــة وسمعها — من يكثّر قليلى، ويَشفِى فى تقبيل الأرض غليلى، فإن تقبيلَ سيّدنا كتقبيلى؛ فلو شرب صديقٌ وأنا عطشانُ لأرووانى، ولو آستضاء بلَمعة فى الشرق وأنا فى الغرب لأَرانى؛ كما أنّ الصّــديق اذا مسّــتهُ نعمةٌ وجب عنها شكرى، واذا وَصلتْ اليــه يدُ منعم وصلتْنى وتغلغلت الىّ ولو كنت فى قبرى .

ومنها : وأعود الى جواب الكتاب، الأخبارُ لا تزال غامضةً إلى أن يشرحَها، ومقفَلةً إلى أن يفتحَها؛ بخلاف حالى مع الناس، فإن القلوبَ لا تزال سالمةً إلا أن يجرحَها، والهموم خفيفة إلا أن يرجّحَها؛ والحقُّ من جهته ما تحقّق، وما استَنطَق بشكرٍ مَن أَنطَق؛ وفى الخواطر فى هذا الوقت موجودٌ يجعلها [فى](٢) العَدَم، ويُخرجُها من الألمِ الى اللّمِ(٣)، ويعادِى بين الألسنةِ والأسماعِ وبين العيونِ والقلم؛ وكلّما قلّت الحيلةُ المشكوكُ فى نُجحِها، فَتَحَ اللهُ باب الحيــلة المطموعِ فى فتحِها؛ وهى من فضل الله سبحانه والآستجارةِ بالآستخاره، فتلك تجارةٌ رابحةٌ وكُلُّ تجارةٍ لا تخلو من خساره؛ والله تعالى يَجمَع كلمةَ المسلمين على يد سلطاننا، ولا يُخلينا منه ومن [بنيــه](٤) حلىِّ زمانِنا، وشُنوفِ إيمــانِنا، ويُسعدُنا مِن أكابرِهم بتيجان رءوسِنا، ومِن أصاغرِهم بخواتم أيمــانِنا ؛

(١) أراد بالحظوَة هنا : التفصبل أو الحظ من الرزق . وبالتى قبلها : المكانة والمنزلة .
(٢) كذا فى (ب) .
(٣) اللم بالتحريك : الجنون .
(٤) لم ترد هذه الكلمة فى كلا الأصلين؛ وقد أثبتناها عن مسالك الأبصار .

ولو تفرّغت ٱلعزمةُ الفلانيّةُ لهذا الكلبِ العدوِّ فترجُمَ كلبَه، وتكُفَّ غَرْبَه، وتذيقَه وبالَ أمرِه، وتطفئَ شرار شرِّه، وتعجّلَ له عاقبةَ خُسرِه، فقد غاظ المسلمين وعضّهم، وفَلَّ جموعَهم وفَضّهم، وما وجد من يَكفى فيه ويكُفُّه، ويَشفى الغليلَ منه بما يشُفُّه(١)، ولو جَعل السلطانُ — عزّ نصرُه — غزوَ هذا الطاغيـة مَغْزاه(٢)، وبلادَه مستقَرَّ عسكرِه ومثواه، لأخذ الله الكافر بطَغواه، ولأَبقى ذكرا، وأجرى في الصحيفة أجرا، ولأطفأ الحقدَ الواقد، بالحديد البارد، وغنِم المَغْنَمَ البارد، وسدّد الله ذلك العزمَ الصادرَ والسهمَ الصارد(٣)، فلابدّ أن يُجرىَ سيّدُنا هذا الذكر، ولو لما أحتسبه أنا من الأجر، وما أَورده المجلسُ عن فلانٍ من صفوِ شُربِه، وأمنِ سِرْبِه، واستقرارِه تحت الظلِّ الظليلِ السلطانىّ — جعله الله ساكنا، وأَحلّه منه حَرما آمنا — ومن مُعافاته في نفسه وولدِه وجماعته، وأهلِ وَلائه وولايته، فقد شكرتُ له هذه البشرى، وفرحتُ بما يسّر الله ذلك المولى له من اليسرى، غير أنى أريد أن أسمع أخبارَه منه لا عنه وبمباشَرته لا باستنابته، فلا عَرَفتُ مودّتَه من المودّات الكُسالى، ولا أقلامَه إلا بلُبسِ السواد — على أنها مسرورةٌ سارّةٌ لا ثَكالى، واذا قنِع صديقُه منه بفريضة تحيّة، لا تُؤدّى إلا في ساعةٍ حَوليّة، فإن يبخَل بها ذلك الكريمُ فقد ٱنتحل الأسمَ الآخر — أعاذه الله منه، وصَرَف عنه لفظَه كما صَرف معناه عنه، وللمودّة عينٌ لا يَكحُلها اذا رَمِدت إلا إثمِدُ مدادِ الصديق، وما في الصبرِ وُسْعٌ لصحبةِ أيامِ العُقوق بَعد صحبةِ أيامِ العقيق، وقد بلغنى أنّ ولدَ المذكورِ نزَع(٤) وترعرع، ونفع

(١) يشفه: يحزنه. (٢) المغزى: المقصد. (٣) الصارد من السهام: النافذ.

(٤) كذا في كلا الأصلين بالنون والزاى؛ ولعله من قولهم: نزع فلان إلى أبيه ينزع بكسر الزاى في المضارع، أى ذهب اليه وأشبهه. أو هو من قولهم: نزع الى عرق كريم. أو لعله: «برع» بالباء الموحدة والراء المهملة.

وأينع ؛ وخَدَم فى المجلس السلطانىّ ، فسررت بأن تجمّعَ فى خدمته الأعقابُ والذّرارِى ؛ والله تعالى يحفظ علينا تلك الخدمةَ جميعا ، ولا يُعدِمنا من يدِها سحابا ولا من جنابِها ربيعا ؛ وقد فتح سيّدُنا بابا من الأنس ونَهَجَه ، وأُوثرُ ألّا يُرتِجَه ؛ بمكاتباته التى يدُه فيها بيضاء ، ويدُ الأيام عندى خضراء ؛ بحيث لا يستوفى على الحساب ، فى كل جواب ؛ وأنا فى هذه الأحوال أُوثرُ العُزلةَ وأبدأ فيها بلسانى وقلمى ، وأتوخّى أن أشبّه حالةَ وجودى بعدَمى ؛ فإنى أرى مَن تحتَها أروَحَ ممن فوقَها ، ومَن خرج منها أحظَى ممن أقام بها ؛ وللودّات مقرٌّ ما هو إلا الألسنه ، والقلوبُ قضاةٌ لا تَحتاج الى بيّنه .

وكتب [جوابا][1] أيضا الى آخر وهو : وقفتُ على كتاب الحضرة — يَسّر الله مَطالبَها وجمّل عواقبَها ، وصَفّى من الأكدارِ مَشاربَها ، وحاط مِن غِيَرِ الأيّام جوانبَها ، ووسّع فى الخيرات سُبلَها ومذاهبَها ؛ ووقاها ووقى ولَدَها ، وأسعدها وأسعد يومَها وغَدَها ؛ وجمع الشملَ بها قريبا ، وأحدث لها فى كلّ حادثةٍ صُنعا غريبا — من يد الحضرة الفلانيّة — لاعَدمتُ يدَها ومدَّها ، وأدام الله سعدها — وشكرتُ الله على [ما][2] دلّ عليه هذا الكتابُ من سلامة حَوزتها[3] ، ودوامِ نعمتِها ، وسُبوغ كفايتِها ؛ وسألته سبحانه أن يُصحّ جسمَها ، ويُميطَ همّى وهمَّها ؛ فهُما همان لا يتعلّقان إلا بخدمة المخدوم — أجارنا الله فيه من كلّ هم ، وأجرَى بتخصيصه السعدَ الأعمّ ، واللّطفَ الأتمّ — وعرفت ما أَنعَمتْ بذكره من المتجدّدات بحضرتِه ، ومن الأمور الدالّة على سعادته وقوّتِهِ ؛ ولِلأمورِ أوائلُ وأواخر ، ومواردُ ومصادر ؛ فنسأل الله سبحانه أن يجعل

---

(١) لم ترد هذه الكلمة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٢) فى (أ) : «على دل» بدون «ما» ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما فى (ب) .

(٣) حوزة الرجل : ما فى حيزه .

العواقبَ لكم، والمصادرَ إليكم، والنعمةَ عندكم، والنُّصرةَ خاصّةً بسلطانكم، والكفايةَ مكتنِفةً بجماعتكم(١)؛ وقد قاربت الأمورُ بمشيئة الله أن تُسفِرَ وجوهُها، والخواطرُ أن يستروِحَ مشدوهُها(٢)، "إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ" وفى كلّ أقدارِ الله الخيرة، وفى حكمته أنه جعل الخِيرةَ محجوبةً تحت أستار الأقدار؛ وقد علم الله تقسُّمَ فكرى ٥ لما هى عليه من المشقّات المحمولةِ بالقلب والجسد، والأمورِ الحاضرةِ فى اليوم والمستقبَلةِ فى غد؛ وهى فى جانب الخير، والخيرُ يعمّ الوكيلَ لصاحبِه، ومَن أصلح جانبَه مع الله كان الله جديرا بإصلاح جانبِه .

ومنه : وعليه السلامُ الطيّبُ الذى لو مرّ بالبهيم لأشرق، أو بالهشيم لَأورق؛ وكتُبها الكريمةُ إن تأخّرتْ فمأموله، وإن وصلتْ فمقبوله؛ وإن أنبأتْ بسارٍّ فمشهوره وإن أنبأتْ بشرٍّ فمستوره؛ وخادمُها فلانٌ يخدُم مجلسها خدمةَ الخادم لمخدومِه، ويكرِّرُ ١٠ التسليم على وجهه الكريمِ المحفوفِ مِن كلّ قلب بحبّه، ومن كلّ سلامٍ بتسليمِه .

وكتب أيضا : وصل كتابُ الحضرة — وصل الله أيّامَها بحميد العواقب، وبلوغ المآرب، وصَحِبتِ الدهرَ [على خير ما صَحِبَه صاحب](٣)، وأنهضَنا بواجب طاعته، فإنه بالحقيقة الواجب — وكلُّ واجبٍ غيرِه غيرُ واجب — مِن يد فلانٍ، فرجوتُ أن يكون طليعةً للاقترابِ، ومبشِّرًا بالإياب، ومخبِرا بعَوْدِها الذى هو كعَوْدِ الشباب لو يعود الشباب؛ ١٥ وأعلَمَنى من سلامة جسمها، وقلبِها مِن همِّها، ما شكرتُ الله عليه، واستدمتُ العادةَ الجميلةَ منه، وسألته أن يوزِعَها(٤) شكرَ النعمةِ فيه؛ وعرَفتُ الأحوالَ جملةً من كتابِها، وكلُّها

(١) كذا فى الأصول . ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أن «اكتنف» يتعدى بالحرف ؛ ولعله مضمن معنى الإحاطة، فعدّاه بالباء؛ أو لعله : «لجماعتكم» باللام .

(٢) المشدوه : المدهوش . ٢٠

(٣) التكملة عن (ب) ومسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٣ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

(٤) يوزعها : يلهمها .

تَشهد بتوفيق سلطاننا، وبأيّامه التى تعُود بمشيئة الله بإصلاح شانه وشاننا؛ والذى مدّه ظلّا، يَمُدّه فضلا؛ فالفضلُ الذى فى يديه، فى يد خلقِ الله الذى أحالهم فى الرزق عليه؛ فكيفما دعونا له دعونا لأنفُسنا، وكيفما كانت أسنّةُ رماحِه فهى نجومُ حرسِنا، فلا عدمت أيامه التى هى أيام أعيادِنا، ولا لياليه التى هى ليالى أعراسِنا .

٥ ومن أجوبته : ورد على الخادم — أدام الله أيامَ المجلس وصفّاها من الأكدار، وأبقى بها مِن تأثيراته أحسنَ الآثار، وأسمَع منه وعنه أطيَبَ الأخبار وجعل التوفيقَ مقيما حيث أقام، وسائرا أينما سار — كتابُه الكريم، الصادرُ عن القلب السليم، والطبعِ الكريم، والباطنِ الذى هو كالظاهرِ كلاهما المستقيم؛ ولا تزال الأخبارُ عنّا محجمه، والأحاديثُ مستعجِمه؛ والظنونُ مترجِّحه[1]، والأقوالُ مُسقمةٌ

١٠ ومصحّحه؛ الى أن يرِدَ كتابُه فيُحقَّ الحقَّ ويُبطِلَ الباطل، ويَتّضِحَ الحالى ويَفتضِحَ العاطل؛ ويُعرَف الفرقُ ما بين تحريرِ قائل، وتحويرِ ناقل[2]؛ فتدعوله الألسنةُ والقلوب وتستغفر بحسناته الأيامُ من الذنوب؛ والشجاعةُ شجاعتان : شجاعةٌ فى القلب وشجاعةٌ فى اللسان؛ وكلتاهما لديه مجموع، ومنه وعنه مَروىٌّ ومسموع؛ وذخائرُ الملوك هم الرجال، وآراءُ الحُزَماء هى النصال، ومودّاتُ القلوب هى الأموال، ومجالسُ آرائهم

١٥ هى المَعركَةُ الأولى التى هى ربما أغنتْ عن معارك القتال؛ والله تعالى يُمدّ المسلمين به حالَ تجمّعِهم على جهاد الكفّار، ويُلهمهم أن يَبذُلوا فى سبيله النفسَ والسيفَ والدّرهمَ والدينار؛ ويزيلُ ما فى طريق المَصالح من الموانع، ويَفطِمُ السيوفَ عن الدِّماء الإسلاميّة ويحرِّمُ عليها المَراضع؛ ويجعل للمجلس فى ذلك اليدَ العُليا، والطريقةَ المُثلى، ويجمع له بين خَيرَى الآخرةِ والأولى؛ والأحوالُ هاهنا بمصر مع بعد سلطانِها

٢٠ (١) المترجحة : المتذبذبة .
(٢) فى الأصلين : «قائل» ؛ وهو تحريف .

وتمـادى غيبته عن مباشرة شأنها ، على ما لم يُشهَد مِثلُه فى أوقات السكون فكيف فى أوقات القلق ، على من يحفَظ الله به من فى البلاد من الجموع ومن فى الطُّرقاتِ من الرُّفَق ؛ والأميرُ الولدُ صحيحٌ فى جسمِه وعزمِه ، متصرِّفٌ فى مصالحه على عادته ورسمِه ؛ جعـله الله نعم الخَلَفُ المسعود ، وأمتعه بظلّ المجلس الممـدود ، فى العمر الممدود ؛ وعرَف الخادمُ أن المجلس ناب عنه مرةً بعد مرةٍ بمجلس فلان ويشكُر على ما سلف من ذلك المَناب ، ويستزيدُ ما يستأنفُه من الخطاب ؛ والبيتُ الكريمُ أنا فى وَلائه وخدمتِه كما قيل :

إنّ قلبى لكُم لَكالكبِدِ الحـرّى* وقلبى لِغيرِكم كالقـلوبِ

يسرّنى أن يَمُدّ الله ظلَّهم ، وأن يَجمعَ شملَهـم ؛ كما يسوءنى أن تختلفَ آراؤهم ولا تَنتظِمَ أهواؤهم ؛ وهـذا المولى يبلُغنى أنه سـدّ وساد ، وجَدّ وجاد ، وخلف مَن سلَفَ من كرامِ هذا البيت من الآباء والأجداد ؛ وآشتهرتْ حسنُ رعايتِه لمن جعله الله من الرعايا وديعه ، وحسنُ عنايتِه بمن[(1)] جعله الله له من الأجنادِ شِيعه ؛ وإذ بلغنى ذلك سُررتُ له ولأبنِه ولجدّه ، وعلمتُ أنه لم يمت من خلّفه لإحياء مجدِه ؛ ومن آستعمله بحَسَنٍ فقد أراد الله به حَسَنا ، ومن أحسن إلى خلق الله كان الله له محسنا ؛ إن الله أكرمُ الأكرمين ، وأعدَلُ العادلين ؛ وكُتبُ المجلس السامى يُنعم بهـا متى خَفّ أمرُها ، وتيسّر حملُها ، وتَفرّغ وقتُه لهـا ؛ والثقةُ حاصلةٌ بالحاصـل من قلبِه ، وعاذرة وشاكرةٌ فى المبطئ[(2)] والمسرع من كُتْبِه ؛ ورأيُه الموفَّقُ إن شاء الله تعالى .

وكتب : ورد كتابُ الحضرة السامية — أحسن الله لها المعُونه ، ويسَّرَ لها العواقبَ المأمونه ، وأنجدَها على حرب الفئةِ الكافرةِ الملعونه — بخبر خروج الخارج

(1) فى الأصلين : « ومن حسن » ؛ وقوله : « من » زيادة من الناسخ ، إذ لا مقتضى لها هنا .

(2) فى (أ) : « من المبطىء » ؛ والسياق يقتضى الفاء ، كما فى ب ، أى فى حالة الإبطاء .

(١١٤)

من قلعة كذا، وما صرّح به من الخوف الذى ملأ الصدور، والآستحثاث فى مَسِير العسكر المنصور؛ وكلّ ضِيقةٍ(١) وردت على القلوب ففزعتْ فيها إلى ربّها فرجتْ فَرَجَه وأذكى لها اليقينُ سُرُجَه؛ ولَم تُشرِكْ معه غيرَه مستعانا، ولم تَدْعُ معه مِن خَلْقِه إنسانا؛ فما الضِّيقةُ و إن كانت منذرةً إلا مبشِّره، والخطةُ و إن كانت وَعْرةً إلا ميسَّره؛

٥ لاجرم أن هذا الكتاب أعقبه وُصولُ خبر نهضة فلان — نصَرَ الله نَهضاته، وأدّى عنه مفترَضاته — فاستَنهَض العساكر، وقوتل العدوُّ الكافر؛ فنفَّس ذلك الخناق، وتماسكت الأرماق؛ وما أحسَب أنّ الأمر يتمادى مع القوم، بل أقول: لا كَرْبَ على الإسلام بعد اليوم؛ تَتوافى بمشيئة الله ولاةُ الأطراف، و يزول من نفْسِ العدوِّ وسمعِه ما آستشعره بين المسلمين من الخلاف؛ ويجتمعون إن شاء الله على عدوِّهم،

١٠ ويُذهِب الله بأهلِ دينه ما كان [من فساد](٢) أعدائه فى أرضه وعُلوِّهم؛ وقد شمِمنا رائحةَ الهدنة بطلب الرسول، و بخبرِ هلاكِ مَلِكِ الألمانِ الذى هو بسيف الله مقتول، والموتُ سيف الله على الرقاب مسلول .

ومنها : فأما ما أشار إليه من القِلاعِ التى شحَنها(٣)، والحصونِ التى حصّنها؛ والأسلحةِ التى نقَلها إليها، والأقواتِ التى ملأ بها عيونَ مُقاتِلتها وأيديها؛ فإن الله يمُنّ عليه

١٥ بأن يسّره لهذه الطاعه، ورَزَقه لها الآستطاعه؛ فكم رزق الله عبدا رزقا حَرَمه منه وفتح عليه بابا من الخير وصَرَفه عنه؛ لا جرم أنه وفَّى قوما أجرَهم بغير حساب، ووقَف

---

(١) الضيقة بكسر الضاد : مثل الضيق (اللسان) .

(٢) عبارة الأصول : «ما كان أعدائه فى أرضه» الخ وهى على هذا الوجه غير تامة ولا مستقيمة الإعراب ؛ والتكملة عن مسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٧ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى

٢٠ المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

(٣) فى (أ) : «تنحها» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما فى (ب) .

قوما بموقفِ مناقشةِ الحساب ، الذى ٱلمَصرِفُ عنه إلى ما بعده من العذاب ؛ الآن واللهِ مُلِّكَ الملِكُ العادلُ مالَه الذى أنفقَه ، وأَودعَه لخير مستودَعٍ مِن ٱلذى رزقَه ؛ وشتّان بين الهمم : همّةُ ملِكٍ ذخرمالَه فى رءوس القِلاع لتحصينِ الأموال ، وهمّةُ ملِكٍ أَودع مالَه فى أيدى المُقاتِلةِ لتحصين القلاع

يبنى الرجالَ وغيرُه يبنى القرى * شـتّان بين مزارعٍ ورجالِ ٥

والحمـد لله الذى جعـل مالَه له مَسرّه ، يوم يَرَى الذين يكنزون الذهبَ والفضّـةَ المـالَ عليهم حسره؛ ما أحسَب أحدا من هذه الأمّة إن كان عند الله مِن[1] أهلِ الشهاداتِ بين يديه ، وإن كان كريمَ الوِفادة لديه؛ إلا تلقّاه شاكرا لهـذا السلطان شاهدا بمـا يُولى هذه الأمّةَ من الإحسان ، "وَفِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ" سيحصُد الزارعون ما زرعوا ، والله يزيده توفيقا إلى توفيقِـه ، ويلهم كلَّ مسـلم ١٠ [القيامَ][2] بمفترَض برِّه ويعيذه من محذورِ عقوقِه؛ وأنا أعلم أنّ الحضرة تُفرِد لى شَطْرا من [زمانها المهمّ ، لكتاب تُلقيه الىّ ، وخبر سارٍّ تورده علىّ ؛ وأنا أُفرد شطرا من][3] زمانى لِشكرِها ، وأسرُّ واللهِ لهـا بتوفيقِ الله فى جميع أمرِها ، وإن الذّاكر لها بالخـير كثير ، فزاد الله طيبَ ذكرِها ؛ ورأيه الموفَّقُ فى أن يُجريَنى على كمف العـادة ، و[لا][4] يقطع عنى هذه المـادّة ، إن شاء الله تعالى . ١٥

وكتب : ورد كتاب المجلس السامى — نصر الله عزائمَه ، وأَمضَى فى رءوس الأعداء صوارمَه ، وشدّ به بنيانَ الإسلام ودعائمَه ، وٱستردّ به حقوقَ الإسلام من

(١) فى (أ) : « من عند » ؛ وقوله : « من » زيادة من الناسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصول ، والسياق يقتضى إثباتها إذ لم نقف فيما راجعناه من كتب اللغة على تعدية "ألهم" بالباء . ٢٠

(٣) هذه التكملة لم ترد فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٤) فى (أ) : «ويقطع» بسقوط «لا» والسياق يقتضى إثباتها كما فى (ب) .

الكفر ومَظالمَه، وأخلف نفقاته فى سبيل الله ومَغارمَه، وجعلَها مَغانمَه — وكان العهدُ به قد تطاول، والقلبُ فى المطالَبة ما تساهل، ولمحتُ أشغالَه بالطاعة التى هو فيها وما كلٌّ من تَشاغَل تَشاغَل؛ فهنّأه الله بما رزقه، وتقبّلَ فى سبيل الله ما أنفقه وعافى الجسمَ الذى أنضاه فى جهاد عدوّه وأخلَقه، وقد وُفّق مَن أتعبَ نفسا فى طاعة مَن خلَقَها، وجسما فى طاعة مَن خلَقه؛ فهذه الأوقات التى أنتم فيها أعراسُ الأعمار، وهذه النفقاتُ التى تُجرَى على أيديكم مهورُ الحُور فى دار القرار؛ قال الله سبحانه فى كتابه الكريم: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وأما فلان وما يسّره الله له، وهوّنه عليه، من بذلِ نفسِه ومالِه، وصبره على المشقّات واحتمالِه، وإقدامِه فى موقف الحقائق قبل رجالِه؛ فتلك نعمةُ الله عليه، وتوفيقُه الذى ما كلُّ مَن طلبَه وصل اليه؛ وسوادُ العجاج فى تلك المواقف، بياضُ ما سوّدتْه الذنوبُ مِن الصحائف «يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا» فما أسعدَ تلك الوقَفات، وما أعوَدَ بالطُّمَأنينةِ تلك المرجِفات(١)؛ وقد علم الله سبحانه وتعالى منّى ما علم من غيرى من المسلمين من الدعاء الصالح فى الليل إذا يَغشَى، ومن الذكر الجميل لكم فى النهار إذا تجلَّى؛ والله تعالى يؤيّد بكم إيمانَكم، وينصُركم وينصر سلطانَكم، ويُصلِحكم ويصلح بكم زمانَكم، ويشكُر هجرتَكم التى لم تؤثروا عليها أهليكم ولا أموالَكم ولا أوطانَكم، ويعيدُكم إليها سالمِين سالِبين، غانِمين غالِبين؛ إنه على كل شىء قدير.

وكتب: وصل كتاب الحضرة السامية — أيد الله عزمَها، وسدّد سهمَها وجعل فى الله همَّها، ووفَّر فى الخيرات قِسمَها — مبشِّرا بالحركة الميمونةِ السلطانيّة

---

(١) المرجفات من الإرجاف، وهو الزلزال.

إلى العدوّ خذله الله، ومَسيرِ المسلمين — نصرهم الله — تحت أعلامه أعلاها الله؛ ومُباشرةِ العدوّ واستبشارِ المسلمين بما أسعدهم الله من الجراءة عليه، ومن إضمارِ العَودِ اليه؛ وهذه مقدّمةٌ لها ما بعدَها، وهى وان كانت نُصرةً من الله فما نَقنَع بها وحدَها فالهمَّةُ العاليـةُ [السلطانيّةُ] للحربِ التى تَسلُب الأجسامَ رءوسَها، والسيوفَ حدّها؛ فإن الجنّة غاليةُ الثمَن، والخطابُ بالجهاد متوجِّهٌ الى الملِكِ العادل دون ملوك الأرض وإلا فمَن؟ فهذه تُشترَى بالمشقّات، كما أن الأخرى — أعاذنا الله منها — رخيصةُ الثمَن وتُشترَى بالشهوات؛ والحضرةُ الساميةُ نعم القرين ونعم المعين، وفَرْضُ ذى اللّهجة المُبين، أن يستجيش ذا القوة المتين، وكلمةٌ واحدهٌ فى سبيل الله أَنْمَى من ألوف المُقاتِلة والمئين؛ والله تعالى يوسّع إلى الخيرات طُرقَها، ويُطلق بها منطلِقَها، ويُمتع الإخوان بخُلقها الكريم فما منهم إلا من يشكر خُلقَها؛ ورأيُها الموفّقُ فى إجرائى على العادة المشكورة مِن كُتبِها، وإمطارى من خواطرها، لا عدمتُ صَوبَ سحبِها .

ومن كتاب كتبه الى القاضى محيي الدين بن الزكىّ : بعد أن أصدرتُ هذه الخدمةَ الى المجلس — لاعَدِمتُ عواطفَه وعوارفَه، ولطائفَه ومعارفَه؛ وأَمتع الله الأمةَ عموما بفضائله وفواضـلِه، ونَفعَهم بحاضره كما نفعهم بسلفِه الصالح وأوائلِه، وعادى اللهُ عدوَّه ودَلَّ سهامَه على مَقاتلِه — [ورد كتابٌ منه فى كذا وما بقِيتُ أذكر الإغبابَ، فإن سيّدَنا يقابله] (١) بمِثلِه، ولا العتابَ فإن سيدنا يساجله بأَفيَض من سَجْلِه؛ ولا أُلقِى عليه من قولى قولا ثقيلا، ولا أقابِل به من قوله قولا جليّاً

---

(١) التكملة عن (ب) ومسالك الأبصار .

جليلا؛ فقد شبّ عمرو عن الطّوق[1]، وشَرُف البُراقُ عن السّوق؛ وذلك العمرو[2] ما برح محتنكا[3] والطّوق للصبيّ، وذلك البُراقُ حِمى لا يقدّم إلا للنبيّ؛ ومع هذا فلا تُقلّص عنّى هـذه الوظيفه، وآعتقِدْها مِن قُرَب الصحيفه؛ فإنك تسكّن بهـا قلبا أنت ساكنُه وتَسّر بها وجها أنت على النوى معاينُه .

وكتب إلى العماد : كانت كتبُ المجلس — لا غيّر الله مابه من نِعَمِه ولا قطع عنه مَوادّ فضلِه وكَرَمِه، ولا عَدِمت آلدنيا خَطّ قلمِه وخطوَ قدَمِه؛ وأعاذنا الله بنعمة وُجودِه من شِـقوةِ عدَمه — تأخّرتْ وشقّ علىّ تأخُّرها ، وتغـيّرتْ علىّ عوائُدها والله يعيذها مما يغيّرُها؛ ثم جاءت ببيت ابن حجّاج :

عاب ما غاب وو افا * نى على ما كنتُ أعهدْ[4]

وأجبتُه ببيت الرّضىّ :

ومتى تَدنُ النوى بهمُ * يجدوا قلبي كما عَهِدوا

كتابةٌ لا ينبغى مُلكُها إلا لخاطـرِه السليمانىّ، وفَيضٌ لا يسـند إلا عن نُوح[5] قلمِه

---

(١) فى أساس البلاغة مادة «طوق» «جل» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . وهـذا المثل لجذيمة الأبرش فى عمرو بن عدى، كما فى جمهرة الأمثال .

(٢) كذا ورد هذا الاسم فى الأصلين مقرونا بالألف واللام؛ ووجهه أنه نكر عمرا ثم أدخل عليـه حرف التعريف؛ ومنه قوله :

باعد أم العمرو من أسيرها * حراس أبواب على قصـورها

قال فى مغنى اللبيب ص ٥٠ مانصه : وقيل : «ال» فى اليزيد والعمرو للتعريف، وأنهما نكرا ثم أدخلت عليهما «ال» كما ينكر العلم اذا أضيف، كقوله : «علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم» اه .

(٣) يقال : حنكته السن وآحتنكته، اذا أحكمته التجارب .

(٤) فى (أ) : «أعهده» ؛ والهاء زيادة من الناسخ، إذ بها يختل الوزن؛ ولم نقف على هذا البيت فى يتيمة الدهر ضمن شعر ابن حجاج .

(٥) لعله : «إلى نوح» إذ هو مقتضى اللغة ؛ أو لعله ضمن قوله : «يسند» معنى الأخذ والرواية فسوغ له هذا التضمين ذكر «عن» مكان «إلى» وعبارة مسالك الأبصار : «لا يصدر إلا عن» الخ وهى أظهر .

الطُّوفانىّ ، أَوجبت على كل بليغ أن يتلوَ ، "وَمِنْهُـمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِىَّ" و بالجملة فالواجب على كلّ عاقل ألّا يتعاطى ما لم يُعْطَه ، وأن يدخل بابَ مجلس سيّدنا و يفولَ حِطّه؛ فأما ما أفاض فيه من سكون الأحوال بتلك البـلاغة فقـد كدت أسكَر لمـا ٱستخرجتُـه من تلك المحاسن التى لو أن الزمان الأصمّ يَسمع لأسمعته ، ولو أن الحظَّ الأشمّ يخضع لأخضعته ؛ و بالجملة فإنه لا يُشنَأُ زمنٌ أَبقَى من سـيّدِنا نعمةَ البقيّةِ التى مهما وُجدتْ فالخير كلُّه موجود ، والمجدُ بحفيظته مشهود ؛ وكما تَيسّرتْ راحةُ جسمِه ، فينبغى أن يقتدىَ به قلبُه فى راحة من همّه ؛ وأعراضُ الدنيا متاعُ المتاعب ، وقد رفع الله قدره ، و إلا فهـذه الدنيا وهدةٌ إليهـا مَصابُ المصائب ؛ والحالُ التى هو الآن عليها عاكفٌ [إلا][1] مِن علمٍ يدرُسُـه ، وأدبٍ يقتبسُـه ، وحريمِ عقائلَ يذّبّ عنه و يحرسه ؛ هى خير الأحوال ، فالواجب الشكر لواهبِها ، والمَسَرّةُ بالإفضاء إلى عواقبِها ؛ وما ينقُص شىءٌ من المقسوم ، و إن زاد عند المجلس فليس من حظّه ، ولكن من حظّ السائل والمحروم ؛ فلا يَسمحِ ٱلمجلسُ بكتابٍ من كتبِه على يدٍ من الأيدى التى لا تؤدّى ، ولا يؤمَن أن تكون أناملُها حروفَ التعدّى ، وهى إحدى ما تعلّقتْ به الشهواتُ من اللذّات ، وهو يُنعِم بها على عادته فى كفّ ضراوةِ القلب ودفعِ عاديِه ؛ موفّقًا إن شاء الله تعالى .

وكتب إلى القاضى محيي الدين بن الزكىّ أيضا : كان كتابى تَقـدّم الى المجلس السـامى ــ أدام الله نفاذَ أمرِه ، وعلوّ قـدرِه ، وراحةَ سرّه ونعمةَ يسرِه ، وأجراه على أفضل ما عوّدَه ، وأَسعد جَدّه وأَصعدَه ، وأَحضرَه أمثالَ العام المقبل وأَشهدَه ؛ ولا زال يلبَس الأيّامَ و يخلعها ، و يسـتقبِل الأهلّة و يودّعها

(١) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

وهو محروس فى دنياه ودينِه ، مستلئمٌ من نُوَب الدهر بدرعِ يقينِه ، كاشفٌ لليل الخطبِ بنور جبينِه ، وليومِ الجدب بفيض يمينِه ؛ وأعمالُه مقبوله ، ودعواتُه على ظهرِ الغمام محموله ؛ والدنيا ترعاه وهى تأتى برغمِها (١) ، والآخرةُ تُدَّخرله وهو يسعى لها سعيَها — من أيدى عِدّةٍ من المسافرين ، ولثقتى بهم ما قَدرتُ (٢) أسماءهم ، ولِضيق صدرى بتأخيركتب المجلس ما حفظتُها .

وجاء منها : وما كأنا إلا أن دعونا الله سبحانه دعوةَ الأوّلين أن يباعد بين أسمارِنا ، وأردنا أن يقطع بيننا وبين أخبارِنا ؛ فأجيبت الدّعوه ، ولا أقول لِسابقِ الشِّقوه ، ولكن لِلاحقِ الحُظوه ؛ فإن مكابَدةَ الأشواقِ إلى الأبرار ، تَسُوق الى الجنّة ولا تَسُوق إلى النار ، وأُقسم انى بالاجتماع به فى تلك الدار ، أَبهجُ منى بالاجتماع به لو أُتيح فى هذه الدار ؛ فعليه وعلىّ من العمَلِ ما يجَمع هنالك (٣) سلكَ الشمل ويصلُ جديدَ الحبل ؛ فثَمّ لا يُلقِى العصا إلا من أَلقَى هنا العِصيان ، وهناك لا تَقَرّ العينُ إلا ممن سهِرتْ منه هاهنا العينان ؛ فلا وجه لجمع آسمى مع آسمه فى هذه الوصيّة مع علمى بسوء تقصيرى ، وخوفى من سوء مَصيرى ، ولكن لِيزيدَ سيّدُنا من وظائفه وعوارِفه ، — فكلّ فعلِه تفضُّل من فضلِه — ما يخلّصنى بإخلاصه فإنى أستحقّ شفاعتَه لِشُفعةِ جِوارِ قلبى لقلبِه ، وهذا معنى ما بَعث على شغل الكُتّاب به ، مع علمى باستقرار نفسه النفيسة ، إلا أنه — أبقاه الله — قد أَبعَد عهدى مِن كُتبِه بما يقع التفاوضُ فيه ، والمراجَعةُ عنه ؛ والخواطرُ فى هذا الوقت منقبضه ، والشواغلُ لها معترِضه ، وأيامُ العُمر فى غير ما يُفرَض من الدنيا للآخرة

---

(١) عبارة مسالك الأبصار : «وهو يأبى رعيها » ؛ وبها مع ما بعدها يتم السجع الذى التزمه القاضى فى رسالته .

(٢) فى (ب) : «قيدت» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) فى الأصل : ”هالك“ ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

منقرِضــه، ومتجدِّدُ نوبةِ بَيْروتَ قد غَمّت كلّ قلب، وهاجت المســلمين أشواقا الى الملكِ الناصر، وذكرى بما ينفعه الله به من كلِّ ذاكر، وأَخَذَ الناسُ فى الترحّم على أوّلِ هذا البيت والدعاءِ للحاضر والآخر — وليس إن شاء الله بآخر، فما آدَّخر المولى لهذه الحرب مجهودا، ولا فَلّلتْ عسكرا مجرورا ولا مالا ممدودا

فإن كان ذنبى أنّ أحسَنَ مطلبى * إساةٌ ففى سوء القضاء لىَ العــذرُ ٥

ومنه : وسـيّدُنا يستوصى[1] بالدار بدِمَشقَ فقد خَلتْ، وإنما الناسُ نفوسُ الديار، وأنا أعلم أن سـيّدَنا فى هذا الوقت مشدُوهُ الخاطر عن الوصايا، ومشغولُ اللسان بتنفيذ ما ينفّذه ممـا هو منتصب له من القضايا، فما فى وقته فضلةٌ ولكن فضْل، وسيّدُنا يُحسِن فى كلّ قضيّة مِن بَعد كما أَحسَن مِن قَبل؛ فهو الذى جعل بينى وبين الشام نَسَــبا [وأنشأنى فيـه الى أن آدّخرتُ عَقارا ونَشَبا][2] فعليـه أن يَرعى ١٠ ما أقناه[3]، وينفىَ الشّوكَ عن طريقِ اليدِ إلى جَناه؛ والجارُ إلى هذا التاريخ ما آندفع جَوْرُه، ولا أُدرِكَ غَوْرُه؛ يَعِدُ لسانُه ما تُخالف يدُه، ويَدّعى يومه ما يكذّبه فيه غدُه؛ وأنا على آنتظار عواقب الجائرِين، وقد عرف الغيظُ منّى ألفاظا مجهولةً ما كنت أسمح بأن أعرفها، وكشَفَ مستورا من أسـباب الحَرَج ما يسرّنى أن أكشـفها ﴿لَا يُحِبُّ ٱللهُ ٱلْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ وأَسْوَأُ خُلُقا مِن السيّء الخُلق ١٥ مَن أَحوَجه إلى سوء الخُلق؛ وما ذكرتُ هـذا لِيُذكَر، ولا طويتُ الكتّابَ عليه لِيُنشَر، والسرّ عند سيّدنا ميتٌ وهو يَقضِى حقَّه بأن يُقبَر .

---

(١) فى الأصل : "يتوصى" بسقوط السين المهملة وتشديد الصاد؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) . ليتم بها السجع الذى التزمه الكاتب فى أكثر رسالتــه . ٢٠

(٣) أقنيت فلانا، إذا أعطيته ما يقتنى .

وكتب : أدام الله أيامَ المجلس وخصّه مِن لطفِه بأوفر نصيب، ومنحه من السعادة كلّ عجيب وغريب، وأراه ما يكون عنه بعيدا ممـا يؤمّله أقربَ مِن كلّ قريب ـــ الخادمُ يخدُم ويُنهِى وصولَ كتابٍ كريمٍ تفجّرتْ فيه ينابيعُ البلاغه، وتبرّعتْ [له](١) بالحكم أيدى البراعه؛ وجادَ منه بسماءٍ مزيّنةٍ بزينـةِ الكواكب، وهطَلَ منها لأوليائه كلُّ صَوبٍ ولأعدائه كلُّ شهابٍ واصب(٢)، وتجلَّى فما الغِيدُ الكواعب؛ وما العقودُ فى التَّرائب، وتفرَّق منـه جيشُ الهمّ فانظر ما تفعل الكتبُ فى الكتائب؛ وما وَرَدَ إلا والقلب إلى موردِه شديدُ الظما، وما كُحِلَ به إلا ناظرهُ الذى عَشِىَ عن الهدى وقُرب من العمى؛ وما نار إبراهيم بأعظمَ مِن نورِه، ولا سرورُه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حين نجا أعظَمَ يومَ وصولِه مِن سرورِه؛ فحيّا الله هذه اليدَ الكريمةَ التى تَنهـلّ بالأنواء وتجزل سوابغَ النعماء، وتُعطِى أفضلَ عطاءٍ يسرّها فى القيامه، وتحُوز به أفضلَ أنواع الكرامه؛ فأما شوقُه لعبدِه فالمولى ـــ أبقاه الله ـــ قد أُوتِىَ فصاحةَ لسان، وسحَبَ ذيلَ العِىِّ على سَحبان؛ ولو أنّ للخادم لسـانًا مُواتًا(٣)، وقلبا يقال له هِى هات(٤)؛ لقال

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ومسالك الأبصـار؛ ولعـله : « ثاقب » فإنه يريد الإشارة الى قوله تعالى : (الا من خطف الخطفـة فأتبعه شهاب ثاقب) وأما الوصـف بالوصوب، أى الدوام واللزوم فقد ورد فى القرآن للعذاب لا للشهاب؛ قال تعالى : « ولهم عذاب واصب » .

(٣) كذا فى كلا الأصلين ومسالك الأبصار؛ والقواعد تقتضى إثبات يائه والوقوف عليه بالألف فيقال : « مواتيا » إلا أن السجع اقتضى أن يجرى الكاتب المنقوص المنصوب مجرى المرفوع والمجرور فى الإعراب فيسكن ياءه ويحذفها فى الوقف؛ وهى لغة لبعض العرب ومنه قول الشاعر :

* ولو أن واش باليمامة داره * الخ البيت . والأصح جواز ذلك فى غير الضرورة؛ ومنه قراءة جعفر الصادق : من أوسط ما تطعمون أهاليكم بإسكان الياء انظر حاشية الحصرى ج ١ ص ٦١ طبع بولاق .

(٤) قال أبو الهيثم : يقولون عند الإغراء بالشىء : «هى هى» فاذا بنوا منه فعلا قالوا : هيهيت به، أى أغريته .

ما عندَه، وأذكَرَ عهدَه ووِدّه؛ و باح بأشواقه، وذمّ الزمنَ على ٱعتياقه؛ وأما تفضّلُه بكذا فالخادمُ ما يقوم بشكرِه، ولا يقدّرُه حقَّ قدرِه؛ وقد أحال مكافأةَ المجلس على مليءٍ قادر، ومَسرّة خاطرة عليه يوم تُبلَى السرائر؛ واللهُ تعالى يصِلُه برزقٍ سنيٍّ يملأ إناه، ويُوضح هداه؛ ولا يُخلِي ٱلمجلسَ مِن جميلِ عوائدِه، و يمنحه أفضلَ وأجزلَ فوائدِه إن شاء الله تعالى . ٥

ومن مكاتباته يتشوّق الى إخوانه وأودّائه، ومحبِّيه وأوليائه —

كتب إلى بعضهم :

أأحبابَنا هل تَسمعون على النوى * تحيّـــةَ عانٍ أو شكـيّةَ عاتبِ

ولو حَملتْ ريحُ الشَّمال إليكمُ * كلاما طَلبْنا مِثلَه فى الجنائبِ

أصدر العبد هـذه الخدمة وعنده شوقٌ يَغُور به ويُنجِد ، ويستغيث من ناره بمـاء الدمع فيجيب ويُنجِـد؛ ويَتعلّل بالنسـيم فيُغرِى نارَه بالإحراق ، ويَرفع النواظرَ إلى السُّلوان فيعيدها الوجدُ فى قبضة الإطراق؛ أسفا على زمنٍ تَصرَّم، ولم يُبقِ إلا وجدا تَضرَّم، وقلبا فى يد البين المُشتِّ يتظلّم ١٠

ليالىَ نحن فى غفلات عيش * كأنّ الدّهر عنّـا فى وَثاقِ

فلاتَنفَّس خادمُه نفسا إلا وصَلَه بذكرِه، ولا أَجرَى كلاما إلا قيَّده بشكرِه، ولا سار فى قفرٍ إلا شبَّهه برحيب صدْرِه، ولا أَطلّ على جبل إلا ٱحتقره بعليّ قدرِه، ولا مرّ بروضةٍ إلا حالَها تفتّحت أزهارُها عن كريم خُلقِه ونسيم عطرِه، ولا أَوقد ٱلمصطَلون نارا إلا ظنّهم ٱقتبسوها من جمرِه، ولا نزل على نهر إلا كاثَر دمْعَه بحرِه ١٥

---

(١) فى (أ) « حالك » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والإحالة بالدين : نقلا من ذمة إلى ذمة أخرى، والاسم الحوالة بفتح الحاء . ٢٠

(٢) الملىء والملىّ بتشديد الياء : الغنىّ القادر، أو هو الحسن القضاء للدين .

سقى الله تلك الدارَ عودةَ أهلِها * فذلك أجدَى من سحاب وقَطْرِه

لئن جَمَع الشَّملَ المشتِّتُ شملَه * فما بعدَها ذنبٌ يُعَدّ لدهرِه

فكيف ترَى أشواقه بعد عامه * اذا كان(١) هذا شوقُه بعد شهرِه

بعيدٌ قريبٌ منكمُ بضميره * يَراكم(٢) اذا ما لم تروه بفكرِه

ترحّل عنكم جسمُه دون قلبِه * وفارقكم فى جهره دون سرِّه

اذا ما خلتْ منكم مجالسُ ودِّه * فقد عَمَرَتْ منكم مجالسُ شكرِه

فيا ليلُ لا تُجلِبْ عليهم بظُلمة * وطلعةُ بدر الدين طلعةُ بدرِه

(١١٨)

ونسأل الله تعالى أن يمنّ بقُربِه ورحابُ الآمال فسائح ، وركابُ الهموم طلائح والزمن المناظِرُ(٣) بالقرب(٤) مسامِح ، هنالك تُطلَق أعنّةُ الآمال الحوابس ، ويهتزّ مخضرًّا من السعود عودٌ يابس

وما أنا من أن يَجمعَ اللهُ شَملَنا * بأحسنِ ما كنا عليه بآيِس

وقد كان الواجب تقديم عَتْبِه ، على تأخيرِ كُتْبِه ؛ ولكنه خاف أن يجنىَ ذنبا عظيما ويؤلمَ قلبا كريما

واستُ(٥) براضٍ من خليلٍ بنائلٍ * قليلٍ ولا راضٍ له بقليلِ

---

(١) كذا فى (ب) ومسالك الأبصار والذى فى (أ) «وان» وهو غير مستقيم .

(٢) فى كلا الأصلين : «يراد» ؛ وهو تحريف .

(٣) المناظر : المجادل .

(٤) بالقرب : متعلق بقوله : «مسامح» وقد ورد فى الشعر تعدية «سامح» بالباء ، قال الشاعر :

ولكن اذا ما حل خطب فسامحت * به النفس يوما كان للكره أذهبا

انظر اللسان .

(٥) البيت لكثير عزة الأغانى ج ١ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية .

وحاشى جلاله من الإخلال بعهودِ الوفاء، ومن انحلال عقودِ الصفاء، وما عهدتُ[1] عزمَه القويَّ فى حَلْبة الشوق إلا من الضعفاء، وحاشيةَ خُلُقِه إلا أرقَّ مِن مدامعِ غُرَماء الجفاء

من لم يَبِتْ والبينُ يصدع قلبَه * لم يدر كيف تَقلقُلُ الأحشـاءِ

وكتب أيضا فى مثل ذلك : كتَبَ مملوكُ المولى الأجلِّ عن شـوقٍ قدَحَ الدمعَ من الجفون شرارا، وأجرَى من سيل المـاء نارا، واستطال واستطار فمـا توارَى أُوارا، ووجدٍ على تذكّر الأيام التى عَذُبتْ[2] قِصـارا، والليالى التى طابت فكأنما خُلقتْ جميعُها أسحارا

وبى غَمرةٌ للشوق من بَعـد غمرةٍ * أخوض بها ماء الجفون غِمـارا

وما هى إلا سَـكرةٌ بَعـــد سكرةٍ * اذا هى زالت لا تزال خُمـارا

رحلتم وصبرى والشبابَ وموطنى * لقد رحلتْ أحبابُنـا تَتبـارى

ومن لم تصافحْ عينُـه نورَ شمسِـه * فليس يرى حتى يُراه نهـارا

سقى الله أرضَ الغُوطتين[3] مدامعى * وحسبكِ سُحْبا قد بعثتُ غزارا

وماخدعتْنى مصرُ عن طيبِ دارِها * ولا عوضتْنى بعـــد جارىَ جارا

أدارَ الصِّبا لا مثلَ ربعك مَربَعٌ * أرى غيرَك الربعَ الأنيس قفـارا

(١) يقال : حاشاك وحاشى لك، والمعنى واحد، كما فى الصحاح للجوهرى؛ وحاشى : اسم على الصحيح مرادف للبراءة، كما فى معنى اللبيب فى الكلام على «حاشى» التنزيهية .

(٢) فى مسالك الأبصار : «التى ذهبت» .

(٣) المراد بالغوطتين هنا : أرض الغوطة، وإسناد كرها بالتثنية جريا على عادتهم من ذكر الواحد بلفظ المثنى؛ والغوطة : هى الكورة التى منها دمشق، استدارتها ثمانية عشر ميـلا، تحيط بها جبال عالية جدا ومياهها خارجة من تلك الجبال، وتمد فى الغوطة فى عدّة أنهر فتسقى بساتينها وزروعها ويصب باقيها فى أجمة هناك وبحيرة .

فما آعتضتُ أهلا بعد أهلِك جيرةً * ولا خلتُ دار المُلك بعدَك دارا

وما ضرّ اليدَ الكريمةَ التى أياديها بيض فى ظلمات الأيّام، وأفعالها لا يقوم بمدحها إلا ألسنةُ الأسنّةِ والأقلام ؛ لو قامت للودّة بشرطِها، ومحتْ[(١)] خطَّ الأسى بخطِّها ؛ وكَتبتْ ولو شطرَ سطرٍ ففرّغتْ قلبا من الهمّ مشحونا، وأطلقتْ صبرا فى يد الكمد مسجونا ؛ ونَزّهتْ ناظرَ المملوك فى رياضٍ منثورةِ الحُلى، وحلّت عهودَه بمكارمَ مأثورةِ العُلا

وما كنت أرضى من علاك بذا الجفا * ولكنه من غاب غاب نصيبُه

ولو غيرُكم يَرمِى الفؤاد بسهمه * لَما كان ممن قد أصاب يصيبُه

ومالىَ فيمن فرق الدهر أُسوةٌ * كأن محبّا ما نآه حبيبُه

والمملوكُ مذ حطّت مصر أثقاله، وجهّز الشامُ رحالَه ؛ وألقت آلنوى عصاها وحلّت آلأَوبةُ عُراها ؛ يكتب فلا يجاب، ويستكشف[(٢)] الهمَّ بالجواب فلا ينجاب

يا غائبا بلقائه وكتابِه * هل يُرتجَى من غَيبتيك إيابُ

ومتى يصفِّى الله وِردَ الحياة من التكدير، ويتحقّق بلقائه أحسنُ التقدير "وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ".

وزمانٍ مضى فما عُرِف الأوّلُ إلا بما جناه الأخيرُ

أين أيّامُنا بظلّك والشّمـ * ـلُ جميعٌ والعيشُ غضٌّ نضيرُ

(١) فى كلا الأصلين: «ومصت»؛ وهو تحريف.

(٢) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل بالسين والتاء؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أنه يقال: «استكشف الهم» مثلا، بمعنى طلب أن ينكشف ويزول، كما هو المراد هنا؛ والذى وقفنا عليه انه يقال: «استكشف عنه» اذا سأل أن يكشف له عنه؛ وهذا المعنى لا يناسب ما هنا.

وحوشى المولى أن يكون عَونا على قلبِـه ، وأن يرحل إثره الرِّىُّ على سربِه[(١)]، وأن ينسـيَه بإغبابِ الكُتبِ ساعاتِ قربه ، وأن يُحوجه الى إطلاق لسانِه بما يصون السمعَ الكريمَ عنه من عَتبِـه[(٢)]؛ الأخ فلان مخصوصٌ بسـلام كما تفتّحتْ عن الورد كمائمُه ، وكما توضّحتْ عن القَطر غمائمُه

اذا سار فى تُرْبٍ[(٣)] تَعَرَّف تُرْبُها * بريّاه والتقّتْ عليهـا لطائمُه[(٤)]

وقد تَبِـع الخُلُقَ الكريمَ فى الإغباب والجفوه ، وأعْدَتْ عزائمُه قلبَه فاستويا فى الغِلظة والقسـوه

ان كنت أنت مُفـارقى * من أين لى فى الناس أُسوه

وهبْ أن المولى آشتغل — لا زال شغلُه بمَساره ، وزمنُه مقصورا على أوطارِه — فما الذى شـغله عن خليلِه ، وأَغفَله عن تداُرك غليلِه ؟ هذا وعلائقُه قد تقطّعت وعوائقُه قد آرتفعت ؛ وروضـةُ هواه قد صارت بعـد الغضارة هشِيما ، وعهودُه قد عادت بعد الغضاضة رمِيما

إن عهدا لو تعلمان ذميما * أن تناما عن مقلتى أو تُنيما

وما أَولى المولى أن يواصـل بكَتبِه عبدَه ، ويجعل ذكرَه عقدَه ، ولا ينساه ويألَف بُعدَه ، ويَستبدل غيرَه بَعدَه .

وكتب أيضا :

أكذا كلُّ غائبٍ * غاب عمّن يحبُّـه

غاب عنه بشخصِه * وسـلا عنه قلبُـه

---

(١) لعله : «عن شربه» ؛ والشرب بفتح الشين المعجمة وسكون الراء : الجماعة يشربون .

(٢) فى (أ) : «عبه» ؛ وهو تحريف .

(٣) الترب : جمع ترباء ، وهى الأرض ذات التراب . وهذا الجمع مطرد فى فعلاء مؤنث أفعل وفى مذكره .

(٤) اللطائم : جمع لطيمة ، وهى المسك .

ولو أن لى يدا تكتب، او لسانا يُسْهِب، أو خاطرا يستهلّ، أو فؤادا يستدلّ؛ لوصفتُ إليه شوقا إن آستمسك بالجفون نَثَرَ عِقدَها، أو نزل بالجوانح أسعر وقْدَها؛ أو تنفَّس مشتاقٌ أعان على نَفَسِه، وظنّه آستعاره من قبَسِه؛ أو ذكَرَ محبٌّ حبيبا خالَه خطَر فى خَلَدِه، وتفادَى من أن يَخطُر به ذكرُ جَلَدِه

٥ حتى كأنّ حبيبا قَبل فرقتِه * لا عن أحبّتِه ينأى ولا بلدِه

بالله لا ترحموا قلبي و إن بلغتْ * به الهمومُ فهذا ما جنى بيدِه

ولولا رجاؤه أنّ أوقاتَ الفراق سحابةُ صيف تَقشَعها الرياح، وزيارةُ طيفٍ يَخلَعها الصباح؛ لآستطار فؤادُه كمدا، ولم يجد ليوم مسرّته أمدا؛ ولكنه يتعلّل بميعاد لقياه، ويدافع ما أَعلّه بلعلّه أو عساه

١٠ غِنًى فى يد الأحلام لا أستفيدُه * ودَينٌ على الأيّام لا أتقاضاهُ

ومن عرائب هذه الفُرقه، وعوارض هذه الشُّقّه؛ أنّ مولاى قد بخِل بكتابه وهو الذى يداوِى به أخوه عليلَ آكتئابِه، ويَستعدِيه على طارق الهمّ إذا لجّ فى انتيابِه

كمثل يعقوبَ ضلّ يوسفَه * فاعتاض عنه بشم أثوابِه

١٥ وهبْ أنّ مولانا عاقه عن الكتب عائق، وآختدع خاطرَه كما هو فى ناضرِ عيشٍ رائق؛ فما الذى عرض لمولانا حتى صار جوهرُ ودّه عَرَضا، وجعَل قلبي لسهام إعراضه غرَضا؟

بى منه ما لو بدا للشمس ما طلعت * من المكاره أو للبرق ما ومضا[١]

وما عهدتُه — أدام الله سعادته — إلا وقد آستراحت عواذلُه، وعُرِّى به[٢] أفراسُ

(١) البيت لأبى العلاء المعرى (سقط الزند).

٢ (٢) لعله: «منه»؛ يشير بهذه العبارة الى قول زهير بن أبى سلمى:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعرّى أفراس الصبا ورواحله

الصِّبا و رواحلُه ، إلا أن يكون قد عاد إلى تلك اللُّجج ، ومرِض قلبه فما على المريض حرَج ، وأيًّا[(١)] ما كان ففى فؤادى اليــه سريرةُ شوقٍ لا أُذيعها ولا أضيعها ، ونفسى أسيرةُ غُلّةٍ لا أُطيقها بل أطيعها

وانى لمشتاق اليـك وعاتبٌ * عليك ولكن عَتْبة لا أُذيعُها

والأخ النِّظام — أدامَ الله ٱنتظام السـعد ببقائه ، وأعدانى على الوجد بلقائه — مخصوصٌ بالتحية إثرَ التحيّه ، وَوَالَهفى على تلك السجيّة السخيّه ، وردتُ منها البابليَّ معتّقا ، وظَلتُ مِن أسرِ الهموم بلقائها معتَقا

(١٢٠)

خلائق إما ماءُ مُزنٍ بشُهْدة * أغادَىبها أو ماءُ كرْم مصفَّقا[(٢)]

وقد ٱجتمعتْ آراء الجماعة على هجرانى ، ونسُوا كلَّ عهدٍ غيرَ عهد نسيانى

وما كنتمُ تعرفون الجفا * فبالله ممّن تعلّمــتمُ .

وكتب أيضا : إن أَخَذ العبدُ — أطال الله بقاء المجلس وثبّت رفعتَــه وبَسَطَ بسطتَه ، ومكّن قدرتَه ، وكَبَتَ حسَدتَه — فى وصفِ أشواقه إلى الأيام التى كانت قصــارا وأعادت الأيامَ بعــدها طوالا ، والليالى التى جَمعتْ من أنوار وجهه شموسا ومن رغدِ العيش فى دارِه ظلالا

وَجدتُ ٱصطبارى بعدهنّ سفاهةً * وأبصرتُ رشدى بعدهنّ ضلالا

وإن أَخَذ فى ذكرِ ما ينطق به لســانُه من وَلاءٍ صريح ، و يَعتقِــده جَنانُه من من ثناءٍ فصيح[(٣)]

---

(١) فى كلا الأصلين : «وأنى ما كان» ؛ وهو تحريف .

(٢) مصفقا ، نصب على الحال من "ماء" وهو من صفقت الشراب اذا حوّلته من إناء الى إناء آخر ليصفو .

(٣) الظاهر أن فى هذه الجملة والتى قبلها تقديما وتأخيرا فى بعض ألفاظهما ؛ ولعل الأصل فيهما هكذا : «ما ينطق به لسانه من ثناء فصيح ، و يعتقده جنانه من ولاء صريح» فان الثناء محــلّه اللسان ؛ والولاء ، وهو المحبة ، محله القلب .

تَعاطَى مَنالا لا يُنال بعزمه * وكُلُّ ٱعتزامٍ عن مداه طليحُ

ولكنه يعدِل عن هذين إلى الدعاء بأن يبقيَه الله للإسلام صدرا، وفى سماء الملّة بدرا، وفى ظلماتِ الحوادث بحرا، وأن يَجمعَ الشَّملَ بمجلسه وعِراضُ الآمال مطلوله (١) وسهامُ القُربِ على نحور البعد مداوله، وعقودُ النوى بيَدِ اللّقاء محلوله، "وَمَا ذٰلِكَ عَلَى ٱللّٰهِ بِعَزِيزٍ".

(٢) فقد يجمع الله الشَّتيتَين بعد ما * يظنّان كلّ الظنّ أن لا تَلاقِيا

وما رمت به النوى مراميَها، ولا سلكتْ به الغربةُ مواميَها (٣)، إلا ٱستَنجَد شوقُه من الجفون هاميا، واستَدْعى من الزَّفْرة ما يُعيد مَسلكَه من الجوانح داميا، وصدَر عن مَنهل الماء العذبِ النمير ظاميا، وتَعلّل بالأمانى فى الأجتماع "وآخر ما يبقى (٤) الإياس الأمانيا" (٥) والسلوةُ أن الطريقَ بحمد الله أسفرتْ (٦) عن فضل اجتهادِه، وفضيلة جهادِه، ونُصرةِ الإسلام، وإعلاءِ الأعلام، وخدمةِ المجلس الفلانى — أعزّ الله نصرَه، وأسعَد بها جَدَّه، وبلغ بها قصدَه، وأمضَى فى الكفر حدَّه، وأَورَى بها للإسلام قَدْحا، وشَرُفتْ حديثا وشرحا، وأَجهَدت الأعداء إثخانا (٧) وجرحا

---

(١) المطلولة : التى نزل عليها الطل .

(٢) البيت لقيس بن الملوح، وهو المعروف بالمجنون .

(٣) الموامى : جمع موماة، وهى المفازة من الأرض .

(٤) فى (ب) «ولا ضرما يبق» الخ، وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٥) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصول منصوبا؛ ولم يتضح لنا وجه نصبه فان القواعد تقتضى رفعه اذ هو خبر للمبتدإ وهو قوله : «وآخر» .

(٦) أسفرت بالهمز : تكشفت؛ وهو مستعار من قولهم : أسفر الصبح، أى انكشف وأضاء إضاءة لا يشك فيه، كما فى اللسان (ج ٦ ص ٣٦) .

(٧) الإثخان : المبالغة فى القتل .

وأبقَ بها فى جبهة الدهر أسطرا * اذاما ٱنمحى خَطُّ الكواكب لاتُمحى

اذا جاء نصرُ ٱلله فالفتحُ بَعـــدَه * وقـد جاء نصرُ الله فليرقب ٱلفتحا

فأما الخادمُ فيودّ ألّا يزالَ لشرف محصِّلا ، ولتلك اليدِ الكريمةِ مقبِّلا ، وللغُرّةِ المتهلّلة كالصباح مستقبِلا

محيًّـا اذا حيّاك منـه بنظـرةٍ * فتحتَ به بابا من اللطف مُقفَلا ٥

ويرى أن خير أوقاته ما كان فيــه بالحاشية الفلانيّــة مكاثِرا ، وتحت ظلال ألويتها ســائرا

فثَمّ ترى معنى السعادة ظاهرا * وثَمّ ترى حزبَ الهداية ظاهرا

والخادم يؤثر من المجلس المواصَلةَ بالمراسم(١) [التى يعُــدّ أيامها من المواسم](٢) ، و يقابل بهــا أوجهَ المَسارّ طَلقــةَ المباسم ، و يرتقبها ٱرتقابَ الصُّوّام للأهلّه ، والرُّوّادِ لمواقع السحائبِ المنهلّه . ١٠

وكتب عن الملك الناصر صلاح الدين الى تقى الدين بن عبد الملك :

سقى الله أرضَ الغُوطتين وأهلَهــا * فلى بجنوب الغُوطتين جنونُ

وماذكرتُهــا النفسُ إلا اســتفزّنى * الى طيبِ ماء النَّيْرَبَيْن(٣) حنينُ

وقد كان شكّى فى الفراق مروِّعى * فكيف أكونُ اليــوم وهو يقينُ ١٥

---

(١) المراسم والمراسيم : المكاتيب .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٣) المراد بالنيربين قرية نيرب ، وانما ذكرها الشاعر بالتثنية جريا على عادتهم من ذكر المفرد بلفظ المثنى ؛ وهذه القرية بدمشق على نصف فرسخ فى وسط البساتين وذكر ياقوت أنهــا أنزه موضع رآه ؛ وهذا الشعر لأبى المطاع وجيــه الدولة بن حمدان كما فى معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٥٥ طبع جوتنجن . ٢٠ وفى (أ) "النيرتين" ؛ وفى (ب) : « النير ين » ؛ وهو تصحيف فى كلتيهما .

كم جَهْدِ ما تُسلّى القلوب ، وتُسرَّى[١] الكُروب ، لا سيّما إذا كان الذى فارقته أعلقَ بالأكباد من خِلْبِها[٢] ، وأقربَ الى القلوب من حُجُبِها ، وهل يَستروِح إلا أن يَفُضَّ ختامَ الدمع ، ويَخترِقَ حجابَ السمع ، ويستغيثَ بسماء العيون ذات الرَّجْع[٣] ، لتجودَ أرضَ الخواطر ذاتَ الصدع ؛ وهنالك أَوفَى ما يكون الشوقُ جندا ، وأَورَى ما يُورِى الوجدُ زندا

إلى زفرةٍ أو عَبرةٍ مستباحةٍ * لهذى مَراحٌ عنده ولذى مَغدَى

وقد علم الله أنّى مذ فارقتُه مادعانى الذكرُ إلا لبّيتُه بجوابٍ من ماء الغليل غيرِ قليل ولا ذكرتُ خُلقَه الجميلَ إلا ورأيت الصبرَ الجميلَ غيرَ جميل

وغيرُ كثيرٍ فيه وجدُ كُثيّرٍ * ولوعةُ قيس والتياحُ[٤] جميلِ

أهيم برسمٍ فيك للجدِ واضحٍ * وهاموا برسمٍ للغرام مُحيلِ[٥]

وقد كتبتُ اليه حتى كاد يشيب له المداد ، لو لم يَخلع عليه الناظرُ حلّةَ السواد وحبّةَ الفؤاد ، فما رَدّ ، وحارَ عن خُلقِه الكريم فإنه قطّ ما وَدَّ[٦] وصَدّ ؛ وأُوثرُ منه ألّا يحكّم الفراقَ علىّ فيَشتطّ ، ولا يمكّنَ اللوعةَ من مهجتى فتَخبِط[٧]

بجُدٍ لى بدرٍّ من بحارك إننى * من الدمع فى بحرٍ وليس له شطُّ

(١) تسرى بتشديد الراء : تكشف .

(٢) الخلب بكسر الخاء : حجاب الكبد .

(٣) الرجع بفتح الراء : المطر بعد المطر .

(٤) الالتياح فى الأصل : العطش ، والمراد هنا شدّة الهيام والشوق . والذى فى الأصول : «وارتياح» ، وهو تحريف .

(٥) المحيل : الذى مضى عليه حول .

(٦) فى الأصول : «ما رد» بالراء؛ وهو تحريف .

(٧) يقال : هو يخبط فى عمياء اذا ركب ما ركب بجهالة .

بكفٍّ بها للحرب والســلم آيةٌ * فيُحيي لديها الخطُّ أو يقتُلُ الخطُّ[1]

ونسأل الله الرغبــة فى اجتماع لا يكدر وِردُه ، ولا يُنثَر عِقدُه ، ولا يعزُب عن آفاق الوفاق سعدُه

وما كان حُكمى أن أفارقَ أرضَكم * ولكنّ حُكم الله لســنا نردُّه

٥ وكتب عنه أيضا إلى عز الدين فرّوخ شاه[2] :

أحبابَنا لو رُزِقتُ الصــبرَ بَعدَكُم * لَمَـا رضيتُ به عن قربكم عِوَضا

إنى لَأَعجب أنّى بَعــد فرقتــكم * ما صحَّ جسمىَ إلا زادنى مَرَضا

أُنبِيكُم عن يقينٍ أنّ قلبىَ لو * أضحى مكانَ جناحَىْ طائرٍ نَهَضا

هــذا ولو أنّه بالعهــد فيك وفَى * لكان حين قضى الله الفراق قضى

١٠ كتبتُ — أطال الله بقاء المولى الولَدِ — عن قَريحةٍ قَريحه[3] ، و إنسانِ مقلةٍ جَريحٍ فى جَريحه ، ولوعةٍ صريحه ، وذكرةٍ اذا ذُكِر الصبرُ كانت طَريحه

وليــلٍ بطىءِ طلوعِ الصــبا * ح شوقا الى القَسِماتِ الصَّبيحه[4]

أَبحتَ فؤادى وأنت المُبــاحُ[5] * وما كان مِن حقِّه أن تُبيحَه

وما أَصحبَتْ[6] فى قتال العــذول * أعِنّــةُ قلبٍ عليهــم جَموحَه

---

١٥ (١) فى (١) : «يقبل» بياء موحدة ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا فى وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ طبع بولاق ؛ والذى فى كلا الأصلين : «فرخشاه» بدون واو .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (١) وقد أثبتناها عن (ب) إذ السياق يقتضيها .

(٤) القسمات : واحده قسمة بكسر السين وفتحها وهى الحسن ، أو أعلى الوجه ، أو ظاهر الخدين .

٢٠ (٥) وأنت «المباح» ، أى أنت الفؤاد الذى أبحته .

(٦) أصحبت : انقادت بعد صعوبة .

مُعنًّى بريحِ شمالِ الشآم * لقد عذّب الله بالريحِ رُوحَه

فلا رَوْح الله مِن قربكم * فؤادى بخطرة يأسٍ مُريحَه

ولولا التعلّلُ بأبنيةِ المنى الخادعه ، والنزولُ بأفنيةِ الأُسا(١) الواسعه ؛ لتصدّعتْ أكبادٌ وتفطّرتْ ، وتجدّلتْ(٢) أفراسُ دموعٍ وتقطّرتْ(٢)

يا صاحبى إنّ الدموع تنفّستْ * فدَعِ الدموعَ تبيح ما قد أضمَرَتْ

قد كنتُ أكتم عن وشاتى سرَّها * ولقد جرى طرْفُ الحديث كما جرَتْ

لله ليلاتٌ قَرَنَّ نجومَها * بل بدرَها بوجوهِ عيشٍ أقمرَتْ

أغلتْ على السُّلوان شَوقَكُم فما * باعت كما أمرِ الغرامُ مَن اشترَتْ

ومذ فارقتُ تلك الغرّةَ البدريّه ، والطلعةَ العزيزةَ العِزّيّه ؛ ما ظفرتُ بشخصه نوما ولا بكتابِه يوما

* وواعجبًا حتى ولا الطيفُ طارقا * !

وأعجِبْ(٣) له فى الحرب نثرُ كتائبٍ * بكفٍّ أبتْ(٤) فى السِّلم نظمَ كتابِ

يحاسبنى فى لفظةٍ بعد لفظةٍ * ومعروفُه يأتى بغيرِ حسابِ

ولو رضيتُ — وكلّا — بأن أحمَلَ من هذا الجفاء كَلّا ؛ لما رضِىَ به لخُلُقه الرِّضىّ ، ولأخذ بقول الرِّضىّ :

(١) الأسا بكسر الهمزة وتضم : جمع إسوة ، بالكسر والضم أيضا ، وهى ما يأتسى به الحزين .

(٢) تجدلت : من جدله بتشديد الدال وتخفيفها ، أى صرعه على الجدالة بفتح الجيم ؛ وهى الأرض . وتقطرت : من قطره ، اذا ألقاه على أحد قطريه ، وهما جانباه .

(٣) كذا فى كلا الأصلين ومسالك الأبصار ؛ وفى هذا البيت حذف المتعجب منه ، والأصل : «وأعجب به له » الخ والذى يفهم من حاشية الصبان على شرح الأشمونى ج ٣ ص ١٨ س ٢٧ أن ذلك الحذف سائغ لا شذوذ فيه ، إذ المدار على أن يدل عليه دليل .

(٤) فى كلا الأصلين : «أتت» بالتاء المثناة ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى مسالك الأبصار ؛ ويدل عليه سياق ما قبله وما بعده .

هبونى أَرضَى[1] فى الإياس بهجركم * أترضَى لمن يرجوك ما دون وصلِه

والرغبةُ مصروفةُ العِنانِ إلى الله أن يُبيح من اللقاء مَنيعا، و ينتج من اللّطفِ صنيعا

لو تأخذون بساعةٍ * من وصلِكم عُمرى جميعا

لرغبتُ فى أن تشترى * ان كنتَ ترضَى أن تبيعا

ومفارِقين مع الصِّبا * عزماً[2] فهل أرجو الطلوعا[3]

أقسمتُ لو رجعوا لأعـ * ـقبَنى الصِّبا معهم رجوعا

هبْـكم منعتم [قُربَكم][4] * ولبستم بُعـداً مَنوعا

أفتمنعون بكم ضلو * عا قد شُـغفين بكم وَلُوعا[5]

ما غايتى إلا الدمـو * عُ وأستقِلّ لك الدموعا

وكتب [أيضا رحمه الله تعالى][6] يتشوق :

فيارب إن البين أنحتْ صروفُه * علىّ وما لى من معينٍ فكن معى

على قربِ عذّالى و بعـدِ أحبتى * وأمواهِ أجفـانى ونيرانِ أضلعى

هذه تحيّةُ القلب المعذّب، وسريرةُ الصبرِ المذبذَب، وظلامةُ عزمِ السلوِّ المكذَّب؛ أصدرتُها الى المجلس وقد وَقدتْ فى الحشى نارُها، الزَّفيرُ أُوارُها، والدموعُ شرارُها، والشوقُ أثارَها وفى الفؤاد ثارُها :

(١) لم يرد هذا البيت فى ديوان الشريف الرضى الموجود بين أيدينا .

(٢) لعله رعما بالراء المهملة والغين المعجمة .

(٣) كذا وردت هذه العبارة فى كلا الأصلين ؛ ولم يتضح لنا معناها ؛ ولعل الصواب : « فهل برحوا الضلوعا » .

(٤) لم يرد هذا اللفظ فى (أ) وقد أثبتناه عن (ب) اذ لا يستقيم البيت بدونه .

(٥) ولوعا مفعول ثان لقوله : «تمنعون» ؛ يقول : أفتمنعون الضلوع ولوعا بكم وشـوقا اليكم وقد شغفيت بقربكم فيما سلف .

(٦) لم ترد هذه العبارة فى (أ) .

لو زارنى منكم خيالٌ هاجرٌ * لهدته فى ظُلُماته أنوارُها

أسفًا على أيّام الاجتماع التى كانت مَواسمَ لسرور الأسرارِ، ومَباسمَ لثغورِ الأوطار؛ وتذكّرا لأوقاتٍ عَذُب مَذاقُها، وعَذّب فراقُها (١)؛ ورَوّحتْ بُكَرُها، ورَوّعتْ ذِكَرُها

والله ما نسيتْ نفسى حلاوتَها * فكيف أذكر أنّى اليوم أذكُرُها

ومذ فارقتُ الجنابَ النُّورىّ — لا زال جَنَى جنابِه نضيرا، وسنا سنائه (٢) مستطيرا؛ وملكُه فى الخافِقَين خافقَ الأعلام، وعزُّه على الجديدَين جديدَ الأيام؛ لم أقفْ منه على كتاب يَحلُك سوادُ سطورِه ما غَسَل الدمعُ من سواد ناظِرى، ويقْدم (٣) ببياضِ منظومِه ومنثورِه ما وَزّعه البينُ من سواد (٤) خاطِرى

ولم يَبقَ فى الأحشاء إلا صُبابةٌ (٥) * من الصبر تجرِى فى الدموع البوادرِ

وأسأله المَناب (٦) بشريف الجناب، وأداءَ فرض، تقبيلِ الأرض؛ حيث تَلتقِى وفودُ

---

(١) فى كلا الأصلين: «مراقها» بالميم؛ وهو تحريف.

(٢) السناء بالمد: الرفعة وعلو المنزلة؛ يقال منه: أسناه اذا رفعه.

(٣) كذا فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥ والذى فى كتاب الفاضل من كلام القاضى الفاضل المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٨ أدب "و يغرم" بالغين المعجمة والراء. وفى كلا الأصلين: "و يعزم سباض" الخ بالعين المهملة والزاى المعجمة؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى.

(٤) المراد بالسواد هنا، العدد الكثير، كما يفهم من سياق العبارة.

(٥) الصبابة بضم الصاد: «البقية».

(٦) كذا فى (ب) وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥؛ والمناب مصدر ميمى من النوب، أى أن ينوب عنه، كما يدل عليه سياق ما بعده. والذى فى (أ): "المتاب" بالتاء المثناة، والمعنى عليه غير ظاهر.

الدنيا والآخره ، وتَغمُر البيوتَ العامرةَ المِنَنُ الغامره ؛ ويظَلّ الظلُّ غيرَ منسوخٍ بهجيره ، ويُنشَر المجد بشخص لا تسمح الدنيا بنظيره

تَظاهَر فى الدنيا بأشرفِ ظاهرٍ * فلَم يُرَ أنقَى منـــه غيرَ ضمـيرِه

كفانىَ عزًّا أن أسمَّى بعبــدِه * وحسبىَ هَـدْيا أن أسير بنورِه

فأىُّ أمـيرٍ ليس يشرف قدرُه * إذا ما دعاه صادقا بأمـــيرِه ٥

وإننى فى السؤالِ بكتبه أن يوصلها ليوصل بهـا لدى تهانئَ تَملأُ يدى ، ويُودعَ بها عندى مسَرّةً تقتدح فى الشكر زَنْدى

عهدتُك ذا عهدٍ هو الوَردُ نَضرةً * وما هو مِثلُ الورد فى قصر العهدِ

وأنا أرتقِب كتابه آرتقابَ الهلال لتفطر عين عن الكرى صـائمه ، وتَرِدَ نفسٌ على موارد المـاء حائمه . ١٠

وكـتب أيضا يتشوّق :

لاعَتْبَ أخشاه لِقطـعِ كتابِكم * وآسمعْ فعذرى بَعده لا يُعتَبُ

مهما وجدتُك فى الضمير ممثَّلا * أبدا تُناجينى إلى مَن أكتبُ

كَتَبَ عبدُ حضرة مولاه — حرس الله سموَّه[1] ، وأدام مزيدَ علائه ونموَّه ، وقَرَنَ بالمَسارِّ رواحَه وغدوَّه ، وكَبَت حاسدَه وأَهلَك عدوَّه — عن سلامة ما آستثنى فيها ١٥ الدهرُ إلا ألمَ فراقِه ، وعافيةٍ موصولةٍ بمرضِ قلبٍ لا أرجو موعدَ إفراقِه[2]

لو لم يكن إنسانُ عيـنِى سابحا * لخشيتُ حين بَكيتُ مِن إغراقِه

(١) فى (أ) : « وسموه » بالسين المهملة ؛ وهو تحريف .

(٢) إفراق المريض : برؤه و إقباله .

وعندى اليه[1] وجدٌ يَكلُمُ الضلوع ، ويتكلّم بألسنة الدموع ، والنفسُ قريبةُ آستعبار، لذكرِ أوقات السرور القِصار، وأنوارِها التى يكاد سنا برقِها يَخطَف آلأبصار[2] .

شهورٌ ينقضين وما شَعَرنا * بأنصافٍ لهنّ ولا سِرارِ[3]

إذ العيشُ غضٌّ وَرِيق ، والمهجُ لم يتقسّمْها التفريق ، ولا سار منها إلى بلدٍ فريقٌ وبقىَ فى بلدٍ فَرِيق، ولا سقاها كؤوسَ وجدٍ للجفونِ المترَعةِ تُرِيق

ثمِلتُ منهـا وما لى * سوى الغرامِ رَحيق

و إلى الله الشكوى من شوقٍ فى الصّميم، وصبرٍ راحلٍ وغرامٍ لا يَرِيم، كأنّه غريم

زعموا أنّ مَن تَباعَد يسلو * لا ومُحيِي العظامِ وهى رميمُ

والمهد آستعرَب وُصولَ الرفاقِ وقد صَفِرتْ مِن كتابِه الكريمِ عيابُهــم، ولو زاره لَعدّه تحفةَ الخصيصِ[4] بالتخصيص، وأدرَك به بُغْيةَ الحريص، ورأى للدّهرِ المذنبِ مزيّةَ التمحيص، وَصالَ به على نوائبِ الأيامِ المتنابةِ صولةً لا يجدُ عنها من محيص

وحسِبتُنى لِوصـــولِهِ * يعقوبَ بُشِّر بالقميص

---

(١) كذا فى كلا الأصلين؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أنه يقال : "وجد اليه"؛ والذى يقال : "وجد به" ؛ ولعله أراد بالوجد هنا معنى التشوق ، فسوّغ له ذلك ذكر «إلى» مكان الباء .

(٢) فى كلا الأصلين : « بالأبصار » ؛ والباء زيادة من الناسخ؛ أو لعل أصل العبارة : «يذهب» بدل « يخطف » وإذن فتثبت الباء؛ فان الكاتب يشير الى قوله تعالى فى سورة النور : « يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » .

(٣) السرار بفتح السين وكسرها : الليلة التى يستسر فيها الهلال آخر الشهر؛ ونقل عن الأزهرى أن كسر السين فيها لغة ليست بجيدة عند اللغويين .

(٤) المراد بالخصيص ، من خصصته بودّك؛ وقد راجعنا كتب اللغة التى بين أيدينا مادة (خص) فلم نقف على هذه الصيغة بهذا المعنى غير أننا وجدنا آستعمالها شائعا فى بعض كتب الأدب كمعجم الأدباء لياقوت، فقد قال فى ج ٥ ص ١٥٢ عن أبى الفرج الأصفهانى ما نصه : «وكان أبو الفرج الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى من ندماء الوزير أبى محمد المهلبى الخصيصين به» الخ .

هنالك يرتع فى تلك الرياض التى غصونها أسطارُها، وشكلُها أطيارُها، وألفاظُها نُوّارُها، ومعانيها ثمارُها، وبلاغتُها أنهارُها، وجزالتُها تيّارُها

إن أظلمتْ للنفسِ فيها ليلةٌ * قمرُ المعانى عنـدنا سمسارُها(١)

ويتلقّاه قَبل يده بقلبه، ويكاد يسبق ضميرَه إلى أكله وشربه

ويظنّه والطرفُ معمودٌ به * شخصَ الرقيبِ(٢) بدا لعين محبّه

وإذا ضنّ مولاه بمأثوره، جاد عليه بميسوره(٣)؛ ...

فكأنّنى أهـديتُ للشمسِ السّنا * وطرحتُ مابينَ المصاحفِ دِفترا

وعلى كلّ حالٍ فيسأله أن يواصلَه مِن مَراسِمه بمـا ينتظره ناظرُه ليجد نورا، وقلبُـه ليستشعر به سرورا، وحاطرُه ليجعله بينه وبين الهمّ سُورا؛ وألّا يخلىَ رِفقةً من كتابٍ ولو بالقلائد القلائلِ من دررِ أقلامِه، ودرارىّ كلامِه.

وكتب : لو آستعار الخادمُ — أدام الله نعمةَ المجلس — أنفاس البَشَر كلاما، وأغصانَ الشجر أقلاما، وبياضَ النهار أطراسا، وسوادَ الليـل أنقاسا(٤)، ما عبّر عن الوجد الذى عبّرتْ عنه عَبَرَاتُه، ولا عن الشوق الذى لا يستثير مِثلَه مَعبَدًا(٥)

(١) المراد بالسمسار هنا، الدليل والهادى. وأصل معناه: المتوسط بين البائع والمشترى، أو هو السفير بين المحبين انظر القاموس.

(٢) كذا فى كلا الأصلين. ولعله: «الحبيب». فإن تشبيه كتابه بشخص الرقيب غير مناسب لما أراده من الآستبشار به، والتهلل لوروده؛ ويدل على ذلك أيضا قوله: "لعين محبه"؛ ولم نقف على هذا البيت فيما لدينا من المظان.

(٣) الظاهر أن هنا كلاما سقط من الناسخ إذ لا مناسبة بين معنى البيت وبين ما سبقه من الكلام؛ ولم نقف على هذه الرسالة فيما راجعناه من المظان.

(٤) أنقاس: جمع نقس بكسر النون، وهو المداد.

(٥) هو أبو عباد معبد بن وهب؛ وقيل: ابن قطنى مولى ابن قطر؛ مغنّ معروف غنى فى أوّل دولة بنى أمية ومات فى أيام الوليد بن يزيد الأغانى ج ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب.

إذا هَزِجتْ(١) فى الثقيل الأول نَبَراتُه(٢)، أسفا على ما عَدِمه فى هذه الطريق، من ذلك المحيّا الطّليق، والخُلُقِ الذى هو بكل مَكْرُمَـةٍ خليق، والصفاتِ التى يَحسُن بها كلُّ حُسنٍ ويليق، ويُعذَر كلُّ جفنٍ يَسفَح ذخيرتَه شوقا إليها ويُرِيق

قِفا أوخذا فى العذْل أىَّ طريقِ * فمـا أنا مِن سكرِ الهوى بمُفيقِ
أما والهـوى إنّ الهوى لأَليّةٌ * يعظّمُها فى الحبِّ كلُّ مَشُوقِ
لو آنّ الهوى ممـا تصحّ هِباتُه * لقاسمتُ منه قلبَ كلِّ صديقِ

وما زار ناظرَ خادمِه الكرى إلا تَمثّـل له مولاه طيفا يَهُمّ أن يتعلّق بأذيالِه، وقَبِـلَ تمويهَ ناظرِه على قلبِه فى وصالِه

وَوَدَّ أن ســوادَ الليل مُدّ له(٣) * وزاد فيه سوادَ القلبِ والبصرِ

ولقد وَجَد طعمَ الحياة لِبعدِه مرّا، وقال بَعدَه للذّتَى آلعين والقلب: مُرّا

وها هو يرجو فى غدٍ [وعدَ](٤) يومِه * لعـلّ غدا يأبى(٥) لمنتظرٍ عــذرا

وإلى الله سبحانه وتعـالى يَرغب أن يجعلَه بالسـلامة مكنوفا، وصَرْفَ الحِدْثان عن ساحتِه مكفوفا(٦)، وعنانَ الصُّروف عن فِنائه مصروفا، ووُفودَ الرجاء على أرجائه عُكوفا، وأن يُمتِـع الوجهَ(٧) بوصفه الذى هو أشرفُ مِن كلِّ وجهٍ موصوفا

---

(١) يقال: هزج المغنى بكسر الزاى المعجمة وهرج بتشديدها، اذا طرّب بتشديد الراء وترنم، والذى فى كلا الأصلين: «رهجت»؛ وفيه قلب وتصحيف.

(٢) كذا فى (ب) والذى فى (أ) «مراته»؛ وهو تحريف.

(٣) فى كلا الأصلين: "السمع"؛ وهو غير مستقيم؛ والتصويب عن سقط الزند، والبيت لأبى العلاء المعرى

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى (أ) ولا يستقيم البيت بدونها.

(٥) فى الأصول: «يأتى»؛ وهو تحريف.

(٦) فى (أ): «مكنوفا» بالنون؛ وهو تحريف.

(٧) فى كلا الأصلين: «الوجد» بالدال؛ وهو تحريف.

مَن كان يُشرِك فى علاك فإنّنى * وجّهتُ وجهِىَ نحوهنّ حنيفا

وقد كان[1] يَنتظر كتابا يشرّفه ويشنّفه، ويستخدمُه على الأوامر ويصرّفُه، ويَجتنِى ثمرَ السرور غضَّ المَكاسِرِ ويقتطفُه، فتأخَّر ولَمْ يُحدِثْ له التأخيرُ ظنّا، ولا صرَفَه [عن] أن يَعتقِدَ أنّ مولاه لا تُحدث له الأيامُ بخلا بفضله ولا ضنّا

ولو تُصرَف السحْبُ الغزارُ عن الثّرى * لَمـا آنصرفتْ عن طبعك الشّيمُ الحُسنى ٥

وهو يَنتظرُ من الأمرِ والنهيِ ما يكون عملُه بحسبِه، ويثبت له عهد الخدّام بنسَبِه (١٢٤)

ومِن عَجَبٍ أنّى أحِنّ إليهمُ * وأسألُ عنهم مَن أرَى وهمْ معى

وتَطلبُهم عينى وهُم فى سوادِها * ويشتاقهم قلبى وهُم بين أضلعى.

وكتب أيضا : كتبتُ والعبَراتُ تمحو السطور، ويُوقد ماؤها نارَ الصدور ويهتِكُ[2] وجدا كان تحت السّتور، ويُرسِل من بين أضلعى نفَسَ الموْتور ١٠

قد ذكَرْنا عهودَكم بعـد ما طا * لت ليالٍ مِن بَعـــدِها وشهورُ

عَجبًا لِلقـلوبِ كيف أطاقتْ * بُعدَكم! ما القلوبُ إلّا صخـورُ

وما وردتُ المـاءَ إلّا وَجدتُ له على كبِـدى وَقْدًا لا بَرْدا، ولا تعرّضتُ لنفحات النسيم إلا أَهدَى إلىّ جَهْدا، ولا زارنى طيفُ الخيال إلا وجدنى قد قطعتُ طريقه سُهْدا، ولا خَطِف[3] لى البارقُ الشّامىُّ إلا باراه قلبى خُفوقا ووَقْدا ١٥

وأيسرُ ما نال مـــنّى الغليـ * ـلُ ألا أُحِسَّ من المـاء بردا

(١) فى (ا) : «ومن»؛ وهو تحريف.

(٢) فى (ا) : «وريهبك» بالباء الموحدة؛ وهو تحريف.

(٣) «خطف لى» أى لمع لمعانا يخطف البصر.

فسقى الله دارَه ما شربتْ [من](١) الغمام، وأيّامَنا بها و بُدورُ ليالى تلك الأيّامِ تِمام

ذُمَّ اللّيالىَ(٢) بَعد منزلة اللّوى * والعيشَ بَعد أولئك الأقوامِ(٣)

وكان قد وصل منه كتابٌ كالطّيف أو أقصرُ زَوْرا، وكالحبِّ أو أظْهرُ جوْرا، والربيع أو أبهرُ نوْرا، والنجمِ أو أعلى طَوْرا، والماءِ الزلال أو أبعدُ غوْرا؛ فنثرتُ عليه قُبَلى، وجعلتُ سطورَه قِبَلى(٤) بل قِبلى(٥)، ووردتُ منه مَوردا

أهلاً به وعلى الإظماءِ أَنشُــدُه(٦) * لو بَلَّ من غُللى أبللتُ مِن عِللى

إلا أنه — أبقاه الله — ما عزّزه(٧) بثان، ولا آنس غريبَه، وإنى وإيّاه غريبان

وكم ظلّ أو كم بات عندى كتابُه * سميرَ ضميرٍ أو جِنانَ جَنان

وأَرغبُ إليــه — لا زالت الرّغبات اليــه — ، وأسألُه — لا خَيَّم السؤالُ إلا لديه — ، أن يلاطِفَ بكتابه قلبى، و يمثّلَ لى بمثاله أيّامَ قربى

---

(١) عبارة كلا الأصلين: «ما شربت الغمام» بسقوط «من» والسياق يقتضى إثباتها، كما فى مسالك الأبصار؛ يشير الكاتب بهذه العبارة الى قول الشريف الرضى:

سقى منى وليالى الخيف ما شربت * من الغمام وحياها وحياك

انظر ديوان الشريف الرضى.

(٢) البيت لجرير انظر ديوانه ص ١٢٤ طبع المطبعة العلمية وقد روى البيت فيه هكذا

* ذم المنازل بعد منزلة الصبا * الخ البيت.

(٣) فى ديوان جرير: «الأيام» والمعنى مستقيم على كلتا الروايتين.

(٤) قبلى بكسر القاف وفتح الباء، أى تجاهى، و يجوز ضبطه بضم القاف وسكون الباء، أى قصدى تقول: أنا أقبل قبلك، أى أقصد قصدك.

(٥) قبلى، هو جمع قبلة بكسر القاف.

(٦) يريد أنه ينشد كتابه، أى يطلبه على اظمائه إياه، وقلة جدواه فى شفاء غلته، كما يدل عليه عجز البيت. وفى كلا الأصلين: «وعن الظلماء»؛ وهو تحريف إذ المعنى عليه غير ظاهر.

(٧) عززه: من التعزيز، وهو التقوية والإعانة.

والله لولا أنـــنى * أرجو اللِّقا لقضَيتُ نَحْبي
هــذا وما فارقتُكــم[1] * لكنّنى فارقتُ قلــبى .

وكتب جواب كتاب ورد عليه :

شكرتُ لدهرى جمعَـه الدارَ مرّةً * وتلك يدٌ عنـــدى له لا أُضيعُها
وطلعة مولانا يطالِـعُ عبــدَه * وكلُّ رُبوعٍ كانـــ فيها رُبوعُها ٥
فؤادٌ ســـقاه لا يعـــودُ غليـلُه * وعينٌـــ رأتْه لا تَفيض دموعُها

ورد على الخادم كتابُ المجلس — أعلى الله سـلطانه وأثبتَــه ، وأرْغَم أنفَ عدوّه وكَبَتَه ، وأصماه بسهام أســقامه وأصمَتَه ، ولا أَخلَى الدنيـا من وجودِه ، كما لم يخلِ أهلَها مِن جودِه ، ولا عطّل سمـاءَ المجد من صـعودِه ، كما لم يُعطّل أرضَها مـن سُـعودِه — وهو كتابٌ ثانٍ يَثـنِى إليه عِنانَ الثنـاء ، ويَصِفُ لى حسنَ العهــد ١٠ على التّناء ، ويَستنهِضُ الأدعيــةَ الصالحةَ فى الأطرافِ والآناء ، ويبشِّرُ الخــادمَ بأنه وإن كان بعيـدَ الدارِ فإنه بمثـابة المقيم فى ذلك الفِنـاء ، وأنـــ هــذه الخـــدمةَ التى أنعم الله عليـه بهـا وَثيقـــةُ الأسـاسِ على الدهر شامخةُ البنـاء ؛ فقام له قائمـا على قدمه ، وسجَدَ فى الطِّرس ممثِّلا سُجودَ قلمه ، وٱستَرعى اللهَ العهدَ على أنه تعالى قد رعى ما أَوْدعه فى ذمّة كرمه ؛ وصارت له نَجْرانُ[2] علاقةَ خيرٍ صَرَفَ إليها ١٥ وجهَه فكأنها قِبْله ، ودعا بنى الآمالِ إلى ٱعتقادِ فضلِ مالكِها فكأنّمـا يدعوهم إلى

(١) فى (أ) : «وما قد فارقتكم» ، و«قد» زيادة من الناسخ اد بها يختل الوزن ، وهذا الشعر ينسب الى العينى من أهل مصر ، أو هو لظافر الحداد انظر خريدة القصر لعماد الدين الأصفهانى المأخوذ منه بعض أجزاء بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب ، والعينى الذى ينسب اليه هذا الشعر غير الحافظ بدر الدين محمود العينى صاحب عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان . ٢٠

(٢) كذا فى (ب) ؛ وقد وردت هذه الكلمة فى (أ) مهملةَ الحروف من النقط ، ونجران فى عدّة مواضع ، منها نجران فى مخاليف اليمن من ناحية مكة .

ملّه ، والله يُوزِعُه شكرَ هذا الأفتقادِ (١) على البِعاد ، ولا يُخلِه من هذا الرأى الجميل الذى هو مَلجأ الآستناد ، وعَقْدُ الأعتقاد ، والخادم لاينفكّ متطلّعا لأخبار المولى فتَرِده مُفْصَلةً ومُجْمَله ، ومُفَصَّلةً ومُجمَله ، ويَعرِف منها مايَعرِف به مَوْقعَ اللطف بالمولى فى أحوالِه ، ومكانَ النجح فى آماله ، وأنّه بحمد الله فى نعمةٍ منه — لاغيَّر الله مابه ٥ منها ، ولا صَرَفَها عنه ولا صَرفَه عنها — فيجدّد لله الشكرَ والحمد ، ويبلِّغه مايَبلُغه منها المرادَ والقصد ، ونسأل الله ألّا يخلِىَ الدولةَ الناصريّةَ منه ناصرا لسلطانِها ، وعينا لأعيانِها ، وسيفا فى يدِ الإسلام يناضِل عن حقّه ، وفرعا شريفا يَشهد مَرآه بشرف عرقِه ، والرأى أعلى فى إجرائه على ما عُوِّد من هذا الإنعام ، وزيادته شرفا بالآستنهاض — إن صَلَح له — والاستخدام .

١٠ ومن جواب آخر : وَرَد كتاب المجلس — أدام الله وارداتِ الإقبال على آمالِه ، و [لا] سَلَبت (٢) الأيامُ نعمتَى جميلِه وإجمالِه ، ولا آنحطّ قدرُ بدرِه عن درجتَى تمامِه وكمالِه ، وأحسن جزاءه عن ميثاق (٣) الفضل الّذى نَهَض باحتمالِه — ووقفتُ منه على ما لا يَحِدُ الشكرُ عنه مَحيدا ، وآنستُ (٤) به القلبَ الّذى كان وحيدا ، وعَددتُ يومَ وصوله السعيد عيدا ، ووردتُ منه بئرا معطَّلةً (٥) وحللتُ قصرا مَشيدا ؛ ولا يكلّف ١٥ الله نفسا إلّا وُسعَها ، وتلك الغايةُ ليست فى وُسعى ، ولا تَعلم نفسٌ إلا ماطَرَق سَمْعَها ، وتلك المحاسنُ ماطَرَق مِثلَها سمعى ، ولا تتناول يدٌ إلّا ماوسعه ذَرْعُها ، وهذه الأوابدُ الأباعدُ ماطالها دراعى ولا آستَقلّ بها ذَرْعى .

(١) افتقده وتفقده : طلبه عند غيبته .

(٢) فى (أ) : « وسلبت » بسقوط « لا » ولا يستقيم الكلام بدونها .

٢٠ (٣) فى كلا الأصلين : « ميقات » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى (أ) : « وأنسيت » ؛ وهو تحريف .

(٥) تعطيل البئر : ألا تورد كما فى أساس البلاغة ؛ يريد أنها صافية الماء عذبة المورد لقلة الزحام عليها المكدر لها .

ومن آخر : خلّد الله أيّامَ المجلس ، وعضّـد الملّةَ الحنيفيّـةَ منه بحاميهـا ، والأركانَ الإسلاميّةَ من سـيفه بشائدِها و بانيها ، وأمتَع الدولةَ المحمديّةَ بعزمته التى حسُنتْ الكفايةُ بها ، فلا غرو أن تحسُن الكفايةُ فيها ؛ ولا عَدِمت الدنيـا نَضرةً بأيّامه النَّضيره ، والدينُ نُصرةً بأعلامِه النصيره ؛ المملوكُ يقبِّل الترابَ الذى يوماً يَستقِرّ بحوافر سَيْلِه[1] ، و يوما يَستقِرّ بحوافر خيلِه — فلا زال فى يوم السِّلْم جُوده سحابا صائبا ، ٥
و يومِ الحربِ شهابا ثاقبا — و ينُهِى أنه وردتْ عليه المكاتبةُ التى آستيقظتْ بها آمالُه من وَسَنها ، وأفادته معنًى من الجَنّة فإنها أذهبَتْ ما بالنفوس من حَزَنِها ، وتَلقّ المملوكُ قُبْلَها[2] بالسجود والتقبيل ، وتَحلَّى بعقودِ سطورِها فهيهات بعد هذا شكوى التعطيل ؛ وآكتَحَل من داء السهد بإثْمِدِها[3] ، وأدار على الايّام كأسَ مَرقَدِها[4] ، وأسمعته نَغَمَ النِّعم التى هى أعجبُ إلى النفس من نَغَمات مَعْبَدِها ، وأطالت الوقوفَ عليها رِكابُ طَرْفه ١٠
[فما وقوفُ رِكابِ طَرَفَةَ[5]] ببُرْقَةِ ثَهْمَدِها[6] ، وضَرعَ إلى من يشـفِّع وسائلَ المتضرِّعين ،

(١) الحوافر جمع حافرة ، وهى الأرض المحفورة ، كما قاله الأزهرى .

(٢) القبل بضم القاف وسكون الباء الموحدة : الوجه ، انظر اللسان .

(٣) الإثمد بكسر الهمزة والميم : الكحل الأسود . و يقال إنه معرب . قال ابن البيطار فى المنهاج : هو الكحل الأصفهانى ، و يؤيده قول بعضهم : ومعادنه بالمشرق . وهو هنا مذكور على سبيل الأسـتعارة والتمثيل . ١٥

(٤) يريد أنه بهذه الرسالة قد أنام الأيام عن محاربته وأعماها عن الكيد له .

(٥) التكملة عن (ب) ومسالك الأبصار .

(٦) البرقة والبرقاء : أرض غليظـة مختلطة بحجارة و رمل ، و جمعها برق بضم الباء وفتح الراء وبراق بالكسر انظر اللسان . وفى معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٧٩ طبع جوتنجن أن (برقة ثهمد) لبنى دارم وذكر فى ج ١ ص ٩٤٢ فى الكلام على (ثهمد) نقلا عن نصر أن ثهمد جبل أحمـر حوله أبارق كثـيرة فى ديار غنى ؛ ونقل عن غيره أن ثهمد موضع فى ديار بنى عامر . وقد أشار الكاتب بهذه العبارة الى قول طرفة ابن العبد فى مطلع معلقته : ٢٠

لخولة أطلال ببرقـة ثهمـد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

ويملأ مواقعَ آمالِ المتوقّعين؛ أن يَغُلّ عنه كلَّ يدٍ للخطوب بسيطه، ويفكّ به كلَّ رِبْقةٍ(١) للأيّام بأعناق بَنِيها(٢) محيطه.

ومن آخر: رفع الله عمادَ الإسلام ببقاء المجلس، وبَسَط ظلَّه على الخلق، وملّك يدَه الكريمة قصَبَ السَّبق، وجَمَعَ بتدبيره بين ناصيتَى الغربِ والشرق؛ وألَّف لقدرته طاعتَى الجهرِ والسرّ، وصرّف بعزمته زمامَى النّهى والأمر، وأحْرَزَ لجَدّه مَسَرّتَى الأجرِ والنصر، وقَطّ(٣) بفتكته شوكتَى النفاقِ والكفر — وردتْ على المملوك مكاتبةٌ كريمةٌ رَفَعها حيث تُرفع العمائم، ومدَّ اليدَ اليها كما تُمَدّ إلى العمائم؛ وفَضّها، بعد أن قَضَى باللّثم فرْضَها، واستمطَرتْ نفسُه سماءَها فأرضتْ أرضَها؛ وكاد المملوكُ يتأمّلها لولا أنّ دمعَ الأقلام الى العين سبقَه، على أنه دمعٌ قد تلوّن بتلوُّنِ الأيامِ في فراقه، ولو واصل بعصفر(٤) الكتابةَ وخلَّقه(٥)، فلا أعدمه الله المولى حاضرا وغائبا، ومُشافِها ومُكاتِبا، وأحلّه(٦) في جانب السعادة، ويَعِزّ على المملوك أن يَخلّى من مولاه جانبا.

ومن آخر: ورد كتابُه ووقفتُ على ما أودَعه من فضلِ خطٍّ وفصلِ خِطاب، وعقائلِ عقولٍ ما كان لها من الأكفاء وإن كان(٧) من الخُطّاب، وآثار أقلام

---

(١) عبارة كلا الأصلين «كل رقبة للأنام» اهـ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى، وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا، ويعينه قوله: «محيطة».

(٢) هذه الكلمة فى (أ) مهملة الحروف من النقط.

(٣) القط: القطع عامة.

(٤) يقال: عصفرت الثوب، أى صبغته بالعصفر، وهو نبات سلافته الجريال، وبذره القرطم وهو ريفى وبرى، وكلاهما ينبت بأرض العرب.

(٥) خلّقه بتشديد اللام: طلاه بالخلوق، وهو طيب يتخذ من الزعفران وغيره.

(٦) وأحلّه، أى وأحلّ المملوك؛ يريد الدعاء لنفسه بأن ينزله الله فى جانب السعادة، أى جانب المكتوب اليه.

(٧) فى كلا الأصلين: «وان كانت» وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا؛ فان الخُطّاب جمع خاطب، كما فى اللسان.

تُناضِل عن المِلّة نضالَ النِّصال، وكأنها فضلُ سبقٍ[1] لما تحُوزه مِن حقّ السّبقِ وخَصلِ[2] الخصال. فأُعيـذَ الإسلام مِن عَدَمه، ولا عدِمَ بَسطةَ قلمه، وثبوتَ قدمه؛ فإنه الآن عينُ الآثار، وأثرُ الأعيان، وخاطرُ الحِفظ إلا أنّ الخطوب تَصحب فيه خواطرَ النِّسيان؛ ولئِنْ آهتَصر الدهرَ سَطْوا[3]، وآختَصَر خطْوا[4]؛ وإنه سيفُ يمانٍ إن قدُم عهدا، فقد حَسُن فِرِندا[5]، وخشن حدّا؛ وأَجرَى نهرا، وأَورَى شررا؛ وآخضرّ خميلَه، وقَطَع الأيّامَ جميلَه؛ وضارَب الأيّامَ فأَجفَلتْ[6] عن مضاربه ضرائبُها[7]، وشَرَدَتْ عن عزمه غرائبُها؛ ولبِسها حتى أَنهَجتْ[8] بواليَا، ثم آختار منهـا أياما وأبى أن يلبسها لياليًا؛ لا جرم أن صحيفتَه البيضاءَ شعارُ شِعرِه، وروضة علمه الغنّاء[9] قد جات أنوارَ نَورِه، وزواهرَ زهرِه؛ فالزمانُ لا يعدو عليه بزَمانة تعدُو، ولا يَتجاوز أوقاتَه إلّا مَوسُومَةً بمحاسنه ولا يعـدو؛ حتى يَمُتّ إليه عدوٌّ[10] يَلتفِتُ[11] أمس، ويَروِى اليـومَ

(١) يريد، السبق الى الإسلام الذى كان من مفاخر بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، كعلىّ ابن أبى طالب وأبى بكر وغيرهما .

(٢) الخصل : الخطر الذى يتراهن عليه فى الرمى؛ يقال : أحرز فلان خصله، والمعنى أنه غلب . والخصال : مصدر خاصله، اذا راهنه فى الرمى .

(٣) فى كلا الأصلين : «سطورا» وهو تحريف؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا؛ واهتصر الدهر جذبه وأماله؛ ومن نعوت الأسد المهتصر .

(٤) واختصر خطوا : كناية عن الوثب، فإن الواثب يقل الخطو الى غايته .

(٥) فرند السيف : جوهره .

(٦) أجفلت : نفـرت وأسرعت فى الهرب . وفى كلا الأصلين : « وأحفلت » بالحاء المهملة وهو تصحيف .

(٧) الضرائب : جمع ضريبة، وهى فعيلة بمعنى مفعولة . وإنمـا ثبتت فيه التاء مع أنه بمعنى المفعول لأنه صار فى عداد الأسماء .

(٨) يقال : أنهج الثوب، إذا أخذ فى البلى .

(٩) فى كلا الأصلين : « الحنا » وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(١٠) فى كلا الأصلين : « عليه » وهو تحريف .

(١١) يلتفت، أى ينصرف عنه ويعرض .

أنّ قرابتَه مِن فضلِه أَمَسّ ، واللهُ يعلم أنّى لَأَرَى له ولا أَرَى فيه ، وأُسُدّ عنه كلَّ خَرْقٍ تَعجَز عنه يدُ رافِيه ، ضنًّا بالصدور أن تخلوَ من صدرٍ كقلبِها ، ومحاماةً عن حقوقٍ تَقدِمتِه التى أَوجبَها أن تُعارَض بسَلْبِها .

ومن آخر : وصل كتابُ الحضرة فجعَل مستقَرّه النَّعمةَ فى الصدور ، وأخرجتْنى ظلماتُ خطِّه إلى نور السرور ، ووقفتُ وكأنّى واقف على طَلَلٍ من الأحبّةِ قد بكَى عليه السحابُ بِطَلِّه ، وآبتَسَم له الروضُ عن أخبار أهلِه وآثارِ منهلِّه ؛ فلم أزل أرشُف مسكَ سطورِه ولَماها ، وأُنزِّهُ العينَ والقلبَ بين حسنِها وجَناها ؛ وأُطلِقُ عِنانَ شوقٍ جَعلتُ الأقلامَ له لُجُما ، وحسِبتُ النِّقْسَ ليلا ، والكتابَ طيفا ، والوقوفَ عليه حُلُما ؛ إلى أن قضت النفوسُ وَطَرا ، وحَمَلتْ الخواطرُ خطرا ، وقرنت[(١)] بما ظنّته سحابا ما ظنّته مطرا ؛ هذا على أنه قريبُ العهد بيدِ النَّعماء ، فإن هَرَبَ فمن ماءٍ إلى ماء .

ومن آخر : فلمّا وقف على الكتابِ جَدّدَ العهدَ بلَثمِه ما لَم يصِلْ إلى اليد [التى][(٢)] تعثّنه ، وشَفَى القلبَ بضمّه عوضا عن الجوانح التى نفثته

وأين المطامعُ مِن وصلِه ... ولكن أعلِّلُ قلبا عليلا .

ومن آخر : وصلَ كتابُه ، وكان من لقائه طيفا إلا أنه آنَس بالضُّحى ، وأثار حربَ الشوقِ وكان قطبَ الرّحَى

تَخطَّى إلىّ الهولَ والقمرُ دونه ... وأخطارُه لا أصغرَ اللهُ ممشاه .

---

(١) فى كلا الأصلين : « وقرنته » ؛ والهاء زيادة من الناسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من (ا) ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما فى (ب) .

ومن كلامه رحمه الله يصف بلاغة كتاب، قال : كتابٌ إلى نحرى ضممتُــه، وذكرتُ به الزمنَ الذى ما ذممتُه، وأكبرتُ قدرَه لحين تسلّمتُه [آستلمتُه][1] وآلتقطتُ زَهْرَهُ لحين لمحتُــه آستملحتُه، وامتزج بأجزاء نفسى لحين لحظتُه حفِظتُه؛ وجمعتُ بينه وبين مســتقرِّه من صدرى، وآســتطلتُ به مع قِصره على حادثات دهرى، وجعلتُ سِحرَه بين سَحْرى[2] ونحرِى، وآستضأتُ به ورَشَفتُه فهو نهارى وهو نَهرى؛ فإن أردتُ العِطرَ بلا أثرٍ أمسكتُ مِسكَه بيدى، وإن أردتُ السكرَ بلا إثمٍ أدرتُ كأسَــه فى خَلَدى؛ فلله أناملُ رَقَمتْــه، ما أشرفَ آثارَها! وخواطرُ أملَتْــه، ما أشرقَ أنوارَها! ولم أزل متنقلا منــه بين روضةٍ فيهــا غدير، وليلةٍ فيهــا سمير؛ وإمارةٍ لها سرير، ومَسَرّةٍ أنا لهــا طليقٌ أسير، ونعمةٍ أنا لهــا عبدٌ بل بهــا أمير؛ حتى أَدبَرتْ عنى جيوشُ الأسى مفلوله، وقَصُرتْ عنى يدُ الهمّ مغلوله؛ ومُلئتْ منّى مسامعُ المكارم حمــدا، وخواطرُ الصنائع ودّا؛ وحَطَّ الأملُ بربعى رحلَه، وأنبتَ الربيعُ بِفِنائى بَقْــلَه؛ ولبِستُ من الإقبال أشرَفَ خلعه، ووردتُ من القبول أغزرَ شِرْعه، وآنتجعتُ من رياض الرجاء أرجى نُجْعه.

وقال أيضا من آخر : هذا مِن عفــوِ الخواطر، فكيف إذا استــدعَى المجلسُ خَطِّيــةَ[3] خطِّه لجاءت تَعسِل[4]، وحَشَدَ حُشودَ بلاغتــه فأتت من كل حَدَبٍ[5] تَنسِــل!.

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من (أ) وقد أثبتناها عن (ب) إذ السياق يقتضى إثباتها؛ ويرشد إليها أيضا ما يأتى فى الجملتين اللتين بعدها، والمراد بالاستلام هنا، التقبيل، تشبيها له بالحجر الذى يستلمه الحجيج.

(٢) السحر بفتح السين وسكون الحاء المهملة وفتحها : الرئة، أراد ما يحاذيها من الصدر.

(٣) الخطية : رماح تنسب الى الخط، وهو مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح لأنها تحمل إليه من الهند فتباع به.

(٤) عسل الرمح عسلا وعسلانا : اشتدّ اهتزازه وآضطرب.

(٥) الحدب بفتحتين : الغلظ المرتفع من الأرض. وتنسل : تسرع.

ومن آخر : ورَتَع فى رياض بلاغتــه التى لم يقتطفهنّ مِن قبله غارس ولا جان ، وآجتَــلى الحورَ المقصــوراتِ فى الطروس التى لم يَطْمِثْهنّ[(١)] إنسٌ قَبــلَه ولا جانّ، وغَنِىَ بتلك المحاسن غنًى خيرا مِن المــال ، وآعتَقَد[(٢)] فيهــا كنوزا إذا شاء أنفق منها الجُمل، وإذا شاء أَمسَكَ منها الجمال .

٥ وقال أيضا : كتَابٌ آشتَمَل على بديع المعــانى وباهرِها ، وزَخَرتْ بحارُ الفضــل إلا أننى ما تعبتُ فى آســتخراج جواهرِها ؛ بل سبَحتْ حتى تناولتُها ، وجَنحتْ إلىّ فمــا حاولتُها ؛ وآقتبستُ مِن محاسنِ أوصافه ، و بدائع أصنافه ؛ نكتًا آستقَلّتْ أجسادُها بالارواح ، وزُهِيَتْ جيادُها بما فيها من الغرر والأوضاح ؛ فيالله مِن بدائعَ وروائعَ، ولطائفَ وطرائف ! فيها ما تَشتهِى الأنفسُ وتَلَذُّ الأعين، ١٠ وما يقرّط الأسماعَ ويقرّط[(٣)] الألسُن ؛ فكأنه طرفُ[(٤)] طرفٍ[(٤)] صَوبُه مِدرار ، وعَلَمُ عِلمٍ منصوبٌ فى رأســه نار؛ صَحّح السحر وإن كان ظنّا ، وفضــح الدرَّ إذ كان أبرعَ معنى ، وأَسنَى حُسنا ، وأَدنَى مَجْنى ، وأَغنَى مَغْنى ؛ فمــا ضره تأخيرُ زمانِه ، مع تقدُّمِ بيانِه؛ ولا مَن سبقَه فى عصرِه ، مع أنه قد سَبق فى شعرِه .



(١) الطمث : الافتضاص ، و بابه نصر وضرب .

١٥ (٢) اعتقد : أحرز وآقتنى .

(٣) يقرط الأسماع ، أى يحلى به الأسماع كما تحلى الآذان بالأقراط ، وهو جمع قرط بضم القاف ، وهو ما يعلق من الحلىّ فى شحمة الأذن . (و يقرط الألسن) من التقريط ، وهو التقطيع ؛ أو هو من تقريط الفرس ، وهو إلجامه ؛ والمراد أن ما فى هذا الكتاب من البلاغة يقطع الألسن عن معارضته و يلجم الأفواه عن مساجلته ؛ وفى الأصول : « يفرط » بالفاء الموحدة فى كلا اللفظين ؛ وهو تصحيف لا يظهر له معنى .

٢٠ (٤) كذا فى كلا الأصلين ؛ ولم نجد من معانى هاتين الكلمتين ما يناسب سياق ما هنا ؛ ولعل صواب العبارة : «فكأنه قطر قطر» الخ فالأولى مصدر قطر الماء يقطر ، اذا سال . والثانية بمعنى المطر ، كما تدل على ذلك بقية الجملة .

ومن آخر : ولله هو من كتابٍ لمّا وقفتْ عليه الغُلّةُ شَفاها ، ورأت وِرْدَها كلَّ ماءٍ غيره سَفاها[1] ، ووطّأ مضاجعَ أُنسِها بعد أن كان الشوقُ يُقلِّب[2] الجنوبَ على سَفاها[3] ؛ فلا عدم ودّها الذى به عن كلّ مودّةٍ سُلوة ، ولا برحت كفايةُ الله تُحِلّها فى الذُّرا وتُعلى قدرَها فى الذِّروه ، ولا فقد ممّا يُنعِم به أىَّ نعمه ، ولا ممّا يُنشيه أىَّ نشوه .

ومن آخر : كتابٌ كريمٌ تبسَّم إلىّ ضاحكا ، وظُنَّ مدادُه أنه قد جلا سَطرُه علىّ حالكا ؛ فما هو إلّا سوادُ الحدقة منه انبعثت الأنوار ، وما هو إلا سُوَيداءُ[4] ليلة الوصلِ اشتملتْ على دجًى تحته نهار ، فلله هو مِن كتابٍ استغفر الدهرُ ذنبَ المشيب بسوادِه ، واستدرك الزمانُ غلطَه بسدادِه .

ومن آخر : كتابٌ تقارعَت الجوارحُ عليه فكادت تَتَساهم ، فقالت اليدُ : أنا أولى به ، شَدَدتُ على مولاه ومولاى عَقدَ خِنصِرى ، ورفعتُ اسمَه فوق منبرى ؛ وقبضتُ عليه قبضتى ، وبسطتُ فى بسطِ راحتِه وقت الدُّعاء راحتى ، وقالت العين : أنا أولى به ، أنا وعاءُ شخصِه ، والىّ يرجع القلبُ فى تمثيله ونصِّه[5] ؛ وأنا سهرتُ بعد رحيلِه وحشَة ، وأنا إذا ذُكِر هجيرُ القلبِ عَلَلْتُه[6] رشّةً بعد رشّة ؛ فقال القلب : طمعتما فى حقّى لأنى غائب ، وهل أنتِ لى يا يدُ إلّا خادم ؟ وهل أنتِ لى

---

(١) السفاه بفتح السين المهملة : الجهل .

(٢) فى (أ) : « اقلت » ، وهو تصحيف .

(٣) السفا : الشوك ؛ وفى كلا الاصلين : «شفاها» بالشين المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٤) سويداء : تصغير لسوداء ، ولعله صغرها لوصفهم ليلة الوصل بالقصر عادة .

(٥) النص هنا : الإظهار .

(٦) فى كلا الأصلين : « عليه » ؛ وهو تحريف لا تستقيم به الجملة ؛ وعللته : من العلل بفتحتين وهو الشرب الثانى .

يا عينُ إلا حاجب ؟ أنا مستقرُّه ومستودَعُه ، ومَرتَعُه ومَشْرَعُه ، وأنا أذكُره وبه أَذكُركما ، وأُحصِرُه ولخدمتِه أُحضِركما ؛ فاليدُ أستخدمُها مَرّةً فى الكتابة إليه ، ومرّة فى شدّ الخنصِر عليه ، ومَرّةً فى الإشارة الى فضله ، ومَرّةً فى الدعاءِ بكلّ صالحٍ هو مِن أهلِه ؛ والعينُ آستخدمتها فى ملاحظةِ وجهه آئبا[1] ، وفى توقُّع لقائه غائبا[1] ، وفى السهدِ شوقا الى قربِه ، والمطالَعةِ لما يَخرُج أمرى بكَتْبِه مِن كُتُبِه ؛ فهنالك سَلَّمتا وآستَجَرَتا[2] ، وأَلقتا وآستأخرتا ؛ وكدتُ أَرشُف نِقسَه[3] لأنقلَه الى سُويداه ، لولا أنّ سواد العين قال : أنا أَحْوَجُ الى الآستمدادِ من هُداه .

ومن كلامه رحمه الله تعالى ما رُكّب نصف قرائنه على نصف بيت نحو قوله :

وَصَلَ كتابُ مولاى بعد ما * أصاتَ[4] المنادى للصَّلاة[5] فأعتما

فلما آستقرّ لدىّ ، « تجلّى الذى من جانب البدر أظلَما » فقرأتُه ، « بعينٍ اذا استمطَرتُها أمطرتْ دما » وساءلتُه ، « فساءلتُ مصروفا عن النطقِ أَعجَما » ولَم يردّ جوابا ، « وماذا عليه لو أجاب المتيّما » ورَدّدتُه قراءة ، « فعوجلتُ دون الحلمِ أن أتحلّما » وحفظتُه ، « كما يحفظ الحرُّ الحديثَ المكتَّما » وكرّرتُه ، « فمن حيثما واجهتُه قد تبسّما » وقبّلتُه ، « فقبّلتُ درّا فى العقود منظَّما » وقمتُ له ، « فكنتُ بمفروض

(١) عبارة الأصول : « فى ملاحظة وجهه غائبا ، وفى توقع لقائه آيبا » ؛ والظاهر أن فى نهايتى هاتين الجملتين تقديما وتأخيرا ؛ وسياق الكلام يقتضى العكس كما أثبتنا .

(٢) استجرتا : انقادتا ؛ يريد انهما وافقتاه على دعواه ؛ والذى فى كلا الاصلين : « استحرنا » بالحاء المهملة والنون ؛ وهو تصحيف لا يظهر له معنى .

(٣) فى كلا الأصلين : « نفسه » بالفاء الموحدة ؛ وهو تحريف ؛ والنقس بالكسر المداد .

(٤) فى كلا الأصلين : « أصاب » بالباء الموحدة ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وأصات : نادى ؛ وهو من الصوت .

(٥) هذه اللام ساقطة من (أ) ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما فى (ب) .

المحبّـة قيّما» وأخلصتُ لكاتبه، «وليس على حكم الحوادث محكما»(١) ولَم أصـدّفه(٢)، «ولكنّه قد خالط اللحم والدما» وأرخت وُصــولَه، «فكان لأيام المواسم موسما» وداويتُ عليلَ «حَشًا ضَرّ ما فيــه من النار ضُرّما» وشفَيتُ غليلَ «فؤادٍ أُمنّيــه وقد بلغ الظما» فأما تلك الأيام التى «حماها من اللوم المُقـامُ(٣) على الحمى» والليـالى العذابُ التى «ملأن نحور الليل بيضا(٤) وأنجما» [فإنّى لأذكُرها، «بصبرٍ كما قد صُرّمتْ(٥) قد تَصَرَّما»] وأُرسِـل(٦) الزفره «فلو صالحت(٧) رَضوَى لَرُضّ(٨) وهُدِّما» وأرسـل العبره، «كما أنشأ الأفُق السحابَ(٩) المديّما(١٠)» وأخطب السُّلوه، «فأَسأل معدوما وأَقفِل(١١) معدما»

(١) كذا فى كلا الأصلين وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٨ وارتباط هذا السطر بما قبله من النثر غير ظاهر؛ ولعله: «ولست» بزيادة تاء الضمير. يقول: إنى لا آمن رد الحوادث التى تعوقنى عن أن أكتب إليه بما حدانى له من الشوق. وبذا يكون الارتباط واضحا.

(٢) ولم أصدفه، أى لم أغشه بالصدف بفتح الصاد والدال، كما يغشى الدر. والذى فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٨ «ولم أصدقه» بالقاف المثناة وهو تصحيف.

(٣) كذا فى تذكرة الصفدى المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٠ أدب. والذى فى كلا الأصلين وصبح الأعشى: «حماها على اللوم» الخ. ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على تعدية هذا الفعل بـ «على».

(٤) البيض: جمع أبيض، ومن معانيه الرجل النقىّ العرض؛ والظاهر أن ذلك هو المراد هنا؛ يريد وصف خلانه وجلسائه ببقاء أعراضهم من الدنس والعيوب؛ وأنهم كالنجوم فى علو الشرف وبعد المنزلة.

(٥) هذه التكملة ساقطة من كلا الأصلين وصبح الأعشى؛ وقد نقلناها عن تذكرة الصفدى؛ إذ لا يستقيم الكلام بدونها.

(٦) فى كلا الأصلين: «وأرسلت» بصيغة الماضى وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ليوافق ما بعده وما قبله.

(٧) فى (أ): «فما صالحت» وهو غير مستقيم؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا كما فى (ب) وتذكرة الصفدى.

(٨) رض: من الرض، وهو الدق والكسر.

(٩) أنشأ الأفق السحاب، أى رفعه.

(١٠) المديم بتشديد الياء: من ديم السحاب، أى دام مطره. ويقال: دوّم بتشديد الواو، وهو الأصل كما يستفاد من اللسان.

(١١) أقفل: من القفول، وهو الرجوع.

فأما الشكرُ فإنمـا « أفضّ به مسكا عليك مختّمًا » وأقوم منه بفرض « أرانى به دون البريّة أقْوَما » وأوَفّى واجبَ قرض، «وكيف تُوَفِّى الأرض قَرْضا من السما» .

وقال أيضا : وصل(1) كتابُ الحضرة بعد أن عددتُ الليالىَ لطلوعِ صَـديعه(2) «وقد عشتُ دهرا لا أُعُدّ اللياليا» ،و بعد أن انتظرتُ القيظَ والشتاءَ لِفصلِ ربيعه « فمـا للنوى تَرمِى بليلى المراميا» ! واستروحتُ إلى نسيم سَحَره، «إذا الصيفُ ألْقَى فى الديار المراسيا » ومددتُ يدى لاقتطاف ثَمَره ، « فلله ما أَحلَى وأَحمَى المجانيا(3) ! » ووقفتُ على شكواه مِن زمانه ، «فبتُّ لشكواه من الدهر شاكيا» وعجبتُ لعمى الحظِّ عن مكانه « وقد جمع الرحمن فيه المعانيا » وتَوقّعتُ له دولةً يعلو بها الفضـل « إذا هزّ مِن تلك اليراع عَواليا » ورتبةً يَرتقِى صهوتَها بحكم العـدل « فرُبَّ مَرالق يُعتَدَدن مَهاويا» و إلى الله أرغب فى إطلاع سعودِه، «زواهرَ فى أفق المعالى زواهيا» و فى إنهاض عثَراتِ جدودِه، « فقد أعثرتْ بَعدَ النهوض المعاليا » .

وقال أيضا :

وَصلَ من الحضرة

كتابٌ به ماءُ الحياةِ ونَقعـةُ الـ * ـحيـا فكأنّى إذ ظفِرتُ به الخِضْرُ

ووَقَف عبدُها منه على

عقودٍ هى الدرُّ الذى أنت بحرُه * وذلك ما لا يَدّعِى مِثـلَهَ البحرُ

---

(1) كذا فى (ب) ؛ ولم يرد من هذه الكلمة فى (أ) غير الحرف الأول، وهو الواو .

(2) الصديع : الصبح .

(3) فى (أ) : « المحاميا » وفى (ب) «المخاميا» ، وهو تحريف صـوابه ما أثبتنا انظر تذكرة الصفدى وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٩ وأراد بقوله : «وأحمى المجانيا» وصف مجانيها بالصيانة وانها ممنعة غير مبتذلة .

ورَتَعتُ منه فى

رياضِ [يدٍ](١) تُجْنَى وعَينٍ وخاطرٍ * تَسابقَ فيها النَّورُ والزهرُ والثُّمْـرُ(٢)

وكَرَعتُ منه فى حياضٍ

تَسرُّ مَجانيهـا اذا ما جنى الظما * وتُروِى مَجاريها اذا بَخِـل القَطرُ

وما زلتُ منه أنشد ٥

كأنِّىَ ســارٍ فى سَرِيرة ليـــلةٍ * فلمّــا بدا كبّرتُ إذ طلع الفجرُ

ووافَى على ما كنتُ أعهد

نخلتُ بأنّ العين مِن سُحْبِ كمِّه * فمِن ذى ومِن ذى [فيه](٣) يَنتثِر الدرُّ

وأسترجع فائتَ الدنيا من مَوردِه

وما كان عندى بعد ذنبِ فراقه * بأنّى أَرَى يوما به يَعـــد الدهرُ ١٠

ونفّس عن النفسِ بأبيض ثِمادِه(٤)، وعن العينِ بأَسْوَدِ إثْمِدِه

به لهما سبحٌ طويلٌ فهــذه * على خاطرٍ بَردٌ وفى خَطَرٍ(٥) بدرُ

وجَدَّدَ اليه أشواقا جديدُها

يمرّ به ثوب الجديدين دائمـا * فيبلى ولا تَبلَى وإن بَلِيَ الدهرُ

وذَكّر أياما لا يزال يستعيدها ١٥

وهيهــات أن يأتى من الدهر فائتٌ * فدع عنك هذا الأمرَ قد قُضِىَ الأمرُ .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من (أ) ؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكرة الصفدى وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٦ إذ بها يستقيم البيت .

(٢) الثمر بضم الثاء والميم جمع ثمار بالكسر كما فى المصباح ؛ وهذا الجمع يجوز فيه إسكان عينه المضمومة كما هنا .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (أ) ؛ واستقامة الوزن تقتضيها ؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكرة الصفدى . ٢٠

(٤) كذا فى كلا الأصلين . والذى وجدناه فيما لدينا من كتب اللغة أن الثماد بكسر أوله : الماء القليل كالثمد بالتحريك ، فكأنه يريد تشبيه الكتّاب بالماء فى أنه يشفى الظمأ وينقع الغلة .

(٥) أراد بالخطر هنا : الامر المخوف .

وكلامُ(١) القاضى الفاضل — رحمه الله — كثيرٌ، بأيدى الناس منه عدّةُ مجلّدات، أَخبَرنى من أثق بقوله من القضاة الحكام الأعيان أنه يزيد على خمسين مجلّدا قد جُمِعتْ، أما ما لم يجمعه الناس فكثير جدا؛ وقد نَقل بعضُ مَن أَرّخ، أنه وجد للقاضى الفاضل مسوّداتِ كتب صدرتْ عنه وأجْوِبةٍ تزيد اذا جُمعتْ على مائة مجلّد، ولا يحتمل الحال أن نورد له أكثرَ مما أوردناه، ورسائلُه المختارةُ كثيرةٌ قد يكون فيها أجودُ مما اخترناه ونحوه، وإنما أوردنا له ماحضر فى هذا الوقت، إذ لم يمكن البحث عن كلامه والاستقصاء، وإن كان كلُّ رسائله مختارةً رحمه الله .

ذكر شىء من رسائل الشيخ الإمام الفاضل ضياء الدين

أبى العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العابد القدوة أبى عبد الله محمدِ بنِ عمرَ بنِ يوسفَ بنِ عمرَ بنِ(٢) عبد المنعم الأنصارىّ القرطبىّ رحمه الله، — وكانت وفاتُه بقنا من أعمال قوص فى سنة اثنتين وسبعين وستمائة —

كتب إلى شيخنا الإمامِ العلّامةِ تقىّ الدين محمد ابنِ الشيخ الإمام الحَبر مجدِ الدين أبى الحسن علىّ بنِ وهب بنِ مطيع القُشيرىّ المعروفِ بابن دقيقِ العيد رحمهم الله تعالى : تخدُم المجلس العالىَ صفاتٌ يقِف الفضلُ عندَها، ويَقْفُو الشرفُ مجدَها، وتَلتزِم المعالى حمدَها؛ وسِماتٌ يبتسم ثغرُ الرياسة منها، وتُروَى أحاديثُ السيادة عنها؛ الصدرىّ الرئيسىّ المفيدىّ؛ معانٍ استحقّها بالتميز، واستوجبها بالتبريز، وسَبكتْه الإمامةُ لها فألفتْه خالصَ الإبريز؛ ومعالٍ أقرّتْه فى سويدائها، وأطلعتْه فى سمائها،



(١) كذا فى (ب) والذى فى (أ) «ومن كلام» وقوله : «من» زيادة من الناسخ .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ؛ وقد ورد هذا النسب فى بعض المصادر ساقطا منه هذا الجد الثالث وهو عمر انظر كتاب الطالع السعيد لكمال الدين الإدفوى ص ٥٤ طبع الجمالية فى ترجمة محيى الدين أحمد بن محمد ابن أحمد حفيد ضياء الدين أبى العباس ابن القرطبى .

وألبسته أفضـــلَ صفاتِها وأشرفَ أسمائها ، العلّامىّ الفاضلىّ التقَوِىّ ، نسبٌ آختص به آختصاصَ التشريف ، لا تعريفا(١) له فالشمس تستغنى عن التعريف ، لا زالت إمامتُـه كافلةً بصـون الشرائع ، واردةً من دين الله وكفالةِ أمّةِ رســول الله أشرفَ الموارد وأعذبَ الشرائع(٢) ، آخذةً بآفاق سمــاء الشرف فلها قمَراها والنجومُ الطّوالع(٣) ، قاطعةً أطماع الآمال عن إدراك فضلِه وما زالت تُقطِّع أعناقَ الرجال المطامع(٤) ، صارفةً عن جلاله مَكارهَ الأيام صرفا لا تَعتوِرُه القواطع ، ولا تعترضه الموانع ؛ ويُنهِى ورودَ عذرائه التى « لها الشمسُ خِذْنٌ(٥) والنجومُ ولائدُ » وحسنائه التى « لها الدرُّ لفظٌ والدّرارى(٦) قلائدُ » ومشرِّفته التى « لها من براهين البيان شواهدُ » وكريمته التى « لهـا الفضلُ وِردٌ والمعالى موائدُ(٧) » ووديعتِه التى « لها بين أحشائى وقلبى مَعاهدُ »

وآيتِــه الكبرى التى دلّ فضلُها * على أنّ من لم يشهدِ الفضل جاحدُ
وأنك سيفٌ ســلّه الله للهـــدى * وليس لسيفٍ ســلّه الله غامــدُ

---

(١) فى (أ) : «لا تشريعا» وفى (ب) : «تشريفا» بسقوط « لا » ؛ وما أثبتناه هو المناسب لسياق الكلام .

(٢) الشرائع جمع شريعة ؛ وهى مورد الشاربة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون ، والعرب لاتسميها شريعة حتى يكون الماء عدّا لا انقطاع له ، ويكون ظاهرا معينا لايسقى بالرشاء . ولا تكرار بين ما هنا وما سبق لاختلاف المعنى .

(٣) أشار بهذه العبارة إلى قول جرير :

أخذنا بآفاق السماء عليكمو * لنا قمراها والنجوم الطوالع

(٤) أشار بهذه العبارة إلى قول البعيث المجاشعى :

طمعت بليلى أن تريع وإنمـا * تقطع أعنـاق الرجال المطامع

(٥) فى (أ) : « حدت » وفى (ب) «هدب» ؛ وهو تحريف فى كلتا النسختين .

(٦) الدرارى : الكواكب العظام التى لا تعرف أسماؤها ، قاله الفرّاء .

(٧) فى كلا الأصلين وكتاب الطالع السعيد ص ٥٨ طبع الجمالية : «موارد» ؛ وهو تحريف لحصول التكرار به مع قوله : «ورد» .

فلمثلها يحسن صوغ السوار، ولفضلها يقال: "أناة أيها الفلك المدار" وإنها في العلم أصل فرع نابت، والأصل علة النشأة والقرار، وفرع أصل ثابت[1]، والفرع فيه الورق والثمار؛ هذه التي وقفت قرائح الفضلاء على استحسانها، وأوقفتني[2] على قدم التعبد لإحسانها، وأيقنت أن مفترق الفضائل مجتمع في إنسانها، وكنت أعلم علمها بالأحكام الشرعية فاذا هي في القرآن مقفعها، وفي القصائد أخو حسانها؛ هذه وأبيك أم الرسائل المبتكره، وبنت الأفكار التي هذبتها الآداب فهي في سهل الإيجاز البرزة[3] وفي صون الإعجاز المخدره، والمليئة ببدائع البدائه، فمتى تقاضاها متقاض لم تقل: "فنظرة إلى ميسرة"؛ والبديعة التي لم توجه اليها الآمال فكرها لاستحالة غير مسبوق بالشعور، ولم تسم اليها مقل الخواطر لعدم الإحاطة بغيب الصدور قبل الصدور، والبديهة التي فصل البيان كلماتها تفصيل الدرر بالشذور؛ إن كلمها تميس في صدورها وأعجازها، ويختال في سطورها وإعجازها، وتنثال[4] عليها أغراض المعاني بين إسهابها وإيجازها؛ فهي فرائد آئتافت من أفكار الوائلي والإيادي، وقلائد آنتظمت آنتظام الدراري، ولطائم[5] فضت عن العنبر الشحري[6] والمسك الداري[6]؛ لا جرم أن غواصي الفضائل ظلوا في غمراتها خائضين، وفرسان

(١) كذا في (ب)، والذي في (ا) «وأصل فرع» وهو مكرر مع ما قبله.

(٢) كذا في كلا الأصلين؛ وأوقفه بالهمز لغة رديئة كما في اللسان؛ وقد نقلها ابن السكيت عن الكسائي وقيل: وقفه وأوقفه سواء.

(٣) البرزة: البارزة المحاسن. وفي (ا): «البررة» براءين مهملتين؛ وهو تصحيف.

(٤) تنثال: تتتابع.

(٥) اللطائم: أوعية المسك، الواحد لطيمة.

(٦) الشحري: نسبة الى الشحر، وهو صقع بساحل بحر الهند من ناحية اليمن قال الأصمعي: هو بين عدن وعمان، واليه ينسب العنبر الشحري «ياقوت». والداري: نسبة الى دارين، وهي فرضة بالبحرين فيها سوق كان يحمل اليها المسك من ناحية الهند «اللسان» مادة «دور».

الكلام أضحَوا فى حَلَباتها راكِضين، وأبناءَ البيان تُليَتْ عليهم آياتُها "فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ".

ما إنْ لها فى الفضل مِثْلٌ كائنٌ * وبيانُها أحلى البيانِ وأمثَلُ
فالعجزُ عنها مَعجِزٌ(١) متيقَّنٌ * ونبيُّها بالفضل فينا مرسَلُ
ما ذاك إلا أنّ ما يأتى به * وحىُ الكلام على البراعة ينزلُ

بزغَتْ شمسا لا تَرضَى غيرَ صدرِه فلَكا، وانقادت معانيها طاعةً لا تختار سواه مَلِكا، وانتَبَذَتْ بالعراء فلا تخشى إدراكَ الإنكار ولا تخاف دَرَكا، ونَدَّت شواردُها فلا تقتنصها الخواطرُ ولو نصبَتْ هُدْبَ الجفون شَرَكا

فلِلأصائِلِ(٢) فى عليائها سَمَرٌ * إن الحديث عن العلياء أَسْمارُ(٣)
ولِلبصائِرِ هادٍ مِن فضائِلها * يهدى أُولى الفضلِ إن ضلّوا وإن جاروا
بادِى الإبانةِ لا يخفى على أحد * "كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ"

أَعْجِب بها من كَلِمٍ جاءت كغمام الظِّلالِ على سماء الأنهار! وسَرتْ كعليل النسيم عن أنديةِ الأسحار، وجُلِيَتْ محاسنُها كلؤلؤ الطلِّ على خدود الأزهار، وتجلّت كوجنة الحسناء فى فَلَك الأزرار، وأهدت نفحةَ الروض متأوِّدَ الغصن بليلَ الإزار، فأحيتنا بذلك النفَسِ المِعطار، وحيّتنا بأحسنَ [من](٤) كأسَىْ لَمًى وعُقار، وآسَىْ ريحانٍ وعذار،

(١) المعجز بكسر الجيم وفتحها مصدر ميمىّ بمعنى العجز .

(٢) الأصائل، جمع أصيل، وهو المحكم الرأى . وفى كتاب الطالع السعيد ص ٥٩ : « فلا فاضل » والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) الأسمار بفتح الهمزة جمع سمر بفتح السين والميم، وهو معروف؛ ويجوز أن يقرأ : « إسمار » بكسر الهمزة على احتمال أن أسمر فلان بالهمز لغة فى سمر كما فى اللسان عند قول عبيد بن الأبرص :

فهن كنبراس النبيط أو الـ * ـفرض بكف اللاعب المسمر

(٤) كذا فى (ب) والطالع السعيد؛ ومكان هذه الكلمة فى (أ) باء موحدة بعدها ألف؛ ولا يفهم لها معنى .

ولؤلؤى حَبَبٍ وثغر، وعَقيقىْ شفةٍ وخمر، وربيعَى زهرٍ ونهر، وبديعَى نظمٍ ونثر، ولم أَدْرِ ما هى أثغورُ ولائد؟ أم شذورُ قلائد، أم توريدُ خدود، أم هيفُ قدود، أم نهودُ صدور، أم عقودُ نحور، أم بدورٌ ائتلفتْ فى أضوائها، أم شموسٌ أشرقت فى سمائها؟

جَمَعن شتيتَ الحسن مِن كلِّ وجهة * فَحيّرن أفكارى وشَيّبن مَفرِقى
وغازلها قلبى بودٍّ محقَّقٍ * وواصلها ذكرى بحمدٍ مصدَّقِ
وماكنتُ عشّاقا لِذات محاسنٍ * ولكن من يبصرْ جفونكِ يَعشَقِ
ولم أدر والألفاظُ منها شريفةٌ * الى البدرتسمو أم إلى الشمس ترتقِى

إنما هى جملةُ إحسان يُلْقِى اللهُ الرُّوحَ مِن أمرِه على قابها، أو روضةُ بيان «تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا»، أو ذاتُ فضلٍ اشتمَلتْ على ذواتِ الفضائل، وجنت ثمر العلوم فأَجْنَتْها بالضحى والأصائل، أو نفسٌ زكت فى صنيعها، ونَفَثَ رُوحُ القُدُس فى رُوعِها، فسلكَتْ سُبُلَ البيان ذُلُلا، وعدمَتْ مماثِلا فأضحت فى أبناء المعالى مَثَلا، وسَرتْ الى حَوْز الأمانى والأنامُ نيام، فوهب لها واهبُ النعم أَشرَفَ الأقسام، فجادت فى الإنفاق، ولَم تُمسكْ خشيةَ إِملاق، وقيّدتْ نفسَها فى طَلَقِ[1] الطاعة فجاءها توقيعُ التفضيل على الإطلاق

أَنْ لِىَ مَعْزاها أخا الفهم إنها * الى الفضل تُعْزَى أم الى المجد تُنسَبُ
هى الشمسُ إلّا أنّ فكرَكَ مَشرِقٌ * لإبدائها عندى وصدرىَ مَغربُ
وقد أَبدعَتْ فى فضلها وبديعها * فجاءت الينا وهى عنقاءُ مُغرِبُ[2]

---

(١) فى طلق الطاعة» اى فى قيدها؛ وأصل الطلق بالتحريك، القيد من جلود.

(٢) شبه هذه الرسالة بالعنقاء المغرب، وهى التى أعربت فى البلاد ونأت ولم تحس ولم تر؛ والمراد أن هذه الرسالة غريبة فى بلاغتها وحسن بيانها، ولا عهد للكتّاب بأمثالها.

فأعرب عن كلّ المعانى فصيحُها * بما عجزت عنــه نزارٌ ويعربُ
ومذ أشرقت قبـل التناهى بأوجها * عفا فى سناها بدرُ تمٍّ وكوكبُ
تناهت علاءً والشـباب رداؤها * فما ظنكم بالفضل والرأس أشيبُ
لئن كان ثغرى بالفصاحة باسما * فثغرك بسّام الفصاحـة أشنبُ
وإن ناسبتْنى بالمجاز بلاغةٌ * فأنت إليها بالحقيقـة أنسبُ ٥
ومذ وردت سمعى وقلبي فإنها * لتُؤكل حُسْنا بالضمير وتُشربُ
وإنى لأشـدو فى الورى بثنائها * كما ناح فى الغصن الحمامُ المطرِّبُ
ونشهـد أبناء البيان إذا انتـدَوا * بأنى من قسّ الإيادىّ أخطبُ
وإنِّى لتـدنينى الى المجـد عصبةٌ * كرامٌ حوتهـم(١) أوّل الدهر يثربُ
وأنى إذا خان الزمان وفاءه * وفىٌّ عـلى الضراء حرٌّ مجـرّبُ ١٠
إباء أبت نفسى سـواه وشيمـة * قضى لى بها فى المجد أصلٌ مهذّبُ
ونفسٌ أبت الا اهـتزازا إلى العلا * كما اهـتزّ يومَ الرَّوع رمحٌ ومِقضَبُ(٢)
ولى نسبٌ فى الأكرمين تعـرّفتْ * إليـه المعـالى فهو ريّانُ(٣) مخصِبُ(٤)
نمتْــهُ أصول فى العــلاء أصيلةٌ * لهـا المجدُ خِدْنٌ والسيادةُ مَركبُ
تلاقَى عليـه المطعمون تكرّما * اذا احمــر(٥) أفقٌ بالمَجَرّة(٥) مجـدِبُ ١٥
من اليمنيّين الذين سما بهـم * الى العزّ بيت فى المعـالى مطنّبُ

(١) فى كلا الأصلين : « حولهم » ؛ وهو تحريف .
(٢) المقضب : السيف القاطع .
(٣) فى بعض المصادر «عريان» ؛ وما أثبتناه هو المناسب لما بعده من الوصف .
(٤) المراد بوصف هذا النسب بالإخصاب ، كثرة ما يعدّ فيه من الكرام وأصحاب المفاخر . ٢٠
(٥) احمرار الأفق كناية عن الجدب . والعرب تقول : سنة حمراء اذا كانت شديدة ؛ وذلك لأن آفاق السماء تحمرّ فيها . والمجرّة : البياض المعترض فى السماء ، والنسران عن جانبيها .

قروا تُبّعا بيضَ المواضى ضَحاءه[1] * وكُومَ[2] عِشارٍ بالعشيّات تُضْهَبُ[3]

فرحّله الجودُ العميم ومنصُلٌ[4] * له الغمدُ شرقٌ والذوائبُ مغربُ

وهم نَصَروا[5] والدين عزّ نصيره * وآووا وقد كادت يدُ الدين تُقضَبُ

وخاضوا غمار الموت فى حومة الوغى * فعاد نهارا بالهدى وهو غيهبُ

(١٣١)

أولئك قومى حسبى الله مثنيا * عليهم وآىُ الله تُتلى وتُكتَبُ

هذه اليتيمة أيدك الله مِلْحتُها الإحماض[6]، وتحليتُها[7] الألفاظُ فى أبعاض الاعتراض لِتَسرحَ مقلُ[8] الخواطر فى مختلفات الأنواع، و يتنوعَ[9] الواردُ على القلوب والأسماع، وإلا فلا تَماثُل فى الأدوات، وان وقع التماثُل فى الذوات، كالجمع بين النُّورِيّة فى

---

(١) ضحاءه، أى فى وقت ضحائه، والضحاء: إذا امتد النهار وكرب أن ينتصف. وفى كلا الأصلين.
١٠ «ضماة» وهو تحريف.

(٢) الكوم: النياق العظيمة الأسنمة؛ واحده كوماء بفتح الكاف.

(٣) فى كلا الأصلين وغيرهما من المصادر: «تهصب» بتقديم الهاء على الضاد، ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق. «وتضهب» بالبناء للمجهول: من قولهم ضهبه بالنار كمنعه، إذا لوّحه وغيره، كما فى القاموس وشرحه، وهم يمدحون الشواء الذى لم يتم نضجه لما فى ذلك من التعجيل بقرى الأضياف أنشد الكلابىّ:

١٥ خير الشواء الطيب الملهوج * قد هم بالنضج ولما ينضج

أو لعله من ضهب اللحم بتشديد الهاء، أى قطعه، وادن يكون صواب البيت: «بالعشىّ تضهب» بإفراد العشىّ ليستقيم الوزن.

(٤) المنصل: السيف.

(٥) فى كلا الأصلين: «بهم» بالباء؛ وهو تحريف.

٢٠ (٦) كأن الكاتب يريد تشبيه رسالته اذا نسبت الى رسالة ابن دقيق العيد بإحماض الابل بعد أن تسأم الحلو من النبات؛ كما يرشد الى ذلك سياق الكلام الآتى؛ والاحماض مصدر أحمضت الابل اذا أكلت الحمض وهو ما ملح وأمر من النبات؛ وهو كما كهة الابل تأكله عند سآمتها من الخلة.

(٧) فى (أ) «تجاليهم»، وفى (ب) «وتحكيم»، وهو تحريف فى كلتا النسختين.

(٨) كذا فى الطالع السعيد؛ والذى فى كلا الأصلين: «بقل» الخ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى.

٢٥ (٩) فى كلا الأصلين: «و ينبوع»؛ وهو تصحيف.

السراج والشمس ، وٱشتمال الإنسانيّة على القلامة والنفس (١) ، والتوارُدِ الإدراكىّ بين كلىّ بالعقل ، وجزئىّ بالحسّ (٢) ؛ وكالعناصر فى افتقار الذوات اليها ، وان تميّزت الحرارة عليها ؛ وكالمشاركة الحيوانيّـة فى البضعة اللسانيّـة ، واختصاص الناطقيّة بالذات الإنسانيّة ؛ فسيّدنا ثمرُ الروض ونسيمُه ، وسواه ثراه وهشيمُه ، وزهرُه وأنداؤه ، وغيرُه شوكه وغثاؤه ؛ والبدرُ و إشراقُه ، وســواه هلاليّتُه ومُحاقُه ؛ اشـتراكٌ فى الأشخاص ، وامتياز فى الخواصّ ؛ ومشابَهة فى الأنواع والأجناس ، ومغايَرة فى العقول والحواسّ ؛ كالورد والشَّقِيق ، والقَهرمانِ (٣) والعقيق ؛ تمـاثَلَا فى الجواهر والأعراض ، وتغايرَا فى تمييز الأغراض ؛ فسيّدنا من كلِّ جنسٍ رئيسُه ، ومن كلِّ جوهرٍ نفيسُه ؛ وأما حسناءُ المملوك على مذهبهم فى تسمية القبيح بالحَسَنِ ، والحَسَنِ بالقبيح ، والضريرِ بالبصيرِ والأخرسِ بالفصيح ؛ فـما صَدّت ولا صَدّت يمنى كاسِها (٤) . ولا شدّت فى مذهب ولائه عن ٱطّراد قياسِها ، ولا زَوَتْ عن وجه جلالته وجهَ إيناسِها ، ولا جهلَتْ أنه فى العلوم الشرعيَّة ابن أنَسِها ، وفى المعانى الأدبيّة أبو نواسِها ؛ ولا خفِيَ عنها أن سيّدنا مجرَى اليمين (٥) ، وفى وجه السيادة إنسانُ المقـلة وغرّةُ الجبين ، والدرّةُ فى تاج الجلالة

---

(١) كذا فى الطالع السعيد ؛ والذى فى كلا الأصلين : « فى » ؛ وهو غير مستقيم .

(٢) أشار بهذه العبارة الى ما هو معروف فى كتب المعقول من أن المـاهيات الكلية انما يدركها العقل دون غيره ؛ وذلك لأنها ليس لهـا وجود فى الخـارج ، وأما جزئيات هذه المـاهيات وأفرادها فإنها تدرك بالحس لوجودها الخارجىّ .

(٣) يقال فيه أيضا «الكهرمان» بالكاف ؛ والكهرم بجعفر . انظر تاج العروس مستدرك مادة « كهم » .

(٤) أشار بهذه العبارة الى قول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

صددت الكأس عنـا أم عمرو * وكان الكأس مجـراها اليمينا

(٥) أشار بهذه العبارة الى قول عمرو بن كلثوم فى البيت السابق فى الحاشية رقم ٤ من هـذه الصفحة «وكان الكأس مجراها اليمينا» ؛ والمعنى أنه أولى من سواه بالتقديم .

والشَّذْرةُ فى العقد الثمين؛ وأنه الصدرُ الذى يَأرِزُ[1] العِلمُ إلى صدرِه، وتُقْتَرحُ[2] عقائلُ المعانى مِن فكره، وتأتمّ الهداةُ ببدرِه، وتَنتمِى[3] الهدايةُ الى سرِّه، وانّها فى الإيمان بمحمديّته أمُّ عمارة[4] لا أمُّ عمرِه؛ وانّه غاية فخارِها؛ ونهايةُ إيثارِها، [وآيةُ نهارِها][5] ومستَوطَنُ إفادتِها بين شموس فضائله وأقمارِها؛ فكيف تَصُدّ وفيه كلّيّةُ أغراضِها، ومنه علّيّــةُ جملتِها وأبعاضِها، وفى محلّه قامت حقائقُ جواهرِها وأعراضِها؛ لكنّها توارت بالحجاب، ولاذت بالآحتجاب، وقُــربِ بالمجلس الكمالىّ ليكمّل ما بها مِن نقصٍ كمالٍ وكمالِ عيب، وتجمَعَ بين حقيقتَى إيمان الشهادة والغيب، وتُعرِّضَ على الرأى التقوِىّ سليمةَ الصدر نقيّةَ الجيب، وأَشْهَدُ أنها جاءت تمشى على آستحياءٍ[6] وليست كبنت شعيب؛ هــذا ولَم تشاهدْ وجهَ حســنائه، ولا عايَنَتْ سُكَينةَ[7] حسينِه وهند[7]

(١) يأرز: يأوى ويلجأ؛ وفى كلا الأصلين: «نارد»؛ وفى الطالع السعيد: «يأزر» وهو تصحيف فى جميعها.

(٢) تقترح: تستنبط أو أنها يبتدع من غير سبق مثال؛ وفى الطالع السعيد «تفترع» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

(٣) تنتمى: تنتسب؛ وفى الطالع السعيد: «وتنتهى» بالهاء؛ والمعنى يستقيم على كلا الوجهين.

(٤) أم عمارة: هى نسيبة بنت كعب إحدى نساء بنى مازن بن النجار؛ وكانت ممن شهدوا بيعة العقبة الثانية هى وأسماء بنت عمرو بن عدىّ أم منيع احدى نساء بنى سلمة؛ انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٥ ط بولاق والمراد وصف هذا الإيمان بأنه ثابت لا يقبل الشك لأنه عن مشاهدة وعيان كإيمان أم عمارة.

(٥) لم ترد هذه العبارة فى (ا) وقد أثبتناها عن (ب) وكتاب الطالع السعيد ص ٦٢ طبع الجمالية.

(٦) أشار بهــذه العبارة الى قوله تعــالى فى سورة القصص: «فجاءته إحداهما تمشى على استحياء» الآية انظر تفصيل هذه القصة فى كتب التفسير.

(٧) يريد السيدة سكينة بنت الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم؛ وكان قد تزوجها مصعب بن الزبير ثم مات عنها، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام؛ وآخر من تزوجها زيد ابن عمرو بن عثمان بن عفان؛ وكانت وفاتها سنة سبع عشرة ومائة (وفيات الأعيان). أما هند فهى بنت أسماء ابن خارجة وكان قد تزوجها الحجاج بن يوسف الثقفىّ بعد بشر بن مروان؛ وكانت سكينة وهند من أجمل نساء العرب وأظرفهن.

أسمائه ، ولا قابلتْ نيِّرَ فضلِه وبدرَ سمائه ؛ أقسم لقد كان يصرفها الوجل ، ويقيّدها الخجل ؛ عالمةً أنّ البحر لا يُساجَل ، والشمسَ لا تُماثَل ؛ والسيفَ لا يُخاشَن ، والبدرَ لا يحاسَن ؛ والأسدَ لا يُكْعَم[(١)] ، والطّودَ لا يُزْحَم ؛ والسحابَ لا يبارَى ، والسيلَ لا يُجارَى ؛ وأنَّى تبلغُ الفَلَكَ هامةُ المتطاوِل ، "وأين الثريّا مِن يدِ المتناوِل" ؛ تلك عوارفُ آستولت على المعالى آستيلاءَها على المعالم ، وشهِدَتْ لها الفضائل بالسيادة شهادةَ النبوّة بسيادة قيس بن عاصم[(٢)] ؛ ولا خفاءَ بواضح هذا الصواب ، عند مقابلة البداية بالجواب ؛

فالشمسُ أَوْضح مِن ضياء الأنجمِ * ما البيِّنُ الأعلَى كداجٍ مظلِمِ

يا مُثرِيا مِن كلِّ علمٍ نافعٍ * أيقاس مثرٍ فى العلوم بمعدمِ

أَوْكَفَتْ[(٣)] فضلَك فى رذاذ غمائمى * ما للرذاذ يدٌ بنَوْء المُرزِمِ[(٤)]

وانصبّ بحرُك فى ربيعِ[(٥)] خواطرى * ما للربيع وفَيْضَ بحرٍ أعظمِ

وسَللتَ سيفَ العلم أبيضَ مِخْذَما * كالبرق يلمع فى غمامٍ مُثْجِمِ[(٦)]

فلّلتَ حدَّىْ مِعضَدٍ[(٧)] فى راحتى * ما للكَهام وحدَّ أبيضَ مِخْذَمِ[(٨)]

---

(١) يكعم : يشد على فيه ، وهو من كعم البعير أى شدفاه عند هياجه لئلا يعض أو يأكل . أو هو من كعمه الخوف : اذا أمسك بفيه ، وهو على المثل .

(٢) أشار بهذه العبارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم فى قيس بن عاصم المنقرى : "هذا سيد أهل الوبر" (الأغانى) ج ١٢ ص ١٥١ طبع بولاق .

(٣) كذا ورد هذا الفعل فى كلا الأصلين بالألف ؛ والذى وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغة أنه يتعدى بنفسه لا بالهمز ، يقال : وكفت العين الدمع أى أسالته قاله اللحيانىّ . أما أوكف بالألف فلم نقف عليه إلا لازما يقال : أوكف البيت والسطح بالمطر ، أى هطل وقطر .

(٤) المرزم : من أرزم الرعد إذا اشتدّ صوته .

(٥) الربيع : النهر الصغير .

(٦) المثجم : السريع المطر ؛ وفى (أ) : «متحم» بتاء مثناة بعدها حاء فوقية ؛ وهو تصحيف .

(٧) المعضد : السيف الذى يمتهن فى قطع الشجر .

(٨) المخذم بكسر أوله من السيوف : القاطع .

يا سابقا جُهدى مصلِّى عفوِه (١) * ما للسُّكَيت (٢) يدٌ بعفو مطهِّم (٣)
بذّ السوابقَ فى العلوم وحازها * بالكسب منه والتراث الأعظمِ
العلم علمُ محمد وكفى به * وعلىٌّ البابُ المبلِّغ فاعلَمِ
ما كنتُ أوّلَ مُحجِمٍ عن موردٍ * عذُبتْ موارده لقَرْنٍ مُجحِمِ (٤)
سابقتُ سُبّاقا شَأَوْتُ (٥) بيانَهم * ببديع نثرٍ أو بليغ منظَّمِ
وسقيتُ بالكأس الكبيرة منهما * لما سقوا بالأصغر المتثلِّمِ
حتى اذا سابقتُه وهو (٦) ابنُ بحـ * ـر أو أبو بحرٍ إليه يَنتمِى
طارت فضائله إلى عليائها * بجناح فتخاء (٧) ونسرٍ قَشْعَمِ
وسما به العلم الأجلُّ محلّه * حتى توقَّل (٨) فى المحلّ الأعظمِ
١٠ ومشى حضارا (٩) فانثنيتُ مقصّرا * أتجول خيلى فى مَقَرّ الهَيثمِ (١٠)

(١) فى (أ) : « عهدى » بالعين المهملة ؛ وهو تحريف . والمصلى من الخيل ، الذى يجىء بعد السابق ؛ سمى بذلك لأن رأسه يلى صلا المتقدم . والصلا : منحدر الوركين .

(٢) السكيت : العاشر من خيل السباق .

(٣) المطهم : الحسن التام كل شىء منه على حدته ، فهو بارع الجمال .

١٥ (٤) القرن من القوم : سيدهم . والمحجم اسم فاعل من الإحجام وهو التقدم ؛ ويستعمل فى التأخر أيضا فهو من الأضداد ؛ ومثله الاجحام بتقديم الحاء، فانه يستعمل فى المعنيين أيضا . مستدرك التاج مادة (جحم) .

(٥) فى كلا الأصلين : «شادت» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به البيت ؛ وشأوت : علبت .

(٦) فى كلا الأصلين : «فهو» بالفاء . والسياق يقتضى الواو، فان الجملة بعدها فى موضع الحال .

(٧) الفتخاء العقاب اللينة الجناح لأنها اذا انحطت كسرت جناحيها وغمزتهما وذلك لا يكون إلا من
٢٠ اللين .

(٨) توقل ، أى صعد بتشديد العين ؛ وأصله من التوقل فى الجبل وهو التصعيد فيه .

(٩) الحضار : مصدر حاضرة ، أى سابقة فى العدو ، وهو هنا على الاستعارة يريد المسابقة فى التفضل والذى فى (أ) « خطارا » وهو تحريف ؛ وفى (ب) « مطارا » ؛ وهو وان صح حمله على أنه مصدر ميمى بمعنى الطيران الا أنه غير ملائم لقوله قبل : « ومشى » .

٢٥ (١٠) الهيثم : فرخ النسر .

لا عار إن عضلت بدائهُ فكرتى * بابن المقفع أو بنجـل الأهتم [1]

يا أعلمَ الفضـلاء لستُ مقاوِلا * فُصْحَى بناتِك [2] باللسان الأعجمِ

لو حاولَتْ فِكرى مساواةً لها * يوما لجاءت بالغـراب الأعصمِ [3]

أَقتصِرُ فللبيان فى بحر فضائله سَبْحٌ طويل، ولِلسعىِ فى غاياته مُعَرَّسٌ ومَقيل، ولِلحامد بُثَينة محاسنه صَبابةُ جميل، وإنّى وإن كنتُ كثيِّرَ عزّةِ ودِّه، إلا أنّى فى حلبة الفضل لستُ مِن فُرسان ذلك الرَّعيل؛ لا سيّما وقد وردتُ مَشرَع ألفاظه التى راقت معانيها، ورقّت حواشيها، وأدنَتْ ثمرات الفضل من يمين جانيها؛ فجاءت كالنسيم العليلِ، والشذا من نفحة الأصيل، والشرابِ الباردِ والظلِّ الظليل

طبعٌ تَدفَّق رقّةً وسلاسةً * كالماء عن متن الصفاة يسيلُ

كالمقلة الحسناءِ زان جفونَها * كَحَلٌ وأخرى زانها التكحيلُ

والروضة الغنـاء يَحسُن عَرْفُها * وتزاد حُسنا والنسيمُ عليلُ

والخاطرُ التقوِىُّ كَمَّل ذاته * عِلما وليس لكامل تكميلُ

والله تعالى يبقيه جامعا للعلوم جمع الراحة بنانَها، رافعا له رفع القناة سنانَها، حافظا له حفظ العقائد أديانَها، والقلوبِ إيمانَها

---

(١) نجل الأهتم، هو عمرو بن سنان بن سمىّ بن سنان بن خالد بن منقر؛ والأهتم هذا لقب لقب به أبوه لأن قيس بن عاصم المنقرى ضرب بقوسه فهتم فاه وقد وفد عمرو بن الأهتم هو والزبرقان بن بدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ان من البيان لسحرا » وبنو الأهتم: أهل بيت بلاغة فى الجاهلية والإسلام، وكان يقال: « الخطابة فى آل عمرو (زهر الآداب ج ١ ص ٥ و ٦ طبع الرحمانية .

(٢) أراد بداته، رسائله؛ وفى كلا الأصلين: «بيانك»؛ وهو غير مطابق لما قبله من الوصف .

(٣) الغراب الأعصم: الذى فى جناحيه ريشة بيضاء ويقال هذا للشئ الذى يعز وجوده .

ليُضحِى نديمـا للمعـالى كأنه * نديمـا صفـاءٍ مالكٌ وعَقيــلُ[1]

و يصبح ظلُّ الفضل من فَىْءِ ظلّه * على كَنَف الإســلام وهو ظليلُ

و ينشأ أبنـاءُ العــلوم وكلُّهـم * بحسنائه فى العاشقِين جميــلُ

دَلالته فى الفضل من ذات نفسِه * وليس على شمس النهـار دليــلُ

٥ وكتب — رحمه الله تعـالى — رسالةً الى الصاحب شرف الدين الفـائزىِّ[2] عنــد ما و رد عليه كتابٌ يذكر أن رسول الخليفة وصَل يلتمس إجابةَ المَـلِك المعزِّ[3] أوّلِ ملوك الترك إلى صلح المَلِك الناصِر صلاح الدين يوسف[4] — وقد كان النــاس يذكرون أن الملك الناصر يريد أن يَهجُم بعساكره على الديار المصرية، وأنه لا يجيب إلى الصلح، [فلما][5] جاء الرسول بذلك ظهر للناس خلافُ ما ظنّوه — :

١٠ (١) مالك وعقيل، هما نديما جذيمة الأبرش . وكان يضرب بهما المثل فى طول الاجتماع ؛ وهما اللذان عناهما متمم بن نويرة بقوله فى رثاء أخيه مالك :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

زهر الآداب (ج ٣ ص ١٦٠) طبع الرحمانية .

(٢) شرف الدين الفائزى، هو هبة الله بن صاعد وزير الملك المعز، ووزير ابنه الملك المنصور ١٥ بعده؛ والفائزى نسبة الى الملك الفائز ابراهيم بن العادل لأنه كان فى خدمه أولا، وكان فى صباه نصرانيا ثم أسلم؛ مسالك الأبصار ج ٧ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ وذكر ابن إياس فى كتابه ج ١ ص ٩٣ أن الأمير سيف الدين قطز المعزى نائب السلطنة بالديار المصرية فى عهد الملك المنصور ابن الملك المعز قد قبض على الشيخ شرف الدين هذا وصادر أمواله وصلبه على باب القلعة وولى مكانه فى الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير .

٢٠ (٣) هو عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحى، تولى السلطنة بالديار المصرية فى سنة ثمان وأربعين وستمائة، ولقب بالمعز؛ وقتل فى سنة خمس وخمسين وستمائة انظر تاريخ أبى الفدا (ج ٣ ص ١٩١ و ٢٠٠) طبع الأستانة .

(٤) هو الملك الناصر يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ وقد قتله هولاكو ملك التتر فى سنة تسع وخمسين وستمائة، ٢٥ انظر تفصيل ذلك فى تاريخ أبى الفدا (ج ٣ ص ٢٢٠، ٢٢١) طبع القسطنطينية .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من (أ)؛ والسياق يقتضى إثباتها

(١٣٣)

لِأمرِك أمرُ الله بالنجح عاضـدُ * فَصُلْ آمِرا فالدهر سيفٌ وساعدُ
وقُلْ ما ٱقتضت عليـاك فالعزّ قائمٌ * بأمرِك والمجـد المؤثَّل (١) قاعدُ
وَنَمْ وادعا فالجَـدُّ يقظـانُ حارس * لمجـدك والعـادى لبأسـك راقدُ
فما تُـبرِم الأيّامُ ما ٱلله ناقض * ولا تنقض الأيّامُ ما ٱلله عاقـدُ
وقد بَرزتْ بكر المكارم والعـلا * وفى جيدها من راحتيك قلائدُ ٥
تحَفّت بها الأملاكُ وهى مواهب * وسارت بها الرّكبان وهى محامدُ
وزُفّتْ لها النعماءُ وهى مصادر * رفعنا لها الأمداح (٢) وهى مواردُ
فنـثّرها الإحسانُ وهى لآلئ * ونظّمها الإفضالُ وهى فرائـدُ
فلا زلتَ محروس العلا ياابن صاعدٍ * وجَـدُّك فى أفق السيادة صاعدُ
تُسَـرّ بك الدنيـا ويَبتهجُ الورى * وتُستوكَف النُّعمى وتُحوَى المقاصدُ ١٠

وَرَد كتابٌ كريم ، ونبأٌ عظيم؛ لم تُجـرِ بَنبوعَه جياد الأقلام ، ولَم تجُـدْ بنوئه عهاد الأيام ، ولم تَظفَر بمثله أعياد الإسـلام ؛ فتُلِيَ على عذبات (٣) المنـابر، وجُلِيَ على آماق الأبصار وأحداق البصائر، وكانت بشراه البِكرَ العَوانَ (٤) ، لِما ٱبتَدَأتْ (٥) به من البشارة

---

(١) فى (أ) : «الموشك» ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا فى كلا الأصلين . ولم نقف على هذا الجمع للدح فيا بين أيدينا من كتب اللغة ؛ كما أن الذى يستفاد من كتب الصرف عند الكلام على « أفعال » أن هـذه الصيغة لا تطرد جمعا «لفعل» بفتح أوله وسكون ثانيه اذا كان صحيح الفاء والعين . ١٥

(٣) المراد بعذبات المنابر، أعاليها ؛ والعذبة بفتح العين والذال من كل شىء : طرفه .

(٤) العوان : النصف فى سنها من النساء وغيرهن ؛ وفى كلا الأصلين : « القران » وهو تحريف لا يظهر له معنى . ٢٠

(٥) فى كلا الأصلين : «ابتدلت» وهو تحريف . أراد بهذه العبارة أنها بكر لانها لم تسبق بمثلها ؛ وعوان، لانها تلد البشائر .

ولِمَا تَلِدُه من البشائر، وطليعةَ المَسارّ التى واجهَت الآمالَ ووجهُ السعد سافر، ومقدّمةَ الأمن التى لا يُسَرّبها إلا مؤمن ولا يساء بها إلّا كافر، وتحيةَ الله التى أحيت قلوب العباد، ومنّةَ[1] الله التى سكنتْ لها السيوفُ فى الأغماد، ونعمةَ الله التى عمّتْ كلّ حاضر وباد، ورحمةَ الله التى رحم بها هـذه الأمّةَ وما زال بالمؤمنين رحيما، وفضْلَ الله على هـذه الملّة[2] وكان فضل الله عليها عظيما، وسعادةً سارت بها الأيام الى المقام المعزىّ بين الخَبَب والتقريب، ومَركَبَ عزّ قدّمتْه عناية الله تقدمةَ الجَنيب، وكتابًا عنايتُه[3] هـذا عطاء الله، وعُنوانُه «نَصْرٌ مِنَ ٱللّٰهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ»، وسَلْمٌ[4] جلّل وجه الإِسلام بُرْدَ لباسه القشيب، وسلامةٌ جنتْ يمين الإيمان ثمرَ غصنها الرطيب، وعزٌّ ألبس المُلْكَ حِلَعَ شبابه بعد ما خَلَع غبارُ الوقائع [عليه][5] رداءَ المَشيب، وشمسُ سعادةٍ منذ طلعَتْ فى أفقها لَم تَجنح للغيب، ولطفٌ خفىٌّ قعد له كلّ حمدٍ وقام به كلُّ خطيب، ومملكة تَسمعُها الأيّامُ: قِفا نَضحكْ بمَسارّ الإنعام لا قِفا نَبكِ من ذكرى حبيب، وغنيمة باردة حازتها يدُ المُلك ولسانُ السنان غيرُ ناطق وكفُّ السيف غيرُ خضيب

بتسديد[6] رأيٍ لو رأته أميّةٌ * لمَا آحتفَلتْ[7] يوما بقتل شَبِيب[8]

(١) فى كلا الأصلين: «وأمنية»؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٢) كذا فى (ب)؛ والذى فى (أ) «الأمة» وهو وإن صح به المعنى إلا أن فيه تكرارا مع ما سبق فى الجملة التى قبلها.   (٣) عنايته: أى مقصده.   (٤) سلم بالرفع معطوف على قوله: «نصر».

(٥) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين؛ والسياق يقتضى إثباتها.

(٦) فى كلا الأصلين: «بتشييد»؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على معنى له يناسب السياق؛ ولعل صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الوزن والمعنى.

(٧) فى كلا الأصلين: «احتلفت»؛ وهو تحريف.

(٨) شبيب: هو أبو الضحاك شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى الخارجى؛ وكان خروجه فى زمن الحجاج مع صالح بن مسرح من بنى امرئ القيس؛ وقد بايعته الخوارج بعد قتل صالح؛ وكان يلقب بأمير المؤمنين وكان موته غرقا فى نهر دجيل، وهو دجيل الأهواز لا دجيل بغداد فى سنة ١٧٧ أو ٧٨ على اختلاف فى الرواية؛ وكانت ولادته فى سنة ٢٥ أو ٢٦ انظر كتاب ملخص تاريخ الخوارج وغيره من كتب التاريخ.

الى غير ذلك من فكرةٍ صاحبيّةٍ شَرَفيّةٍ سَكَن المُلْكُ تحت ظلالها ونام ، وقعد بأمرها وقام ؛ وتحرّكَتْ لها العزائم ، وسكنَتْ لهـا الصوارم ، وآستُنزِلت العُصْم وذُعِرَتْ العواصم ، بِهِمَمٍ إذا سمَتْ سامت آلسماء وإذا هَمَّتْ أَهمت آلغمائم ، وعزٍّ تحت ظل ظلاله الشرفُ مقيم و فى خدمته المجدُ قائم ، وعزمٍ آستيقظ له جفن النصر والسيفُ فى جفنه نائم ، وسيفٍ حرم على عاتق المُلك منه نِجادٌ وفى يد جبّار السموات منه قائم ؛ وآراءٍ آستفتح عقائلها فأَنجبتْ[1] ، ورَمى غرض إصابتها فأَكثبَتْ ، (أى أصابت)[2] وأَعمَل رائدَها فاستيقظت له آلهمم والأنام نيام ، وجلس فى صدور رِياستها والعالمون قيام ، وتدبير أُحكِم بإبرام النقض ونقضِ الإبرام ، وذُعِر به رابِضُ الأُسد وأُنِّس به نافرُ الآرام ؛ وأجال به خيله فى مَسارِى الأرقم ، ومَقَرِّ الهَيثم ، وأمضاه فى مَضايق خطْبِــه فأغناه عن سنّ السِّنان وشفةِ اللَّهذم ؛ هذا ولمـا[3] صَدقتْ عزائمُ المملكة التى نظم الله قلادة مُلكِها فليس لهـا انتثار ، ولمعَتْ كواكب أَسَلِها[4] فى ليـل الرَّهَج وسمـاءِ الغبار ، و بَنَتْ حوافر خيلِها سورا من متراكم النَّقع المُثار ، وحصَّنَتْها يد الله بمـا أظهرَتْه مِن

(١) فى كلا الأصلين : «وأنجبت» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السجع الذى التزمه الكاتب فى جميع رسالته .

(٢) الذى وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغــة أن الإكثاب هو المقاربة والمداناة ، وهو من الكثب بالتحريك بمعنى القرب فلعل تفسيره هنا بالإصابة منظور فيه الى مراد الكاتب .

(٣) لم يرد فى هذه الرسالة كلها ما يصح جعله جوابا (لمّا) هذه ، والظاهر أن بعض عباراتها قد سقط من الأصل ؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من المظان .

(٤) الأســل : الرماح ؛ وإنمـا سميت الرماح أســلا تشبيها لها بالأسل ، وهو نبات من الأعلاث يخرج قصبانا دقاقا ليس لها ورق ولا شوك الا أن أطرافها محدّده وليس لهـا شعب ولا خشب ؛ وشبهت الرماح به فى طوله واعتداله واستوائه ودقة أطرافه .

كامنِ الغيب وأَخفته[١] مِن طلائع الأقدار، وحضَنَتْها[٢] رعاية الله وله مِن القدر أعوانٌ ومِن الملائكة أنصار

فعمّت عمومَ اللّيلِ واللّيـــلُ مظلمٌ * وجاءت مجيءَ الصبحِ والصبحُ مُشرِقُ

ومدّت غمــاما من سنابك خيلها * بسَـــلِّ المَواضى المَشرَفيّات يَبرُقُ

فى كتائبَ إذا سارت ســوابقُها ملأَتْ عَرْضَ الغــبراء، وإذا نُشِرَتْ خوافقها سترَتْ وجهَ الخضراء، وكادت تُذْعَر الآسادُ بمَواضى حتوفِها، وتسكن المنايا تحت ظلال ســيوفِها، لاسيما إذا أنجمَتْ[٣] أنجُمُ عواليها، ولمعَتْ بروقُ مَواضيهــا، وجاءت خيلُها كالصخر الأصمِّ والطود الأشمِّ أعجازُها وهَواديها، من كلِّ كُمَيْتٍ[٤] حلوٍ فى الإزار، بين الشُّقرة والآحمرار، كأنه وَرْدِيّةُ العُقار

يُحِسّ وقـــعَ الرزايا وهى نازلةٌ * فيُنهِب الجرىَ نفْسَ الحادثِ المَكِرِ[٥]

وكلِّ أشقرَ[٦] كأنمــا قُدَّ أديمُهُ مِــن لهبِ النار، مُعارٍ رداءَ الحُسن، وأَحَقُّ الخيلِ

---

(١) فى (أ) «وألحقته»؛ وهو تحريف.

(٢) فى كلا الأصلين: «وحصنته» بالصاد؛ وهو مكرر مع ما قبله فى أول الجملة السابقة. وحضنتها بالضاد المعجمة: أى حفظتها وكفلتها وهو مستعار من حضانة المرأة للصبى، أى تربيته وحفظه.

(٣) أنجمت: ظهرت.

(٤) قال ابن الأعرابى: الكمتة كمتتان: كمتة صدأة، وكمتة حمرة؛ والكميت من الخيل يستوى فيه المذكر والمؤنث، ولونه الكمتة، وهى حمرة يدخلها قنوء. وقال سيبويه: سألت الخليل عن كميت، فقال: هو بمنزلة جميل (بضم الجيم)؛ وقال: إنما هى حمرة يخالطها سواد ولم تخلص، وإنما حقروها لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما فيقال: أسود أو أحمر، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب.

(٥) البيت لأبى العلاء المعرى انظر سقط الزند.

(٦) الأشقر من الدواب: الأحمر فى مغرة حمرة صافية يحمرّ منها السبيب والمعرفة والناصية. وأما فى الإنسان: فهى الحمرة تعلو بياضا.

بالركض المُعار، لا تعلَّق به المَذاكِى يوم رِهان ولا تَشُقّ له الحوادثُ وجهَ غبار[1][2] كأنما لبس ثوبا من خالص النُّضار

عِتاق لو جرت والريحَ شأوا * لفاتتــه وأَوثَقَــه إسارُ[3]

غَدت ولهـا حُجول من لُجَينٍ * وراحت وهى من عَلَقٍ نُضارُ

وكلّ أدهمَ كريمِ النِّجار، غذىِّ اللَّبانِ الغِزار[4]، كأنما فُصِّلتْ ثيابه من سواد الليل وصِيغَتْ حُجولُه من بياض النهار

بأغَرَّ يبتسم الصباح بوجهه * حُسنا ويَسفِر عن مُحيًّا مُسفرِ

خَلَع الظلامُ عليه فضلَ ردائه * وثنَى من التحجيل ثوبَ مقصِّرِ

وكلّ أشهبَ أُفرِغ فى قالَب الكمال، وَجِيهِىّ الأب أعوجِىّ الخال[5]، إن مشى ضاق بزهوِه فَسيحُ المجال، وإن سعى رأيتَ البرقَ ملجَما بالثريّا مسرَجا بالهلال، كأنما آنتعَل خدَّ الجنوب وآشتمل بثوب الشَّمال[6]

---

(١) المعار: «المسمن» بتشديد الميم المفتوحة، يقال: أعرت الفرس: أى أسمنته. أشار بهذه العبارة الى قول الشاعر:

أعيروا خيلكم ثم اركضوها * أحق الخيل بالركض المعار

(٢) المذاكى من الخيل: التى تم سنها وكملت قوتها.

(٣) أراد بالريح هنا معنى الهواء، فأعاد عليها ضمير المذكر مع أن التأنيث هو الأكثر فيها؛ وانما آثر التذكير دفعا للالتباس، فانه لو أنث الهاء لم يعلم مرجعها أهو العتاق، أم الريح.

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى كلا الأصلين؛ والذى وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغة أن جمع اللبن ألبان، كسبب وأسباب؛ فلعل المراد باللبان هنا: ذوات اللبن، وواحده لبون (اللسان نقلا عن المحكم).

(٥) الوجيهى: نسبة الى الوجيه، وهو اسم فرس من خيل العرب نجيب تنسب اليه كرام الخيل وكان لغنى بن أعصر. والأعوجى: نسبة الى أعوج، وهو اسم فرس سابق ركب صغيرا فاعوجت قوائمه، واليه تنسب كرام الخيل أيضا فيقال: الأعوجيات وبنات أعوج؛ وكان هذا الفرس لهلال بن عامر.

(٦) هذه الباء ساقطة من كلا الأصلين؛ واللغة تقتضى إثباتها.

مِن الجياد التى لَم تَبْـدُ فى رَهَجٍ * إلّا أَرتْكَ بياضَ الصبح فى غَسَقِ
ولا جرَين مع النَّكْباء[(١)] فى طَـلَقٍ[(١)] * إلّا ٱحتَقَرتَ ٱلتماعَ البرق فى الأفقِ

وكلّ مطهَّم إن رَكض قَلِق السماطُ لرَكضِه ، وخِلت بعضَه منفصلا عن بعضه و إن مشى رأيتَ الطودَ فى سمائه والرياحَ فى أرضه ؛ و إن خطا ظننتَه يَرْتَع فى روض المَجَرّة ويَكرَع فى حوض الغمام ، وخلتَه ٱلأشَمَّ مِن ٱبنَىْ شَمام[(٢)] ، همُّه جهة الأمام وصوتُه حركةُ اللجام ، كأنه قطعةٌ من سماءٍ أو ظُلّةٌ من غمام

جرى[(٣)] والريحَ فى طَلَقَ رِهانٍ * فقامت دونه ومضى أَماما
وَمدّ من السنابِكِ ثوبَ غَيم * ولَم أرَ قَبلها ثوبا غماما

عليها كُلّ كَميّ لابَس الحربَ ولابسَته[(٤)] ، ومارسها ومارسَتْه ؛ وكَتبَتْ عليه المواضى فى صدره كتابا أعجَمتْه أطرافُ الأَسَل ، وجَنَى ثَمر الحديدِ أحلى عنده من العسل وسار إلى مهج الأبطال كسيف القضاء وحثِّ[(٥)] الأجل ؛ له حُنكَةُ الأَشيَب ونجدةُ الغلام ، وصنعةُ الضرب الفَـذّ والطعنِ التُّؤام ، والفتكاتُ التى تُطلِع صبحَ الصوارم

---

(١) النكباء : ريح انحرفت و وقعت بين ريحين ، أو بين الصبا والشمال . والطلق بفتحتين : الشوط الواحد فى جرى الخيل .

(٢) شمام : اسم جبل لباهلة ، كما فى ياقوت . وقال ابن برى : هو جبل بالعالية ، وهـذا الجبل له رأسان ، يقال لهما : ابنا شمام قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما * على الأحداث إلا ٱبنى شمام

(٣) فى كلا الأصلين : « فجرى » ؛ والفاء زيادة من الناسخ .

(٤) الى هنا انتهت النسخة المشار اليها بحرف (ب) .

(٥) الحث : الإعجال ، و إضافته إلى الأجل من إضافة المصدر الى مفعوله . أو لعله : « وحتم » بفتح الحاء وسكون التاء .

فى ليـل القَتام ، والفَعَلاتُ التى لهـا فَتكاتُ الأوْرق[1] فى النَّقـد وصَولاتُ الأسد فى السَّوام

يمشى الى الموت عالى الكعب معتقِلا * أَظمَى[2] الكعوب كمشى الكاعبِ الفُضُلِ[3]

يُحسِنُ[4] فى بحار الدروع سَبحَ الفوارس ، بين بدور اليَلَب[5] ونجومِ القَوانس[6] ، من كلِّ سابغة لا تصل إليها ألسنةُ الحداد ، كأنها أثواب الأراقم خِيطت بأعين الجراد ، كفيلة بحماية الأنُفُس وصيانةِ المَهج ، تُنير مسالكَ لا بِسِها فى دياجى الرَّهَج ، إنما هى البحر ولا حرج[7]

اذا ما مشَوا فى السابغات حسِبتَهم * سيولا وقـد سالت بهنّ الأباطحُ

وكلِّ أبيضَ هندىٍّ تألّفتْ من الماءِ أبعاضُه ، البَرَدُ جسمُه والبرْقُ إيماضُه ، المَفارقُ مغاربُه والأجفانُ مَطالعُه ، والأنفُس مواردُه والمنايا منابعُـه ، لو أَثمَر لأنبت رءوسا ولو تفجّر لسال نفوسا ، ولو تكشَّف صافى حديده لرأيتَ فيه عُبوسا

(١٣٥)

(١) فى الأصل : «الأوراق» ؛ والألف زيادة من الناسخ . والمراد بالأورق هنا : الذئب ، فان لونه الورقة ، و يقال للذئبة : الورقاء ؛ قال فى اللسان مادة (ورق) ما نصه : وكذلك شبهت العرب لون الذئب بلون دخان الرمث ، لان الذئب أورق قال رؤبة :

فلا تكونى يا ابنة الأشم * ورقاء دمى ذئبها المدمى

اهـ والنقد بفتحتين : صغار الغنم ، واحدته نقدة .

(٢) الأظمى من الرماح : الأسمر ؛ وهو من المعتل اللام ، وليس من المهموز .

(٣) الفضل بضمتين : المختالة التى تفصل من ذيلها ، كما فى اللسان مادة (فضل) .

(٤) فى الأصل : «تحت» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٥) اليلب محركة : الترسة ، أو هى جلود يخرز بعضها الى بعض تلبس على الرءوس خاصة .

(٦) القوانس : جمع قونس ، وهى أعلى بيضة الحديد .

(٧) أشار بهذه العبارة الى قولهم : "حدث عن البحر ولا حرج" والمراد أنه لا لوم على من يطيل فى وصف هذه الدروع مهما توسع فى ذلك ، لشبهها بالبحر فى بريقها واطراد متنها .

سَلِيلُ النار[(1)] دَقّ ورَقّ حتى * كأنّ أباه أَورَثه السُّلالا
ودَبّت فوقه حمــرُ المنايا * ولكن بعد ما مُسِخَتْ نِمالا

وكل أَسمَرَ اذا انتحى فهو صاحٍ واذا انثنى فهو نشوان ، واذا ورد دمَ القلب فهو ظمآنُ القناةِ ريّانُ السنان ، اذا خطب النواصىَ وَخَط[(2)] ، واذا كَتبت المواضى نَقَط ؛
٥ واذا قَصُرت يدُ القِرْنِ طال ، واذا صَلِيَتْ نارَ الحرب العوالى صال

تَوَهّــم كلَّ سابغةٍ غديرا * فرنَّق[(3)] يشرب الحَلَق الدِّخالا[(4)]

وكلِّ صــفراءَ رَقشاءِ[(5)] الأديم ، كأنها أَرقَمُ الصَّريم[(6)] ؛ لها فَلَكٌ بالرزيّة دائر ، وسهمٌ بالمنيّة طائر ، إن رَكِب فهو مقيم وإن نزل فهو سائر ؛ مع عزائمَ بَنَتْ[(7)] على الدولة سورا ، وجَعلَتْ بينها وبين الذين لا يؤمنون بالدولة المعزّيّة حجابا مستورا ؛ على أنها
١٠ غنيمةٌ لَم تحتج إلى الإيجاف والإيضاع ، وطَلِبَةٌ ألفاها على طرف الثمام[(8)] وحبلِ الذراع[(8)] ؛ وعنايةٌ جاءت على اختيار المراد ومرادِ الاختيار ، ونعمةٌ كَرّتْ هى والتوفيق فى قَرَنٍ

---

(١) "سليل النار" يريد أن هذا السيف قد ولدته النار لأنه أخرج بها من معدنه ؛ وطبع سيفا بواسطتها والشعر لأبى العلاء المعرى انظر شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٧ ، ٢٨ طبع بولاق .

(٢) وخط : طعن طعنا نافذا ؛ وبابه وعد .

١٥ (٣) قال فى شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٩ طبع بولاق فى تفسير هذه الكلمة : رنق الطائر : اذا حام حول الماء ليشرب اهـ والبيت لأبى العلاء المعرى .

(٤) الدخال : المتداخل بعضه فى بعض انظر شرح التنوير على سقط الزند . والذى فى الأصل : «الحلق الدحالا» ؛ وهو تصحيف .

(٥) الرقشاء : المنقوشة ؛ يريد القوس .

٢٠ (٦) الصريم : القطعة من معظم الرمل .

(٧) فى الأصل : «عليها» ؛ والسياق يقتضى حذف الهاء .

(٨) يقال : هوله على طرف الثمام : إذا كان هين المتناول ، كما يقال : هو على حبل الذراع : إذا كان ممكنا مستطاعا .

وجَرَتْ والسعادةَ فى مضمار، ومنحةٌ رَكَضتْ بها الى المقام المعزّىّ سوابقُ الأقـدار ومعنًى خفىٌّ من نعم الله لم تَلِجه عقائل الأفكار ؛ واذا سبَقت عناية الله فليس لأمر حتمه الله رافع ، واذا لحظَتْ السـعادة آمرأ وقفَتْ دونه آمال المطالب وتقطّعَتْ خلفه أعناق المطامع ، وآستولت يمينه (١) على آفاق سمـاء الشرف فلها قمراها والنجوم الطوالع ، وهذه مواهبُ لا تدركها دقائقُ ٱلأَسْطُرْلاب (٢) ولا دَرَج الشمس ولا رَصَدُ الطـــوالع

لعمرك ماتدرى الضَّواربُ بالحصا * ولا زاجراتُ الطـيرِ ما ٱلله صـانعُ .

ويُنهِى (٣) أنّ حاملها مَن عَقدَتْ عليـه الملوك خناصرَها، وآختَصَّ منها بالصحبة ناصرَها؛ وله فضـلٌ لا يذاد عن مَنهل العلم سَوامُه، ولا تُجهَل فى مسالك الشرف

---

(١) فى الاصل : «يمين» ؛ وهوغير مستقيم ، والصواب ماأثبتنا ، فانه يشير بهذه العبارة إلى قول جرير :

أحلدنا بآفاق السماء عليكمو * لنا قمراها والنجوم الطوالع

(٢) الأسطرلاب بفتح الهمزة وضم الطاء : ميزان الشمس ، وبه يعرف مقـدار الساعات وأخذ الأرصاد ومطالع الكواكب .

(٣) الظاهر أن هـذا الكلام من قوله : «وينهى» إلى قوله فيما سـيأتى : «من أفقها صبحا» ، ليس من تتمـة الرسالة السابقة ؛ وانمـا هو بعض رسالة أخرى سقط أولها من الأصل الذى بين أيدينا ؛ ويدل على ذلك أمران : أحدهما ، أن المكتوب اليه بالرسالة السابقة هو الصاحب شرف الدين الفائزى وزير الملك المعز كما تقدم ، أما هذه الرسالة ففيها ما يدل على أن المكتوب اليه غير الصاحب شرف الدين ، فانه يقول فيها : «وقد صـير الجناب الزينىّ لما يحاوله» الخ ولم يقـل : الجناب الصاحبىّ أو الشرفىّ أو الفائزى نسبة الى أحد ألقاب شرف الدين ؛ والظاهر ان الزينىّ نسبة الى زين الدين يعقوب بن الزبير وزير الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز أيبك التركمانى ؛ وزين الدين هذا قد تولى الوزارة للملك المنصور بعد الصاحب شرف الدين الفائزىّ كما تقـدّم بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٦٣ من هذا الجزء نقلا عن ابن إياس . الأمر الثانى ، اختلاف الغرض فى كلتا الرسالتين فانه فى الرسالة الأولى يهنئ الصاحب شرف الدين بالصلح بين الملك الناصر والملك المعز؛ وفى الرسالة الثانية يوصى بخير لإنسان .

أعلامُه؛ وله نفسٌ سَمَت حتى أَخذَتْ سماء السيادة بيمينها، وهمّةٌ اذا رأيتَ ذاتها الكريمة توسّمتَ الرِّياسةَ فى جبينها، وأبوةٌ لا تَتَّجِر من المعالى إلّا فى ثمينها؛ وقد أكَلَتْه السنة بل السنوات، وترادفت عليه الملمّات بل المؤلمات؛ وقد صيَّر الجناب الزينىّ لما يحاوله ذَرِيعه، ووَرَد المنهَل الرَّحْبَ وإنه لعذبُ الشريعه، وقد أصاب به مولانا طريقَ المَصنع فألبَسَه ثياب الصنيعه؛ ومولانا أَولى مَن أَولاه شرَف جلاله ونظر اليه بعينٍ كريمةٍ يقابِل بها ما يقابِله من كَرم خلالِه؛ فالإبريزُ قد يَشتبِه إلّا على نُقّادِه، والغيثُ قد يُخْلِف إلا على رُوّادِه[(1)]، والماء قد يأجَن إلا على وُرّاده؛ وسيّدنا مصعبىُّ الهمِ وهذا ٱبن قيس رقيّاته[(2)]، ومهلبىُّ الشِّيم وهذا حبيب أبنائه[(3)]، وواثقىُّ الإحسان وهذا فى الجلالة ٱبنُ [أبى] دُوادِه[(4)] وفى الأدب ٱبنُ زيّاته[(5)]؛ فليضعْه حيث

(١) كذا فى الأصل؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أنهم عدوا الإخلاف مرادا به الإمحال وقلة المطر بهذا الحرف؛ ولعله ضمّن قوله: «يخلف» معنى «يبخل» مسوغ له هذا التضمين ذكر «على».

(٢) يريد عبيد الله بن قيس الرقيات، وهو شاعر من بنى عامر بن لؤى؛ وذكر ابن سلام فى كتاب طبقات الشعراء (ص ١٣٧ طبع ليدن) أنه نسب الى الرقيات لأن جدات له تواليى يسمين رقية. وفى الأغانى (ج ٤ ص ١٥٥ طبع مطبعة بولاق): أنه لقب بالرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة سمين جميعا رقية: منهن رقية بنت عبد الواحد، وابنة عم لها يقال لها: رقية، وامرأة من بنى أمية يقال لها: رقية. وكان عبيد الله منقطعا الى آل الزبير، فمدح مصعبا، وهجا عبد الملك؛ وهو القائل:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء*

(٣) فى الأصل: «أبياته»؛ وهو تصحيف، لأن الذى وقفنا عليه فى كتب التراجم أن حبيبا هذا من أبناء المهلب لا من شعرائه الذين مدحوه.

(٤) ابن أبى دواد: هو القاضى أبو عبد الله أحمد بن أبى دواد الإيادى؛ وكان أصله من قرية بقنسرين واتجر أبوه الى الشام، وأخرجه معه وهو حدث، فنشأ أحمد فى طلب العلم، وخاصة الفقه والكلام حتى بلغ ما بلغ؛ قال أبو العيناء: ما رأيت رئيسا قط أفصح ولا أنطق من ابن أبى دواد؛ وتولى القضاء فى زمن المعتصم والواثق الى أن أصيب بالفالج فى زمن المتوكل؛ وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين اهـ ملخصا من وفيات الأعيان.

(٥) ابن الزيات: هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات؛ وكان من أهل الأدب والفضل، عالما بالنحو واللغة كاتبا شاعرا؛ وقد استوزره المعتصم ثامن خلفاء بنى العباس، وأقره ابنه الواثق هارون على ما كان عليه فى أيام أبيه المعتصم بعد أن كان متسخطا عليه؛ ولما قام المتوكل بالأمر قبض على ابن الزيات، واستصفى أمواله، وحبسه فى التنور حتى مات فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين اهـ ملخصا من وفيات الأعيان. والذى فى الأصل: «ابن زياده» بالدال؛ وهو تحريف.

وضعَتْه السيادة صدرا، وليُطالعه كما أطلعَتْه الفضائل بدرا؛ وليَصرِف اليه عنايةً تَعلَق بها الحمدُ عَلاقة غَيلانَ[١] بمَيّه، والحَكَمِ[٢] بأميّه؛ وهو يعلم — أدام الله أيامه — أن المناصبَ عرائس، والصنائع قلائدُها، والولايات مَآدب، والمكارم موائدُها، والليالى — كما علمت — حَبالَى، والسيئات والحسنات ولائدُها؛ وخيرُ مَن لَبِس ثوبَ نعمة كاهلُ هذا الإمام، وإن الحسنة اليه لأشرفُ مواهب الأيام، فاْغتنمْها فإنّها غاية الاْغتنام؛ وأعيذ مولانا بالله أن يَجعل نظَره إليه لمحا، أو يَضرب عنه الذكر صفحا، أو يكون مولانا روضةً ثم لا يجِدُ هذا الصدرُ منها نفحا، ومَطلَعَ آفاق الشرف ثم لا يَستوضِح هذا الملتمِسُ من أفقها صبحا .

ومثل صدر هذه الرسالة لبعض الكتّاب المتقدّمين[٣] :



الحمد لله مقلّب القلوب، وعالِم الغيوب؛ الجاعلِ بعد عسرٍ يسرا، وبعد عداوةٍ ودّا، وبعد تحارب اْجتماعا، وبعد تباينٍ اْقترابا؛ رأفةً منه بعباده ولطفا، وتحنّنا عليهم وعطفا؛ لئلا يَستتِمّهم[٤] التتايُع، فى التدابر والتقاطُع؛ وليكونوا بَررةً إخوانا، وعلى الحقّ أعوانا، لا يتنكّبون منهجا، ولا يركبون من الشبهة ثَبَجا؛ بغير دليلٍ يهديهم

(١) غيلان : هو أبو الحارث غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة، وهو المعروف بذى الرمة؛ وكان من فحول الشعراء، وهو أحد عشاق العرب المشهورين، وصاحبته مية بنت مقاتل ابن طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى، وكان كثير التشبيب بها فى شعره، وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة اهـ ملخصا من وفيات الأعيان ترجمة ذى الرمة .

(٢) يريد الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو والد مروان ثالث خلفاء بنى أمية .

(٣) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل؛ ولم يرد فيما سبق صدر رسالة تصح المماثلة بينه وبين ما أورده هنا لبعض الكتّاب المتقدمين . ولعله قد سقط من الأصل الذى بين أيدينا .

(٤) فى الأصل : «يستتم بهم» والباء زيادة من الناسخ اذ لم نجدفيما لدينا من كتب اللغة أن هذا الفعل يتعدى بالحرف والتتايع بالياء المثناة : التهافت؛ أو هو اللجاجة . ويريد بقوله : «لئلا يستتمهم» الخ أن اللجاجة فى الخصومة تستأصلهم بتمامهم ولا تبقى على أحد منهم .

قصد المسالك، ولا مرشد يذودهم عن دَرْك المهالك؛ أحمده على نعمه التى لا يحصى الواصفون إحصاءها، ومننه آلتى لا تحمل آلخلقُ أعباءها؛ حمدا يتجدّد على ممرّ الأزمان والدهور، ويزيد على فَناء الأحقاب والعصور؛ وإنّ أحقّ ما آستعمله العاملون ولَحِق به التالون، وآثره آلمؤمنون، وتَعاطَى بينهم المسلمون؛ فيما ساء وسَرّ، ونفع وضَرّ؛ ما أصبح به الشَّمْل ملتئما، والأمرُ منتظما، والفتقُ مرتتقا؛ والسيفُ مغمودا ورواقُ الأمن ممدودا؛ حُقِنَتْ به الدماء، وسكَنَتْ معه الدهماء، وآنقَمَع به[1] الأعداء؛ واتصل به السرور، وأُمِنَتْ معه الشرور؛ وليس بذلك أَولى، والى إحراز الثواب به أدنى من الصلح الذى أمر الله تبارك وتعالى به، وخَصّ وعَمّ ورغّب[2].

ولنعد الى كلام الشيخ ضياء الدين بن القرطبي

فمن ذلك ما كتب به أيضا الى الصاحب شرف الدين الفائزىّ جوابا عن كتاب شفاعة يوصى على أخيه نجم الدين، فأجابه الشيخ: يخدُم الجنابَ الشرفىّ — رفع الله قدره بين أوليائه، وأطاب ذكره فى مقام عليائه؛ وأطال عمره مقترنا بعزّه، وأقرّه فى كنف سلامته وكهف حرزه — وردَتْ الأوامر المطاعه، المقابَلةُ بالسمع والطاعه؛ فى حق أخى المملوك مولانا نجمِ الدين، فتَلقّى راية طاعتها بيمينه، وأَقرّها من تعظيمه فى أسرّة جبينه، وأَحَلّها من شرف الآمتثال فى مستودَع دينه؛ وقابل حاملَها بأَوْفر ترحيبِه، وأَقربِ تقريبه؛ وواجَهه بإجلال الأخوه، وخلال[3] البنوّه؛ وأَحَلّه كنفَ قلبِه، وأَوْدعه بين شَغاف[4] القلب وخِلْبِه[4]، وأعاده الى معهود ولائه وحَسَبه؛ وقرّر له

---

(١) فى الأصل: «له» باللام؛ وهو تحريف.

(٢) الظاهر أن لهذا الكلام بقية قد سقطت من الأصل الذى بين أيدينا؛ ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان.

(٣) فى الأصل: «وجلال» بالجيم؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله: «البنوّة».

(٤) الشغاف: غشاء القلب وغلافه، وهو جلدة ألبسها. والخلب: حجاب الكبد.

فى كلّ شهر عشرة دنانير وهى نهـاية قدرته، وأعلمه أنّهـا أعْوَد نفعا من ولايتـه
وأقربُ عونًا من إمرته، وعاهد الله ألا يتعرض لجنديّة أبدا، ولا يَمدّ لطالب ولاية
يدا، ولا يَقِفَ بين يدَى الأمراء بعدَها، ولا يتجاوزَ بجلالة أبوَيه حدَّها، ولا يهمل
شرف نسبته التى لم تُصاعِر(١) [لهـا](٢) الأيّامُ خدَّها، وأخذ عليـه عهود الله والممـلوك
فى الوفاء مهما عهِدَها، وقد توجَّه الى المَشارع الصاحبيّـة التى استَعذَب وِرْدَها ٥
والمكارمِ الشرفيّة التى أَلِف حمْدَها، والصنائعِ الإحسانيّة التى وَجد فى مرارة الفقـر
حلوَهـا وفى حرارةِ الغـربة بَرْدَها، وعاوَدَ عُشَّ الفضل الذى منـه دَرَج، وبيتَ
الكرم الذى اليه دَخَل(٣) ومنـه خَرَج(٣)، وسماءَ الإحسان التى أَطلعَتْ نجمَ إمامنِه فعَرَّج
عليها وإليها عَرَج، وبحرَ المعروف الذى اذا أَطنب اسانُ ثنـائه قالت شـواهد
بيانه: «حدِّثْ عن البحر ولا حَرَج»؛ ومولانا يضعُه تحت كَنَفه، ويرفعُـه لله ١٠
ولسـلَفه، ويقابله الجنابُ الشرفىُّ بمـا عَرَفه من شرَفه، ويُعينُـه على جاريه
الذى هو مادّةُ رفقـه، وأوّلُ ما أجراه الله على يد مولانا من رزقه، بكتاب يُجـزل
له العَزَمات ويُنْمِيها(٤)، ويُسكن رُوحَ الحياة فى جسد فاقته ويُبقيها؛ فهو ذو ضرّاءَ
لاتسدّها إلا القناعه، وذو فاقةٍ لاترفعها إلا السِّعةُ التى تمدّ باعَه؛ والله يجعل مولانا
وقايةً لمن لجأ إليه، وإعانةً لمن آعتمد عليه، إن شاء الله تعالى. ١٥

---

(١) صاعر خدّه وصعره بتشديد العين المهملة: أماله كبرا؛ وقرئ: (ولا تصاعر خدك للناس).

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها. والضمير عائد الموصول وفى قوله: «حدّها» يعود الى «الأيام».

(٣) عبارة الأصل: «الذى منه دحل واليه حرج» والصواب العكس كما أثبتنا.

(٤) فى الأصل: «ويبعثها»؛ وهو تحريف.

(١٣٧)

وكتب إليه أيضا شفاعةً فى بعض الأعيان فقال :

ويُنهِى أنّ الله تعالى متولّى سرائرَ عبادِه، ومُجازيهم على مخالفَةِ أمره وإن كان على وَفْق مرادِه، أَعَدّ دارَىْ ثوابِه وعقابِه، وحذّر أُولى العقوبة مِن أليم عذابِه، ثم عمّت رحمته فشَفَّع فى العصاه، وعفا عن الجناه، فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ ﴾ ثم بُذلتْ عوارفُ الإحسان، وعواطفُ الحَنان، حتى شَـفَع الى خَلقِه، فى العفو عن حقّهم وحقِّه، صفة كَرمِ رحمانيّه، وصِلة عفوِ إحسانيّه، وصـنائع اَلطافِ ربانيّه، فشفع إلى الصدّيقِ فى مِسْـطَح، فقال : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ فقدّم مُوجِباتِ العطف بما قدّم من القرابة والمسكنة والمهاجَرة، ثم تلقّاها مِن أجرِ الآخرة بكرم المُجازاة وربح المعاملة، وحُسنِ جزاء المنعم، تعريفا بمواقع الإحسان، وتكريما لنوع الإنسان، ومملوكُ مولانا فلان الذى أنزل حاجتَه بعبدِك[1]، وقَصَده قَبل قصدِك، وأَسكَنَ حريمَـه مجاورا لحريمِه وتَشفّع به إلى صدر الزمن وكريمِه، واستوهَبه الذنب وإن كان معترفا بعظيمه، والصنعُ الجميل ثمرةُ الأيام، والفضلُ أثبتَته ألسن الأقلام، ولله لحظاتٌ تَلحظ عبادَه ويرحم الراحمين، ويجزى المتصدّقِين، ولا يضيع أجر المحسنين، وإن مولانا عِقالُ[2] الشرف وذو الفضل الأُنُف[3]، والعارفُ فى صنائع الإحسان كيف تُؤكَل الكَتِف، وقد أَحلتَه

---

(١) فى الأصل : «لعبدك» باللام، والسياق يقتضى الباء كما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : «عقائل» ، وهو غير مستقيم، والمراد بقوله : «عقال الشرف» أن الشرف محتبس عليه لا يفارقه، وهو مستعار من عقال البعير : وهو الحبل الذى يعقل به عن النهوض .

(٣) الفضل الأنف : أى الذى لم يسبق اليه، وهو استعارة من قولهم : « روضـة أنف » أى أنها لم ترع ، «وكأس أنف» أى أنها لم يشرب بها قبل ذلك .

على مَلاءةِ[1] أياديك، وألبستُه مُلاءَةَ معاليك، وأحللته بضَمان الله كَنَفَ ناديك، وأنت الكريم أخلاقا ونسبا، والطَّيّبُ أعراقا وأبا، والصَّدرُ الذى إذا سامته الأيّام خُطَّةَ ضيم ابى، واذا أَوطأْته مَهانةً[2] وخسفا نَبا، وأحقُّ مَن قَبِل هـذه الشفاعة كرَمُـك[3] وأَولى من رعاها شيمُك، والمعـالى جنودُ الشرف وأحقُّ عَلَمٍ رُفِـع[4] عليها عَلَمُك، والله تعـالى يبقيه للأنام ملاذا، وللأمل مَعاذا، ويهَب عزمَه مَضاء وقلمَـه نفاذا، إن شاء الله تعالى.

وكتب الى[5] قاضى القضاة تاج الدين بن خلف:

يخدُم ٱلجنابَ التاجىَّ — أدام الله شرف المِلّة ببقائه، وأعلى كلمةَ الأمّة بعـلائه وأجرَى ألسنةَ الأقلام بثنائه، ورفَع ألوِيةَ أوليائه بولائه — ويُنهِى ورودَ مشرِّفته آلّتى تجلّت فى سمـاء السيادة حُسنا، وسهلَتْ لفظا وجَزُلَتْ معنى، وغدا لسان الإحسان عليها يُثنِى، وعِنانُ الفضائل اليها يُثنَى، وقد أخذَتْ برقاب المعانى، وأطربَتْ إطراب المثانى، وبعثَتْ روحَ الحياة الى روح الأمانى، وثنت إلى فضلها الأوّلِ عِنانَ الثـانى

فحَيَّ هَلا[6] بالمكـرُمات و بالعـلا * وحَيَّ هَلا بالفضل والسُّؤدُد المحض

(١) الملاءة بفتح الميم : القدرة والغنى، وهو مصدر ملؤ الرجل فهو ملىء : أى صار ثقة غنيا .

(٢) فى الأصل : « بها » ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «لومك» بلام بعدها واو؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : «وقع» ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : «اليه» ؛ وهو غير مستقيم .

(٦) يقال : حىّ هلا بكذا بلا تنوين : أى عليك به ؛ و يقال فيه أيضا : حىّ هلا بالتنوين وحى هل بفتح الجزأين كخمسة عشر؛ وكلها يراد به الحث .

لا جَرَم أنّ المملوك سجد لله ثم لجلالة ذلك الاستغفار[1] ، وقبولِ كلماتِ الاعتذار ؛ وعَلِم أنّ مولانا لبس حلّةَ التواضع لتمام شرف الاصطناع ، وليحُوزَ أقسام السيادة بالصدرِ الرَّحب والخُلُق الوَساع[2]

سجيّـةُ[3] نفسٍ شرّف الله مجدَها * بما شاء من فضل لديها ومن حلمِ

وسُؤدَدِ آباء وكسبِ سيادة * تَضُمّ إلى عزّ العلا شرفَ العلمِ

هـذا مع إساءتنا التي تسوّد وجوهَ الأمل ، ويَقضي كفرُها — لولا إيمان مولانا — بإحباط العمل ، على أنها مُلازَمةُ المعلولات للعلل

وما كنتُ جانِي فتنـةٍ غير أنّها * إذا وقعَتْ أردتْ مسيئاً ومحسنا

ولو رشـقَتْني مُصْمِياتُ سهامِها * لألْفَتْ لهـا حُكما من الله بيِّنـا

وإن جلال الله يشهد أنّني * بَذلتُ من الوُسع الذى كان ممكنا

وحَذّرتُ حتى لم أجِد متحرِّزا[4] * وأسمَعتُ لكن لم أَجد ثَمّ أُذَّنا[5]

وكانت صعابٌ تفتضيها مشـيئةٌ[6] * وهل لقضـاء الله ردٌّ إذا دنا

وأما إشارة مولانا إلى الحاجب الذى هو لمولانا أشرفُ من حاجب بنِ زُراره بمـا[7] أودَعه أثناءَ تلك الكلِم من لطيف الإشاره وشريف العباره ؛ فجزاءُ مولانا على الله فى جبره لقلب المملوك المنصدع ، وصِلةِ أمله المنقطع .

---

(١) لعله : «لإجابه» كما يدل عليه قوله بعد : «وقبول» الخ .

(٢) الوساع بفتح الواو : الواسع .

(٣) فى الأصل : «تحية» بالتاء المثناة والحاء المهملة ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) فى الأصل : «متحذرا» ؛ وهو تحريف إذ لم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة .

(٥) الأذن بضم الهمزة وتشديد الدال : جمع آذن ، وهو المستمع ؛ يقال : اذنت اليه وله : اذا استمعت اليه معجبا بما يقول .

(٦) فى الأصل : «طباعا» ؛ وهو تحريف لا يتضح به المعنى ؛ والفعل قبلها تام لا يحتاج الى منصوب إذ معنى الكون هنا : الوقوع والحصول .

(٧) هذه الباء ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

وكتب إلى الصاحب قاضى القضاة بدر الدين السنجارى — وهو يوم ذلك متولى الحكم والوزارة بالديار المصرية :

لا زال الإسلام يستضىء ببدرِه، والإيمانُ يأرُز(١) إلى صدرِه، والشرفُ يتضاءل عند قدر جلالته وجلالةِ قدرِه، والآمالُ والآجالُ مصرَّفةً بين بسطةِ نعمته وسـطوةِ قهرِه، هذه على ذكرِه وهذه على شكرِه، والمكارمُ والمحامدُ تتعلّق وتتألّق هذه بنشْرِه وهذه ببشْرِه، والعزمُ والرأىُ إذا فُلَّ أو فالَ(٢) آستغاث وآستضاء هذا بنصرِه وهذا بفكرِه

ولا غرو أن تثنى الوِزارة جيدَها * إلى ناظمٍ فى جيدها عِقدَ فخرِه
الى أَحوذىّ(٣) الرأى إن ناب معضِلٌ * أراك جلىَّ الأمرِ إيحـاءُ سرّه
إذا آستغزَر الذهنَ(٤) الذكىَّ تضاءلَتْ * له فكرتا قيسِ(٥) الذكاءِ وعَمـرِه(٥)

---

(١) فى الأصل : «نارر» ؛ وهو تحريف . و يأرز : يأوى و يلجأ .

(٢) فال الرأى يفيل كيبيع : ضعف وأخطأ . والذى فى الأصـل : « اذا قل أو قال » بالقاف فى كلتيهما ؛ وهو تصحيف .

(٣) الأحوذىّ : هو الذى يسوق الأمور أحسن مساق لعلمه بها .

(٤) فى الأصل : «الدهر» ؛ وهو تحريف .

(٥) يريد : قيس بن زهير بن جذيمة العبسىّ صاحب الحروب بين عبس وذبيـان بسبب الفرسين : داحس والغبراء؛ وكان فارسا شاعرا داهية، يضرب به المثـل فيقال : "أدهى من قيس" اه ملخصا من سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون . وعمرو : هو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ؛ و يكنى أبا عبد الله ؛ أسلم بأرض الحبشة عند النجاشى، ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسـلم مهاجرا ؛ واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوة ذات السلاسل ؛ و بعثه أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى الشام فتولى ما تولى من فتحها ؛ وولاه عمر رضى الله تعالى عنه فلسطين، ثم كتب اليه أن يسير الى مصر فسار اليها وفتحها ، وولاه عمر إياها ؛ وقد شهد صفين مع معاوية بن أبى سفيان ؛ وقد ولاه معاوية مصر أيضا فلم يزل بها واليا الى أن مات بها يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين ، ودفن بالمقطم مقبرة أهل مصر ؛ انظر طبقات ابن سـعد فى القسم الثانى من الجزء السابع ص ١٨٨ طبع ليـدن . وكان عمرو بن العاص يضرب به المثل فى السياسة والدهاء .

فيُطلِع رأيا واضحا من سداده * كما انشقّ بُردُ الليل عن ضوء فجرِه
إلى سؤدُد أجرَتْ معاليه خيلَه * سوابقَ غُرًّا[1] فى بَهيمات دهرِه
وكم سابقٍ أجرى إلى غاية العلا * ولكن طوى سبْقا مُلاءةَ حُضرِه
بحلم تجلَّى فى أسرّة وجهه * وجودٍ تجلَّى من طلاقة بشرِه
٥ يمينا لقد أضحت جلالةُ قدرها * على شرف المقدار من دون قدرِه

سطّرها المملوك بعد ما لبست الوِزارةُ حلّة فخرِها ، وسحبتْ ذيل افتخارِها ، وبدا معصم شرفها فى حلية سِوارِها ، وتجلت معانيها بين شموس فضلها وأقمارِها ، وجَنينا الغضَّ من زهرِها ، والطيِّب من ثمرِها ، وحَمِدنا جميل تأثيرها وحميدَ آثارِها

وحيّتْ على بعد المدى نفَثاتُها * بأطيَبَ من رَنْدِ[2] الرُّبا وعَرارِها[2]

١٠ وآجتلَى المملوك حسناء إحسانها فما ضارعتْها البدورُ مذ فارقتْ سَرارَها ، ولا الأنجمُ ولو نظم الفَلَكُ أنوارَها ، ولا الروضةُ وقد عقدت الغمائمُ إزارَها[3] ، ولا أطلالُ ميّةَ وقد دَبّجت يدُ الأنواء[4] أزهارَها ، ولا أَرْدانُ عزّةَ وقد أُوقدتْ بالمَنْدَل[5] الرطب

(١) فى الأصل : «عز» ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه قوله بعد : «فى بهيمات» .
(٢) الرند : الآس ؛ أو هو العود الذى يتبخر به ؛ وقيل : إنه شجر من أشجار البادية طيب الرائحة
١٥ يستاك به ، وليس بالكبير ، وله حب يسمى الغار . والعرار : البهار البرى .
(٣) يريد تشبيه النبت والأزهار حول الروضة بإزار عقدته الغمائم عليها ، كما يدل عليه قول أبى تمام :
حتى تعمّم صلع هامات الربا * من نوره وتأزّر الأهضام
والذى فى الأصل : «أزرارها» والراء الأولى زيادة من الناسخ .
(٤) عبارة الأصل : «دبجت يد النوار» ؛ وهو تحريف .
٢٠ (٥) المندل والمندلى : العود الذى يتبخر به . قال الأزهرى : وهو عندى رباعى لأن الميم أصلية
وقد أشار بهذه العبارة الى قول كثير :
بأطيب من أردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها
والروى فى هذا الشعر مرفوع ، وقوله : «أوقدت» مبنى للمجهول ، ويدل على ذلك قوله قبل هذا البيت :
فما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها
٢٥ الأغانى ج ٤ ص ٥٩ طبع بولاق ؛ وإنما خالف الكاتب هنا حركة الروى فى شعر كثير لاقتضاء السجع نصب الراء .

نارَها" ؛ صلة جاءت كَبُرد الشباب(١)، و بَرد الشراب؛ اقتضابا قبل السؤال، وابتداء الآمال ؛ والمملوكُ يحضر عقيبها ليجتلىَ وجه المنعم قريبا، ويجتنىَ غصنَ النِّعَم رطيبا

ومتى لم أَقُم بشكرك للنا * س خطيبا فلا وُقيتُ الخطوبا

(١٣٩)

وكتب الى الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب بهاء(٢) الدين على بن محمد المعروف بابن حِنّاء(٣):

٥

رفع الله قــدر الجناب الصــاحبيّ التاجىّ فى شرف الأقــدار، وأجرَى بإرادته وسعادته ســوابقَ الأقدار، وألبَسَه حليــة الشرف التى هى على رأس رياســته تاجٌ وفى مِعصم سيادته سِــوار، وحلّةَ النعم التى ينكمش(٤) لأجلها رُدْن المساءة و ينسحب بِمثلها ذيل المَسَار، وأمضَى عزائم آرائه التى اذا سَـطت يوم البأس نفــذتْ نفوذ

(١) فى الأصل : «الشتاء» ؛ وهو تحريف .

١٠

(٢) كذا فى الأصل ؛ والذى وجدناه فى المصادر التى بين أيدينا أن الصاحب بهاء الدين جد الصاحب تاج الدين؛ وأما أبوه فهو فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين . فقد ورد فى كتاب المنهل الصافى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ فى ترجمة الصاحب تاج الدين هذا : أنه محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم الصاحب تاج الدين أبو عبد الله بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حناء المصرى وزير الديار المصرية ؛ وكان مولده فى سنة أربعين وستمائة ؛ وتفقه وبرع ونظم ونثر ، وحدث بمصر ودمشق ، وانتهت اليه الرياسة فى عصره بالقاهرة ؛ وتوفى فى سنة سبع وسبعمائة . وفى كتاب أعيان العصر وأعوان النصر المأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ : ان الصاحب تاج الدين هذا قد تولى الوزارة بالديار المصرية مرتين ؛ و رأى من العز والوجاهة ما لم يره جده الصاحب بهاء الدين . وانظر (مستدرك التاج) مادة « سلم » فقد نص فيه على ان تاج الدين حفيد الصاحب بهاء الدين .

١٥

٢٠

(٣) كذا ورد هذا الاسم بالهمز فى مستدرك التاج مادة (سلم) .

(٤) الانكماش : التقلص .

السهم ومضت مَضاء الغِرار(١)، واذا سرت فى ليل الخطب هدت هداية النجم ووضَحت وضوح النهار، وأرضى همّته التى اذا همّت أغنت عن الأبيض المرهَف والأسمرِ الخطّار، واذا أمّت شَأتْ(٢) ناصيةَ الحَنْفاء(٣) وبَذّت قاصيةَ(٤) الخطّار(٣)؛ وأرهف أقلامه التى اذا أجراها أثبتَتْ خَال النِّقس، فى وجنة الطرس، وطَرّزتْ بالظلماء أرديةَ الشمس؛ واذا هزّها أنستْ هزّ العوامل، وأصابت من الأمر الكُلَى والمفاصل، وإذا أمضاها لنعمة أو لنقمة فللجانى لعابُ الأفاعى القواتل، وللعافى أَرْيُ(٥) الجَنَى آشتارته أيدٍ عواسل؛ ولا زال ربعه مَربعا للجلال ومَصيفا، ومَرتَعا لسَوام الآمال وخريفا، ومَشرَعا وارد الظلال وَرِيفا؛ وحرما آمنا تُجبَى اليه ثمرات الحمد وتُجنَى منه ثمرات الرِّفْد، ونقف المعالى عليه "وقوف مطايا الشوق بالعَلَم(٦) الفرد"؛ فإنه الربع الذى وقفَتْ به الآمال وقوفَ غَيلانَ(٧) بدارميّه، وعكفَتْ [عليه](٨) المحامد(٩)

(١) الغرار بالكسر: حد السيف والرمح.

(٢) فى الأصل: «شابت»؛ وهو تحريف. وشأت: سبقت؛ والمضارع يشأو كيدعو.

(٣) الحنفاء والخطار بتشديد الطاء المهملة: اسما فرسين لحذيفة بن بدر الفزارى؛ وفى الأصل: «الحيفا» بالياء المثناة؛ وهو تحريف.

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل؛ ولعله يريد بقاصية الخطار: الغاية التى ينتهى اليها فى جريه.

(٥) فى الأصل: «أرى» بقاف مثناة بعدها ياء؛ وهو تحريف. والأرى: عسل النحل. يشير بهذه العبارة الى قول أبى تمام فى صفة القلم:

لعاب الأفاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

واشتارته: جنته واستخرجته من الوقبة.

(٦) العلم: الجبل، والمراد بالعلم الفرد هنا: جبل فرد شرقى الحاجر يقال له: أبان، فيه عيون ونخيل ومياه.

(٧) غيلان: اسم ذى الرمة الشاعر. وفى الأصل: «عليلان»؛ وهو تحريف. وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا الجزء.

(٨) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ والسياق يقتضيها.

(٩) فى الأصل: "التجامل"؛ وهو تحريف لا معنى له.

عكوف توبة على حبّ الأخيليّه[1]، والجنابُ [الذى][2] فاءت ظلالُه وفاضت مواهبُـه وجاءت مَذانبُـه[3]، وجادت سحائبُـه، وجلّت شيمـه وتجلّت غياهبُـه؛ فى روض المعالى الذى فاحت نسائمُه، وناحت حمائمُه، ومَنشإ المجد حيث شاب فأُرخيَتْ ذوائبُه وشبّ فقُطِّعت تمائمُه، و بيتِ الرياسة الذى اذا دنوتَ حباك بإكرامه واذا نأيت حيّتك مكارمُه، وصدر السيادة الذى خضعت له الأعناق هيبة "لِأبلجَ لا تيجانَ إلّا عمائمُه"

ولا زال بدرا فى سماء سيادة * يشار إليـه فى الورى بالأناملِ
بسيط مساعى المجد يركب بجدّه * من الشرف الأعلى و بذلِ الفواضلِ
إذا سيل[4] أغنى السامعِين جوابُه * وان قال لم يترك مقالا لقائلِ
مجدّد أيامِ الحياة فكلُّها * لطالبِ علمٍ أو لقاصدِ نائلِ

ويُنهى ولاء مخبوءا بسويداء قلبِه، موضوعا بين شَغافه وحِلْبه؛ وثناءً مسموعا فى محافل الأنام، معلنًا[5] فى صحائف الحمد بألسنة الأقلام، جديدا على ذهاب الليالى واختلاف الأيام؛ ودعاءً سابقَ أراعيلَ[6] الرياح، ووَضَحتْ أنوار إجابته وضوح

---

(١) الأخيلية: هى ليلى بنت عبد الله بن الرحال وقيل: ابن الرحالة بن شدّاد بن كعب بن معاوية، وهو الأخيل؛ وهى من النساء المتقدّمات فى الشعر من شعراء الإسلام؛ وكان يهواها توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل الأغانى ج ١٠ ص ٦٧ طبع مطبعة بولاق. وقد أوردلها أبو الفرج أخبارا كثيرة فانظره.

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل.

(٣) المذانب: مسايل الماء الى الأرض. أو هى الجداول تسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها، واحده مذنب بكسر الميم وفتح النون.

(٤) فى الأصل: «سال» بالألف؛ وهو تحريف.

(٥) فى الأصل: «مقلبا» بالقاف والباء الموحدة؛ وهو تصحيف.

(٦) أراعيل الرياح: أوائلها.

الصباح، وطار الى ملإ القبول بقادمة كقادمة الجناح؛ وتحية اذا واجهتْ وجه الجهام أمطر، واذا هزّتْ أعطاف الكَهام[(١)] أثّر؛ أرقّ من النسيم السَّحَرى، وأعطر من العنبر الشِّحرىّ؛ وأَصفَى من ماء المَناقع[(٢)]، وأحلى من "جنَى النحل ممزوجا بماء الوقائع[(٣)]" يرى ذلك فى شرع المروءة واضحا واجبا ...[(٤)]؛ تحيّةَ من أُولىَ النعمة فشكَرها وعرف العارفةَ وما أنكَرها، وآمن بيده البيضاءِ من غير سوء ومد آمن بها ما كفرها؛ كيف لا وقد ٱمتزج بحبها لحمُه ودمُه، وسبّح بحمدها قلمُه وفمُه، وجرت شِيَمُ حمده على أعرَق جيادها والخيِّرُ من سبقتْ به إلى شكر المنعم شِيَمُه؛ لا سيّما وقد جنى الطّيّبَ من ثمارِها، ووَرد العذب من أنهارِها[(٥)]؛ فلا أعدم الله مولانا صنائعَ (١٤٠) الإحسان الذى ٱنعقدتْ عليه كلمةُ الإجماع، وأَنشَده لسانُ المحامد عن شرف ٱلٱصطناع

فلو صوّرتَ نفسك لم تزدها * على ما فيك مِن كرم الطباع[(٦)]

ولا زال اللطف صدَى صوته إذا دعا، والنجحُ قرينَ مساعيه أنَّى سعى، وحاكمُ الفضل يصدِّق دعواه حَوْزَ كلِّ فضيلة كيف ٱدَّعى؛ حضر المملوك مهنّئا نفسَه بهنائه، ساعيا فى خدمته سعى الأَجْدل[(٧)] فى هوائه، والنجمِ فى سمائه؛ من ملازمة

---

(١) الكهام من السيوف : الكليل الحدّ .

(٢) المناقع : مجامع الماء . وفى الأصل : «النقائع» وهو تحريف إذ لم نجد من معانيه ما يناسب السياق .

(٣) الوقائع جمع وقيعة وهى مكان صلب يمسك الماء وكذلك النقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء، وماؤها يضرب به المثل فى الصفاء فيقال : «أصفى من ماء الوقائع» ؛ وقوله : «جنى النحل» الخ عجز بيت لذى الرمّة، وصدره : وبلّا سقاطا من حديث كأنه * الخ كما فى كتاب نهاية الأرب ج ٢ ص ٧٠ .

(٤) الظاهر أن هنا جملة ساقطة من الأصل بها يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته هذه وغيرها من رسائله وان كان المعنى يستقيم بدونها . ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان .

(٥) فى الأصل : "شهادها" وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته . (٦) البيت لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى . (٧) الأجدل : الصقر .

وجهه الذى ألقى ٱللهُ عليه محبةً منـه فٱستنار ، وٱكتَسَى حلّةَ الحيـاء فألبسته حلّةَ الوقار، وٱجتلته المقل فرأت رونق الخفر عليه باديا، وائتمّتْ به الهـداة فألفته نجما فى سماء السيادة هاديا، وقالت الأمانى فى ظلّه فأنشأ جودُه قائلا :

نزلتُ على آل ٱلمهلّب شاتيا (١) *

ورأيتُه والناس مومئون من ليث عليـه مهابة (٢) فكانوا الكِرْوانَ (٣) أَبصَرن بازيا (٤) ؛ أُبّهةُ الجلاله، وجلالةُ الأصاله ، وأَصالةُ الشرف، وشرفُ الفضـل الأنف، ورِياسةٌ ورّثها خيرُ سلفٍ لخير خلف، وشيمٌ علّمته فى المعالى كيف تؤكَل الكتف ؛ فصادف ركابَه العالىَ قد ٱستقلّ، وحلّ من دارة العزّ حيث حلّ ؛ فأقام رجاءَ أن يعاين أسرّةَ جبينِه ، و يقبّلَه كتقبيل الندى فى يمينِه ، وحين جنحت الشمس الى مستقَرّ الأنوار وطوى الفَلَكُ بيدِ القدرة رداء النهار ، وأَشرَقَ اليومُ من خشية طيّه (٥) على شفا جُرُفٍ هار، وثوَّب (٦) داعى العصر وحيْعَـل ، وعاين نيِّرَ الفلَك فى وجه السماء كعين الأَقْبَل (٧)؛

---

(١) تمام البيت : «غريبا عن الأوطان فى زمن المحـل» الأمالى لأبى على القالى ح ١ ص ٤١ طبع دار الكتب المصرية . ولم يعين أبو على قائل هذا الشعر .

(٢) كذا فى الأصل ؛ والظاهر أن صواب العبارة : «من كثب اليه مهابة» ؛ كما يرشد اليه قوله : «من» ولم يقل : «الى» . والكثب بفتحتين : القرب ؛ وادن فقوله : «مهابة» يقرأ بالنصب أى : «من مهابة» .

(٣) الكروان بكسر الكاف وسكون الراء : جمـع كروان بفتحهما : وهو طائر طويل الرجلين أغبر دون الدجاجة فى الخلق ، وله صـوت حسن ؛ يكـون بمصر ، وهو من طيور الريف والقرى ولا يكون فى البادية .

(٤) يشـير بهـذه العبارة الى قول ذى الرمـة فى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى :

من آل أبى موسى ترى الناس حوله * كأنهـم الكروان عاين بازيا

والبازى : ضرب من الصقور .

(٥) عبارة الأصل : « من حاشية طيفه » ؛ وهو تحريف .

(٦) التثويب : ترديد الصوت .

(٧) الأقبل ، من القبل بفتحتين : وهو فى العين : إقبال سوادها على الأنف ، أو هو مثل الحول .

ثَنَى عِنانَه إلى مَثْـوَى قرارِه ، وآنثنى يسابق أدهمَ ليـلِه بأشهب نهارِه ؛ وعلى الرغم أَخفق مسعاه ، ولم يَقْلِ(١) قلبُـه الشوقَ الذى دعاه ؛ لكن سار وأقام حالصُ ولائه وعاد بعد ما أَودع الحَفَظةَ مرفوعَ دعائه ؛ فعرّف آللهُ مولانا بركاتِ هذا الشهر الذى سارت به إلى إحسانه مطايا أيامِه ،وجعلَه مثبِتا لحسناته مُمَحِّيا(٢) لآثامِه ،وحلّاه بالمقبول(٣) من صيامه والمشهورِ من قيامِه ؛ وأراه صـدرَ بِرِّه أثلَجَ ، ووجهَ بدرِه أبلَجَ ، وثغـرَ آبتسامِه عن رضوان القبول أَفْلَج ؛ورقّاه درَجَ تَضاعُف حسناتِه ، ولقّاه من كرم الله مذخورَ إحسانه وموعودَ هباتِه ؛ وأراه الأملَ فى بَنِيه ، وأرانا فيهم ما رأينا فيه ؛ فهو غابُ(٤) العلم وهم أغصانه وشجَرُه ، ومُطَهَّمُ السابقين وهم حُجولُه وغُررُه ؛ وانى لألمح(٥) من مَخايل شرفهم وشرف مَخايِلهم ،وشمائِلِ شيمِهم وشِيمِ شمائِلهم ؛ نجابةً(٦) تضعُهم من الرِّياسة فى أنفِها ، ومن السيادة بمكان شَنفِها ؛ فهم جذوة فضـلٍ مُبرِقه ، ودوحةُ عِلمٍ مُورِقه ونَبعـةُ سيادةٍ مُعرِقه ، وشموس معالٍ فى أفق كلّ شرف مُشرِقه ؛ سمت بهـم أَصالة النسب ، وفضيلةُ الأدب المكتسَب ، وجمعوا بين شرف العمومة والخؤولة فى كرم المنتسَب ؛ فللعلا ألسنٌ تثنى محامدها على الحميد من فعلهم وشيمِهم ، وللندى مواهبُ عُزِيَتْ مذاهبها الى العليِّين(٧) من كرمهم وهمِمهم ؛ لا زالت محاسنهم قلائدَ الأجيـاد وأيّامُهم مواسمَ الأعياد ، وحرمهم المخصب بالمكارم سواء العاكفُ فيه والبـاد ؛ إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى الأصل : « يقمل » ؛ والياء زيادة من الناسخ . (٢) ممحيا بتشديد الحاء المهملة ، من محاه تمحية : أى بالغ فى محوه . (٣) عبارة الأصـل : « بالتقبل فى » الخ ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه قوله بعد : « والمشهور من » الخ . (٤) فى الأصل : «ناغ» ؛ وفى حروفه قلب لا يظهر به المعنى . والغاب : الآجام ؛ وهو من الياء ، وقد جعلت جماعة الشجر غابة لأنه مأخوذ من الغيابة . (٥) فى الأصل : « لأتلمح » ؛ ولم نقف على هذا الفعل فيما لدينا من كتب اللغـــة . (٦) عبارة الأصل : « نحابة بعصهم » ؛ وهو تحريف فى كلا اللفظين لا يظهر له معنى . (٧) عبارة الأصـل : « عديت مواهبها على » ؛ وهو تحريف فى الكلمات الثلاث ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

وكتب الى القاضى شمس الدين الأصفهانى الحاكم — وكان بالأعمال القوصيّة — رحمهما الله تعالى — :

أوضح الله صنائعَ المجلس فى بهيم الآمال غررا ، ونظم أياديَه فى أجياد الأيّام دررا ، وصفّى مشارعَ أمانيِّـه إن كان مَشرَعُ الأمانىِّ كدرا ، ولا زال الإسلام يشـدو بحمده مفتخرا ، والأيّامُ تتلو مجدَه سُـوَرا ، والشرعُ المحمدىُّ يكون بمضائه فى ذات الله منتصرا

فقـد نشرت يمنـاك أرديةَ العـلا * تُحـلِّى بلادَ الله بالدين[1] والعـلم

وأمضيتَ أمر الله فى شرع أحمـد * وقيّدتَ شكر الله فى مطلق الحُكم

وتُرضِى كلا الخصمين فى السّخْط والرضا * كأنك تُعطِى الخصم ما كان للخصيم

الى غير ذلك من محاسنَ وضحت وضوح النجم فى الليـل البهيم ، وسرت الى الحمـد سُرى المُجِـدِّ الى الشرف الصميم ، وحدَّثتْ عن مساعيه فجاءت بالنثر البـديع والدرّ النظيم ، وأثنتْ عليه ثناءَ وارفِ الروض على واكفِ الوَبل بألسنة النسيم

وهزّت جناحَى فضـله وجلاله * الى دَرَك العلياء من غاية المجـد

وقالت معاليـه لىَ المجـد كلُّه * فما آبنةُ[2] ذى البردين والفرسِ الوَرد

(١) فى الأصل : « فى الدين » ؛ وهو تحريف .

(٢) ذو البردين : عامر بن أحيمر بن بهدلة بن عوف ؛ لقب بذلك لأن الوفود اجتمعت عند عمرو بن المنذر بن ماء السماء وأخرج بردين وقال : ليقم أعز العرب فليلبسهما ، فقام عامر ، فقال له : أنت أعز العرب؟ قال : نعم ، لأن العز كله فى معد ، ثم نزار ، ثم مضر ، ثم تميم ، ثم سعد ، ثم كعب ، فمن أنكر ذلك فليناظر ؛ فسكتوا ؛ فقال : هذه قبيلتك ، فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك؟ فقال : أنا أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ؛ فأخذ البردين وانصرف (سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين بن نباتة) وقد أشار بهـذا الشطر إلى قول قيس بن عاصم المنقرىّ لزوجتـه منفوسة بنت زيد الفوارس الضبىّ — وكانت قد أتته فى الليلة الثانية من بنائه بها بطعام ، فقال : أين أكيلى؟ فلم تفهم ما يريد فأنشأ يقول :

أيا آبنـة عبد الله وآبنـة مالك * ويا آبنـة ذى البردين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسى لـه * أكيلا فإنى لست آكله وحـدى

الأغانى ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق .

فلا عدمه الإسلام إماما فاضلا، وحَكَمًا فاصلا ، وساعيا الى غايات الفضائل واصلا ، وفاعلَ حسناتٍ صيرَّ الحاصل من ثنائه باقيا والباقىَ من عملِه الصالح حاصلا؛ المجلس — أدام الله أيامه — يعلم أن الأيام مستّنى بجدّ شَباتِها، و رمتنى عن قوس أذاتِها، وجنتنى الحنظلَ من شَجَراتِها، والمرَّ من ثمراتِها، وأَضرمتْ من نار ألمى مالم تُطفئْه مقلتى بفيض عبراتِها

كأنى لم أَطَّلِع بأفـق سمائهـا * ولَم أتقلّب فى ثيـاب سِماتِهـا
ولم أكُ منها فى سويداء قلبهـا * مَخابلَ من هدى العلا وهداتِها

— أستغفر الله — فإنها آسترجعتْ ما لم يكن مسـتحَقّا، وأبقت إن شاء الله لمجلسه السامى ما كان حقّا، وأسكنتْه(١) — أدام الله نعمته — وفَلَكَ السعادة شرقا ومَطلَع الشمس أفقا، وأحلّته(٢) من كَنَف السيادة قلبا ومن رأس الرِّياسة فَرْقا

وتُطلِعـه الآمال خـيرَ غمـامة * فتُلمِعُـه بَرقا وتُوكِفُه ودْقا
وتبقيــه للدين الحنيفىِّ عصمةً * وللهَدْيِ والإضلال إن أبهما فَرْقا
وتُـبرِزُه فى صـدر كلّ فضـيلة * كما بَدّ شأوَ الفاضلين بهـا سَبْقا

حضر مملوكُ مولانا الولَدُ [وقد](٣) رَفع من المحامد الشمسيّة لواء ، والتزَم العبوديّةَ والإخلاصَ وَلاء ، وعَمَر الأفنيَـةَ ودادا والأنديةَ ثناء؛ وقال : أحسن مولانا حين أساءت الأيام، وأَولى نعمةً حاتميّةً و إنها أتترفُ الإنعام

(١) فى الأصل : « وسقته » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «ومحله» ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) لم ترد هـذه الكلمة فى الأصـل ؛ وقد أثبتناها لأن ذلك هو الأكثر فى كلامهم ؛ فان فى جملة الماضى المثبت الواقعة حالا أربع صورمرتبة فى الكثرة ، وهى : جاء زيد وقد قام أبوه ، ثم جاء زيد قد قام أبوه ، ثم جاء زيد وقام أبوه ، ثم جاء زيد قام أبوه وهـذا خلاف مذهب البصريين ، فإن مذهبهم لزوم « قد » لهذه الجملة مطلقا ظاهرة أو مقدرة انظر شرح الأشمونى ج ٢ ص ١٦٩ طبع بولاق .

ومالىَ لا أُثنِي عليـــه بصـالحٍ * وأشكره والشكرُ بعضُ حقوقِه
وأملأُ من حسن الثنا كلَّ مسمَعٍ * و إنّى لأخشى بَعــدُ إثمَ عقوقِه

ثم سار وقلبي يتبَعُــه ، ودمعى يشيّعُه ، واسانى يستحفِظه ٱللهَ و يســتودِعُه ؛ وعليه من الديون ما أحاط به إحاطة الجفون بمقلِها ، والأعماد بمُنصُلِها(١) ؛ لتَوالِى هـذه المغارم التى طمّ جُداها(٢) ، والمظالِم التى عمّ رداها ، والمحنةِ التى ملّكتْنى يداها ، من خراجٍ طَمى بحرُ ظلمِه ، و زاد على حدّ الجور رسمُه(٣) وخُصِصتُ من بين هذا العالم بوَسمِــه(٤) ؛ للزومٍ قام بوصفِى فتبعه لازمُه ، ومعنًى وجب لذاتى فاستحال عدمُه ؛ وقد كان المملوك و ولده فيما سلف يجودان بمـا يَجِـدان لقانع ومُعترّ ، وغنىٍّ ومضطرّ ؛ صيانةً للأعراض مِن أعراضِ اللّوم ، ورغبـةً فى صِلة حمدِ الأمس بفائد(٥) اليوم ؛ وسجيّةَ نفس تأنف من عَلاقة الذم ، و إن كان هـذا فيما لا يجب فالقياسُ فيما يجب انبعاثُ النفس اليــه مِن حَتْم المروءة أَمضَى(٦) ، والدّينُ بأداء الواجب أقضى ؛ لانه

---

(١) المنصل بضم الصاد وفتحها : السيف .

(٢) عبارة الأصل : «صم حبداها» ؛ وفى كلا اللفظين تحريف لايستقيم به المعنى . والجداء بضم الجيم والمدّ : مبلغ حساب الضرب ، كقولك : ثلاثة فى ثلاثة جداؤها تسعة ؛ يريد بقوله : «طم جداها» أنه قد زاد مبلغ حساب هذه المغارم .

(٣) فى الأصل : «حدل» ؛ وفيه تصحيف و زيادة لام .

(٤) يريد أن هذا الخراج قد لزمه لزوم الوسم للوسوم ؛ والوسم : أثر الكىّ . والذى فى الأصل : «برسمه» بالراء ؛ وهو مكرر مع ما قبله .

(٥) الفائد : المستفيد ؛ يقال : فادت لفلان فائدة ، أى حصلت .

(٦) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : «فالقياس انبعاث النفس اليه فيما يجب أمضى من حاتم المروءة والدين أمضى بأداء الواجب» الخ وفيها تقديم وتأخير لا يظهر بهما المعنى ؛ واستقامة الكلام تقتضى اثباتها على هذا الوجه . وقوله : «انبعاث» فاعل «ليجب» ؛ وقوله : «من حتم» بيان لـ«ما» ؛ وقوله : «أمضى» خبر المبتدإ فى أول الجملة .

مؤيّد بإبرام الشرع. وقد صحّ هـذا القياس بجامعيّة الأصل والفرع؛ لكن ضاقت[1] يد القـدرة عن نفاذها، واعتاضت من وابل الثروة برذاذها؛ واذا توافرت القرائن أفادت فوق ما تفيد غلباتُ الظنون من مَدار الشرعيّات عليها، وانتهاءِ غالب الأحكام إليها؛ وقد كان المملوك حرّك عزائم سيّدنا قاضى القضاة -- شرّف الله قدرَه، وأدام على الإسلام أمرَه -- إلى تحرّيها[2] العلومَ الكريمةَ بما هى عالمه، وحُكمها بما هى حاكمه؛ ليكون[3] له مستنَد يدفع أقوال المتعرِّضين، ويصرف آعتراضَ المعترِضين؛ ولئلّا يقفَ له واقف فيجرِىَ قلمه الشريف بأمرٍ جازمٍ يجب الوقوفُ على مثالِه، والمسارعَةُ إلى آمتثالِه، فيعزّ آستدراكُ الأمر بعد إحكامِه، ويكون السعىُ فى معارضته كالنقض لأحكامِه؛ فكتَبَ بمـا[4] يقف مولانا عليـه، وتشـير مروءتُه وديانتُه اليه؛ ويقرِّر مع نائبه ما يقف عنده، ولا يتجاوز حدَّه؛ غيرَ ذاكرٍ عن مولانا منْعا ينفِّر عنه الرُّواه[5]، ولا مشنِّع[6] بكتّاب سـيّدنا قاضى القضاه؛ بل يكون كالشافع، اذا صمّم الخصمُ آعتذر بمـا هو لهـذه المصالح كالجامع؛ ليكون المملّك[7] فى إرضائه بحسب الإمكان ويَرَى الخصمُ ما أخذه بعد اليأس نوعا من الإحسان؛ فالنفوس اذا مُنِعتْ كلَّ المنع طَالبَتْ كلَّ الطلب، وتعلّقَتْ فى دَرَك أغراضها بكل سبب؛ وإذا أُخذتْ بالكلام

(١) فى الأصل: «صابت» بالصاد المهملة والباء الموحدة، وهو تحريف.

(٢) فى الأصل: «تحريك» بالكاف؛ وهو تحريف.

(٣) «ليكون» أى ليحصل ويثبت، فالفعل هنا تام لا يحتاج إلى منصوب، ويحتمل جعله ناقصا، واسمه ضمير يعود الى «تحرّيها»، وخبره قوله: «مستندا» بالنصب.

(٤) فى الأصل: «بمـا» والباء زيادة من الناسخ؛ إذ لم نقف فيما لدينا من كتب اللغـة على أن «قرّر» يتعدّى بالباء.

(٥) فى الأصل: «الدوات» بالذال المعجمة؛ وهو تحريف.

(٦) فى الأصل: «مشيع» بالياء المثناة؛ وهو تصحيف.

(٧) عبارة الأصل: «المماليك فى إرضائهم»؛ وهو غير مستقيم؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

البين، وعوملَتْ بالسهل اللين(1)؛ بعد درءِ سَورتها(2) بالمنع، ودفع شهوتها(3) بالدفع؛ اتَّسَق حُكم الأشياء وانتظم، وانشعب صَدعُ هذا الجرح والتأم؛ وجرَى الأمرُ على سداد بحفظ النظام وحفظِ الحرمة والحفظ للشارع، ولذلك قال: "أقيلوا ذوى الهيئات عَثَراتِهم" لا سيما مع شهادات ضروراتِهم؛ بسَط الله يمينَ سيدنا فى المعالى كما بسط لسانَه فى المعالم، وقيَّـد عليه لسان المحامد كما أطلق يدَه بالمكارم(4)؛ وعليه تحية الله التى تُوالِى عليه نفحاتِهـا، وتُهدِى إلى آماله العالىَ [من](5) مقترحاتِها.

وكتب إلى شهاب الدين محمود متولى سَمهودَ(6) من عمل قوص —

وكان بينهما مودّة، فاستدعاه للسلام عليه - فكتب:

إلينـا فإنا قـــد حللنا بأرضـكم * على فرط شوقٍ لابن عثمان دائمِ
وزرناك محمــودا كما زار أحنفٌ(7) * لنَيل الأمانى ربعَ قيس بن عاصمِ(8)

(1) فى الأصل: «اللبس» باللام، وهو تحريف لتكرره مع ما يأتى بعده فى الجملة الآتية.
(2) فى الأصل: «بالمهل»؛ وهو تحريف. (3) السورة: الحدّة. (4) عبارة الأصل: «يد المكارم» بسقوط الهاء والباء، والسياق يقتضى إثباتهما. (5) هـذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها. والهاء فى قوله: «مقترحاتها» تعود إلى «آماله».
(6) سمهود، ويقال سمهوط: قرية كبيرة على شاطئ غربى النيل بالصعيد دون فرشوط (ياقوت) وقال فى تاج العروس: المشهور فى هذه القرية أنها بفتح السين وبالدال فى آخرها.
(7) الأحنف: هو الضحاك، وقيل: صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة، ينتهى نسبه الى سعد ابن زيد مناة بن تميم؛ ويكنى أبا بحر؛ وهو الذى يضرب به المثل فى الحلم، وكان من سادات التابعين؛ وأدرك عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه؛ وروى عن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم، وروى عنه الحسن البصرى وأهل البصرة؛ وشهد مع على رضى الله تعالى عنه وقعة صفين؛ وخرج مع مصعب بن الزبير الى الكوفة، فمات بها سنة سبع وستين وقيل سنة إحدى وسبعين (وفيات الأعيان) ترجمة الأحنف بن قيس.
(8) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد، ينتهى نسبه الى سعد بن زيد مناة ابن تميم؛ ويكنى أبا على، وكان شاعرا فارسا كثير الغارات مظفرا فى غزواته حليما؛ أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما؛ وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية؛ وأسلم وحسن إسلامه، وأتى النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه فى حياته، وعمر بعده زمانا، وروى عنه عدّة أحاديث، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا سيد أهل الوبر" (الأغانى ج ١٢ ص ١٤٩ طبع بولاق) أخبار قيس بن عاصم.

ولسنا بغاةً للنـــدى والتماسِـــه ٭ وان كنتَ معروفَ الندى والمكارمِ
ولكن وفاءً بالإخاء لمن وفَى ٭ وقد خان حتى حدُّ سيفى وقائمى
وجدتك ذخرى والزمانُ محاربى ٭ كما كنت عَونى والزمانُ مسالمى
فلا غرو أن أُثنِي اليـــك أعنّتى ٭ كما قد ثَنت يمناى خِنصَرَ خاتَمِى

يُهـدى الى المجلس السامى الشرفىّ تحيّـةَ الله التى تحملها أنفاس النسيم معطّرةً بعَرْف الرياض، مكلَّلةً بأندية الكرم الفيّاض، تغـاديه فى السحر والمَقِيـل، وتُراوحه فى الطَّفَل والأصيل، وتشاهد محاسنه[(١)] المقل أَحسَنَ من محاسن بثينة فى وجه جميل؛ وأثنيتـه[(٢)] التى تنتظم فى الأجياد آنتظامَ القـلائد، وتَرِد على الأسماع ورود الهِيم[(٣)] على عِذاب المَوارد، ويوليه من حبِّـه مزيّةَ الآختصاص، ومن مُوالاته[(٤)] السوانحَ التى لا تمتد إليها يد الآقتناص؛ فهو نسيم الأنس، ومسرّةُ النفس، وذخرُ اليوم والأمس؛ مصعبيُّ الهمم، مهلّبيُّ الشـيم[(٥)]، حاتميُّ الكرم؛ فاق أخلاقا، وراق أعراقا، وسما نفسا، وطلع فى سماء الشرف شمسا

وأَلفيتُـــه فى نفسِـــه وولائه ٭ وحسنِ معانيـــه كما آنتظم الدرُّ
وضاع شـذا أنفاســه فانتشـقتُه ٭ على النأى منـه مثلما آبتسم الزهرُ
ولاحت معاليـــه بآفاق مجـــده ٭ كما لاح فى ليـــل التِّمـام لنا بدرُ

---

(١) فى الأصل: «مجاسنه»؛ وهو تصحيف.
(٢) الظاهر أن هذه الجملة والتى بعدها مقدمتان من تأخير؛ واستقامة الكلام تقتضى تأخيرهما عن الجملتين اللتين بعدهما، أى بعد قوله فيما سيأتى: (يد الاقتناص). والأثنية: جمع ثناء.
(٣) الهيم: الإبل العطاش. وفى الأصل: «الهم» بسقوط الياء.
(٤) عبارة الأصل: «وله لأولى»؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.
(٥) فى الأصل: «النسيم»؛ وهو تحريف.

لا حُرِم إتيانى اليه، و إيثارَ تسليمى عليه؛ مع أنى كنت أعهد له خلوةً حلوةً مع الله[1] ووقفةً على بابِه، والتجاءه فى جنح الليـل إلى جنابِه، ودمعةً يرسلها إذا آسترسـل فى محرابِه؛ وضراعةً يتابعها خشوعُه، وزفرةً يشتمل عليها قلبه وتفرّق عنها ضلوعُه

فياليت شـعرى هل أقامت بثينة * على عهـدها أم قد ثنتها الشواغلُ
وهـل ذلك الودّ الذى كان بينا * بوادى الخزامى مثـلُ ماكان أوّلُ[2] ٥

(١٤٣) وكتب اليه — رحمهما الله — يستدعى منه ثلاثة أسهم ومليات[3]

— وقد أوردنا بعض هـذه الرسالة فى الفن الأوّل فى السواق، ونُوردها فى هـذا الموضع بجملتها لتكون متتابعة يتلو بعضُها بعضا — :

والسيفُ يُندَب فى الوغى فيهزّه * نَدْبُ الكمىِّ الى مضاء غِرارِه
والحرُّ أَولى بانتـــداب خلالهِ * لمؤمِّـل فيـــه قضـا أوطارِه ١٠

فلذلك حرّكتُ العزائمَ العاليـةَ المولويّةَ الشرفيّـةَ — أدام الله علاها ، ورفع لواها وأَودع أسماعَ الأنام ثناها؛ ولا زالت مرفَّهةَ السرائر، منوّرةَ الضمائر، سائرةً فى قطب المعالى سير الفَلَك الدائر، آخذةً بحظها من شرف المفاخر، جامعةً بين دَرَك إحسان

---

(١) عبارة الأصل : «لا جرم إتياى» ؛ وهو تصحيف فى كلا اللفظين .

(٢) لم يلتزم هنا ألف التأسيس وهى التى يكون بينها وبين الروىّ حرف متحرك ، ويجب على الشاعر التزامها اتفاقا . انظر الحاشية الكبرى للدمنهورى على متن الكافى ص ١١٧ طبع بولاق . ١٥

(٣) كذا فى الأصل والسمر الأوّل من هذا الكتاب ص٢٨٩ طبع دار الكتب المصرية ، وضبط فيه بفتح الميم وتشديد الياء ، ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على لفظ «المليات» بالمعنى الذى يريده الكاتب فى هذه الرسالة ؛ فإنه يريد بالمليات : أوانى من خزف يستخرج بها الماء من السواقى كما يفهم من وصفها الآتى وتسمى هذه الأوانى بالقواديس ؛ كما فى مستدرك التاج مادة «قدس» . ٢٠

الله فى اليـوم الأوّل واليوم الآخر — تحريكَ الطَّسْمِيّة[1] عزائمَ الأَسوَد بن عفار[2] وبعثَها إلى إنالة الأمل انبعاثَ الهمم العربيّـة يومَ ذى قار[3]، وٱستجاشتُ عزائمها استجاشةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عزائمَ الأنصار، واستنجدتُها استنجادَ العثمانيّة بالهاشميّة يوم الدار[4]، واستحثثتُها سرعةَ الإجابة استحثاثَ أَدهمِ الليل أَشهبَ النهار، فإنها

---

(١) كذا فى الأصل؛ ولعله: «الجديسية» نسبة الى جديس؛ فان الذى حرّك الأسود بن عفار للذود عن شرفه وشرف قومه، هى عفيرة أخته، وهما من جديس لا من طسم؛ وقد بينا ذلك فى الحاشـية التى تليهـا .

(٢) كذا فى الأصل ومستدرك التاج والكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢٥٤ طبع ليدن) بالعين المهملة والذى فى تاريخ الطبرى القسم الأول (ص ٧٧١ طبع أوربا): «ابن غفار» بالغين المعجمة. وأشار بهذه العبارة الى ما كان بين طسم وجديس — وهما قبيلتان من العرب البائدة — وذلك أن ملك طسم كان قد سام جديس أنواع الذل، وأمر ألا تزف فتاة من جديس الى زوجها حتى يفتض هو بكارتها، فزفت فتاة من جديس الى زوجها، وقبل زفافها أتى بها الى ملك طسم، فافتضها، وكان اسمها عفيرة، وهى الشموس أخت الأسود بن عفار هذا، فخرجت على قومها فى حالة تثير الحمية فى نفوسهم وتحرضهم على أن يقوموا فى وجه هذا الظالم ليحفظوا شرفهم وأعراضهم؛ فخطب الأسود بن عفار فى قومه وائتمروا بطسم وملكهم ليمنعوهم عن آخرهم ويخلصوا من ظلمهم، فصنعوا طعاما، ودعوا اليه ملك طسم وقومه ودفنوا سيوفهم فى الرمل فلما حضروا وجلسوا الى الطعام أخذتهم سيوف جديس فلم تبق منهم أحدا . انظر تفصيل هذه القصـة فى الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ طبع ليدن) وغيره من كتب التاريخ .

(٣) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط؛ وبه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس . وهو أوّل يوم انتصف فيه العرب من العجم . وهذه الوقعة من مفاخر بكر بن وائل (ياقوت) فى الكلام على ذى قار وانظر تفصيل هذه القصة فى كتب التاريخ .

(٤) يريد دار عثمان بن عفان رضى الله تعـالى عنه التى حوصر فيها وقتله الثوار بها فى الثامن عشر من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين . انظر ذلك مفصلا فى كتب التاريخ . ويشير بقوله: «استنجاد العثمانية بالهاشمية» الى كتاب قيل: ان عثمان بعث به الى على رضى الله تعالى عنهما يستنجده على من حاصره جاء منه: أما بعد فقد بلغ السيل الزبى، وتجاوز الحزام الطبيين، وطمع فىّ من لا يدفع عن نفسه؛ الى أن قال: فأقبل إلى على أى أمريك أحببت

فان كنت مأكولا فكن خير آكل ... والا فأدركنى ولما أمزق

"تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون للصفدى" .

للتى ثنيتُ عليها خِنصرَ الاعتماد، وصرفتُ اليها عَقيدةَ الاعتداد[١]، وجعلتها من القلب فى سويدائه ومن المقلة فى السواد، واعتمدتُ عليها اعتماد بكرٍ على الحارث بن عُباد[٢]؛ لا جرم أنها والحمد لله تعالى ساعيةٌ لآمالى متى استسعيتُها، وصدى صوتى متى دعوتُها وفاتحةُ كتابِ المحامد متى تلوتُها؛ وأعيدها بالله أن تنكُبَ عن قضائها[٣]، أو تقفَ دون غاية انقضائها؛ وإنها لأَورَقُ[٤] فرعا من أفنان السَّلَمه[٥]، وأعرقُ أصلا فى الوفاء من أصل السَّلِمه[٦]، وأرشقُ سهما فى كنانة سَلِمه[٧]، وأوثقُ فى حفاظ المودّة من ابن شبرمه[٨]؛ يقينٌ

(١) فى الأصل: «الاعتذار» بالدال المعجمة والراء؛ وهو تحريف.

(٢) كذا ضبطه العلامة الشنقيطىّ بضم العين فى إحدى نسخ القاموس مادة "عبد" وهـذه النسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩ لغة ش. وضبط كذلك بالقلم فى شرح التبريزى على ديوان أبى تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش عند قول ابى تمام:

كم وقعة لك فى الهوى مشهورة ٭ ما كنت فيها الحارث بن عباد. والحارث بن عباد: هو أحد فرسان بنى بكر بن وائل ورؤسائهم؛ وكان قد اعتزل الحروب التى وقعت بينهم وبين بنى تغلب، وهى المسماة بحرب البسوس. ثم شهدها بعد ذلك لما قتل مهلهل بن ربيعة ابن أخيه بجيرا، وقال مهلهل حين قتله: "بؤ بشسع نعل كليب" فغضب عند ذلك الحارث بن عباد وقال:

قربا مربط النعامة منى ٭ لقحت حرب وائل عن حيال

الأبيات — والنعامة: فرسه — فأتوه بها، فركبها وولى أمر بكر وشهد حربهم، وكان أوّل يوم شهده يوم قضة، وهو يوم تحلاق اللمم، وإنما قيل له: تحلاق اللمم، لأن بنى بكر حلقوا رءوسهم ليعرف بعضهم بعضا، وقاتل يومئذ الحارث بن عباد قتالا شديدا، فقتل فى تغلب مقتلة عظيمة، وفى هذا اليوم أسر الحارث ابن عباد مهلهل بن ربيعة ثم أطلقه اهـ ملخصا من تاريخ ابن الأثير (ج ١ ص ٣٩٤، ٣٩٥ طبع ليدن).

(٣) عبارة الأصل: «أن تكتم عن نصابها»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى؛ ولعل صوابه ما أثبتنا إذ هو مقتضى السياق.

(٤) هو من ورق الشجر يرق كوعد يعد والأكثر فى هذا الفعل «أورق» بالألف، قاله الأصمعى.

(٥) السلمة: شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها وورقها يسمى القرظ، ولها زهرة صفراء فيها حبة خضراء طيبة الريح تؤكل فى الشتاء وتخضر فى الصيف. وقال أبو حنيفة: السلم سلب العيدان طولا شبه القضبان وليس له خشب وإن عظم وله شوك دقاق طوال حادّ. والكلام هنا على الاستعارة.

(٦) السلمة بكسر اللام: الصخرة؛ يريد أنه ثابت العهد على الأيام ثبوت الصخر. (٧) سلمه بكسر اللام: بطن من الأنصار. (٨) لعل المراد بابن شبرمة: سعيد بن النضر بن شبرمة الحارثى الكوفى، من المحدّثين انظر مستدرك التاج. وفى الأصل: «ابن أبى شبرمة»؛ وقوله: «أبى» زيادة من الناسخ.

أَحطتُ بأنبائه، إحاطةَ رسول ابن داود(١) يوم إنبائه؛ فلا أشكّ(٢) فى شرف نفسِها وسموِّ نجمِها ووضوحِ شمسِها، وزيادةِ يومها فى الوفاء على أمسِها(٣)، كما لا تشكّ الإياديّة فى فصاحة قُسِّها، ولا العامريّةُ فى عَلاقة قيسِها؛ وقد تَوجَّه اليه حاملُها لحمل السهام التى أَسهمتْ له مِن الموالاة(٤) أَوفرَ أقسامِها، ونَشرتْ رداءَ ذِكرِه على أفئدة قلوبها وألسنة أقلامِها؛ عند اشتداد الحاجة إليها، وجَرِّ ثِقلِ السواقى عليها؛ وحركةِ الحرّ التى حلّت شمسُه بُرجَ حَمَلِها(٥)، وتوالت جيوشُ جنودِه بين صدور ظُباها وأطرافِ أَسَلِها؛ تجفِّف أنداءَ الثرى، ونُعيد عنبرَ الأرض عِثيَرا(٦)، وتُشيب مَفارِقَ نَباتِها، وتُذيق المماتَ أكبادَ حَبّاتها(٧)؛ فاستنصر العزائمَ العاليةَ المولويّةَ الشرفيّةَ فى إطفاءِ لَهَبِه واقتَضَينا إعانته قبل انتضاء قُضُبِه(٨)، وبعثْنا لمحلّ الهمة الشرفيّة قبل سطوته على قَضْبِه(٩) وقَصَبِه؛ لتجرى جداولُها على صفحة الثرى مستفيضه، وتُجنَى ثمراتُ رياضها من

---

(١) أراد برسول ابن داود: الهدهد؛ وقصته مع نبى الله سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم مشهورة.

(٢) فى الأصل: «ان فى شرف» وقوله: «ان» زيادة من الناسخ.

(٣) فى الأصل: «أمنها»؛ وهو تحريف.

(٤) الموالاة، من والى فلان فلانا: اذا أحبه وصادقه.

(٥) الحمل من بروج السماء: أوّل البروج، وأوّل هذا البرج الشرطان — وهما قرنا الحمل — ثم البطين ثلاثة كواكب، ثم الثريا، وهى أليه الحمل؛ هذه النجوم على هذه الصفة تسمى حملا. قال فى اللسان: وهذه المنازل والبروج قد انتقلت؛ والحمل فى عصرنا هذا أوّله من أثناء الفرغ المؤخر اهـ كلامه؛ والحمل من البروج الربيعيه.

(٦) عبارة الأصل: «عبير الأرض عبرا»؛ وهو تصحيف فى كلا اللفظين لا يستقيم به المعنى؛ والعثير: الغبار.

(٧) فى الأصل: «صبات» بالصاد؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى.

(٨) فى الأصل: «اقتضاء» بالقاف؛ وهو تحريف.

(٩) القضب كل نبات يقتضب فيؤكل طريا غضا.

أنداء همّته أَرِيضَه[1]، وتغازل مقلُ النموس لحظاتِ أزهارها، وتفتن أفنانُ[2] فنونها بنَوح بلبلها وهَزارِها، ويبوح شذا الروض عن[3] سرّها وآثارِها[4]؛ هذا مع أنّها خَطبتْ حُسنَ إحسانه، وتقلّدتْ جميلَ برّه وجزيلَ آمتنانه؛ والربيع مُنَمْنَم العِـدار، مُوشَّى الإزار، قد لبس رداء شَبابِه، وماسَ فى خَضِر ترابِه وخَضِلِ رَبابِه[5]؛ بهزّ أعطاف سَنائه[6]، ويَخطِر فى بُرد هوائه وبَرد مائه، فكلّل وجناتِ نَوْره بَبرَد أندائه؛ والثرى عنبرىُّ الأديم، سَحرىُّ النسيم، رَنْدىُّ الشميم؛ موشَّحٌ بقلائد غدرانه، مغازِلٌ بعيون نرجسه بسّام بثغر أُقْحُوانه؛ لا يغرّد ذبابُه[7] ولا يطرِّب، ولا يَصِرُّ بسُحُراته[8] الجُندَب؛ تطلُع شمسه محتجبةً فى ضبابِها، مقنَّعةً من سحابِها[9]؛ جاريةً فى أثنـاء حُبُكِها[10]، حائلةً فى أدنى فَلَكِها؛ تسعى فتُسرع، وتكاد أن تغرب حين تطلُع؛ والجوُّ معقود الأزرار، فاختىٌّ[11]

(١) الأريضة : المعجبة للعين .

(٢) الأفنان : الأغصان ؛ واحده فنن ... ويريد بالفنون : ضروب النبات ، واحده فن .

(٣) كذا فى الأصل ؛ ولم نقف فيما بين أيدينا من كتب اللغة على تعدية «باح» بهذا الحرف ، ولعله ضمن يبوح : معنى يكشف فسوّغ له هذا التضمين ذكر « عن » .

(٤) فى الأصل : «وأسرارها» ؛ وهو تحريف لتكرره مع ما قبله .

(٥) فى الأصل : «ذبابه» بالذال المعجمة ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والرباب : السحاب .

(٦) فى الأصل : « شبابه » ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه آخر الجملة الآتية . إذ به يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته .

(٧) فى الأصل . «لا يدر» وفيه تصحيف ونقص .

(٨) فى الأصل : « ولا يصر بشحراته » ؛ وهو تصحيف فى كلا اللفظين . والصرير والصرصرة : صوت الجندب .

(٩) فى الأصل : « صيابها » ؛ وهو تحريف .

(١٠) حبك الشمس : طرائقها ، الواحد حبيكة .

(١١) الفاختى : نسبة الى الفاختة ، وهى ضرب من الحمام المطوق لأن لونها يشبه الفحت : وهو ضوء القمر .

الإزار، غَيمُه منسكب، ونُورُه منسحب، وليلُه يضمّ أطراف نهاره، و يلفُّ وجهَه في حاشية إزارِه، يَنفِي القذاةَ[1] عن مائه، ويَجمع الحواسَّ على جَلْوائه[2]، و يُعشِى المقل من ضوء سَنائه

فلو أن ليـلى زارنى طيفُ أنسها * وماءُ شـبابى قاطــرٌ فى ذوائبى

ضممتُ عليهـا البرد ضمّـةَ آلف * وألصقتُ أحشائى بهـا وترائبى

ولكن أتتنى بعــد ما شاب مَفرِقى * ووَدّعتُ أحبـابى له وحبـائبى

والحاجةُ داعيــةٌ إلى ثلاثة أسهم، كأنهـا هَقْعةُ[3] الأنجُم، ممتدّة آمتداد الرمح، مقوّمة تقويم القِدْح، غير مُشعَّثة الأطراف، ولا معقَّدة الأعطاف، ولا مسوَّسة الأجواف، تُجانس العصون بقوامِها، والقدودَ بتمـامِها، وتُخالِف هيفَها بامتلاء خصورِها، وتُساوِى [بين][4] هَواديها وصدورِها[5]، معتدلة القدود، ناعمــة الخدود، مع مليات أخذت النار فيها مَأخذَها فاسودّتْ، وتطاولت عليها مدّةُ الجفاف فاشتدّتْ، وترامت بها مدّة القِدَم، كأنها فى حيّز العدم، صِلاب المكاسر، غِلاظ المآزر، تُشبه أخلاقَه فى هيجاء السِّلْم، وتَحكِى[6] صــلابة آرائه فى نفاذ الرأى ومَضاء العزم، تَكظِم على المـاء بقَبضِها[7]، فتجود على الأرض بفَيضِها، تمدّ يدَ أيدِها[8] فى آقتضاء إرادتهـا، وتَطلع

(١) فى الأصل : «يمسر الدوات» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه سياق الكلام .

(٢) فى الأصل : «ملوايه» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٣) الهقعة : ثلاثة كواكب فوق منكبى الجوزاء كالأثافى إذا طلعت مع الفجر آشتدّ حر الصيف .

(٤) لم ترد هــذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن السفر الأول من هــذا الكتاب ص ٢٨٩ الطبعة الأولى بدار الكتب المصرية .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٩٤ من هذا الجزء .

(٦) فى الأصل : «وتحلى» ؛ وهو تحريف .

(٧) فى الأصل : «لعيظها» وفى السفر الأول من هذا الكتاب : «بعيضها» ؛ وهو تصحيف فى كليهما .

(٨) الأيد : القوّة .

طلوعَ الأنجم فى فلَكِ إدارتِها ، وتُعانِق أخواتها معانَقةَ التشييع ، فآخرُ التسـليم أولُ التوديع ؛ على أنها تؤذِن بحقائق الآعتبار، وتجرِى جَرْىَ الفَلَك المُدار فى فَناء الأعمار

تَمـرّ كأنفاس الفتى فى حيـاته * وتسعى كسعى المرء أثنـاء عمره

يفارق خلٌّ خلَّه وهو سـائرٌ * على مِثل حال الخلّ فى إثر سيره

ويُعلِمه التَّدوارُ لو يعقل الفتى * بأن مرور العمر فيه كمَرّه

فمن أدركتْ أفكارُه سرَّ أمرِها * فقد أدركت أفكارُه سرَّ أمرِه

ومن فاته الإدراك أدركه الردى * إذا جُرِّعتْ أنفاسه كأسَ مُرّه

هـذه آخر خَطَوات القلم، ومنتهى خَطَرات الكَلِم ؛ فقُم فى سرعة وصولِها وتعجيل رسولِها

بعزمٍ [غدا] يُنسِى لمروانَ عَزْمَه * براهِطَ[1] إذ جاشت عليـه القبائلُ

غيرَ معتمد عليه، ولا مفوِّضٍ أمرا اليه ؛ فلَم أعتمد عليه آعتماد الصُّوفه[2]، وإنمـا هو العِماد عند أهل الكوفة[3] ؛ وإنمـا هو حمار سَير، وذَنَب طَير؛ يَحمِل ورقة مطويّةً عن

(١) راهط : موضع فى الغوطة من دمشق . (ياقوت) ومنعه من الصرف باعتبار أنه علم على البقعة . وأشار بهذا الى وقعة مرج راهط المشهورة وكانت بين عساكر مروان بن الحكم أحد خلفاء بنى أمية وأتباع عبد الله بن الزبير، وهم القيسية، وكان النصر فيها لجنود مروان .

(٢) كذا فى الأصـل ؛ ولم نجد من معانى هـذه الكلمة ما يناسب السياق ؛ ولعل صواب العبارة : "اعتماد آل صوفة"، وآل صوفة : قوم كانوا يخدمون الكعبة ويتنسكون ؛ قال فى الأساس : ولعل الصوفية نسبوا اليهم تشبيها بهم فى النسك والتعبد اهـ ؛ يريد الكاتب بهذه العبارة : أنه لم يعتمد على هذا الرسول اعتماد المفوض اليه فى كل أمر، كاعتماد أهل التنسك والعبادة على خالقهم وتسليمهم اليه فى جميع الأمور .

(٣) العماد عند أهـل الكوفة : هو المسمى بضمير الفصل عند البصريين مثل «هو» فى قولك : «زيد هو القائم» ؛ وتسميته عمادا لأنه يحفظ ما بعده حتى لا يسقط عن الخبرية كالعماد فى البيت الحافظ للسقف من السقوط كما نص على ذلك فى كتب القواعد ؛ وكأن الكاتب يقول : إن هذا الرسول لا يصلح إلا لأن يحمل ما يكلف بحمله، ولا يصلح لأن يفوض اليه أمر آخر يحتاج الى فطنة ودقة نظر، فهو كضمير العماد الذى ليس له فائدة فى الجملة لا كونه عمادا لما يليه .

عِلمِه، مزويّةً عن فهمِه، "كما يحمل الزَّندُ الشرارَ إلى العَظْم" والله تعالى يُحلّه من السعادة أشرفَ آفاقِها، ويحرسه فى طَفَل الشمس وإشراقِها

ويُجريه من ألطافه نحو غاية * تُبلّغه الألطافُ حلوَ مَذاقِها
ويُلبِسه فخرَ السيادة والعلا * كما لبسَتْ أسماءُ[1] فخرَ نطاقِها

٥ إن شاء الله تعالى .

ذكر شيء من إنشاء المولى [القاضى[2] الفاضل البارع الأصيل] الأجل محيي الدين عبد الله [بن[2] عبد الظاهر] رحمه الله تعالى

كان رحمه الله من أجلّ كتّاب العصر، وفضلاءِ المصر، وأكابرِ أعيان الدُّوَل والذى افتخر بوجوده أبناء عصره على الأُوَل، له من النظمِ الفائق ما راق صناعةً ١٠ وحُسنا، ومن النثرِ الرائق ما فاق بلاغةً ومعنى، فقصائدُه مدوّنةٌ[3] مشهوره، ورسائلُه بأيدى الفضلاء ودفاترهم مسطوره، وكلامُه كاد يكون[4] لأهل هذه الصناعة وعليهم

(١) أسماء : هى بنت أبى بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنهما ؛ وكانت تلقب بذات النطاقين ، وأصح الأقوال فى تعليل ذلك اللقب أنه كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل فى الآخر الزاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه وهما فى الغار . وقيل لأنها شقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار ، فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأخرى عصاما لقربته ؛ وروى عن ١٥ عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج مع أبى بكر مهاجرين صنعنا لهما سفرة فى جراب فقطعت أسماء من نطاقها وأوكت به الجراب فلذلك كانت تسمى ذات النطاقين (تاج العروس) وتوفيت أسماء بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال ، وكان قتله يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٨ ص ١٨٦ طبع ليدن .

٢٠ (٢) هاتان العبارتان لم تردا فى (ا) وقد أثبتناهما عن (ح) .

(٣) فى (ا) : "مبينة" .

(٤) كذا فى (ح) والذى فى (ا) «كاد أن يكون» بزيادة «أن» والذى اخترناه هو الأكثر فى خبر « كاد » فإن اقتران خبرها «بأن» قليل ؛ بل نص بعضهم على أن ذلك مخصوص بالشعر ؛ ومنه قول الشاعر :

* كادت النفس أن تفيض عليه * الخ البيت .

حجه ، وطريقُه فى البـــلاغة أسهل طريق وفى الفصاحة أوضحُ مَحَجّه ؛ وهو رحمه الله ممن عاصرتُه[(١)] ولســوء الحظ لم أشاهدْ محيّاه الوسيم ، ولم أَفُز بالنظر إلى طلاقة وجهه الكريم ؛ والذى أورده من كلامه هو ممّـا نقلتُــه من خطّه ، وتَلَقّيته ممّن سمعه مِن لفظِه ؛ فمن كلامه — رحمة الله عليه — ما كتبه عن السلطان الملكِ الظاهرِ ركنِ الدين بيبرس الصالحىّ — رحمه الله — إلى ملك الغرب ، كتب :

تحيّاتُ الله التى تَتابَع وفودها وتَتوالَى ، وتشرق نجومُها وتَتلالا ، وتنفق إسرافا ولا تخاف من ذى العرش إقلالا ، تخصّ الحضرةَ السنيّةَ السَّريّه ، العالِميّةَ العادليّــةَ المستنصريّه ، ذخيرةَ أمــيرِ المؤمنين ، وعصمة الدنيــا والدين ، وعُدّة الموحّدين ؛ لا زالت سماؤها بالعــدل مُغدِقةَ الأنواء مُشرِقةَ الأنوار ، ورياضُها بالفضــل مُورِقةَ الأغصان مُونقةَ الثّمار ، ولا برحتْ ضَوالُّ الأمانى فى أبوابها تُنشَد ، وقصائدُ القُصُود[(٢)] فى انصافها تُنشَد ، وسُرى الآمال عند صباح أمرها يُحمد ، وأحاديثُ الكرم عن جودها تُرسَل وإلى وجودها تُسنَد ؛ وسلامُه الذى يكاثر نسيمَ الروض الأنيق ، ويفاخِر جديدُه عتيقَ[(٣)] المسك وأين الجديد من العتيق ؛ يغادِيان تلك الأنداءَ[(٤)] المباركةَ مُغاداةَ الغوادى

---

(١) فى (أ) : «عاجزته» بالجيم والزاى ؛ وهو تحريف .

(٢) القصود : جمع قصد ، وهذا الجمع ذكره بعض الفقهاء ، وإنما جمع القصد مع أنه مصدر — والمصــدر لا يثنى ولا يجمع — نظرا لاختلاف أنواعه ، ويدل كلامهم على أن جمع المصدر موقوف على السماع ، فإن سمع الجمع عللوا باختلاف الأنواع ، وان لم يسمع عللوا بأنه مصدر أى باق على مصــدريته وعلى هذا فجمع القصد موقوف على السماع اهـ ملخصا من المصباح .

(٣) عتيق المسك : قديمه ؛ وفى كلا الأصلين : «فتيق» بالفاء ، وهو وإن كان صحيح المعنى الا أن مقابلته فى العبارة بالجديد مرتين يرجح ما أثبتنا . وفتيق المسك بالفاء : فعيل بمعنى مفعول ، وهو من فتق المسك بغيره : اذا أخرج رائحته بشىء يدخله عليه .

(٤) الأنداء : جمع النادى ، وهو القوم المجتمعون ؛ وفى حديث أبى سعيد : "كنا أنداء نخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم" .

من وابل[(١)] المطر، ويراوحانها مُراوَحة الرِّقّة للأُصُل والبُكَر، حيث العزّة القعساءُ يمتدّ رواقُها، والنعمةُ الغرّاءُ تُخصَفُ أوراقُها[(٢)]، والدِّيمةُ الوَطْفاءُ[(٣)] يتوالى إغداقُها، ويتتالى إغراقُها؛ وحيث العدل منشور الجناح، والحقّ مشهور السلاح، والإنصافُ مبرورُ الأقسام لطالبه باقٍ لا يزاح؛ سجيّةٌ تتوارث توارُثَ الفخار، ومزيّة تستأثِر بالهداية آستئثارَ النجوم بالأنوار، وشِيَم تُستصحَب آستصحابَ الأهلّة للإبدار؛ فلذلك يتلفّت الأمل اليها تَلفُّتَ السارى الى تبلُّج الصباح، ويرتاح الى تلقّى إحسانها آرتياحَ الظامئ إلى ارتشاف الماء القَراح، ويحتمى بها فى المطالب آحتماءَ الليث بالغابه، ويستمِدّ إسعافَها آستمدادَ الحديقة من السحابه؛ ويهزّ عدلها كما هزّ الكمىُّ المُرْهَف، وينبِّه فضلَها تنبيهَ النسيم جفنَ الزهر الأَوْطَف[(٤)]، فيناجِى بالجُؤور[(٥)]، ويلتمسُ لها حسنَ الصنع الذى لا يزال مبتسمَ الثغور؛ فمما قَصَّ عليه من مناجاته، وطَوَى عليه طَوِيّةَ مفاوضاته، أنّ القاضىَ زينَ الدين بنَ حَباسةَ من بيتٍ أسلَف سلفُه جميلا، وغدا هو على مكارمه دليلا، وكان له غلام قد سيَّر معه جملةً[(٦)]...والآحتفالُ الحفىُّ[(٧)] مسئولُ

(١) لعله: «بوابل» فإن السياق يقتضى الباء.

(٢) تخصف أوراقها: أى تتصل أجزاؤها اتصالا لا انقطاع فيه، وخصف الورق: هو أن يوصل بعضه ببعض للاستتار به.

(٣) الوطفاء من السحب: المسترخية لكثرة مائها؛ أو هى الدائمة السح الحثيثة.

(٤) الأوطف: المسترخى. والمصدر الوطف بالتحريك؛ يريد تشبيه الزهر فى سكونه بالجفن الذى عشيته سنة من الكرى فاسترخى.

(٥) فى كلتا النسختين: «بالأجور» بتقديم الهمزة؛ وهو تحريف لايستقيم به المعنى. والجؤور: جمع (جأر) بسكون الهمزة مصدر جأر يجأر: اذا دعا وتضرع؛ وانما جمع المصدر هنا نظرا لاختلاف أنواعه؛ وقد سبق الكلام فى جمع المصدر فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٢ من هذا السفر

(٦) كذا وردت هذه العبارة فى كلا الأصلين؛ وهى غير واضحة المعنى. والظاهر أن لها بقية تتم معناها سقطت من الأصول التى بين أيدينا؛ ولم نقف عليها فما راجعناه من المظان.

(٧) الحفىّ بتشديد الياء: المبالغ فى البر والإكرام. وفى (ج) «الخفى» بالخاء المعجمة؛ وهو تصحيف.

فى تقدّمٍ يجيب النجاحُ داعِيَه، ويغدو الفلاحُ مُراوِحَه ومُغادِيَه؛ وآعتناءٍ يستخلص حقَّه ممن عليه آعتَدَى، ويَرَى مِن قبسِــه نورا يجد به هدى؛ فببارقةٍ يضيء لديه الحالك، وبلمحةٍ يهتدِى "بحيث آهتــدت أمُّ النجوم الشوابك"(١)؛ وما هو إلا رسمٌ يرسم به وقد قرب البعيد، وآب الشريد، وخاف الخائف، وكَفَّ الجانف(٢)؛ وجُمعت الضَّوالّ، وضاق على المختزِل(٣) واسعُ المَجال؛ مَهابة قد سكنت القلوب، وسياسة قَوِىَ الطالبُ بها وضعف المطلوب، وعزّة لا يزال الرجاء يُنيب إليهــا فيما ينوب؛ وأىُّ مطلب تُناجَى فيه الآلاءُ المباركةُ فلا تُصحِب قيادُه، ويُستسـقَى له مُزْنٌ ولا تُعاهَد عِهادُه(٤)؛ وأىُّ ذاهبٍ لا يُسترجَع به ولو أنه عشيّاتُ الحِمى(٥)، وأىُّ فائتٍ لا يُرَدّ ولو أنه زمن الشبيبة المعسولُ اللَّمَى؛ وحسبُ العانى أن يحطّ برحابها رحالَه، أو أن يوفد إلى أبوابها آمالَه؛ وقد تبادرتْ إليه المَناجحُ متسابقه، وآنتظمتْ لديه المصالح متناسقه؛ فحينئــذ يُفعَم إناءُ تأميلِه، ويَستوعِب الإحسان لجملةِ(٦) قصده وتفصيلِه؛ ويناديه

(١) الشوابك: من شبكت النجوم اذا دخل بعضها فى بعض واختلطت، وكذلك اشتبكت وتشابكت. وأم النجوم: المجرّة وهذا عجز بيت لتأبط شرا، وصدره: «يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدى» بحيث اهتدت الخ انظر ديوان الحماسة. ومعنى الشطر الثانى من هذا البيت أنه يستغنى عن الدليل فى أسفاره كما تستغنى المجرّة؛ والعرب تقول: هو أهدى من النجم.

(٢) الجانف: من الجنف بفتح الجيم والنون: وهو الميل والجور.

(٣) المختزل: الخائن؛ يقال: اختزل الوديعة: إذا خان فيها. والاختزال فى الأصل: الاقتطاع.

(٤) تعاهد بالبناء للمجهول، من المعاهدة: وهى المعاقدة والمحالفة. والعهاد، جمع عهد: وهو المطر بعد المطر؛ أو هو أول مطر الوسمىّ.

(٥) يشير بهذه العبارة الى قول الصمة بن عبد الله بن طفيل القشيرى:

وليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا

ديوان الحماسة (باب النسيب).

(٦) هذه اللام ساقطة من كلا الأصلين، وقد أثبتناها ليصح الإعراب بالكسر فى قوله: «وتفصيله»؛ كما هو مقتضى السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته.

السعد من تلك البقعة المباركه ، فيوافيه التوفيقُ بصحائف القبول تحملُها الملائكه ؛ أمتع الله ببركاتها التى آمتدّ رواقُها ، وأنار آلحالكَ إشراقُها ؛ ولا زالت يراوحها تسليمُ عَطِرُ النفحه ، وتصافحها تحيّاتٌ جميلة الصفحه ؛ بمنّه وكرمه .

وكتب رسالة صَيديّة عن[1] السلطان الملكِ الظاهرِ إلى الأمير عز الدين الحِلّىّ[2] نائبِ السلطنة بالقلعة :

هذه المكاتَبة إلى المجلس لا توارت شُموسُ أنسِه ، ولا أُذبِلتْ ثمارُ غرسِه ولا برح غدُه فى السعد مُرْبيا على يومه و يومُه على أمسِه ؛ تتضمّن إعلامَه بأنا خرجنا إلى الصيد المبارك بجنود تملأ السهل والجبل ، وتستحيي الشمس منها فتستتر فى سحابها من كثرة الخجل ؛ تَسير على الأرض منها جبال ، وتأوِى الرمال منها الى أوَرَف ظلال ؛ وتوجّهنا إلى جهة الطّرّانة[3] و إذا بحشود[4] الوحوش قد توافدتْ ، وعلى مناهل المناهج قد تواردتْ ؛ والأجلُ يسوقُهم ، والبِيدُ تعقّهم[5] ، والمنايا تَعُوقُهم ؛

---

(١) فى (أ) : «إلى» ؛ وهو غير مستقيم .

(٢) هو عز الدين أيدمر بن عبد الله الحلى الصالحى النجمى ؛ كان من أكابر الأمراء وأحظاهم عند الملوك ، ثم عند الملك الظاهر بيبرس ، وكان يستنيبه فى غيبته ؛ وكانت وفاته فى سنة سبع وستين وستمائة تاريخ العينى المسمى بعقد الجمان المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ والنجوم الزاهرة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

(٣) الطرّانه مشـدّدة الراء : اسم لوادى هبيب ، وهى كورة من حوف رمسيس ، وتعرف ببرية شهاب ، و برية الأسقط ، وميزان القلوب ، و بها قبر أبى معاذ الكبير (مستدرك التاج) .

(٤) الحشود : الجموع ، وهو جمع حشد بفتح الحاء وسكون الشين .

(٥) تعقهم : أى تنبو بهم ، وتجافى عنهم .

ولم تزل أيدى الخيل تجمعهم فى صعيد، وتطوى بهم سطورا فى طروس البيد؛ حتى أحاطت بهم إحاطةَ الفَلَك بالنجوم الزواهر، والأجفانِ بالعيون النواظر؛ وجُرِّدَتْ السيوف فطنّتْها غُدُرا، ورُميتْ النبال فحسبتْها شَرَرا؛ وعُزِلَتْ[1] الرماحُ بالسهام وحيّتها السِّلام[2] بالسَّلام، وسَكنتْ نهارا من العَجاج فى ظلام؛ وضاقت عليها الأرض بما رَحُبتْ، وأدركتْ المنيّةُ منها ما طَلبتْ؛ وراسلتْها المنايا، وأهدت اليها رياحينَ تَحايا؛ فمن صريعٍ وصديعٍ وطريحٍ وطريد، وجريحٍ ومقتولٍ وشريد، وقائمٍ وحصيد؛ ولم تَسلم فى هذا اليوم غيرُ غزالة السماء فإنها استترت بالغيوم، وخافت أن يكون الهلال قد نُصِب فخّا لصيدها وصيد غيرها من النجوم؛ والموتُ[3] أَسَرَ كلَّ مَهاةٍ مَهابَه، ونال الحتف من كل طَلًا[4] طِلابَه؛ وفتكت الظُّبا بالظِّبي، وقالت السهام لأجيادها: مَرحبا؛ وثَنَينا الأعنّة والشفار قد أُنهِلتْ، والظهورُ قد أُثقِلتْ؛ والكُنُسُ[5] خاوية على عروشِها، والبِيدُ قد أَوحشتْ من وحوشها؛ وما نشتمل عليه من محبّة المجلس وإيثارِه، ونَجِده من الوحشة له مع دنوّ دارِه؛ وسرورُه بما عساه لنا يتجدّد، وحبورُه بما يَرِد من جهتنا وهذا لا نشكّ فيه ولا نتردّد؛ أَوجب أن نخصّه به ونُتحِفَه، ونصِفَه له على جليّته إذ كنّا بالتخصيص به لن ننصفَه؛ وقد بعثْنا إليه منه قسما، ولم ننسَ عند ذكرِنا أنفسَنا له آسما.

(١) لعله: «وعززت» بالبناء للمجهول من التعزيز: وهو التقوية والإعانة. أو لعل المراد بقوله: «وعزلت الرماح» الخ: أن العمل فى الصيد كان بالسهام دون الرماح فشبه ترك العمل بها بالعزل.

(٢) السلام: الحجارة، واحده سلمة بكسر اللام.

(٣) فى كلا الأصلين: «وللوقت»؛ وهو تحريف.

(٤) الطلا بالفتح: من أولاد الوحش من حين يولد الى أن يتشدد.

(٥) الكنس: جمع كناس بكسر الكاف، وهو مولج الوحش من الظباء والبقر تكتنّ فيه من الحر. وفى كلا الأصلين: «والكناس» بصيغة المفرد؛ وما أثبتناه هو مقتضى السياق.

*
* *

وكتب عن السلطان الملكِ المنصورِ سيفِ الدين قلاوون إلى صاحب اليمن جوابَ كتابٍ عزّى فيه السلطانَ عن ولده الملكِ الصالح علاءِ الدِّين علىّ[١] — وكان الكتابُ الذى ورد فى ورق أزرق، وسيَّره فى كيسِ اطلسَ أزرق، والعادةُ أن يكون فى كيسِ أطلسَ أصفر — :

أعزّ الله نُصرتَه وأحسن بتسليته الصبرَ على كل فادح، والأجرَ على كلّ مصاب قَرَح القرائح، وجرح الجوارح، وأَوفَد مِن تعازيه كلَّ مسكِّنٍ طاحت[٢] به من تلقاءِ صنعاء اليمن الطوائح، وكتب له جراءَ المصبِّر عن جارٍ من دمعٍ طائحٍ[٣]، على جارٍ اسوِ بداء القلب صالح، المملوك يخدُم خدمة لا يذُود المواصَلةَ بها حادث، ولا يؤخّرها عن وقتها أمرٌ كارث، ولا تَنقُصها عن تحسينها[٤] وترتيبها بواعثُ الآختلاف ولا آختلافُ البواعث، ويُطالِع العلمَ الكريمَ على ورود مثالٍ كريم لولا زرقةُ طرسه، وزرقةُ لبسه، لقال : "وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ"، يتضمّن ما كان حدث من رزءٍ تلافاه آلله بمَناسيه، وتوافَى هو والصبر فتولَّى التسليمُ تبيينَ عاسِيه[٥]

(١) كذا فى كلا الأصلين وتاريخ العينى المعروف بعقد الجمان؛ والذى فى ابن إياس (ج ١ ص ١١٧) (نور الدين) مكان (علاء الدين) فلعله لقب آخر له. وكانت وفاة الملك الصالح هذا فى سنة سبع وثمانين وستمائة بعد أن مرض بالدوسنطارية الكبدية؛ وكان أبوه قد عهد اليه فى الأمر من بعده، وخطب له معه على المنابر فلما مات جعل أبوه الولاية من بعده الى ابنه الملك الأشرف خليل (انظر تاريخ العينى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ.

(٢) طاحت به : أى أسرعت به، وهو مستعار من قولهم : «طاح به فرسه» اذا أسرع به كالسهم.

(٣) كذا فى صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٥٧. وفى كلا الأصلين : «صائح»، وهو تحريف.

(٤) فى كلا الأصلين : «تحيتها»؛ وهو تحريف لا يظهر به المعنى.

(٥) العاسى : الشديد الظلمة، يقال : عسا الليل : اذا اشتدّت ظلمته؛ قال فى شرح القاموس : «والعين أعرف».

وتمرينَ قاسيه ؛ فشكرنا الله على ما أعطى وحمدناه على ما أخذ . وما قلنا : هذا جَزِعٌ قد ٱنتبه إلا وقلنا : هـذا تثبُّتٌ قد ٱنتبذ[1] . ولا توهمنا أن فِلْذة كبدٍ قد ٱختُطِفتْ إلّا وشاهَدْنا حولنا مِن ذرّيّتنا – والحمد لله – فِلَذ ، وأحسنّا الٱحتساب ، ودخلت الملائكة علينا مِن كلّ باب ، ووفّانا ٱلله أجر الصابرين بغير حساب ؛ ولنا – والشكرُ لله – صبرٌ جميلٌ لا نأسف معه على فائت ولا نأسَى على مفقود ، وإذا علم الله حُسنَ الٱستنامة إلى قضائه والٱستكانة إلى عطائه عوّض كلَّ يوم ما يقول المبشِّر به : هـذا مولًى مولود ؛ وليست الإبل بأَغلظَ أكبادا ممن له قلبٌ لا يبالى بالصدمات كثرتْ أو قلّتْ ، ولا بالتباريح حَقُـرتْ أو جلّتْ ، ولا بالأَزَمات إن هى توالت أو تولّتْ ، ولا بالجفون إن ألقت ما فيها من الدّموع والهجوع وتخلّتْ ؛ ويَخاف من الدهر من لم يَحلُب أشطُرَه ، ويأسف على الفائت من لا تنتابه الخطوب الخطِرَه ؛ على أن الفادح بموت الولدِ ٱلملك الصالح – رضى الله عنـه – وإن كان مُنْكِيا[2] والنائحَ بشجوه وإن كان مُبكيا ، والنائجَ[3] بذلك الأسف وإن كان لنار الأسى مُذكيا ؛ فإن وراء ذلك من تثبيت الله ما ينسفه نسفا ، ومن إلهـامه الصبرَ ما يجدّد لتمزيق القلوب أحسن ما به يُرفا ، وبكتاب الله وبسنة نبيّه صلّى الله عليه وسلم عندنا حُسنُ اقتداء نَضرب به عن كلّ رثاءٍ صفحا ، وما كنّا مع الله – والمنّة لله – نُعطِى لمن يؤنّب ويؤبِّن[4] أذنا ولا نُعيرها لمن يَلحَى ؛ إذ الولد الذاهب مَرّ فى رضوان الله تعالى سالكا

(١) انتبذ : أى ترك الحزن والجزع ؛ من النبذ وهو الطرح والرمى .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ؛ ولم نجدها فيما بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال : «أنكأه» من «نكأ» المهموز ولا «أنكاه» من «نكى» المعتل اللام ؛ والظاهر أن الكاتب أراد المجانسة بين قوله : «منكيا» وقوله بعده : «مبكيا» . ونكأ الجرح بالهمز : أى قرفه وقشره . وهو هنا على الاستعارة .

(٣) النائج بالجيم : الصائح ؛ يقال : نأج ينأج : إذا صاح .

(٤) أبنه : أثنى عليه بعد موته .

طريقا لا عِوَجَ فيها ولا أَمْتا[1]، وانتقل سارًا بارًا صالحا وما هكذا كُلُّ الموتى نعيا ولا نعتا؛ وان كان نَفْعنا[2] فى الدنيا فها نحن بالصدقات والترحُّم عليه ننفعُه، وان كان الولدُ عملَ أبيه — وقد رَفع الله روحَ ولدنا فى أعلى علّيِّين تحقَّق أنه العملُ الصالح «والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»؛ وفيما نحن بصدده من اشتغال بالحروب، [ما][3] يُهوّن ما يَهُول من الكروب؛ وفيما نحن عاكفون عليه من مكافحات الأعداء [ما][3] بين المرء و بين قلبه يَحُول، ومُلهٍ عن تَخيّلِ أسف فى الخاطر يَجُول

اذا اعتاد الفتى خَوضَ المنايا * فأَهْون ما يمـر به الوُحولُ[4]

ولنا بحمد الله ذرّيّةٌ دَرّيّه[5]، وعقودٌ والشكر لله كلُّها دُرّيه

اذا سيّدٌ منهم حلا قام سيّدٌ * قؤولٌ لما قال الكِرام فعولُ[6]

---

(١) الأمت: ما ارتفع من الأرض؛ وقوله . « لا عوج فيها ولا أمتا » أى لا انخفاض فيها ولا ارتفاع (اللسان) .

(٢) كذا فى صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٥٨ . والذى فى كلا الأصلين : « نفعه » بالهاء .

(٣) هاتان الكلمتان لم تردا فى كلا الأصلين، وقد أثبتناهما من صبح الأعشى اذ لايستقيم الكلام بدونهما .

(٤) الوحول بالحاء المهملة : جمع وحل بسكون الحاء : كفلس وفلوس؛ وأما بالتحريك فجمعه أوحال كما فى المصباح؛ والوحل بالتسكين لغة رديئة كما ذكره الجوهرى والصاغانى، واقتصرا على ذكر الوحل بالتحريك (التاج) وفى (ج) "الوجول" بالجيم، وهو تصحيف؛ والبيت لأبى الطيّب المتنبى .

(٥) درية بفتح الدال وتشديد الراء : نسبة الى الدر، وهو اللبن . والمراد بهذه الكلمة ما يلزمها من معنى الانتساب ومشابهة الدرية لابيها وأمها فى الأخلاق والصفات .

(٦) البيت للسموءل بن عادياء من قصيدته المشهورة؛ وفى بيت السموءل : «منا» فغيرها الكاتب بقوله : « منهم » تبعا لسياق الكلام .

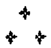
ما منهم الا من نَظَرَ سعدَه ومَن سـعدُه يُنتظَر، ومن يحسن أن يكون المبتـدا وأن تسدَّ حالُه بكَمالِته وكِفايتِه مَسَـدَّ الخبر[1] « والشمسُ طالعـةٌ إن غُيِّب القمر » لا سيّمـا مَن الدينُ به إذ هو صـلاحُه أعرَف ، ومَن إذا قيـل لبنـاء ملك هذا عليـه فد وهَى قيـل : هذا خيرٌ منه مِن أعلى بناءِ سـعدٍ أشرَف[2] ؛ وعلى كلِّ حال لا عُدِم إحسانُ المولى الذى يَتنوّع فى بِرِّه، ويعاجِل قضـاءَ الحقوق فتساعِف مَرسومَه فى توصـيله طاعةُ بحرِه وبَرِّه ؛ وله الشـكرُ على مساهمة المولى فى الفرح والترح ، ومشاركتِه فى الهناء إذا سَـنَح ، وفى الدمع اذا سَـفَح ؛ وما مِثلُ مكارم المولى من يَعزُب مِثـلُ ذلك عن علمِها ، ولا يُعـزَى الى غير حُكمِها وحلمِها ؛ وهو ـــ أعزه الله ـــ ذو التجارب التى مَحَضتْ له من هذه وهذه الزُّبده، وعَرَضتْ عليه منهما الهَضْبةَ والوَهده؛ والرغبةُ الى الله تعالى فى أن يجعل تلك المصيبة للرزايا خاتمـه وكما لم يجعلها للطهور قاصمـة فلا يجعلها لعرا الشـكر فاصمه[3] ، وأن يجعلها بعـد حَمل هذا الهمّ وفِصالِه على عليِّه فاطمه، وأن يحبِّب الينا كلَّ ما يلهى عن الأموال والأولاد من غزوٍ وجهاد ، وأن يجعلنا ليس يُجَـدّ لدينا على مفقود تأدّبا مـع الله غيرُ السيوف فإنها تُعرَف بالحِداد، وألّا تُقصَف رماحُنا إلا فى فودٍ أو فى فؤاد، ولا نُحَوِّل

(١) يشير بهذه العباره الى ما ذكره النحاة من وجوب حذف الخبر وسدّ الحال مسدّه، وذلك اذا كان المبتدا مصـدرا بعده حال لا تصلح ان تكون خبرا كقولك : ضربى العبـد مسيئا ؛ انظر تفصـيل ذلك فى كتب القواعد والمعنى أن معاينة صفاته الكريمة تغنى عن الإخبار بها .

(٢) أشرف على الشيء : أى أطل عليه. وقوله : « من أعلى » متعلق به . وفى هذا اللفظ تورية عن الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، وكان أبوه قد عهد اليه بالملك بعد وفاة أخيه الملك الصالح علىّ المتقـدم ذكره ؛ وجلس على سرير الملك يوم الأحد سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة بعد وفاة أبيه قلاوون ؛ والملك الأشرف هوالثامن من ملوك الترك على الديار المصرية (تاريخ ابن إياس) ج ١ ص ١١٩ ، ١٢١ .

(٣) فى (أ) : «فاحمه» ؛ وهو تحريف .

سروجُ خيلنا مِن ظهر جوادٍ فى السَّرايا إلّا إلى ظهر جواد ، وألا تُشَقَّ لدينا إلا أكباد أكّاد[1] ، ولا تُجَزَّ[2] غيرُ شعور ملوك التتار نُتوِّج[3] بها رءوسَ الرماح ويُصعَد بها على قِمِم الصِّعاد[4] ، والله يشكر للولى سعىَ مَراثيه التى لولا لطف الله بما صبَّرنا[5] به لأقامت الجنائز ، وٱستَخفَّت النحائز[6] ، وهَوَتْ بالنفوس فى ٱستعمال الجائز من الأسف وغير الجائز ، ولا شغل الله لبَّ المولى [بفادحه] ، ولا خاطِرَه بسانحة من الحزن ولا بارحه ولا أَسمَعه بغير المَسرّات من هواتف الإبهاج صادحه ، بمنّه وكرمه .



ومن إنشائه رحمه الله تقليدُ السلطان الملكِ الأشرفِ صلاحِ الدين خليل بولاية عهد السلطنة من أبيه السلطان الملكِ المنصور — سقى الله عهدهما صوب الرحمة — وهو :

الحمد لله الذى لم يزل له السمعُ[7] والطاعة فيما أمر ، والرضا والشكرُ فيما هَدَم من الأعمار وما عَمَر ، والتفويضُ فى التعويض[8] إن غابت الشمس وبقى القمر

(١) أراد بالأكّاد : الجاحدين ، ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من كتب اللغة ، كما أننا لم نجد فى كتب القواعد ما يسوّغه ؛ فإن صيغة أفعال مطّردة فى جمع الأسماء الثلاثية دون الصفات ، وأما غير ذلك فسماعى . ولعل الكاتب أراد المجانسة بين «أكباد» و «أكّاد» .

(٢) فى كلا الأصلين : «تجر» بالراء المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٣) فى إحدى النسختين : (نوح) وفى الأخرى : «تنوح» وهو تصحيف فى كلتيهما .

(٤) الصعاد : جمع صعدة ، وهى القناة التى تنبت مستوية فلا تحتاج الى تثقيف .

(٥) كذا فى (ج) وصبح الأعشى ؛ والذى فى (أ) "بها مبرنا" ؛ وهو تحريف لا يتضح به المعنى .

(٦) فى كلتا النسختين : «واستحقت» ؛ وهو تصحيف . والنحائز : جمع نحيزة وهى الطبيعة ؛ يريد هنا : طبيعة الصبر والاحتمال .

(٧) كذا فى (ج) وصبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٦ ؛ والذى فى (أ) : «الحمد» مكان «السمع» .

نحمـده على أن جعل سلطاننا ثابتَ الاركان ، نابتَ الأغصان ، كلّ روضـة من رياضـه ذات أفنان ؛ لا تُزعزعه ريحٌ عقيم(١) ، ولا يُخـرجه رزءٌ عظيم عن الرضا والتسليم ، ولا يُعتَبط(٢) من جملته كريم إلا ويُغتَبَط من أُسرته بكريم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزيد قائلَها لله تفويضا ، وتُجـزِل له تعويضا وتُحسِـن له على الصبر الجميـل فى كل خطبٍ جليلٍ(٣) تحريضا ؛ ونشهد أن محمدا عبدُه الذى أنزل فى التسلية به : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » والنبيُّ الذى أوضح الله به المنـاهج وبيَّن السُّبُل ؛ صلى الله عليـه وعلى آله ما تجاوبت المحابرُ والمنابرُ فى(٤) البُكَر والأُصُل ، وما بُدِّدتْ عقود ونُظِّمتْ ، ونُسِختْ آياتٌ وأُحكمتْ ونُقِضتْ أمور وأُبرِمتْ ، وما عَزَمتْ(٥) آراءٌ فتوكّلتْ وتوكلت فعَزَمتَ ؛ ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من كان للخليقة نعم الخليفة ، ومنهم من لم يُدرِكْ أحدٌ فى تسويد النفس الحَصِيفة(٦) ولا فى تبييض الصحيفة مُدَّه ولا نَصِيفَه(٧) ، ومنهم من يسّره الله

---

(١) الريح العقيم : هى غير اللاقح ، أى لا تأتى بمطر انما هى ريح الإهلاك ، كما قاله أبو اسحاق الزجاج . وقيل : لا تلقح الشجر ولا تنشئ سحابا ، عادلوا بها ضدها وهو قولهم : ريح لاقح : أى أنها تلقح الشجر وتنشئ السحاب .

(٢) اعتبط الموت فلانا : أخذه شابا صحيحا من غير علة ، كاعتبطه .

(٣) فى احدى النسختين : «عن» ؛ وفى الأخرى : «عز» ؛ وهو تحريف فى كلتيهما .

(٤) فى كلتا النسختين : «والبكر» بالواو مكان «فى» ؛ وهو تحريف .

(٥) يقال : عزم الرأى بالبناء للفاعل : أى عزم عليه ، وهو من قبيل المقلب للمبالغة ، كما يقولون : هلك الرجل ، وإنما هو أهلك بالبناء للمجهول ؛ ويدل على أن الفعل هنا مبنىّ للفاعل قوله : «فتوكلت» بالبناء للفاعل أيضا وفى قوله «توكلت» إسناد مجازىّ وهو المسمى بالمجاز العقلىّ .

(٦) يقال : حصف الرجل وزان «كرم» حصافة فهو حصيف : اذا كان جيد الرأى محكم العقل .

(٧) أشار بهذه العبارة الى قوله صلى الله عليه وسلم : "لا تسبوا أصحابى فإن أحدكم لو أنفق ما فى الأرض جميعا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه" ؛ والنصيف كأمير : نصف الشىء ، كالعشير والثمين فى العشر والثمن . قال فى التاج : «ومنه الحديث» وأورد الحديث السابق .

لتجهيز جيش العُسْرة[1] فعرف اللهُ ورسولُه معروفَه، ومنهم من عمل صالحا أرضى ربه فأصلح فى ذريّته الشريفه؛ وبعد، فإن من ألطاف الله بعباده، واكتنافِ عواطفِه ببلادِه[2]؛ أن جعلنا كلّما وَهَى للملك ركنٌ شديدٌ شيّدنا ركنا عِوضَه، وكلّما اعترَضت للمقادير جملةٌ بدّلنا آيةً مكانَ آيةٍ وتناسَينا تجلُّدا تلك الجملةَ المعترِضه؛ فلم نُحوِج اليومَ لأمسِه وإن كان حميدا، ولا الغارسَ لغرسِه وإن كان ثمره يانعا وظلُّه مديدا؛ فأطلعْنا فى أفق السلطنة كوكبَ سعدٍ[3] كان لحُسن الاستخلاف مُعَدّا، ومَن لِقبيل المسلمين خيرٌ ثوابا وخيرٌ مَرَدّا، ومَن يبشّر الله به الأولياءَ المتقين ويُنذِر به من الأعداء قوما لُدّا، ومن لم يَبقَ [إلّا به][4] أُنسُنا بعد ذهاب الذين نحبّهم [وبقِى][5] كالسيف

(١) جيش العسرة : هو الجيش الذى سار به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك . قال ابن عروة : سمى بذلك لأنهم ندبوا اليها فى حمارّة القيظ فعسر ذلك عليهم وشاط ، وكان إبان إيناع الثمرة الخ (تاج العروس) وكان عدد ذلك الجيش ثلاثين ألفا ؛ وكان ممن جهز هذا الجيش عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فانه أنفق عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، وخمسين فرسا ؛ وجاء أبو بكر رضى الله تعالى عنه بكل ماله ، وغيرهما من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ وكانت هذه الغزوة آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجد بتبوك جيش الروم الذى أراد قتاله . انظر تفصيل ذلك فى كتب السيرة ؛ وتبوك : موضع بين وادى القرى والشام .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ؛ ولم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة تعدية « اكتنف » بالباء ؛ والذى وقفنا عليه انه يقال « اكتنفه » بلا واسطة حرف ؛ ولعله ضمنه معنى الإحاطة ؛ فسوّغ له هذا التضمين تعديته بهذا الحرف ؛ أو لعله : « لبلاده » باللام .

(٣) إلى هنا انتهى ما وجد من النسخة المشار اليها ب (ج) .

(٤) هذه العبارة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن صبح الأعشى (ج ١٠ ص ١٦٧) إذ لايستقيم الكلام بدونها .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصبح الأعشى ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها ؛ فإنه يشير بها الى قول عمرو بن معديكرب الزبيدىّ :

ذهب الذين نحبهم ✻ وبقيت مثل السيف فردا

كما فى ديوان الحماسة ؛ وفاعل «بقى» ضمير يعود على « من » .

فَرْدا، والذى ما أَمضَى حَدَّه [فى] ضَريبــة(١) إلا قَدّ البيْضَ(٢) والأبدانَ قَدّا، ولا جَهز(٣) راية كَتيبة إلا

أَغْنَى(٤) غَنــاءَ الذاهبِيــن وعُدّ(٥) للأعداء عَدّا

ولا بعَثه جزعٌ فقال : « كم من أخٍ لى صالحٍ(٦) » إلا لقيَــه وَرَعٌ فقال : « وخُلقْتُ يوم خُلِقتُ(٦) جَلْدا » ؛ وهو الذى بقواعد السلطنة الأَدرَى وقوانينها الأعرَف، وعلى الأولياء الأعطَف و بالرعايا الأرأف ، والذى ما قيل لِبناءِ مُلك : هذا عليه قد وَهَى إلا وقيل : هذا بناءٌ مِثلُه منه أسمى مُلْكًا وأَشرَف، والذى ما برح النصرُ يتنسّم مِن مَهابّ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصبح الاعشى ؛ والسياق يقتضى إثباتها . والضريبة : ما ضربته بالسيف . و إنما دخلته التاء وإن كان بمعنى مفعول لأنه صار فى عداد الأسماء .

(٢) البيض بفتح الباء : جمع بيضة ، وهى من الحديد ما يلبس على الرأس فى الحرب ، وقيل لها البيضة تشبيها لها ببيضة النعام . قاله أبو عبيدة فى كتاب الدروع ، وقال : البيضة اسم جامع لما فيها من الأسماء والصفات التى من غير لفظها ، ولها قبائل وصفائح كقبائل الرأس تجمع أطراف بعضها الى بعض بمسامير يشد بها طرفى كل قبيلتين ؛ قال : وربما لم تكن من قبائل وكانت مصمتة مسبوكة من صفيحة واحدة فيقال لها : صماء .

(٣) فى الأصل : «جهر» بالراء ؛ وهو تصحيف .

(٤) البيت لعمرو بن معديكرب من القصيدة التى سبقت الإشارة اليها فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١١٣ من هــذا السفر ؛ وروايته فى ديوان الحماسة : «أغنى» بضم الهمزة وكسر النون مسندا الى ضمير المتكلم ، وانما أسند هنا الى ضمير الغائب تبعا لسياق الكلام .

(٥) روايته فى الحماسة : « أعد » بضم الهمزة والدال المشدّدة وفتح العين مسندا الى ضمير المتكلم وأسنده الكاتب هنا الى ضمير الغائب لما قدمنا فى الحاشية التى قبل هذه . ويريد بقوله : «وعد للأعداء» الخ أن الأعداء يقولون فيه : حذروا فلانا فإنه يعدّ بألف انظر شرح التبريزى على ديوان الحماســة (ج ١ ص ٩٣) طبع بولاق عند شرحه لهذا البيت .

(٦) هذان الشطران من القصيدة التى سبقت الاشارة اليها فى الحاشيتين رقم ٤ ، ٥ من هذه الصفحة لعمرو بن معد يكرب ، أولهما صدر بيت ، والثانى عجز بيت آخر ؛ والبيتان هما :

كم من أخ لى صالح * بوّأته بيــــدىّ لحــــدا

ألبســــه أثــــوابـه * وخلقت يوم خلقت جلدا

تأميله والفلاح ، ويتبسّم ثغره فتتوسّم الثغور من تبسُّمه النجاح ، وينقسم نُورُه على البسيطة فلا مصر من الأمصار إلا وهو يَشرَئبّ الى ملاحظة جبينِ عهده الوضّاح ويتّفق آشتقاقُ النعوتِ فيقول التسلّي للتملّي سواءُ الصالح والصلاح ؛ والذى مابَرِح لِشعار السلطنة الى تَوَقُّله[1] وتَنقُّله أتَمّ حنين ، وكأنّما كوشفت الإمامةُ العبّاسيّةُ بشرف مسمّاه فيما تقدّم مِن زمن مَن سَلَف مِن حِين[2] ، فسمّتْ ووَسَمتْ بآسمه أكابرَ الملوك [وأخايرَ السلاطين][3] فخوطب كلٌّ منهم مجازا لا كهذه الحقيقة بـ«خليل» أميرالمؤمنين ؛ والذى كم جلا بهاءُ جبينه مِن بهيم ، وكم غدا المُلكُ بحُسن رأيه[4] ويمنِ آرائه يَهِيم وكم أبرأ مَوردُه العذبُ هيمَ عِطاشٍ ولا يُنكَر الخليل اذا قيل عنه : إنه إبراهيم[5] ؛ ومن تَشخص الأبصارُ لِكماله يوم ركوبه حَسيره ، وتُلقِي البنانُ سلاحَها ذَهْلا وهى لا تَدرِى لكثرة الإيماء إلى جلاله إذا يبدو مَسيرَه ؛ والذى ألهم الله الأمّةَ بجودِه ووجودِه صبرا جميلا ، وآتاهم من نَفاسة كرمه وحراسةِ سيفه وقلمِه تأمينا وتأميلا ، وعَظُم فى القلوب والعيون ، بما مِن بِرّه سيكون ، فسمّته الأُبوّة الشريفة ولدا[6] وسمّاه الله : خليلا ؛ ولمّا تحتّم من تفويض أمرِ المُلكِ اليه ما كان الى

(١) توقل فلان فى مصاعد الشرف : اذا صعد فيها ، وهو مستعار من التوقل فى الجبل : أى التصعيد فيه .

(٢) عبارة صبح الأعشى : « من زمن سلف ومن حين » ؛ والمعنى يستقيم بها أيضا .

(٣) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ؛ وأخاير : جمع أخير ، وهذه لغة بنى عامر ؛ يقولون : هذا أخير من هذا وأشرمنه بالألف فيهما ؛ وسائر العرب تسقطها منهما فتقول : هذا خير من هذا وشر منه (المصباح) .

(٤) الرأى هنا بمعنى المرآى والمنظر ؛ فلا تكرار بينه وبين قوله بعد : «آرائه» ، والذى فى صبح الأعشى : « روائه » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا ؛ والرواء : حسن المنظر .

(٥) إبراهيم : أى إبراء هيم ، والإبراء من البرء : وهو الشفاء ، والهيم بكسر الهاء : العطاش ؛ ولا يخفى ما فى قوله : « إبراهيم » من التورية .

(٦) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٨ ؛ والذى فى الأصل : « أبا » ؛ وهو غير مستقيم .

وقته المعلوم قد تأخر، وتُحيِّن[1] حِينَه فَتَكَمَّل بزيادة[2] كزيادة الهلال حين بادر تمامه فأبدر؛ اقتضى حُسنُ المناسبة لنصائح الجمهور، والمُراقَبَـةِ لمصالح الأمور، والمُصاقَبَـةِ[3] لمَنَاجح البلاد والثغور، والمقاربة[4] من فواتح كل أمرٍ ميسور؛ أن نفوّض اليـه ولاية العهد الشريف بالسـلطنة الشريفة المعظَّمه، المكرّمة المفخَّمة المنظَّمه؛ وأن تُبسَـط يدُه المنيفـةُ لمصالحتهـا بالعهود، وتحكيمها فى العساكر والجنود، وفى البحور والثغور وفى التَّهائم والنجود؛ وأن يُعْقَدَ بسيفها وقلمها كلُّ قطع ووصْل، وكلُّ فرعٍ وأصل وكلُّ نصر ونصْـل؛ وكلُّ ما يَحمِى سرحا، ويَهمِى مَنحا، وفى المُثيرات فى الإعداء[5] على الأعداء نَقْعا وفى المُغيرات صـبحا؛ وفى المنع والإطلاق، وفى الإرفاد والإرفاق[6] وفى الخميس إذا ساق[7]،وفى الخُمُس[8] اذا آنساق،وفى السيوف "إذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ: مَنْ رَاقٍ"، وفى الرماح إذا آلتفّت آلساقُ منهـا بالساق؛ وفى المعاهَدات والهُـدَن

(١) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٨ ؛ والتحين: الانتظار والطلب ؛ والذى فى الأصل: «وتحرر» ؛ وهو تحريف إذلم نجد هذه الصيغة فيما راجعناه من كتب اللغة بالمعنى المناسب لسياق ما هنا .

(٢) عبارة صبح الأعشى : « فتكمل زيادة » بدون باء .

(٣) المصاقبة : المقاربة والمواجهة .

(٤) فى الأصل : « والمقارنة » بالنون ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا بقرينة ذكر «من» بعده .

(٥) الإعداء بكسر الهمز : مصدر أعداه اذا حمله على العدو بتخفيف الواو ، وهو الجرى .

(٦) الإرفاد بكسر الهمزة : الإعطاء ، والاسم الرفد بكسر الراء . والإرفاق بالكسر أيضا : النفع ، يقال : أرفق فلان فلانا ورفقه : أى نفعه .

(٧) اذا ساق : أى اذا ساقه ، فالمعمول محذوف ، وهو ضمير يعود الى «الخميس» .

(٨) أراد بالخمس : خمس ما يغنمه الجيش فى الحرب ، وهو المذكور فى قوله تعالى فى سورة الأنفال : (واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول) .

وفى الفداء بما عُرِض من عَرَض وبالبَدَن لِلبَدَن(١) ، وفيما ظهر من أمور المُلك وما بَطن ، وفى جميع ما تستدعيه بواعثُه فى السرّ والعَلَن ، وتسترعيه(٢) نوافثُه مِن كَبْت وكَتْب متفرّقَين أو فى قَرَن ؛ عهدا مباركةً عُوَذُه(٣) وتمائمُه ، وفواتحُه وخواتمُه ، ومَناسمُه(٤) ومَواسمُه ، وشروطُه ولوازمُه

٥ [على عاتق المَلْك الأغرّ نجادُه(٥) * وفى يد جبّار السموات قائمُه]

لارادّ لحكمِه ، ولا ناقضَ لبرمِه(٦) ، ولا داحضَ لما أثبتَتْه الأقلام من مكنون علمه .

ويزيده مَرُّ الليالى جِدّةً(٧) * وتَقادُمُ الأيام حُسنَ شبابِ

---

(١) « وبالبدن للبدن » أى أنه متحكم فى الفداء بالأسير لأسير مثله ، كما كانت تلك عادتهم فى تبادل الأسرى ؛ والذى فى الأصل وصبح الأعشى : « بالبدن » بالباء مكان اللام ؛ وهو غير ظاهر ، اذ ليس فيما ١٠ سبق ما يصح تعليقه به .

(٢) تسترعيه : تستحفظه ، والمراد بالنوافث هنا : الحوافظ ، والنوافث فى الأصل : الرواقى جمع نافثة من نفث الراقى فى العقده نفثا وهو دون التفل . والكبت : مصدر كبت عدوّه يكبته : أى ردّه بغيظه وأذله ؛ والظاهر ان المراد بالكبت والكتب فى هذه العبارة : الحرب والكتابة ، إذ هما من أسباب حفظ الملك .

١٥ (٣) العوذ بضم العين وفتح الواو ، جمع عوذة بضم العين : وهى الرقية يرقى بها الانسان من فزع أو جنون لأنه يعاذ بها وهى التى تكتب وتعلق على الإنسان من العين ونحوها ، وأصلها : الرقية بما فيه «أعوذ» ثم عمت .

(٤) المناسم جمع منسم بكسر السين ، وهو هنا بمعنى الأثر والعلامة ، يريد أن هذا العهد مباركة آثاره .

(٥) لم يرد هذا البيت فى الأصل ؛ وقد أثبتناه عن صبح الأعشى ومسالك الأبصار قسم ٢ ج ٨ من ٢٠ النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ ؛ وهو من قصيدة لأبى الطيب المتنبى يمدح بها سيف الدولة عند منصرفه من حصن برذويه .

(٦) برم الأمر وإبرامه : إحكامه .

(٧) البيت لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق ويستعطفه على قومه ، ورواية البيت : « ويزيدها » بضمير المؤنث ، مرادا به القصيدة .

وتَلزَم السـنون والأحقاب ، اِسـتيداعَه حتى الذَّرارىِّ[1] والأعقاب ؛ فلا سـلطانَ ذا قَدْرٍ وقدره، وذا أمرٍ و إِمْرَه؛ ولا نائبَ فى مملكة قربَتْ أو بعدَتْ، ولا مقدّم جيوشٍ أَتهَمَتْ أو أَنجدتْ؛ ولا راعىَ ولا رعيّه، ولا ذا حكمٍ فى الأمور الشرعيّه؛ ولا قلمَ إنشاءٍ ولا قلمَ حساب ، ولا ذوى أنسابٍ ولا ذوى أسـباب ؛ إلا وكلٌّ داخلٌ[2] فى قبـول عَقْد هذا العهـد الميمون ، ومتمسِّك بمحكَم آيات كتابه المكنون والتسليمِ لنصِّه الذى شهدتْه من الملائكةِ الكرامُ الكاتبون؛ وأمست بَيعتُه بالرضوان محفوفه، والأعداءُ يدْعُونهـا تضرّعا وخِيفه، فليشكروا الصنعَ الذى بعـد أن كانت الخلفاء تُسلطِن الملوكَ قد صار سـلطانُهم يقيم لهم من وُلاة العهد خليفةً بَعد خليفه ؛

وأمّا الوصـايا فأنت يا ولدَنا المـلكَ الأشرفَ ـــ أعزّك الله ـــ بهـا الدَّرِب ولِسماعِ شدوِها وحدوِها الطَّرِب ، الذى لِلَّغولا يضطرب ؛ فعليـك بتقوى الله فإنها مَلاكُ سـدادِك ، وهَلاكُ أضدادِك ، وبها يُراش جناحُ نجاحِك ، ويَحسُن آقتـداءُ اقتـداحِك ؛ فاجعلها دفينَ جوانح تأمّلك و وعيِك ، ونُصْبَ عَينَيْ أمرِك ونهيِـك ؛ والشرعِ الشريفِ فهو قانون الحقّ المتّبع ، وناموسُ[3] الأمرِ المستَمَع ؛ وعليـه مَدارُ إِيعـاءِ كلِّ إِيعاز[4]، و به يَمسّك من أشار وآمتاز[5]،وهو جَنّة والباطلُ نار ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ

(١) كذا فى الأصـل . والذى فى صبح الاعشى : « للدرارى » باللام مكان « حتّى » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) كذا فى صـبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٩ ؛ وفى الأصـل : « واحد » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٣) الناموس : الوحى .

(٤) فى الأصل : « إيعار » بالراء؛ وهو تصحيف . والإيعاز مصدر أوعز اليـه فى الشيء : أى تقدّم اليه فيه وأشار به .

(٥) فى الأصل : « امتار وامتار » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين ؛ والتصويب عن صبح الأعشى .

عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾؛ فلا تخرج فى كلّ حال عن لوازمه وشروطه ولا تَنْكُب عن معلَّقه ومَنُوطه؛ والعدل، فهو مُثَمِّر غروس الأموال، ومُعمر بيوت الرجاء والرجال، و به تزكو الأعمار والأعمال؛ فاجعله جامعَ أطرافِ مَراسِمك، وأفضلَ أيّام مواسِمك؛ وسِمْ به فعلَك، وسَمِّ به فرضَك ونفلَك؛ ولا تُفرِد به فلانا دون فلان ولا مكانا دون مكان، واقرُنه[(١)] بالفضل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ﴾؛ وأَحسِن التخويل، وأَجمِل[(٢)] التنويل، وكثِّر لمن حولك التموينَ والتمويل؛ وضاعِف الخير فى كلِّ مُضافٍ لمَقامِك، ومستضيفٍ[(٣)] بإنعامِك، حتى لا تَعدَم فى كلّ مكان وكلّ زمان من النعماء ضيافةَ الخليل[(٤)]، والثغور، فهى للممالك مباسِمُها فاجعل نواجذَها تَفتَرّ عن أحسن ثنايا الصَّون، ومَراشفَها شَنِبةَ[(٥)] الشِّفاهِ[(٦)] بحُسن العَون؛ ومنْها بما يحمى السَّرْحَ مِنها، وأَعِنها بما بدفع المَكارهَ عنها؛ وإنها للنصر مَقاعد، وبها حفظ البلاد من كلِّ مارٍّ من الأعداء مارد؛ وأمراء الجيوش، فهم السُّور الواقى بين يدَىْ كلِّ

(١) كذا ضبط هذا الفعل فى اللسان بكسر الراء وضمها . وفى الأصل : «واقرضه» بالصاد؛ وهو تحريف .

(٢) يقال : أجمل الصنيعة، أى حسنها وكثرها .

(٣) المستضيف : المستغيث .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قصة سيدنا ابراهيم الخليل - صلوات الله عليه — مع ضيوفه من الملائكة؛ وقد ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم فى غير موضع ، فقال تعالى فى سورة الذاريات : (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) الآيات .

(٥) الشنبة بفتح فكسر من الشنب بفتحتين : وهو برد الأسنان كما قاله التبريزى فى شرح ديوان أبى تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٠ أدب ش) عند قول أبى تمام فى قصيدته فى فتح عمورية :

كم نيل تحت سناها من سنا قمر * وتحت عارضها من عارض شنب

والكلام هنا على الاستعارة والتمثيل .

(٦) فى الأصل : «السقاه» بالسين والقاف؛ وهو تصحيف .

سور ، وما منهـم إلّا بطلٌ بالنصر مشهورٌ كما سـيفه مشهور ؛ وهم ذخائر الملوك وجواهرُ السلوك ، وأخايرُ الأكابر الذين خَلَصوا من الشكوك ؛ وما منهم إلا من له حُرُماتٌ[1] سلفتْ ، وحقوقٌ عُرِفتْ ، ومَواتٌّ[2] على آستلزام الرعاية للعهود وُقفتْ ؛ فكن لجنودِهم[3] متحبِّبا ، ولمَرابعِهـم مُخْصِبا ، ولمصالحِهم مرتِّبـا ، ولآرائهـم مستصوِبا والاعتضادِ بهـم مستصحِبا ، وفى حمدِهم مُطنِبا ، وفى شكرهم مُسهِبا ؛ والأوليـاءِ المنصوريِّين الذين هم كالأولاد ، ولهم سوابقُ أَمَتُّ[4] من سوابق الإيجاد ؛ وهم مَن علمتَ آستكانةً[5] من قربِنا[6] ، ومكانةً من قلبِنا ، وهم المساهِمون فيما ناب ، وما برحوا للدولة الظفرَ والناب ؛ فأَسهِم لكلٍّ منهم من آحترامك نصيبا ، وأَدِمْ[7] لهم آرتياحَك ، وأَلِنْ[7] جمـاحَك وقوِّ بهـم سلاحَك ، تجِدْ منهم ضُروبا ، وتَرَ كُلًّا منهـم فى أعدائك ضَروبا ؛ وكما أنّا نوصيك بجيوش الإســلام ، كذلك نوصيك بالجيش الذى له المنشآتُ فى البحـر كالأعلام ، فهو جيش الأَمْواه والأمواج ، المضافُ الى الأفواج من جيش الفِجاج ؛ وهو الجيش السُّليمانىُّ فى إسراع السَّير ، وما سُمِّيَتْ شَوَانيه[8] غِربانا إلا ليُجمَع بها لنا

(١) فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٠ : «حدمات» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٢٣ من هذا السفر .

(٣) فى الأصل : «لحنوهم» ؛ وهو تحريف .

(٤) المراد بالإيجاد : الولادة .

(٥) يريد بالآستكانة هنا : السكون والاطمئنان ؛ وأصل الفعل «استكن» على افتعل من السكون ، فزيدت الألف بعد الكاف فقيل : «استكان» وفى المصباح مادة سكن نقلا عن ابن القطاع : أن ذلك كثير فى كلام العرب ؛ وقال ابن سيده : وأكثر ما جاء إشباع حركة العين فى الشعر ، كقوله : «ينباع من ذفرى غضوب» الخ أى ينبع ، مدت فتحة الباء بألف كما نقل عنه فى اللسان مادة «سكن» .

(٦) لعله «إلى» كما تقتضيه تعدية «استكان» .

(٧) عبارة الأصل : «وألن لهم ارتياحك وأدم جماحك» ؛ وسياق الكلام يقتضى العكس كما أثبتنا .

(٨) الشوانى جمع شونة بفتح الشين : وهى مركب يعدّ للجهاد فى البحر ، لغة مصرية .

ما آجتمع اسليمان صلى الله عليه وسلم من تسخيرِ الريحِ والطير، وهى من آلديار المصريّة على ثَبَجِ البحر الأَسوار، فإن قَذفَتْ قَذفَت الرعبَ فى قلوب الأعداء و إن أَقلعَتْ[(١)] قَلعتْ منهم الآثار، فلا تُخلِه من تجهيز جيشِه، وسكِّن طيشَ البحر بطيشه، فيُصبحَ لك جيشان كلٌّ منهما ذو كرٍّ وفرّ، هذا فى برٍّ بحرٌ وهذا بحرٍ برّ، و بيوتِ العبادات فهى التى الى مصلًّى سميِّك خليلِ الله تنتهى محار بُها، و بهـا لنا ولك وللمسلمين سُرَى الدعوات وتأو يبُها[(٢)]، فوفِّها نصيبَها المفروضَ غيرَ منقوص، ومُرْ برفعها وذكرِ آسم الله فيها حسب الأمر المنصوص، وأخواتِها من بيوت الأموال الواجداتِ[(٣)] الواجبات من حيث أنها كلَّها بيوتٌ لله هـذه للصَّلاة وهـذه للصلات، وهذه كهذه فى رفع المنار، و جَمْع المبار، واذا كانت تلك مما أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا آسْمُه، فهذه تُرفَع و يُذكَرُ فيها آسمه حتى على الدرهم والدينار، فاصرف اليها آجتهادَك فيما يعود [عليها] بالتثمير، كما يعود على تلك بالتنوير، وعلى هـذه بإشحانها[(٤)] بأنواع الصروف، كإشحان[(٥)] تلك باستواء الصفوف، فإنهـا إذا أصبحت مصونَه، احتَملَتْ بحمـد الله المعونَه

---

(١) أقلعت : أى سارت الى الأعداء، والذى يستفاد من كتب اللغة أن تفسير الإقلاع بالسير تفسير مجازى، فقد ذكر ابن برى أنه ليس فى قولهم «مقلعة» مايدل على السير من جهة اللفظ، إنما يفهم ذلك من فحوى الكلام، لأنه قد أحاط العلم بأن السفينة متى رفع قلعها فإنها سائره، فهذا شىء حصل من جهة المعنى لا من جهة أن اللفظ يقتضى ذلك الخ (اللسان) وأيضا فإسناد الإقلاع الى السفن إسناد مجازى، وهو المسمى بالمجاز العقلى، فقد ذكر ابن برى أيضا أن الإقلاع ليس فعلها، وانما هو فعل أصحابها يقال أقلع القوم سفنهم : اذا رفعوا قلعها عند المسير.

(٢) التأويب : السير بالنهار، وعكسه الإسآد والسرى : وهما السير عامة الليل.

(٣) الواجدات : الغنيات، وهو من قولهم : وجد المال يجده وجدا بتثليث الواو : اذا صار غنيا.

(٤) الإشحان بالهمز : الملء، كالشحن، وفى القاموس وشرحه أنه يقال : أشحن المدينة بالخيل : أى ملأها.

(٥) فى الأصل : «كامتحان»، وهو تحريف.

وَكَفَلَتْ بالمؤونة وبالزيادة على المؤونة ، فتُكمِّل هــذه لكلّ ولىٍّ دنياه كما كَمَّلت تلك لكل ولىّ دِينَه ؛ وحدود الله، فلا يتعدّاها أحد، ولا يَرأُف فيها ولدٌ بوالد ولا والدٌ بولد؛ فأقمْها وقُم فى أمرها حتى تنضبط أتم الضبط ، ولا تجعــل يد القتل مغلولةً إلى عنقها ولا تبسُطها كلَّ البســط ، فلكلٍّ من الجنايات والقصاص شرطٌ شرطه الله وحدٌّ حَدّه فلا يتجاوز أحدٌ ذلك الحـدّ ولا يخرج عن ذلك الشرط ؛ والجهاد فهو الدَّيْدَنُ المألوفُ من حين نشأتنا ونشأتك فى بطون الأرض وعلى ظهور الخيــل فمِلْ على الأعداء كل المَيْل، وصبِّحهم من فَتَكاتك بالويل بعــد الويل ، وٱرمِهــم بكلّ شَمَّرِىٍّ[1] قـد شَمّر من يده عن الساعد ومن رمحــه عن الســاق ومن جواده الذَّيل[2]؛ وٱذهب بهم فى ذلك كلَّ مذهب، وأْبِنْ[3] بنجوم الخِرْصان[4] كلّ غىٍّ وغَيهب وتَكثَّرْ[5] فى غزوهم من الليل بكلّ أدهمَ ومن الشَّفَق بكلِّ أحمرَ وأشقرَ [ومن الأَصيل بكلّ أصــفر][6] ومن الصــبح بكلّ أشهب ، وٱنتهِبْ[7] أعمارهم وٱجعلها آخرَ ما يُسلَب

(١) الشمرى بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة ؛ ويقال أيضا بكسر الشين والميم المشدّدة كذلك : الرجل الماضى فى الأمور .

(٢) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٢ ومسالك الأبصار قسم ٢ ج ٨ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ . والذى فى الأصل : « على الذيل» وقوله : «على » زيادة من الناسخ وليست محرفة عن لفظ : (عن) كما يتوهم فان التشمير لا يكون عن الذيل وإنما يكون للذيل عما تحته ؛ ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة انه يقال : «شمر عن ذيله» والذى وقفنا عليه قولهم : « شمر ذيلا وادّرع ليــلا » بدون « عن » ، والكلام هنا على طريق التمثيل والمراد المضاء والجد فى السير .

(٣) فى صبح الأعشى ومسالك الأبصار : « وأنر » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) الخرصان بكسر الخاء : أسنة الرماح ، واحده خرص بكسر فسكون ، ويضم أوّله أيضا .

(٥) التكثر : طلب الكثرة ، كما يفهم من أساس البلاغة فقد ورد فيه : «تقلل من العلم لتحفظ وتكثر منه لتفهم » .

(٦) لم ترد هــذه العبارة فى الأصل ؛ وقــد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٢ ومسالك الأبصار . (٧) فى الأصل وصبح الأعشى : «واستنهب» ؛ ولم نجده فيما لدينا من كتب اللغة .

وأوّلَ ما يُنهَب، ونرجوا أن يكون الله قد خبأ لك من الفتوحات ما يستنجزها لك صادقُ وعدِه، وأن ينصر بك جيوش الإسلام فى كلّ إنجاد و إتهام وما النصر إلا من عنده، و بيت الله المحجوج من كلّ فَجّ، المقصود من كل نَهْج، يَسِّرْ سبيلَه، ووَسِّع الخير وأَحسِن تسبيلَه[١]، وأَوصِل من بِرِّك لكلٍّ من الحرَمين ماهْو[٢] له، لتصبح ربوعُه بذلك مأهولَه، وآحمِه ممّن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلم، وطهِّره من كلِّ مَكْسٍ[٣] وغرم، ليعود نفعُك على البادى والعاكف، و يصبحَ واديه وناديه مستغنيَين بذلك عن السحاب الواكف، والرَّعايا، فهم للعدل زُروع، وللآستثمار فروع، ولآستلزام[٤] العمارة شُروع[٥]، فمتى جادهم غيثٌ أَعْجَب الزُّرّاعَ نَباتُهم، ونَمَتْ بالصلاح أقواتُهم، وصَلَحتْ بالنَّماء أوقاتُهم، وكثرت للجنود مستغَلّاتُهم، وتوافرتْ زكَواتُهم، وتَنوّرتْ مشكاتُهم "وآللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشَاء"، هـذا عهدُنا للسيِّدِ الأجلِّ الولدِ الملكِ الأشرفِ صلاحِ الدنيا والدِّين، فخرِ الملوك والسلاطين، خليلِ أميرِ المؤمنين — أعزّنا الله ببقائه — فليكن

---

(١) التسبيل : أن تجعل الشيء فى سبيل الخير .

(٢) هو بسكون الواو لغة فى هو بفتحها ؛ وقد حكى هذه اللغة الكسائى عن بنى أسد وتميم وقيس ، كما أن بعضهم يحذف الواو إذا كان قبل « هو » ألف ساكنة فيقول حتاه فعل ذلك .

(٣) المكس : ما يأخذه أعوان السلطان ظلما عند البيع والشراء ، قال الشاعر :

وفى كل أسواق العراق إتاوة ❊ وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم

(٤) كذا فى الأصل وصبح الأعشى بالسين والتاء ، ولم نجد هذه الصيغة فيما راجعناه من كتب اللغة غير أن فى شرح الأشمونى وحاشيته عند قول ابن مالك فى باب التصريف :

والتاء للتأنيث والمضارعة ❊ وباء الاستفعال والمطاوعة

ما يفيد أن هذه الزيادة مطردة ، حيث قال : وأما زيادتها حشوا فلا تطرد إلا فى الاستفعال والافتعال وفروعهما الخ والذى فى مسالك الأبصار : « ولاستتمام » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٥) الشروع : مصدر شرع فى الأمر اذا أخذ فيه ، وقد وصف الرعايا به على طريق المبالغة .

بعروته متمسِّكا، وبنفحتــه متمسِّكا [1]، وليتقلّدْ سيفَ هــذا التقليد ، ويفتح مُغلَقَ كلِّ فتحٍ منه بخير إقليد [2]، وها نحن قد كثَرْنا لديه جواهرَه فدونه ما يشاء تحليتَــه : من تتويج مَفرِقٍ وتختيم أناملَ وتسويرِ زَندٍ وتطويقِ جِيد ، ففى كلّ ذلك تجيــلٌ وتمجيــد، والله تعــالى يجعــل آستخلافه للتقين إماما، وللدين قواما، وللجاهدين آعتصاما ، وللمتــدين آنقصاما ، ويطفئ بمياه ســيوفه نارَ كلِّ خطب حتى تُصبحَ كما أصبحَتْ نارُ سَمِّيه صلّى الله عليه وســلّم بردا وسلاما، إن شاء الله تعالى .

وكلامه رحمه الله كثير ورسائله مشهورة، وبيدِ الناس من إنشائه ما لو آستقصيناه لطال وانبســط ، وقد قدّمنا فى كتابنا هــذا من كلامه فى باب التهانى بالفتوح ما تجده فى موضعه .

ونختم كلامه بشيء من أدعية الملوك، وهى :

ومَكّن الله له فى الأرض، وجعل طاعتَه واجبــةً وجوبَ الفرض، وأيّد آراءه بالملائكة فى الحَلّ والعَقد والإبرامِ والنقض .

آخر : وأَنجَزَ له من النصر صادقَ وعدِه، وجعل الملوكَ من عبيــده والملائكةَ من جندِه، ومتّعه بمــا وهبه من المُلك الذى لا ينبغى لأحد من بَعدِه .

آخر : وحَفِظه بمعقّبات من أمرِه ، وحَمى حِمى الدين بقِصار بِيضِــه وطوالِ سُمْرِه ، وجعــل قدرَ مملكتــه فى الدهر كليالى قدرِه ، وأَلبَس أولياءه من طاعتــه ما يجرّون أذيالَ فخرِه .

---

(١) المتمسك : المتطيب بالمسك .

(٢) الإقليد : المفتاح؛ وهى لغة يمانية، وقيل معرّب .

آخر : ولا زالت الدنيا بعدله مخضرّةَ الوهاد والرُّبا ، والامالُ بفضله قائلا لها النجحُ : مرحبا ، والأقدارُ لنصره مسدّدةَ السهام مرهفةَ الظُّبا ، والأيّامُ لا تَعدَم من جميل أثره وجليــلِ تأثيره فعــلا مطربا ، ووصــفا مطيّبا . وجَعلتْ مُلكه موصولا بحبل لا يُحلّ عَقــدُه ، وحَرَمه محروسا بسيف التوفيق لا يُفــلّ حدُّه . ولا زالت راياته ألسنةً تنذر أعداءه بالفرار ، وتُبشّر أولياءه بالقرار ، وآراؤه أعلاما عاليةَ المَنار واضحــةَ الأنوار . وأنجزله عِداتِه فى عُداتِه ، وجعــل النصر والتوفيــق مصاحبَين لآرائه و راياتِه . وأناله النصرَ الذى يغنيه عن الحيلة والحول ، وعَقَــد السعدَ بعُــرا(١) ما يُمضيه من الفعل والقول ، و بوّأ أولياءه جُنّةً من النصر ما فيها غائلة وجَنّــةً من العزّ ما فيها غَول . وقصم بمهابتــه كلَّ جبّار عنيد ، وعصم كلَّ من يأوِى من رجائه إلى ركن شديد . وآتاه من التأييد سلطانا نصيرا ، وجعل جيشه أكثرَ قوّى وأقوى نميرا . ولا زالت الآمال بسحابه مخضرّةَ الرُّبا والوهاد ، والتأييدُ بتمكينه ماديا فى كلّ ناد(٣) ، والدنيا بمُلكه مسرورةَ الأسرار(٢) حاليةَ الأجياد ، والأقدارُ لأمره متكفّلةً بالنفاد . وطرّز بأيامه ملابس السِّيَر ، وأحلّ أمره أعلى هَضَباتِ النصر والظَّفَر ، وحلّى أجياد الممالك من عدلِه وبذلِه بأشرف الدُّرَر ، ولا برح القدر يوافق قُصُوده(٤) فيقول للقدر :

(١) فى الأصل : « يعزى بما » ؛ وهو تحريف .

(٢) المراد بالأسرار هنا : خطوط الوجه والجبهة ؛ الواحد سِر بكسر السين وضمها ؛ و إنما أسند السرور اليها لظهور أماراته فيها . يقال : برقت أسارير وجهه اذا تهلل من الفرح .

(٣) كذا فى الأصل بالدال المهملة ؛ والذى يستفاد من كتب اللغة أن هــذه الكلمة تأتى بمعنى النفاذ بالذال المعجمة : أى الجواز والمضى ؛ فقد جاء فى اللسان مادة « نفد » بالمهملة فى تفسير حديث ابن مسعود : «إنكم مجموعون فى صعيد واحد ينفدكم البصر» ما نصه : يقال : نفدنى بصره اذا بلغنى وجاوزنى . ثم قال : وأنفدت القوم اذا خرقتهــم ومشيت فى وسطهم ، فان جزتهم حتى تخلّفهم قلت : نفــدتهم بلا ألف اهـ ثم ذكر هذا الكلام نفسه بالذال المعجمة فى مادة « نفذ » .

(٤) القصود : جمع قصد ، وهذا الجمع ذكره بعض الفقهاء ، وقد أوضحنا ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٢ من هذا الجزء فانظره .

«لَقَدْ جِئْتَ عَلَى قَدَر» . وأَتَمَّ نعمته عليه كما أتَمَّها[(١)]، وعَمَر بعدله الآفاق وعمّها، وأَوضح مَناهج كرمه لمن قَصَدها وأمَّها، وأنجز عِداته فى عُداته فأصماها وأَصمّها. وأتَمَّ نعمتَه عليه كما أتمها على أبو يه من قَبله، وحَمى حِمى الدين بنصره وفضله، وكسا الدنيا بمُلكه حلّةَ فخار مُعلَمةً بإحسانه وعدله، وجعل أقاليمَ الأرض معمورةً بسلطانه مغمورةً بعطائه وبذله.

ذكر شيء من إنشاء المولى المـاجد السالك من طريقَ الفضـــل ٥

والفضائل أَوضحَ الطرق وأَنهجَ المَسالك، المفصِح بلسان براعته والمُوضِح بأنوار بلاغته ما أَبهَم واستبهم من ليل العِيّ الحالك، المتصرِّف بقلمِه وكَلِمه أوثق[(٢)] ملوك الإسلام بديانتِه وأمانتِـه وأصالتِه ونزاهتِـه فى الأقاليم والثغور والحصون والمـالك، العامرِ بفضـله وفضائله والغامرِ بجوده ونائله باطنَ وظاهرَ من أمّله وأمَّ له من زائرٍ وقاطنٍ ومارٍّ وسالك؛ فيمضى هذا عن بابه وهو بجوده مغمور، وهذا عن مجلسه ١٠ وقلبه بوَلائه لِمـا أَولاه من إحسانه معمور؛ وهذا وهو يُنفق الجزلَ من ماله، وذاك وهو يجود على المُعدم مِن فضـلِ نوالِه؛ والآخرُ وقد امتلأ صدره سرورا، وأشرق وجْهه بهجةً ونورا؛ وآنطلق لسانُه من عِقاله بعد تقييدِه، وآنبسط أملُه لطلب الفضائل لَمـا ظفر بمعدنها بعد تعقيدِه؛ فتجدده[(٣)] وقد آعتَلَق[(٤)] منـه جملا وآعتَنَق جمالا، وأنفق الدر بعـد ضنّه بالأصداف فهو لا يخشى عُدْما ولا يخاف إقلالا؛ والمولى المعنىٌّ ١٥

(١) متعلق هذا الفعل محذوف للعلم به وهو قوله : «على أبو يه من قبل» أخذا من الآية الكريمة، وإنما حذفه ليتم السجع الذى التزم فى هذه الأدعية، وليست هذه العبارة مكررة مع ما يأتى، لأنه دعاء آخر.

(٢) فى الأصل : «لوقوق» بقافين؛ وهو تحريف.

(٣) فى الأصل : «تقييده»؛ وهو تحريف لتكرره مع ما قبله فى آخر الجملة السابقة.

(٤) كذا فى الأصل؛ ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة أنه يقال : «اعتلقه» بمعنى علقه بتشديد اللام أى حفظه، كما هو المراد هنا؛ والذى وقفنا عليه أنه يقال : «اعتلقه» أى أحبه؛ ولعل المؤلف قصد ٢٠ المجانسة بين هذا اللفظ وقوله بعده : «واعتنق».

بهذه المعالى التى ٱبتسمت ثغورُها ، وتحلّت نحورُها ؛ والمكارمِ التى جادت سحائبُها وٱمتدّت مَذانبُها[١]، وترادفتْ مواهبُها، وٱتّسعَتْ مذاهبُها؛ والفضائلِ التى لجنابِه الكريم تُعزَى ولفضلِه العميم تَنتسب، والسيادةِ التى شادها لنفسِه لٱستغنائه عمّا مهدتْه له آباؤه النُّجُب، والمرادُ بهذه الأوصاف التى

٥ خُلِيَتْ والحُسنَ تأخذه * تَنتقِى منه وتَنتخبُ[٢]

هو لسانُ الدولة ويمينُها ، وسفير المملكة وأمينُها ، وجامعُ أشتات الفضائل ، وناظمُ أخبارِ الأواخر وسِيَرِ الأوائل ؛ وسيّدُ الرؤساء وجليسُ الملوك ، ومؤلِّفُ كتابِ نظمِ السلوك ؛ المولى المالكُ علاءُ الدين علىّ ابن المولى المرحوم فتح الدين محمد ابن المولى المرحوم محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر، ذو الفضائل والمآثر، والنسبِ العريق والأصلِ

١٠ الطاهر، والسببِ الوثيقِ والفضل الباهر؛ فهذه نبذة من أوصافه أثبتناها ، ولُمعة من محاسنه أوردناها، أسامٍ لم تَزده معرفةً وإنما لذّةً ذكرناها ؛ وله — أعزّه الله وأوفر نعمه لديه، وأَتمَّ نعمته عليه كما أتمها على أبويه؛ وأرانا فى نجله الكريم ما رأيناه فى سلفه وفيه، وأَنطَق الواصفَ لمحاسنهم بملءِ فيه — من الرسائل البليغه، والتّقاليد البديعه؛ والعهودِ التى عاهدَتْها البلاغةُ ألا تتعدّاها فوفت بعهدِها، وأقسمت

١٥ معانيها أنها لم تَقصِدْ سواه مِن قَبل لِعلمِها أنّ غيرَه لا يوفّيها حقَّ قصدِها ؛ وسنورد إن شاء الله من كلامه ما هو بالنسبة الى مجموعه نبذةٌ يسيره، ونرصّع فى كتابنا هذا من فضائله لُمعةً خطيره؛ ونرفع بما نضعه فيه من كلامه قدرَ هذا التصنيف، ونطرّز به

(١) المذانب : مسايل الماء ، واحده مذنب بكسر الميم وفتح النون . وفى الأصل : «مداهبها» ، وهو تحريف لتكرره مع ما يأتى بعده .

٢٠ (٢) البيت لأبى نواس .

أُرْدانَ هـذا التأليف ، ولا نحتاج إلى التعريف بمكانه وتمكُّنه من هـذه الصناعة فالشمس تستغنى عن التعريف ؛ ونحن الآن نعتذر من التقصير فى الانتهاء إلى وصف محاسنِه ، ونعترف بالعجز عن إدراك كنه مناقبـه الشريفة ومَيامنه ؛ ونأخذُ فى ذكر كلامه لِيمحوَ ذنبَ التقصير بحسن الإخبار[(١)]، ونسأل الصـفح عن ٱختصارنا واجبَ حقّه ونرجوا قبول كلماتِ الاعتذار ٥

فمن إنشائه ما كتبه عن الخليفة المستكفى بالله أبى ٱلربيع سليمان — جمَّل الله به الدين ، وأيّد ببقائه الإِسـلامَ والمسلمين — للسـلطان الملكِ المظفَّر ركن الدين بيبرس المنصورىّ فى شوّال سنة ثمان وسبعمائة ، ابتدأه بأن قال :

هذا عَقْدٌ شريف ٱنتظمتْ به عقودُ مصالح الممـالك ، وٱبتَسمتْ ثغورُ الثغور ببيعته التى شهِدَتْ بصحّتها الكرامُ الملائك ، وتمسّكت النفوسُ بمحكَم عَقده[(٢)] النَّضيد ١٠ ومبرَم عهدِه النظيم ، ووثقت الآمالُ ببركة ميثاقه فتقرأه الألسـنة مستفتِحةً فيه بقول الله الكريم : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ الحمد لله الذى جعـل الملّةَ الإسلاميّةَ تأوِى من سلطانها الى ركنٍ شـديد ، وتَحوِى من مبايعة[(٣)] مظفّرِها كلَّ ما كانت ترومه من تأبيـد التأبيد ، وتَروِى أحاديثَ النصر عن مَلِكٍ لا يَمـلّ من نُصرة الدِّين الحنيفىِّ وإن مَلّ الحديدُ من الحديد ؛ مُؤتى مُلكَه من يشاء من عبادِه ١٥ ومُلْقِى مقاليـدِه للولىِّ المَلِىِّ[(٤)] بقَمْع أهـل عِناده ؛ ومانِحه من لم يزل بعزائمه ومكارمه

(١) لعله يريد « بالإخبار » : أن ذكر شىء من كلامه إخبار عن فضله وتمكنه من ناصية البلاغة . أو لعل صوابه «الاختيار» .

(٢) فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩ : «عقده» بكسر العين .

(٣) فى صبح الأعشى : «من متابعة» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا . ٢٠

(٤) يقال : هو ملىء بهذا الأمر : أى مصطلع به « الأساس » .

مرهوبا مرغوبا، ومُوليه [ومولّيه] [1] من غدا محبوّا من الأنام بواجب الطاعة محبوبا
وباسط أيدى الرغبات لمن حَكَم له كمالُ وصفِه ووصفُ كماله بأن يكون مسئولا مخطوبا
ومفوِّض [2] أمرِه ونهيه إلى من طالما صَرَف خَطّيّه عن حمى الدين أخطارا وخطوبا؛
والحمد لله مُجرِى الأقدار برفع الأقدار، ومُظهِر سرِّ الملك فيمن أصحى عند الإمامة
٥ العباسيّة بحُسن الاختبار من المصطفَينَ الأخيار، جامع أشتات الفخار، ورافع لواء
الاستظهار [3]، ودافع لَأواء [4] الأضرار، بجميل الالتجاء الى ركنٍ أمسى بقوّة الله تعالى عالىَ
المَنار وافىَ المَبارّ، بادىَ الآثار الجميلة فى [5] الإيثار؛ والحمد لله على أن قلّد أمورَ السلطنة
الشريفة لكافلها وكافيها، وأسند عَقدَها وحَلَّها لمن يدرك بكريم فطنتِه وسليم فطرته
عواقبَ الأمور من مباديها، وأيّد الكتائبَ الإيمانيّةَ بمن لم تزل عواليه تبلّغها من ذُرا
١٠ الأمانىِّ معاليها؛ يحمده أمير المؤمنين على إعلاء كلمة الإيمان بأعيان أعوانها، وإعزاز
نصرها بأركانِ تشييدها وتشييدِ أركانها؛ ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة [لا] تبرح الألسنُ ترويها، والقلوبُ تنويها، والمواهبُ تُجزِل لقائلها تنويلا
وتنويها؛ ويشهد أنّ محمدا عبده ورسوله أكملُ نبىٍّ وأفضلُ مبعوث، وأشرفُ مُورِّثٍ
لأجلِّ موروث، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تمو بركاتُها وتنمّ [6]، وتخُصّ حسناتُها
١٥ وتَعُمّ؛ ورضى الله عن عمّه العباسِ بنِ عبد المطلب جدِّ أمير المؤمنين، وعن أبنائه
الأئمّة المهديّين، الذين ورِثوا الخلافةَ كابرا عن كابر، وسَمَتْ ووُسِمَتْ بأسمائهم ونعوتهم

---

(١) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩

(٢) فى الأصل: «ومعرض» بالعين والراء؛ وهو تحريف.

(٣) الاستظهار: العلوّ والغلبة.

٢٠ (٤) اللأواء: الشدّة والمحنة.

(٥) فى صبح الأعشى: «والإيثار» بالواو مكان «فى»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٦) يقال: نمّ المسك اذا سطعت رائحته؛ وهو هنا مستعار للانتشار والظهور.

ذُرا المنابر؛ أما بعـد، فإن الله تعالى لمّـا عَدَق(١) لمولانا أميرِ المؤمنين مصالحَ الجمهـور وعَقَد له البَيعةَ فى أعناق أهل الإيمان فزادتهم نورا على نور؛ وأورثه عن أسلافه الطاهرين إمامةَ خيرِ أمّه، وكَشَف بمُصابرته من بأس العدا غمامَ كلِّ غُمّه؛ وأَنزَل عليه السكينةَ فى مواطن النصر والفتح المبين، وثبّته عند تَزلزل الأقدام وثَبَّت به قلوب المؤمنين؛ وأفاض عليه من مَهابة الخلافة ومواهبِها ما هو من أهلِه، وأَتَمّ نعمتَه عليه كما أَتَمّها على أبويه مِن قبـلِه؛ بايع ٱللهَ تعـالى على أن يختار للتمليك على البرايا، والتحكيم فى الممـالك والرّعايا؛ من أَسَّس بنيانَه على التقوى، وتمسَّكَ من خشـية الله سبحانه بالسبب الأقوى؛ ووَقَف عند أوامر الشرع الشريف فى قضائه وحُكمه، ونهض لأداء فرضِ الجهـاد بمعالى عزمِـه وحزمِه؛ وكان المقامُ الأشرفُ العـالى المَوْلوىّ السلطانىُّ المَلكىُّ المظفَّرىُّ الركنىّ، سلطانُ الإسـلام والمسلمين، سـيّدُ الملوك والسـلاطين؛ ناصرُ الملّة المحمّديّه، محيي الدولة العباسيّه (أبو الفتح بيـبرس) قسيمُ أميرِ المؤمنين — أعزّ الله تعالى ببقائه حمى الخلافة وقد فَعَل، وبلغ فى دوام دولتـه الأمل — هو المَلِكَ الذى ٱنعقد الإجماعُ على تفضـيلِه، وشهدتْ مناقبُه الطاهرةُ باستحقاقه لتحويل المُلْك [اليه](٢) وتخويلِه؛ وحَكَم التوفيقُ والاتفاقُ بترقّيه إلى كرسىّ السلطنة وصـعودِه، وقضت الأقدار بأن يُلقِىَ اليـه أميرُ المؤمنين أزمّة عهودِه؛ والذى كم خَفَقت قلوبُ الأعادى عند رؤية رايات نصرِه، ونطقت ألسنةُ الأقدار بأن سيكون مليـكَ عصرِه وعزيزَ مصرِه؛ وٱهتزّتْ أعطاف المنـابر شوقا للافتخار بٱسمِه، واعتزّتْ الممـالك بمن زاده الله بسطةً فى عِلمِه وجسـمِه؛ وهو الذى ما برح

(١) عدق: أى جمع.

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٠

مذ نشأ يجاهد فى الله حقَّ جهادِه، ويساعِد فى كل معركة بمرهَفات سيوفه ومتلِفاتِ صِعادِه، ويُبدِى فى الهيجاء صفحتَه للصِّفاح فيقيه ٱللهُ ويبقيه ليجعله ظلَّه فى الأرض على عبـاده وبلادِه، فيُردِى الأعداءَ فى مواقف تأييـده فكم عفَّـر من خدٍّ لملوك الكفر تحت سنابك جيادِه؛ ويشفى بصدور سيوفه صدورَ قوم مؤمنين، ويسـق ظِماءَ أسنّته فيُروِيها من مَورد وُرود[1] المشركين؛ ويُطلِـع فى سماء الملك من[2] غُرَرِ رأيه نيّراتٍ لا تَأفُل ولا تَغُور، ويُظهِرُ من مواهبه ومَهابته ما تُحصَّن به الممالكُ وتُحصَّن به الثغور؛ فما من حصنٍ أغلقه[3] الكفرُ إلا وسيفُه مفتاحُه، ولا ليل خطبٍ دَجا إلا وغرّتُه الميمونةُ صباحُه، ولا عزّ أملٌ لأهل الإسلام إلّا وكان فى رأيه المسدَّدِ نجاحُه، ولا حصل خللٌ فى قطرٍ[4] من الممالك إلّا وكان بمشيئة الله تعالى وبسَداد تدبيره صلاحُه؛ ولا ٱتّفق مشهدُ غزوٍ إلا وٱلملائكةُ بمضافرته فيه أعدلُ شهود، ولا تجدَّد فتوحٌ للإسلام إلا جاد فيه بنفسه وأجاد، "والجُودُ بالنفس أقصى غايةِ الجود" كم أَسلف فى غزوِ الأعداء من يومٍ أَغَرَّ محجَّل، وأنفق مالَه ٱبتغاءَ مرضات الله فحـاز النصرَ المعجَّل والأجرَ

---

(١) الورود جمع وريد: وهو عرق فى العنق، ويقال له: حبل الوريد، وهما وريدان؛ والظاهر أنه أراد بالورود هنا: العروق التى فيها الدم لا جمع وريد بالمعنى المعروف، فان كلام أهل اللغة يدل على أن الوريد من العروق ما جرى فيه النفس ولم يجر فيـه الدم. قال أبو الهيثم: الوريدان تحت الودجين، والودجان: عرقان غليظان عن يمين ثغرة النحر ويسارها؛ والوريدان ينبضان أبدا من الانسان؛ والوريد من العروق: ما جرى فيه النفس ولم يجر فيه الدم الخ قال الأزهرى: والقول فى الوريدين ما قاله أبو الهيثم وفى المصباح نقلا عن الفراء: الوريد: عرق بين الحلقوم والعلباوين، وهو ينبض أبدا؛ فهو من الأوردة التى فيها الحياة ولا يجرى فيها دم، بل هى مجارى النفس بالحركات.

(٢) فى الأصل: «من فى سماء»؛ وقوله: «من» زيادة من الناسخ.

(٣) فى الأصـل وصبح الأعشى: «اسـتغلقه»؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة انه يقال: استغلقت الباب بمعنى أغلقته.

(٤) كذا فى الأصل، والذى فى صبح الأعشى (ج ١٠ ص ٧١): «طرف»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

المؤجَّل، وأحيا من معالم العلوم ودوارِس المدارس كلَّ داثر، وحثّه إيمانُه على عمارة بيوت الله تعالى الجامعةِ لكلّ تالٍ وذاكر، "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ"، وهو الذى ما زالت الأولياء تَتخيّل مخايلَ السلطنة فى أعطافه معنًى وصوره، والأعداءُ يرومون إطفاءَ ما أفاضه الله عليه من أَشعَّة أنواره "وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَه"، طالما تطاولتْ إليه أعناقُ المـمالك فأَعرض عنها جانبا، وتطفّلتْ (١) عليه فغدا لها رعايةً لذمّة الوفاء مجانبا، حتى أَذِن الله سبحانه لكلمة سلطانه أن تُرفَع (٢) وحكم له بالصعود فى دَرَج المُلك الى المحلّ الأعلى والمكانِ الأرفع، وأَدّى له من المواهب ما هو على اسمه فى ذخائر الغيوب مستودَع، فعند ذلك استخار اللهَ تعالى سيّدُنا ومولانا أميرُ المؤمنين (المستكفى بالله) — جعل الله الخلافةَ [كلمة] (٣) باقيةً فى عَقِبه، وأمتعَ الإسلامَ والمسلمين بشريفَىْ حسبِه ونسبِه — وعَهِد إلى المقام العالى السلطانىّ بكلّ ما وراء سرير خلافتِه، وقلّده جميعَ ما هو متقلِّدُه من أحكام إمامتِه، وبَسَط يدَه فى السلطنة المعظَّمه، وجعل أوامرَه هى النافذةَ وأحكامَه [هى] (٣) المحكَّمه، وذلك بالدِّيار المصريّة والممالكِ الشاميّه، والفراتيّة والحلبيّة (٤) والساحليّه، والقلاع والثغور المحروسة والبلاد الحجازيّة واليمانيّه، وكلّ ما هو من الممالك الإسلاميّة الى خلافة أمير المؤمنين منسوب، وفى أقطار إمامتِه محسوب، وأَلقَى إلى أوامره أزِمّةَ البسط والقبض

---

(١) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٢؛ والذى فى الأصل: «وتطلعت»؛ وهو وإن كان كان صحيح المعنى إلا أن قوله بعد: (عليه) يقتضى ما أثبتنا.

(٢) فى صبح الأعشى: «على قرنه»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى.

(٤) فى صبح الأعشى: «والجبلية»؛ وهو أظهر، فإن الحلبية داخلة فى الممالك الشامية التى سبق ذكرها.

والإبرامِ والنقض، والرفعِ والخفض، وما جعله الله فى يده من حُكم الأرض ، ومن إقامةِ سـنّةٍ وفرض، وفى كلِّ هِبةٍ وتمليك، وتصرّف فى ولاية أمير المؤمنين من غير[1] شريك ؛ وفى تولية القضاة والحكام ، وفصلِ القضايا والأحكام؛ وفى سائر التّحكّم فى الوجود، وعقدِ الألوية والبنود ، وتجنيـدِ الكتائب والجنود، وتجهـيزِ الجيوش الإسلامية فى التأييد لكلّ مقامٍ محمود؛ وفى قهرِ الأعداء ٱلذين نرجوا بقوّة الله تعالى أن يمكّنه من نواصيهم، ويحكِّم قواضبَه فى ٱستنزالهم من صَياصيهم، واستئصالِ شأفة عاصيهم ؛ حتى يمحوَ الله بمصابيح سـيوفه سوادَ خطوب الشِّرك المدلهِمّه، وتغـدو سَرَاياه فى ٱقتلاع قلاعِ الكفر مستهِمّه[2] ؛ وتُرهِبهم خيلُ بعوثه وخيالُها فى ٱليقظـة والمنـام ، ويَدخُل فى أيّامه أهلُ الإسـلام مدينـةَ السلام بسـلام ؛ تفويضا تامّا عامّا منضّدا منظّما، مُحْكَمًا مُحَكَّما؛ أقامه مولانا أميرُ المؤمنين فى ذلك مُقامَ نفسه الشريفه ،وٱستَشهَدالكرامَ الكاتبين فى ثبوت هذه البَيعةالمنيفه ؛ فليَتقلّد المقامُ الأشرفُ السلطانىُّ ــ أعزّ الله نصرَه ــ عِقدَ هذا العهدالذى لا تطمح لمثله الآمال، وليَستمسِكْ منه بالعروة الوثقى التى لا ٱنفصامَ لها ولا ٱنفصال ؛ فقد عوّل أميرُ المؤمنين على يمن أرائك[3] التى ما برحت الأمّةُ بهـا فى المعضـلات تَستشفِى ، وٱستَكفَى بكفايتِـك وكفالتِـك فى حياطة المُلك فأضحى وهو بذلك (المستكفِى)؛ وهو يقصّ عليـك من أنبـاء الوصايا أحسنَ القَصَص ، وينصّ لديك ما أنت آخذٌ منه بالعزائم اذا أَخَذ

(١) عبارة صبح الأعشى : « أمور الإسلام » .

(٢) مستهمة بتشديد الميم : أى مهتمة ؛ قال فى الأساس : سمعتهم يقولون : اسـتهمّ لى فى كذا ؛ ويجوز أن يقرأ : (مستهمة) بتخفيف الميم؛ أى مقتسمة ، من الآستهام .

(٣) كذا ورد هـذا اللفظ فى الأصل وصبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٣ بضمير الخطاب ، ولا يخفى ما فيه من الالتفات لاختلاف الضمائر بين ماهنا وبين ماسبق ، وكأن النكتة فى ذلك تأكيد اختصاصه بهذا العهد المذكور فى الجملة السابقة .

غيرُك فيه بالرُّخص ، فإنْ نُبِّهتَ على التقوى فطالما تمسّكتَ منها بأوثقِ عروه ، وإن هُديتَ الى سبيل الرشاد فما زلتَ ترقى منه أشرفَ ذُروه ؛ وإن آسترهفْنا(١) عزمَك المـاضىَ الغِرار ، وآستدعَينا حزمَك الذى أضاء به دهرُك وأنار وآستنار(٢) ؛ فى إقامة مَنار الشرعِ الشريف ، والوقوفِ عنـد أمرِه ونهيِه فى كل حكمٍ وتصريف ؛ فما زِلتَ — خلّد الله سلطانَك — قائمـا بسننِه وفرضِه ، دائبـا فى رضى الله تعـالى بإصلاحِ عقائدِ عبادِه فى أرضِـه ؛ وما برح سيفُك المظفَّرُ للأحكام الشرعيّة خادما ، ولموادِّ الباطل حاسما ، ولِأُنوفِ ذوى الزَّيغ والبِدَع مُرغِما ؛ وكلُّ ما نوصيك به من الخير فقد جُبلتْ عليه طباعُك ، ولم يزل مشتدّا فيه ساعدُك ممتدّا إليـه باعُك ؛ غيرَ أننا نُورد لمعةً اقتضاها أمر الله تعالى فى الاقتداء بالتذكرة فى كتابه المبين ، وأَوجبَها نصُّ قوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، ويندرج تحت أصولهـا فروعٌ يَستغنِى بدقيق ذهنه الشريفِ عن نصِّها ، وبفكره الثاقبِ عن قصِّها ؛ فأعظمُها للّة نفعا ، وأكثرُها للباطل دفعا ، الشرعُ الشريف ، فليكن — أعزّ الله نصرَه — عاملا على تشييد قواعد أحكامِه ، وتنفيذِ أوامر حكّامِه ؛ فالسـعيدُ من قرن أمرَه بأمرِه ، ورضى فيه بحلو الحق ومُرِّه ؛ والعدلُ ، فلينشرْ لواءه حتى يأوىَ اليه الخائف وينكفَّ بردْعه حَيفُ كلِّ حائف ؛ ويَتسـاوى فى ظلّه الغنىُّ والفقير ، والمأمورُ والأمير ، ويمسىَ الظلمُ فى أيامك وقد خَمدتْ نارُه ، وعفَتْ آثارُه ؛ وأَهمُّ ما آحتفلتْ به العزائم ، وآشتملتْ عليه هممُ الملوك العظائم(٣) ، وأُشرِعتْ له الأسـنّةُ وأُرهِفتْ من أجله الصوارم ؛ أمرُ الجهاد الذى جعله الله سبحانه حصنا للإسلام وجُنّه ، وآشترى

(١) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل وصبح الأعشى بالسين والتاء ؛ ولم نجده بهذه الصيغة فيا لدينا من كتب اللغة ، والذى وقفنا عليه أنه يقال : رهفه وأرهفه ، أى رققه وأحده .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى صبح الأعشى .

(٣) العظائم صفة للهمم .

فيه من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأن لهم الجنّه؛ فجَنّد له الجنودَ وجَمّع له الكتائب وأقضِ فى مواقفــه على الأعداء من بأســك بالقَواضى القَواضب؛ وأغزُهم فى عقر الدار، وأرهِفْ سيفَك البتّار، لتأخذَ منهم للسلمين بالثار. والثغور والحصون، فهى سرُّ المُلك المصون، وهى معاقلُ النفوس" اذا دارت رحى الحرب الزَّبون"[1]؛ فلتقلّدْ أمرَها لكُفاتها، وتحصّن حِمــاها بحُماتِها، وتضاعِف لمن بها أســبابَ قوتها ومادّةَ أقواتِها؛ وأمراء الإســلام، وجنود الإيمــان، فهم أولياء نصرك، وحَفَظةُ شامِك ومصرِك؛ وحزبُك الغــالب، وفريقُك الذى تَفْرَق منه قلوبُ العــدو فى المشارق والمغارب؛ فليكن المقام العالى الســلطانىّ — نصره الله تعالى — لأحوالهم متفقّدا وببسطِ وجهِه لهم متودِّدا؛ حتى تتأكّدَ لمقامه العالى طاعتُهم، وتتجدّدَ لسلطانه العزيز ضراعتُهم؛ وأما غير ذلك من المصالح فما برح تدبيرُه الجميلُ لهــا ينفّذ ورأيُه الأصيلُ بها يشير، ولايحتاج مع علمه بغوامضها الى إيضاحها «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» واللهُ تعالى يخصّ دولتَه من العدل والإحسان بأوفر نصيب، ويمنح سلطانَه مايرجوه من النصر المعجَّل والفتح القريب؛ بمنّه وكرمه .

وكتب تقليدا مظفَّريّا للأمير سيف الدين سَلّار المنصورىّ بنيابة السلطنة الشريفة فى سنة ثمان وسبعمائة، وهو :

الحمد لله الذى شيّد ركنَ الإســلام بسيفه المنتضَى، وجدّد للمُلك مزيدَ التأييــد بكافلِه الذى مابرح وفاؤه للملوك الأواخر والأوائل مرتضَى، وأنجزَ من وعوده الاتفاقُ والتوفيقُ ما كان من ذمّة الدهر مُقتضَى؛ جامع شملِ الأوامر والنواهى بتفويضها

(١) الزبون، من الزبن بفتح فسكون: وهو الدفع ومنه قيل: حرب زبون، لأنها تدفع الأبطال عن الإقدام خوف الموت.

الى مَن تبيت العدا مِن مهابته على جمر الغَضَى ، ومُنيل المنى بمواهبه التى تحوز موادّ الاختيار وتجوز أمَدَ الرضا ، ومُلقِى مقاليدِ التدبير الى من أضحى جميلَ التأثير اذا تصرّف فى الرفع والخفض حكمُ القضا ، ومصرِّف أزمّةِ الأمور فى يد من غدا ثابتَ العزَمات فى الأزَمات ، فما أظلَمَ خطبٌ إلا انجلى بمصابيح آرائه وأضا ؛ نحمده على أن عضَد دولتَنا بالكافل الكافى الذى اختاره الله لنا على عِلم ، ومنح أيّامَنا موالاةَ الولىّ الذى جُمِعت فيه خَلّتان يحبّهما اللهُ ورسولُه : وهما الأناةُ والحِلم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مشرقةَ الأنوار ، مغـدقةً سحبُها بأنواء المَنِنِ الغزار ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعثه الله لإقامة شعائر الإيمان ، وخصّ ملّته فى الدنيا والآخرة باليمن والأمان ؛ صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أضحى بفضل السَّبْق للإيمان به صِدّيقَه وصَديقَه ، وأمسى لفرط الألفة أنيسَه فى الغار ورفيقَه ؛ ومنهم من ضافَرَه فى إظهار النبوّة ووازره[1] ، وظاهَرَه على إقامة منارها بإطفاء كل ثائرة وإخمادِ كلّ نائره[2] ؛ ومنهم من ساعد وساعف فى تجهيز جيش العُسْره[3] ، وأحسن وحسَّن مع إخوانه المؤمنين الصحبةَ والعشره ؛ ومنهم من كان سيفَه الماضىَ الحدّ ، ومهنّدَه الذى كم فَلّ بين يديه الجموع فما اعترض إلا قطّ[4] ولا اعتلى إلا قدّ ؛ وسلّم تسليما كثيرا . أما بعد ، فان الله تعالى لما هنّأ لنا مواهبَ الظّفَر ، وهيّأ لنا من الملك موادَّ إدراكِ المنى وبلوغ الوَطَر ، وأيدنا من أنصارنا بكلّ ذى فعلٍ أَبَرّ ووجهٍ أغَرّ ؛ وشدَّ أزْرَنا بمضافرة سيف يُزهَى المُلكُ بتقليده ، وأمَدّنا بمؤازرٍ تتصرّف المنى والمنونُ

---

(١) وازره : أعانه وقوّاه ، والأصل آزره بالهمز ، وفى القاموس وشرحه مادة «أ ز ر» أن المؤازرة بالهمز أفصح ، وبالواو شاذ ؛ وقال الفراء : إنه عامىّ .

(٢) النائرة : اسم فاعل من نارت الفتنة تنور ، إذا وقعت وانتشرت .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١١٣ من هذا السفر .

(٤) القط : القطع .

بين وعده ووعيده ؛ وجب علينا أن نحوط دولتنا بمن لم تزل حقوقُ مودّته بحسن الثناء حقيقَه ، وعهودُ محبّته فى ذمام الوفاء متمكّنةً وثيقَه ، وطريقتُه المثلى فى المحاسن والإحسان مشهورةً ولا نرى مثــلا لتلك الطريقه ؛ وتقلّد كفالةَ ممالكِنا للولىِّ الذى مابرح يتلاقَّ أمورَنا بفسيح صدرِه ، و يتوقَّى حدوثَ كلِّ ما نكرهه فينهض فى دفعه بصائب رأيه وثاقبِ فكرِه ؛ وكان الجنابُ الكريمُ العــالى الأميرىُّ الكبيرىُّ العالمىُّ العادلىُّ الكافلىُّ المؤيّدىُّ الزعيمىُّ الغيــاثىُّ[(١)] المُسندىُّ المهّدىُّ المناغِرىُّ المظفَّرىُّ المنصورى السّيفىُّ ، معزُّ الإسلام والمسلمين ، سيِّدُ أمراء العالمين ، سـدُ الممالك ، مدبِّرُ الدُّول ، مقدّمُ العساكر ، أميرُ الجيوش ، كهفُ الله ، حصنُ الأمّة ، نُصرةُ الملوك والسلاطين ، (سَلّارُ المنصورىُّ) نائبُ السلطنة المعظّمة ، وكافلُ الممالك الاسلامية ، — أعز الله نصره — هو واســطةَ عِقد الأوليــاء ، وســيفَ الدولة الفاتكَ بالأعداء ، والذى أَسلف فى نُصرة الإســلام حقوقا غدت مرقومةً فى صحف الفخار ، واســتأنف فى مصالح الأمّة المحمديّة تدبيراتٍ أَظهَر بها أسباب التأييد على الأعداء والاستظهار ؛ كم أصلح بيمن سياسته ذاتَ البَين ، وكم أبهج ببركة تأتّبــه[(٢)] وتأنّيه كلَّ قلب وأَقرَّ كلَّ عين ؛ وكم ساس من مُلك فأضحى ثابتَ الأُساس ، وجعــل شعارَه دفعا للباس ونفعا للنــاس ؛ ما عوهــد إلا وأَوفَى ، ولا عوند إلا وعَفّ وعفا ، ولا ٱستُشفِىَ فى طبِّ معضلة إلا وشَفَى ، ولا ٱستَدرَك تدبيرُه فارطَ[(٣)] أمرٍ كان على شفا ؛ فما يومُه فى الفضل بواحد ، ولا أحد لمثل محاسـنه الجميلة بواجد ؛ لعزماته فى مواقف الجهاد السوابقُ



(١) فى الأصل : «الفياض» بالفاء والنون ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٢) التأتى للأمر : الترفق له والتلطف فيه .

(٣) الفـارط : الفائت ؛ يريد بهــذه العبارة وصفه بالحزم وأنه لا يترك الأمور يمتد الخلل إليها ثم يستدركها بعد فواتها ، بل إنه يتوقى الخلل فيها بتدبيره قبل حصوله .

الغُرُّ المحجَّله، ولتِدبيراته فى مصالح العباد والبلاد المنافعُ المعجَّلةُ والمؤجَّله ؛ وهو الذى خافت مَهابتَه الكتائب، وأُمِّلَت مواهبُه الرغائب(١)، ولعبَتْ(٢) سَطَواتُه للعــدا خيالا فى المراقدِ وخيلا فى المَراقب، وآمتَــطَى من الشهامة كاهلَها فأَحجَم عنه لمـّا أقدم كلُّ مُحارِب، وصــدق مَن نعَتَه بالسيف ، فلو لم يُنعَت به لقيــل : هذا سيف يفتِك بالضَّريبة ولا تُفَلّ له مَضارب؛ وكم لقِىَ بصدره الألوفَ من التتار — خذلهم الله — والمنايا قد بلغتْ من النفوس المنى، وأَمضَى ســيفَه فى الحروب وما شكا الضنى ؛ وحمل حملة فرّق بها كلّ شَملٍ للكفّار آجتمع، وقطع أعناق العدا فى رضى الله تعالى ولا يُنكَر السيفُ إذا قطع؛ و وصل من العلياء إلى غايةٍ تُزاحِم الكواكبَ بالمناكب، وتَفرَّد بأمر الجيــوش فأضحى بدرَ الكتائب وصــدرَ المواكب ؛ إذا جاش الجيشُ ثبت عنــد مشتجر الرماح ، وإذا أظلم ليــلُ النَّقع وَضَحت أسارِيرُ جبينِه وضــوحَ الصباح ، و إذا أقدم فى كتيبة ” رأيتَ البرَّ بحرا من سلاح“ واذا رُفِعت راياتُه يوم الوغى كبّرَتْ بالظَّفرِ على ألسنة الرماح، و إذا كان فى جحفلٍ كانت عزائمُه للقلب قلبا وصوارمُه جناحا للجناح ، و إذا قَدَر فى السِلم عفا لكنه فى الحرب قليلُ الصفح بينَ الصِّفاح؛ وهو الذى ما برحت أيدى آنتقامه تهدم من أهل الشرك العمائرَ والأعمار، و بروقُ سيوفه تَذهَب بالنفوس لا بالأبصار ، ويمنُ يمينه وصبحُ جبينه هذا يَستهِلّ بالأنواء وذا بالأنوار ؛ اقتضَى حسنُ الرأى الشريف أن نوفىَ حقــوقَ مودّته التى أسلفها لنا فى كل نُعمى و بُوسى ، وأن نضاعفَ علوَّ مكانه من أخوتِنا ليكون منا كهرون

(١) الرغائب : النفائس المرغوب فيها ، واحدها رغيبة .

(٢) كذا ورد هــذا اللفظ فى الأصل ؛ يريد أن سطواته فى تشكلها للأعداء فى النوم بالخيال وفى اليقظة بالخيل تشــبه فعل اللاعب حين يتشكل للناظر بأشــكال مختلفة . أو لعله : « ولقبت » بالبناء للمجهول أى سميت وعلى الأول فقوله : « خيلا » حال من سطوات وعلى الوجه الآخر فهو مفعول ثان ، و إنما لم يتعدّ إليه بالباء كما هو مقتضى اللغة لتضمنه معنى التسمية .

من موسى؛ فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوىّ السلطانىّ الملكىّ المظفّرىّ الركنى — لا برح يوفى بعهود الأولياء و بفى، ويَمنح من أخلص النيّة فى ولائه البرّ الخفىّ والفضلَ الحَفِى — أن تكون كلمةُ الجناب الكريم العالى الأميرىّ السيفىّ المشارِ إليه — أعزّ الله نصره — نافذةً فى كفالة الممالك الإسلاميّة، متحكّمةً فى نيابة السلطنة المعظّمة، وأوامرُه المطاعةَ فى إمرة الجيوش وحياطة الثغور التى غدت بدوام كفالته متبسّمة؛ على أجمل عوائده، وأكمل قواعده(١)؛ نيابةٌ ثابتةَ الأساس، ناميةَ الغراس؛ لا يضاهَى فيها ولا يشارَك، ولا يَخرُج شىءٌ من أحوالها عن رأيه المبارك؛ فليبسُط نهيَه وأمرَه فى التدبير والإحكام، وليَضبِط الممالكَ حتى لا تسامَى ولا تُسام؛ وليُطلع من آرائه فى سماء الملك نجوما بها فى المصالح يُهتدَى، وليَرفع من قواعده ما يخفض به قدرَ العدا؛ وليُضاعِف ما أَلِفته الأمّةُ من عدلِه، وليَجرِ على أكرم عاداته من نشرِ إنصافه وشمولِ فضلِه، وليعضِّد جانب الشرع المطهَّرِ فى عَقدِه وحَلِّه، وتحريمه وحِلِّه؛ ولينفذ كلمتَه على ما هو من ديانته مألوف، وليَستكثِر من الاقتداء بأحكامه فى النهى عن المنكر والأمرِ بالمعروف؛ وأمراء الإسلام وجنوده، فهم ودائعُ سرِّه، وصنائعُ شكره(٣)، وطلائعُ نصره(٤)، وما منهم إلا من غُذِىَ بلبان(٢) درِّه، وغدا [من] ثناء عصره متقلدا لعقود دُرِّه؛ فليستدم حُنوَّه عليهم و إشفاقَه، وليوال إليهم برَّه و إرفادَه و إرفاقَه؛ والوصايا كثيرةٌ لكنها منه تُستملى، والتنبيهاتُ على المصالح منه تستفاد نقلا وعقلا، وما زلنا نستضئ فى المهمّات بمن آرائه التى جَمعتْ للصالح شملا؛ فمِثلُه لا يُدَلّ على صواب وهو المتفرِّد بالسداد، والخبيرُ بتفريج كُرَب الخطوب والسيوفُ

---

(١) كذا فى الأصل، وهو جمع عادة كما فى المصباح، ولم نجده فى غيره من كتب اللغة التى بين أيدينا .
(٢) اللبان بالكسر : الرضاع، يقال : هو أخوه بلبان أمه ، ولا يقال : بلبن أمه .
(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل والسياق يقتضى اثباتها
(٤) فى الأصل : «اسماء» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

غامضةُ الجفون فى الأغماد ؛ والله تعالى يمتعنا من بركة كفالته بالخِـلّ المُوافِى[١] والأخ المواسِى، ويشدّ أزرَ سلطاننا من مضافرته بمن أمسى جبل الحُلوم[٢] الرواسى؛ إن شاء الله تعالى .

(١٣) ومن انشائه أيضا أعزه الله تعالى مقامة عملها فى سنة اثنتين وسبعمائة، على لسان من التمسها منه، فقال :

حَكَى أليفُ الغرام ، وحليفُ السَّقام؛ وقتيلُ العيون، وصريعُ الجفون ؛ وفريسةُ الأسود، والمصابُ بنبال الحَدَق السود؛ عن قصّتهِ فى هواه، وقضيّتِه التى كان فى أوّلهـا غِناه ، وفى آخرها عَناه[٣]؛ قال : لم أزل فى مدّة العمر أترقّب حبيبا أتلذّذ بحبِّه، وأتنعّم بقربِهِ ؛ وأحيا بانعطافِه ، وأسكر من ريقه بسلافِه؛ وأستعذب العذابَ فيه ، وأرشُف خمر الرضاب مِن فيـه ، وأقتطف ورد السرور من وجنتيه وأجتنيه ؛ وأكتسِى به لطفا، وأكتسِب بمصاحبته ظَرْفا ؛ حتى ظَفِرتْ يداى بمن رَقّ وراق، ولطُفَتْ حدائقُ معانيه حتى كادت تَخفى عن الأحداق

لطُفَتْ معانيه فهبّ مع الصَّبا * ورقيبُـه بهبوبه لا يعـرِفُ

قد جمع أوصاف المحاسن والمعانى ، وفاق كلَّ مليح فليس له فى الحسن ثانى ؛ أما قوامُه ، فقـد ملك الفؤاد فأضحى مَلِكا عادلا ، وآستباح النفوسَ من آعتـدالِه

فلا غرو إن أضحى لهـا قاتلا

(١) الموافى ، من وافى يوافى : وهو بمعنى وفى، يقـال : وفى له بالعهد يفى ووافى يوافى كلاهما بمعنى واحد انظر اللسان .

(٢) فى الأصل : «الحلقوم» والقاف زيادة من الناسخ . والحلوم، جمع حلم بالكسر : وهو الأناة وعدم الخفة . والرواسى : صفة للحلوم .

(٣) فى الأصل : «عناه» بالغين؛ وهو تصحيف .

عَجَبا لقــدّك ما تَرَنَّحَ مائلا * إلا وقد سلب الغصونَ شمائلا

وأما لحاظُه فقد غَنيتْ عن الكُحْل بالكَحَل، وأذابت حبّاتِ القلوب فى حُبّ تلك المقَــل

و إذا رأيتَ الطرف يعمل فى الحشا * عمــلَ الأسنّة فالقــوامُ مثقَّفُ

إلى غير ذلك من وجه كالبدر فى تمامِه، يعلوه مِن شعرِه مايصير به كالبدر تحت غمامِه

قمر تَبلَّج وجهُــه فى حندسٍ * من شعره فأضاء منه الحندسُ

ومقبَّلٍ أشهى من الراح، وأعطرَ من زهرِ الربا تفتّحت أكمامُه عند الصباح

ومقبَّل عذب كأنّ * رضابَه بَرَدٌ وراح

وخدٍّ أمسى شقيقَ الشَّقيق،(١) ومَبسِمٍ يُرشَف مِن شفاهِه العقيقِ الرحيق

شــفة كمحمرِّ العقيـ * ـق ومَبسِم مِثلُ الأقَاح(٢)

وصُدْغٍ سال على خدّه القانى، وامتدّ كدمع محبِّه الأسيرِ العانى

صبّ له دمعٌ كصُدغك سائلٌ * فعساك يا مُثْرِى الجمال تُواسِى

وخصرٍ لَطُف ودَقّ، وعلاه كَثيبُ ردفٍ فأثقله حتى ضَنِيَ و رَقّ

يا ردفَه رفقا على خصرِه * بينكما حرمــةُ جيرانِ

الى غير ذلك من أنواع حسنٍ قصر عن وصفها قلمى، وعجز عن حصرها كَلِمى؛ وأشفقتُ من شرحها خوفا أن أَنُمَّ عليــه، أو أذكر ما تفرّد به من الحسن فأكون

(١) يريد بالشقيق : شقائق النعمان، وهو زهر أحمر، وانما أضيف الى النعمان لأن النعمان بن المنذر حمى أرضا فكثر فيها هذا النبت؛ وقيل : النعمان اسم للدم، وشقائقه : قطعه، فشبهت حمرة هذه الزهرة بحمرة الدم .

(٢) الأقاحى بتخفيف الياء وتشديدها : جمع أقحوان، وهو من نبات الربيع، دقيق العيدان، له نور أبيض كأنه ثغر جارية حدثة السن؛ وهو المسمى بالبابونج والبابونك عند الفرس .

قد أشرتُ اليه ؛ وأنا قد تدرّعتُ ثوبَ الكتمان، وتســتّرتُ حتى غاض منى الدمعُ وأغضى الطرفُ وسكت اللسان

يقولون من هذا الذى مُتَّ فى الهوى * به كَلَفـا يا ربِّ لا علموا الذى

غيرَ أنّى قد متعت بذكر ملاحته فؤادى، ولا بدّ أن أُوردَها مجمَـلةً لأُكْمِد[1] بلفظها[2] المُعـادى ٥

حكاه من الغصن الرطيبِ وَريقُه * وما الخمرُ إلاّ وجنتاه ورِيقُــه

هــلالٌ ولكن أفقُ قلبى محــلُّه * غزالٌ ولكن سـفحُ عينى عقيقُه

بديعُ التثنِّى راح قلبى أسـيرَه * على أن دمعى فى الغرام طليقُـــه

أَقَرَّ له من كل حسنٍ جليــلُه * ووافقــه من كل معنًى دقيقُــه

من التُّركِ لا يصبيه وجدٌ إلى الحِمى * ولا ذكرُ باناتِ الغُوَير[3] يشُـــوقُه ١٠

ولا حلَّ فى حىٍّ تلوح قبـابُه * ولا ساق فى ركبٍ يساق وسـيقُه[4]

ولا بات صـبّا للفُرَيق[5] وأهــلِه * ولكن إلى خاقانَ يُعزَى فَرِيقُــه

يهدِّد منه الطرفُ من ليس خصمَه * ويُسكِر منــه الريقُ من لا يذوقُــه

على خدّه جمر من الحسن مضرَمٌ * يُشَبّ ولكن فى فؤادى حريقُــه

له مَبسِمٌ يُنسِى المــدامَ بِريقِــه * ويُخجِل نُوّارَ الأقَاحى بَريقُـــه ١٥

(١) فى الأصل : « لا لمد » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٢) بلفظها : أى بذكرها ، فالمراد من اللفظ المصدر، أى التلفظ .

(٣) الغوير : ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام ؛ وقال أبو عبيد السكونىّ : إنه ماء بين العقبة والقاع فى طريق مكة .

(٤) كذا فى الأصل ؛ ولعل المراد بالوسيق : الموسوق ، فعيل بمعنى مفعول أى الذى حمل عليه الوسق بفتح الواو وهو الحمل . ٢٠

(٥) فريق بالتصغير : اسم موضع بتهامة ، كما فى معجم البلدان والقاموس ، وهو فيهما غير معرّف بأداة التعريف .

قال الراوى : فأعلمتُه ما خامر قلبى من هواه ، و بذلتُ نفسى ٱبتغاءً لرضاه

بَثثتُ له سرّى ونحن بروضةٍ * فمالت لتُصغى للحديث غصونُ

فتلقَّى ضراعتى بالرُّحْب والإقبال، وسَفَرَ عن وجه الرضا فبشّرتُ نفسى ببلوغ الآمال، وقلت(١) :

٥ تذلّلتُ فى الشكوى إليه فرقّ لى * حُنوا لدمعى فى الهـوى وتذلّلى

غزالٌ لبستُ السُّقمَ خلعةَ جفنه * على أننى فيـه خلعتُ تجمّلى

تَعَلَّلَ بالأعذار حتى خدعتُـه * بسِحر الرُّقَى أفديه مِن متعلّلِ

فراقَبَ إغفاءَ الرقيب وهَجعةَ الـ * ـسَّمير وراعَى حينَ غفلةَ عُذّلى

ووافى أخا الأشواق حلفَ صبابةٍ * أسيرَ هوًى مِن وجدِه فى تَململِ

١٠ فلم أر روضا كان أحسنَ بهجةً * ـ لعمر الهوى ـ من وجهه المتهلّلِ

فأعظمتُ مَسراه وقبّلتُ خاضعا * ثرى خَطوِه شكرا لفضل التطوّلِ

وٱنعطف علىّ ٱنعطافَ الغصن الرطيب ، وتمازجتْ قلوبُنا حتى أشكل علىّ أينا الحبيب(٢) ، وفزتُ منه ببديع جمال تلذّ به النفوس، ورَشَفتُ من رضابه أحلى ما تَرشُفه الأفواهُ من شفاه الكؤوس

١٥ تَعلّقتُـه صائدا للقـلوب * بألحاظـه سالبا للنُّهى

بديعَ الجمـال إذا ما بـدا * ترى فيه للعين مستنزها(٣)

فكم فيـه للعين من روضةٍ * وكم فيه للنفس من مشتهى

---

(١) فى الأصل : « وقال » ؛ وما يأتى بعده من الشعر يقتضى ما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : « أتيا » ؛ وهو تصحيف .

٢٠ (٣) قال المطرزى فى المغرب : الاستنزاه بمعنى التنزه غير مذكور إلا فى الأحاديث اهـ .

يا حسنَه لمّـا أتى بوعد وعلى غير وعد ، ويا لذاذةَ قربِه ويا حرارةَ ما ذقناه بعدها من هجرٍ وصــدّ؛ فلم نزل على ذلك مدّةً أغفَى الدهرُ عنّا فيهـا، أُقضّى حياةً طابت تلذّذا وترَفُها

رعى الله محبوبا نعمتُ بوصلِه * وقد بعدتْ عنّا الغــداةَ عيونُ

حتى شعُر بنـا الدهرُ الخؤون ، ورمانى بسهم فرقةٍ أبعدت ٱلمنى وجلبت ٱلمنون ؛ وعلم بمـا كتمناه الرقيب ، وعجَز عن داء قلبى ٱلطبيب

لو كان للعشاق حظٌّ فى الهوى * ما كان يُخلَق فى الزمان فــراقُ

فتجرّعتُ بعد الشُّهد علقما ، ولَم أستطع أفتحُ (١) من الحزن فما ؛ وهمتُ فى ساحة الشوق والٱلتياح (٢) ، وفضحتْنى الأدمعُ التى طال بها على المحبِّين الٱفتضاح

لا جزى اللهُ دمعَ عيـنىّ خيرا * وجزى اللهُ كلَّ خيرٍ لسانى

نَمّ دمـــعى فليس يكتم شيئا * ووجدتُ اللســانَ ذا كتمانِ

كنتُ مِثلَ الكتّاب أخفاه طىٌّ * فٱســـتدَلّوا عليه بالعُنــوانِ

فاذا هو مُرُّ المَذاق ، وأمنع الدمعَ فيقول : وهل خبأتَنى لأعظمَ من يوم الفراق

أبَى الوجدُ أن يُخفيه قلبُ متيّمٍ * يكابده والدمعُ يُبديه والضّنى

---

(١) يريد : أن أفتح ؛ فأن فى هذه العبارة محذوفة . وقد أجاز الأخفش حذفها مع رفع الفعل بعدها وجعل منه قوله تعالى : (أفغير الله تأمرونى أعبد) الآية ، « وتسمع بالمعيدىّ خير من أن تراه » برفع «أعبد» و «تسمع» وظاهر شرح التسهيل موافقته حيث قال فى قوله تعالى : (ومن آياته يريكم البرق) : أنّ «يريكم» صلة أن حذفت وبقى الفعل مرفوعا . وهذا هو القياس ، لأن الحرف عامل ضعيف فحذفه يبطل عمـله اهـ . وأما حذف أن مع نصب الفعل بعدها فهو شاذ عنـد البصريين فى غير المواضع المنصوص عليهـا فى كتب القواعد .

(٢) فى الأصل : « الارتياح » بالراء؛ وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق . والالتياح فى الأصل : شدة العطش من اللوح بفتح اللام ، والمراد هنا الهيام والعشق لشبههما بالعطش فى شدة الغليل .

وكم ذاب القلبُ حسره، وتَفتّت ٱلكبدُ فى تلك الفَتره؛ على خَلوة أبُثّ فيها حَزَنى، وأَفْسَح فيهـا المجالَ الذى ضاق به عَطَنى ؛ فلم أَظفر بخَلوة فى لمحة بصر ، ولا فزتُ بذكر كلمة أفترج بها ما عرض مِن حَصر

تعرّضتُ من شـوق إليه فأَعرضا * ولولا الهوى لم أَمنح ٱلحبَّ مُبغِضا

٥ وبُحتُ إليه أنّ عنـدى رياضةً(١) * عليه وما تلك الرِّياضـةُ عن رضا

قَصى حبُّه أنّى إذا عزّ فى الهوى * أَذِلّ وإنى قد رضِيتُ بمـا قضَى

لقلبيَ من عينيه سُـقْمٌ وصحّةٌ * فكم مرّة فى الحبّ داوَى وأَمرَضا

مضى لى به عيشٌ بكَيتُ لفقـده * وهيهات أن يرتدّ عيشٌ إذا مضى

وبُلِيتُ(٢) برقيب قد سلب ٱلله من قلبه الإيمـان ، وسلّطه علىّ بغلظ الطباع وفظاظة

١٠ اللسان؛ كأنه شيطان لا بل هو بعينِه ، لكنّه أَرْبَى عليه فى بهتانه ومَينه ؛ يُحاقُّ(٣) على الكلمة الواحده، ولا يسمح بأن طرفى يمتدّ إلى تلك ٱلمحاسن التى غدت القلوبُ بها واجده ؛ يوَدّ لو غُطِّىَ على بصرى ، ويبدلنى مَغيبى من مَحضَرى ؛ لا يَفتُر عن اللَّوم والعَـذَل ، ولا يرى أن يقضىَ ساعاتِه إلّا فى بذل الحِيَل؛ يرغب فى شـتات شملى، وانقطاعِ وصلى؛ وليس لى فى دفعه حيـله ، ولا فى الٱنتقام منه وسـيله ؛ وما زال

١٥ حتى أحال الحبيبَ عن ودادِه، وكدر ما صفا من حسن ظنّه وٱعتقادِه؛ وأنا أَرُوض نفسا كادت تذوب، وأتسلّى بأيّام وصاله وأقول : لعلها ترجع وتؤوب

لئن ذقتُ مرَّ الصبر أو ملحَ أدمعى * لقـد أَعذبتْ تلك المَذاقاتُ مَنهلى

(١) يريد بالرياضة هنا : ملازمة هواه والاعراض عن كل ما سـواه ، أخذا من الرياضة عند العباد وأهل التصوف .

٢٠ (٢) فى الاصل : « وتلفت » ؛ وهو تحريف .

(٣) يحاق ، من المحاقة بتشديد القاف : وهى المخاصمة والمنازعة لاظهار الحق ؛ وفى الأصـل : « يحاقق » بقافين ؛ وهو ممـا يجب فيه الإدغام .

فلم يقنع ٱلدهرُ لى بذلك ، ولا رضى بالصـدّ والعذل والهجر الذى هـو أعظمُ المهالك؛ حتى قضى بالفرقه والبِعاد، ورمتنى النوى بسهم فلم يخطئ ٱلفؤاد؛ وكنتُ أتعلّل بالنظر ، وأقول : مشاهدةُ هـذا الوجه القمرىِّ عنـدى أكبرُ وطر؛ حتى مُنِعتُ الوصالَ والمشاهده ، ونَدَبتُ قلبى القريحَ بأدمع عينى ٱلجامده

أحبابَ قلبى لقد قاسَيتُ بَعدكمُ * نوائبـا صيّرتنى فى الهوى مَثلا

وقد تعجّبتُ أنّى بعـد فرقتكم * أحيا وأيسرُ ما لاقَيتُ[1] ما قَتَلا

وٱنقطعتْ عنّى الرسائل ، وذهبت لذاذةُ ما ٱعتدتُه من تلك الوسائل

هل مُخْــبِرٌ عنكم يعيش بقربِه * ميتُ الرجا والصبرِ بعـد إياسِ

أحبابَنـا قسما بسـاعة وصلنا * لم أكتحِل من بَعدكم بنعاس

غبتم فعنـــدى بالفراق مآتمٌ * فمتى تعـود بعَودكم أعراسى

وذَوَى غصنُ السرور بعـد أن كان رطيبا ، وفقدت لنـداء أملى مجيبا ؛ وأغلقتُ بابَ الدَّعه ، وأسبلتُ هواطلَ أدمعى قائلا للأجفان : لا تخشَىْ فأنت منفقة من سَعه ؛ ولولا التعلُّل بالذكرى ، والتأمّلُ[2] فى حسنه[3] الذى تَشكّل فى مرآة القلب فَسَرَّ سِرّا ؛ لقلت :

كأنّك قـد خَتمتَ علىَ ضميرى * فغـيرُك لا يمر على لسـانى

ولى عينٌ تراك وأنت تَنـآى * كما ترنو إليـك وأنت دانى

وأقربُ ما يكون هـواك منّى * إذا ما غاب شخصُك عن عِيانى

(١) فى ديوان أبى الطيب المتنبى (ما قاسيت) والمعنى يستقيم عليه أيضا ؛ وهذا صدر بيت له من قصيدة يمدح بهـا سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابى المنبجى ؛ وتمـام البيت :

* والبين جار على ضعفى وما عدلا *

(٢) فى الأصل : « والتأمن » النون ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : « بحسنه » بالباء ؛ وهو تحريف .

شَغلتَ عن الورى بصرى وسمعى * كأنهما بِحبِّك مفرَدانِ
فهأنا لا أعاين ما بدا لى * سواك ولا أُصِيخ لمن دعانى

ثم إنّى فارقتُ الحياه، وبذلتُها راغبا فى هواه؛ ولم أزل كذلك الى أن ظهرت آثار قربِه، وسَرَى النسيمُ عِطرا فعلمتُ قربَ ركبِه

٥ وأَذكرنى ذاك الصَّبا(١) زمنَ الصِّبا * وما الشوقُ إلا ما تَجدَّدَ بالذكرِ

فكاد قلبي يطير للقائه، ولولا تسنُّرُه بحُجب الفؤاد لخرج من قوة بُرَحائه؛ وتذكرتُ كيف يكون اللقاءُ والاجتماع، والرقباءُ قد أزمعوا على المنع والدِّفاع، وقلتُ: فارقَنى على غير رضا، وجفانى من غير ذنب، ونآى عنّى من غير وداع؛ وهأنا فى غيابه وحضورِه، وسخطه وسرورِه؛ لا أَحُول عن ودِّه، ولا أرَى
١٠ إلا الوفاء بعهدِه

هيهات ما وجدى عليك بزائل * فإلامَ يُطنب فى الملامة عاذلى
ناشدتك العهدَ القديمَ ويومَنا * بِلوى الصَّريم وبانِه المتمايِلِ(٢)
هل تعلمنّ سوى هواك وسيلةً * تدنى رضاك وقد جهلتُ وسائلى
أدنَيتَنى حتى إذا تيَّمتَنى * بمحاسِنٍ ومعاطِفٍ(٣) وشمائِلِ
١٥ وبحسنِ وجهٍ لو تجلَّى فى الدجى * سجد الصباحُ لضوئه المتكامِلِ
ونواظرٍ سحّارةٍ لجفونِها * فضلُ الصناعة(٤) لا لساكنِ بابِلِ(٥)

(١) الصبا بالفتح: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش؛ قاله ابن الاعرابى، وتثنيتها صبوان وصبيان؛ وهى مؤنثة. وإنما أراد هنا النسيم فأوردها بالتذكير.

(٢) عبارة الاصل: «وبانة المتمائل» وهو تحريف.

٢٠ (٣) أراد بالمعاطف: مواضع الانثناء من البدن كالخاصرتين والجيد جمع معطف بفتح الميم وكسر الطاء كما هو قياس اشتقاق اسم المكان من الفعل المكسور العين فى المضارع.

(٤) يريد: صناعة السحر.

(٥) بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلة ينسب إليها السحر والخمر.

وقعتَ من قلبي بودٍّ قد جرى[1] * مَجرَى دمى بجوانحى ومفاصلى
قاطعتنى وسمعتَ قولَ حواسدى * وصرمتَ من بعد الوصال حبائلى[2]
ولرب ليــــل بتُّ فيــه مسهّدا * فردا أسامر لوعتى وبلابلى
أطوى على حرّ الغرام أضالعا * يُطوَين فيــه[3] على قداح[4] النابل[5]

وهأنا أترقّب وصلَه ، وأتوقّع عدلَه .

أتراه من جَور الصبابة ينصفُ * ويرقّ للعـانى عليه ويَعطفُ
صبٌّ يرى السُّلوانَ عنه محرَّما * فـله إليـــه تولّهٌ وتلهُّفُ
يا أهـــل كاظمةٍ[6] وحقِّ هواكُمُ * قسما بكم وبغـــيركم لا يُحلَفُ
مشتاقُكم ألِفَ الصـبابة فيكمُ * فكأنه لســواكُمُ لا يَعرفُ
فعـدوه منكم بالوصـال تَعلّةً * ولكُمْ بأن تعِدوا الوصال ولا تفوا
وحياتَكم[7] يرعاكُمُ فى بُعـدكم * ولقربِكم فى بُعـــدكم[8] يَتشوّفُ

---

(١) فى الأصل : « حوى » ؛ وهو تحريف .

(٢) الحبائل : الأسباب والعهود واحده حبال جمع حبل ، فحبائل جمع الجمع اللسان .

(٣) لعله « منه » أى من الغرام .

(٤) المراد بالقداح هنا السهام على طريق التجوز فى استعمال اللفظ ، فان القــداح فى الأصل : هى السهام قبل أن تراش وتركب فيها النصال ، واحده قدح بكسر القاف وسكون الدال ، فاستعمالها فى السهام ذات النصال مجاز مرسل باعتبار شأنها الأول .

(٥) النابل : الرامى بالنبل ؛ والذى فى الأصل : «البابل» بالباء فى أوله ؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق .

(٦) كاظمة : جوّ على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

(٧) نصب هذا اللفظ على الظرفية ، أى أنه يرعاكم ويتشوف لقربكم ما حييتم ؛ ولا يجوز الإعراب بالكسر على القسم لأن الفعل بعده لا يصلح أن يجعل جوابا له لعدم تأكيده باللام والنون .

(٨) عبارة الأصل : « ولبعدكم فى قربكم »وفيها تقديم وتأخير مفسدان للمعنى .

وليس لى ما أمُتّ به إلا صِدقُ الغرام، والإقدامُ فى حبه(١) على ارتكاب(٢) الحِمام

(١٦)

جدِّدْ عهودَ تواصُـــلٍ وتَلاقِ * وٱستبقِ لى رمقــا فليس بباقِ

وٱشفَع إلى مارقّ من تَرف الصِّبا * من وجنتيك برقّـــة الأخلاقِ

ما حقُّ ذى قلبٍ صفا لك ودُّه * تقطيعـــه بقطيعـــةٍ وفراقِ

٥ معذا وذا كيف استهنتَ فكن أنا الـ * ـموثوقُ(٣) بى مولاى فى الميثاقِ

قال الراوى : فسمع شكواى وما أَشكَى(٤) ، وقابل رقّتى بجفوة بهـا القلبَ أَنكَى(٥) والطرفَ أَبْكَى، ولفق أعذارا، وأقسمتُ عليه أن يَزور فلم يرلقسمى إبرارا

هـذا ما ٱتفق إيرادُه من كلامه — أدام الله علوَّه — فى هـذا الموضع ، وسنورد إن شـاء الله من كلامه أيضا ماتقف عليـه فى آخر فن الحيوان فى السفر

١٠ الذى يليه إن شاء الله تعالى .

ذكر شىء من إنشاء ٱلمولى الفاضل
الصدرِ الكبيرِ الكامل، البارعِ الأصيل، الأوحدِ النبيل،
تاجِ الدين عبد الباقى بنِ عبد المجيد اليمانى

هو الذى أتقن صـناعة الأدب فى غرّة شـبابِه ، وبرزّ على من ٱكتهـل فى طلبها

١٥ وشابَ فى الترقّى الى رتبِها، فما ظنُّك بأترابِه، وجارى(٦) ذوى الفضل فى الأقطار(٧) اليمنيّة

---

(١) فى الأصل : « فى حنة » بالجيم والنون ؛ وهو تصحيف .

(٢) يقال : ركبه وارتكبه ، كلاهمـا بمعنى واحد .

(٣) كذا فى الأصل . وقوله : « أنا الموثوق بى» خبرلقوله : « كن» واسمها ضمير مستتر، أى كن أنت، والعائد مقدّر فى جملة الخبر، أى أنا الموثوق بى منك .

٢٠ (٤) يقال : أشكى فلان فلانا ، إذا أزال شكواه، فالهمزة للسلب .

(٥) كذا ورد هذا الفعـل فى الأصل بالألف فى أوّله ، والذى وقفنا عليه أنه يقال : نكأ القرحة بدون الألف فى أوّله إذا قشرها بعد البرء وانظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٨ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : « وجاذى» بالدال؛ وهو تحريف .

(٧) عبارة الأصل : « بل فى الأقطار » ؛ وقوله : بل زيادة من النـاسخ .

فطلع مُجَلِّيَ الحَلْبة (١)، وبارَى نجباءَ الأفاضل بالمملكة التَّعزِّيّة (٢) وكان المؤمَّلُ (٣) منهم بالنسبة إليه أرفعَهم رتبــة؛ وسما إلى سماء البـلاغة فكان نجمَها الزاهر، وآرتَقى إلى أفلاك البراعة فكان نيِّرَها الباهر، ورام مَن سواه الآرتقاءَ إلى محلّه والمنـاوأةَ (٤) لفضله فغدا وهو فى ذيول حَيرته عاثر؛ فعنـد ذلك علمـوا عجزَهم عن إدراك غاياته، واعترفوا بالتقصير عن مجاراته ومباراته؛ وحين لم يجد لفضله مُجاريا، ولا عاين لفضائله مُباريا؛ صار بها كالغريب وإن كان فى أهله ووطنِه، والفريد (٥) مع كثرة أبنائه وإخوان زمنه؛ فسمت (٦) به نفسُه إلى طلب العـلوم من مَظانِّها، والآحتواء عليها فى إبّانها؛ وآلّحاقِ بأعيان أهلِها، والآختلاطِ بمن آرتدى بأردية فضلِها؛ ورؤيةِ من توشّح بقلائدِها، وترشّح لبذلِ فوائدِها ونظمِ فرائدِها؛ ففارق الأقطارَ اليمنيّةَ وهى تساله التأنّى، وتبذُل لرضاه الرغبــةَ والتمنّى؛ وهو لا يجيب مناديَها ولا يعرِّج على ناديها، ولا يميـل الى حاضرها ولا ينظر الى باديها؛ وصَرف وجهَه عنها، ونفض يدَه منها؛ وآلتحق (٧) بالديار

(١) المجلى من الخيل: السابق فى الحلبة.

(٢) فى الأصل: «الثغرية» بثاء مثلثة بعدها غين معجمة وراء؛ وهو تصحيف إذ لم نجـد وجها لتخصيص اليمن بهذه النسبة. والتعزية: نسبة إلى تعز بفتح التاء وكسر العين وتشديد الزاى وهى قاعدة اليمن كما فى القاموس؛ وقال فى التاج: انها مدينـة عظيمة ذات اسوار وقصور، كانت دار ملك بنى أيوب ثم بنى رسول من بعدهم اهـ. وقال أيضا فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٨ نقلا عن كتاب تقويم البـلدان: إنها مقرّ ملوك اليمن يعنى من أولاد رسـول. ثم قال: وهى حصن فى الجبال مطـل على التهائم وأراضى زبيد الخ.

(٣) المؤمل بتشديد الميم المفتوحة: الثامن من خيل الحلبة.

(٤) المناوأة بالهمز والنواء بكسر النون: المفاخرة والمعارضة.

(٥) فى الأصل: «والقرير»؛ وهو تحريف.

(٦) فى الأصل: «فممت» بالنون؛ وهو تحريف.

(٧) قولهم. التحق به بمعنى لحق كلمة مولدة؛ قال الصاغانى: لم أجده فيما دوّن من كتب اللغة فليجتنب ذلك انظر تاج العروس مادة «لحق».

المصريّه، وآنبتّ [١] فى طلب العلوم بأجمل سريرةٍ وأحسنِ سيرةٍ وأخلص نيّه؛ فبلغ فيها [٢] مناه، وأدرك بها ما تمنّاه؛ وغدا وثغرُ فصاحته بالعلوم أشنَب، وبُرُدُ بلاغته بالآداب مُذْهَب

تَنَاهَى علاءً والشبابُ رداؤه * فما ظنُّكم بالفضل والرأسُ أشيَبُ

٥ ولما عاينه أعيانُ أهلِ هذا الوادى، وشاهدوه يُبكّر فى طلب العلوم ويُغادِى؛ تلقَّوه بالإكرام والترحيب، وقابلوه بالتبجيل والتقريب، وأنزلوه بالمحلّ الأرفعِ والفِناءِ الخصيب، وعاملوه بمحض الوداد، وساواه شبابُهم بالإخْوةِ ومشايخُهم بالأولاد، وخلطوه بالنفس والمال، وظهر له فى آبتداء أمرِه بقرائن الأحوال حسنُ المآل؛ فأصبح من عُدول المصر، وأمسى وهو من أعيان العصر؛ فشكر عاقبةَ مَسيرِه وحَمِد

١٠ صباحَ سُراه، وأجابه لسانُ الفضائل بالتَّلبيةِ لَمّا دعاه؛ ثم آرتحل الى الشأم فجعل دِمَشقَ مَقَرَّ وطنِه، وموطنَ سَكنِه، ومحلَّ آستفادته وإفادته، ونهايةَ رحلته وغايةَ إرادتِه؛ فعامله أهلُها بفوق [٣] ما فى نفسِه، فحمد يومَه بها على أمسِه؛ وغدا لأهل المصرَين شاكرا، ولمناقبِهم تاليا ولمحاسنِهم ذاكرا؛ وله من النظم ما رقَّت حواشيه، وراقت معانيه؛ ومن النثر ما عَذُب وصَفا، وكَمُل بلاغةً ولطفا؛ وحسُن إعجازا،

١٥ وتناسَب صدورا وأعجازا؛ وقد قدّمنا من كلامه فى هذا الكتاب ما بآسمه ترجمناه، ولفضائله نسبناه؛ مما تقف عليه فى مواضعه، وتغتذى بلبان مَراضعه؛ فلنورد له

---

(١) انبت: انقطع، أى انقطع عن الشواغل فى طلب العلوم.

(٢) فى الأصل: «بها»، وهو مكرر مع ما بعده فى الجملة الآتية.

(٣) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل مجرورا بالباء والذى فى كتب القواعد أن «فوق» و «تحت»

٢٠ من الظروف غير المتصرفة بجرهما بالباء كما هنا غير سائغ، وأجاز بعض النحويين تصرفهما فى نحو فوقك رأسك وتحتك رجلاك برفع فوق وتحت على الابتداء، والذى حكاه الأخفش عن العرب فى هذا المثال هو نصبهما.

فى هــذا الباب غيرَ ما تقدّم إيرادُه وما تأخّر ، ونأخذ لتصنيفنا من بلاغته بالنصيب الأَوفَى والحظّ الأَوفر .

(١٧) فمن إنشائه كتاب عن الخليفة المستكفى بالله أمير المؤمنين أبى الربيع سليمان لِمَلِك[1] اليمن — عمِلَه تجربةً لخاطره عند ما رُسم بمكاتبته، ابتدأه بأن قال :

أما بعد حمد الله مانح القلوبِ السليمةِ هداها، ومرشدِ العقولِ إلى أمرِ معادها ومبتداها، وموفِّقِ من ٱختاره الى مَحَجّة صوابٍ لا يضــلّ سالكُها ، ولا تُظلم عند اختــلاف الأمور العظام مسالكُها ، وملهِمِ من ٱصطفاه ٱقتفاءَ آثارِ السنن النبويّه ، والعملَ بموجب القواعد الشرعيّه ، والانتظامَ فى سلك من طوّقته الخلافةُ عقودَها ، وأفاضت على سُدّته الجليـلةِ بُرودَها ، وملّكته أقاصىَ البـلاد ، وناطت بأحكامه السديدةِ أمورَ العباد ، وسارت تحت خوافق أعلامه أعلامُ الملوك الأكاسره ، وسَرتْ[2] بأحكامه النيّرةِ مناجحُ الدنيا ومصالحُ ٱلآخره ، وتَبختَر[3] كلُّ منبر من ذكره فى ثوبٍ من السيادة مُعْلَم ، وتهلّلت من ألقابه الشريفةِ أساريرُ كلِّ دينار ودرهم ، يحمده أميرُ المؤمنين على أن جعل أمورَ الخلافة ببنى العباس مَنُوطه ، وجَعَلَها كلمةً باقيةً فى عَقِبِه الى يوم

(١) فى صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٢ أن المكتوب اليه بهــذه الرسالة هو الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن الملك المظفر صلاح الدين يوسف بن رسول ، وان هذه الرسالة كتبت فى دولة الملك الناصر محمد ابن قلاوون فى سنة سبع وسبعمائة ، وذلك حين مع صاحب اليمن الهدية التى جرت العادة بارسالها الى الأبواب الشريفة بالديار المصرية .

(٢) فى الأصــل : «وسدّت» بالدال ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه وصف الأحكام بالنيرة ؛ وعبارة صــبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٢ : «وشيدت بأحكامه مناجح» الخ بدون كلمة «النيرة» والمعنى يستقيم عليها أيضا .

(٣) كذا فى صبح الأعشى ؛ وقد وردت هــذه الكلمة فى الأصل مهملة من النقط .

القيامة مَحُوطه، و يصلّى على آبن عمه محمدٍ الذى أَحمد الله بمبعثه ما ثار من الفتن، وأَطفأ برسالته ما آضطَرم من نار الإحَن، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حَموا حِمى الخلافة فذادوا عن مواردِها، وتجهّزوا(١) لتشييد المعالم الدينيّة فأقاموها على قواعدِها، صلاةً دائمةَ الغدوّ والرواح، متصلا أوّلُها بطرّة الليل وآخرُها بجبين الصباح، هذا و إن الدين الذى فرض الله على الكافّة الآنضمامَ الى شعبِه، وأطلع فيه شموسَ هداية تشرق من مشرقه و لا تغرُب فى غربِه، جعل الله حُكمَه بأمرنا مَنُوطا، وفى سلك أحكامنا مخروطا(٢)، وقلّدنا من أمر الخلافة سيفا طال نجادُه، وكَثُرَ أعوانُه وأَنجادُه(٣)، وفوّض إلينا أمرَ الممالك الإسلاميّة فإلى حرمنا تُجْبَى ثمراتُها، و يُرفَع الى ديواننا العزيز نفيُها و إثباتُها، يخلُف الأسدُ إن مضى فى غابه شبلَه، و يُلْفى فى الخُبْرِ والخبَرِ مثلَه، ولما أفاض الله علينا حلّةَ الخلافة، وجعل حرمنا الشريفَ محلَّ الرحمة والرافه، وأقعدَنا على سُدّة خلافة طالما أشرقَتْ بالخلائف من آبائنا، وآبتهجتْ بالسادة الغطاريف(٤) من أسلافِنا، وألبسَنا خلعةً هى من سواد السؤدُد مصبوغه، ومن

---

(١) كذا فى الأصل، والذى فى صبح الأعشى : «وعمدوا» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين والتجهز للأمر : التهيؤ له .

(٢) قال فى مستدرك (التاج) مادة «خرط» نقلا عن شيخه ما نصه : استعمل الناس كثيرا الانخراط بمعنى الانتظام والدخول، كانخرط فى السلك اذا انتظم فيه وقد وقع فى كلام الفصحاء الثقات من علماء اللسان كالسكاكىّ والزمخشرى وأضرابهما، ولا يكاد يوجد فى كلام العرب ونصوص أهل اللغة ما يؤيده ثم رأيت الشهاب وقع له مثل هذا، ولكنه رحمه الله وقع فى جامع اللغة لابن عباد على قولهم : خرطت الجواهر، جمعتها فى الخريطة ؛ قال : فعلمت أنهم تجوّزوا به عن جعلها فى العقد الخ .

(٣) الأنجاد : الشجعان الماضون فيما يعجز غيرهم، واحده : «نجد» بفتح النون مع كسر الجيم وضمها وزان كتف ورجل .

(٤) فى الأصل : «العصاريف» بالعين والصاد ؛ وهو تصحيف ؛ والغطاريف من الناس : أشرافهم وسراتهم .

سوادِ العيون وسُوَيداوات القلوب مَصُوغه؛ وأمضَينا على سُدّتنا أمورَ الخاصِّ والعامّ، وقلّدْنا أربابَ الكفاية كلَّ إقليم من عملنا ممن تَصلُح سياستُه على الدوام؛ وآستكفَينا بالكُفاة من عمّالنا على أعمالنا، واتخذنا مصرَ دارَ مُقامنا، وبها سُدّة مقامنا لما كانت فى هذا العصر قبّةَ الإسلام، وفَيْئةَ[1] الإمام، وثانيةَ دارِ السلام؛ تَعيّن علينا أن نتصفّح جرائد عمّالِنا، ونتأمّل نظامَ أعمالِنا؛ مكانا فمكانا، وزمانا فزمانا؛ فنصفّحناها[2] فوجدنا قطرَ اليمن، خاليا من ولايتنا فى هذا الزمن، والعادةُ مستمرّةٌ بأن لم تزل نوابُنا فى بلاد اليمن؛ عرّفنا[3] هذا الأمرَ من آتخذناه للممالك الإسلاميّة عينا وقلبا، وصدرا ولبّا؛ وفوّضنا اليه أمرَ الممالك الإسلامية فقام فيها قياما أقعد الأضداد، وأحسَن فى ترتيب ممالكنا نهايةَ الإصدار وغايةَ الإيراد؛ وهو السلطان الأجلُّ السيّدُ الملكُ الناصر، لا زالت أسبابُ المصالح على يديه جاريه، وسحائبُ الإحسان من أُفق راحته ساريه؛ فلم يُعِدَّ جوابا لما رسمناه، ولا عذرا عما ذكرناه؛ إلا تجهيزَ شِرْذِمَةٍ من جحافله المنصوره، وتعيينَ أناس من فوارسه المذكوره؛ يقتحمون الأهوال، ولا يَعبأون

(١) وفيئة الامام : أى محل فيئته ؛ والفيئة : الرجوع كالفىء من فاء يفىء اذا رجع ؛ يريد أن مصر هى التى رجعت اليها الامامة العباسية ؛ وكان ذلك بعد سقوط بغداد فى يد هولاكو ملك التتار فى سنة ست وخمسين وستمائة كما فى تاريخ أبى الفداء ج ٣ ص ٢٠٢ طبع القسطنطينية ، وكان رجوع الامامة العباسية ثانيا فى سنة تسع وخمسين وستمائة على يد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس — وهو الرابع من ملوك الترك بالديار المصرية — وكان أوّل خليفة بايعه الملك الظاهر هو الامام أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله ، ولقب بالمستنصر بالله ؛ ولم يقم بمصر ، والذى أقام بها هو الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن على بن أبى بكر ابن الخليفة المسترشد بايعه الملك الظاهر أيضا فى سنة ستين وستمائة وأسكنه فى مناظر الكبش التى أنشأها الأمير أحمد بن طولون ؛ والحاكم بأمر الله هذا هو جدّ الخلفاء الذين تولوا الخلافة بمصر انظر بدائع الزهور لابن إياس فى حوادث سنتى تسع وخمسين وستمائة وستين وستمائة .

(٢) فى الأصل : «فوجدناها» ؛ والهاء زيادة من الناسخ .

(٣) لم ترد هذه الجملة فى صبح الأعشى .

بتغيّرات الأحوال، يَرون الموتَ مغنما إن صادفوه، وشَبا المُرهَف مكسبا إن صافحوه؛ لا يشربون سوى الدماء مدامَه، ولا يلبسون غيرَ التَّرائك[1] عمامه؛ ولا يَعرفون طربا إلا ما أَصدره[2] صَليلُ الحسام من غِنا، ولا ينزلون قفرا إلا وأَنبَت ساعةَ نزولهم عن صَهوات خيلهم قَنا؛ ولما وثقنا منه بإنفاذهم راجَعْنا رأيَنا الشريفَ فاقتَضى أن نكاتب مَن بَسَط يدَه فى ممالِكها، ومَلَك جميعَ مسالِكها؛ واتخذ أهلَها خَوَلا، وأَبدَى فى خلال ديارها مِن عدم سياسته خَلَلا؛ فبرز مرسومُنا الشريفُ النبوىُّ أن نكاتب من قعد على تخت مملكتِها، وتصرَّف فى جميع أمور دولتِها؛ فطُولع بأنه ولدُ السلطان الملكِ المظفَّرِ يوسفَ بنِ عمر الذى له شُبهةُ[3] تمسُّك بأذيال المواقف المستعصمية[4]، وهو مستصحِبُ الحالِ على زعمِه، أو ما علم الفرقَ بين الأحياء والأموات؟ أو ما تَحقَّق الحالَ بين النفى والإثبات؟ أصدرناها إلى الرِّحاب التَّعزِّيه[5]، والمعالِم اليمنيّه؛ تُشعِر من تَولَّى فيها فاستبدّ، وتَولَّى كبرَه فلم يعرِّج على أحد؛ أنّ أمر اليمن ما برحتْ حكّامُنا ونوابُنا تحكم فيه بالولاية الصحيحه، والتفويضاتِ التى هى غيرُ جريحه[6]؛ وما زالت تَحمِل إلى بيت المال المعمورِ ما تمشى به الجمالُ وئيدا[7]، وتَقذِفه بطونُ الجوارى[8] الى ظهور

---

(١) الترائك جمع تريكة، وهى بيضة الحديد التى تلبس على الرأس فى الحرب .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل وصبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٤ .

(٣) كذا فى صبح الأعشى؛ والذى فى الأصل: «سهه» بسين مهملة وهاءين؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٤) المستعصمية: نسبة إلى المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين ببغداد، وهو الذى قتله هولاكو ملك التتار فى سنة ست وخمسين وستمائة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل: «صريحة» وهو تحريف يفسد المعنى؛ والتصويب عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٤

(٧) مشى مشيا وئيدا، أى على تؤدة وأناة؛ يريد أن ثقل ما تحمله هذه الجمال قلل من خطوها .

(٨) أراد بالجوارى: السفن .

اليَعْمَلات[1] وليــدا ، وتُطالِعُنا بأمر مصالحه ومفاسِده ، وبحال معاهده[2] ومقاصِده ؛ ولك أُسوةٌ بوالدك السلطان الملكِ المظفَّر ، هلّا ٱقتفيتَ ما ســنّه من آثاره ، ونقلتَ ما دوّنتْه أيدى الزمن من أخبـارِه ؛ واتصل بمواقفنا الشريفة أمورٌ صدرت منك : منهـا[3] — وهى العظمى التى تَرتَّب عليها ما تَرتَّب — قطعُ الميرة عن البيت الحرام ، وقد علمتَ أنه وادٍ غيرُ ذى زرع ، ولا يحـلّ لأحدٍ أن يَتطرّق إليه بمنع ؛ وكفتك الآيةُ[4] دليلا على ما صنعت ، وبرهانا على ما فعلت ؛ ومنها ٱنصبابُك[5] على تفريغ مال بيت المـال فى شراءِ[6] لهوِ الحديث ، ونقضُ العهود القديمة بما تبديه من حديث ؛ ومنها تعطيلُ أجيـاد المنابر من عقود ٱسمِنا ، وخلوُّ تلك الأماكن من أمرِ عقَـدنا وحَلّنا ؛ ولو أوضحنا لك ما ٱتصل بنـا من أمرك لطال ، ولا ٱتسعتْ فيـه [دائرة][7] المقال ؛ رسمنا بهـا والسيفُ يَوَدّ لو سبق القلمَ حدُّه ، والعَلَمُ المنصور يحب لو فات القلمَ وٱهتزّ بتلك الروابى قدُّه ، والكتائبُ المنصورةُ تَختار لو بَدَرتْ[8] عِنوانَ الكتاب و[أهـلُ][9] العزم والحـزم يَوَدّون اليك إعمـالَ الرِّكاب ؛ والجـوارى المنشَآتُ قد

(١) اليعملات : جمع يعملة ، وهى الناقة النجيبــة المعتملة المطبوعة على العمل ؛ ولا يوصف به ، وإنما هو اسم ، والياء فيه زائدة .

(٢) عبارة صبح الأعشى : « وبحال دياره ومعاهده » .

(٣) فى الأصل : «بها» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٤) يريد بالآية قوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله تعالى عليه : (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع) الخ الآية .

(٥) يقال : انصب البازى على الصيد اذا انقض عليه ، وما هنا مستعار منه .

(٦) فى الاصل : «فى سرى» ؛ وهو تحريف .

(٧) لم ترد هذه الكلمة فى الاصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٥ .

(٨) « لو بدرت عنوان » الخ أى لو سبقته إلى حربك ؛ يقال : بدرت فلانا إلى الأمر وبادرته ، اذا سابقته اليه .

(٩) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى اذ بها يستقيم الكلام .

تكوّنت من ليلٍ ونهـار، وبرَزت كصور الفِيَلة[(١)] لكنها على وجه المـاء كالأطيار، وما عَمِدْنا[(٢)] الى مكاتبتك إلا للإنذار، وما جنَحْنا لمخاطبتك الا للإعذار؛ فأقلِعْ عما أنت بصـدده من الخيلاء والإعجاب، وآنتظِم فى سلك من آستخلفناه على أعمـالنا فأخذ بيمينـه ما أُعطِىَ من كتاب؛ وصُن بالطـاعة نفوس من زعمتَ أنهم مقيمون تحت لواء علمِك، ومنتظمون فى سلك أوامرِ كَلِمك، وداخلون تحت طاعة قلمِك؛ فلسنا نَشُنّ الغـارات على من نطق بالشهادتين لسانه وقلبُه، وآمتثل أوامرَ الله المطاعةَ عقـله ولبُّه؛ ودان الله[(٣)] بما يجب من الدِّيانه، وتقلّدَ عقود الصلاح وآلتحف بمَطارف[(٤)] الأمانه؛ ولسـنا ممن يأمر بتجريد سيف الا على من علمنـا أنه خرج عن طاعتِنا، ورفض كتابَ الله ونزَعَ عن مبايعتِنـا؛ [فأصـدرنا][(٥)] مرسومنا هذا اليه يَقصّ عليه من أنباء حلمنا ما أطال مدّة دولتِه، وشـيَّد قواعدَ صولتِه؛ ويَستدعِى منه رسـولا إلى مواقفنا الشريفه، ورحابِ ممالكنا المنيفه؛ لينوب عنـه فى قبول الولاية مَنابَ نفسِه، وليجنىَ بعد ذلك ثمـارَ شفقاتنا إن غرس شجرَ طاعتنا ومن سـعادة المرء أن يجنىَ ثمارَ غرسِـه؛ بعد أن يُصحِبه من ذخائر الأموال ما كثر قيمةً وخفَّ حملا، وتَغالَى[(٦)] فى القيمة[(٧)] رتبةً وحسُن مِثلا؛ وآشرُط على نفسك فى كل

---

(١) فى الأصل وصبح الأعشى: «الافيلة»؛ ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من كتب اللغة، وأنكره ابن السكيت.

(٢) فى الأصل: «عهدنا» بالهاء؛ وهو تحريف.

(٣) دان الله: أى أطاعه، يقال: دنته ودنت له، وهو من الدين بمعنى الطاعة (انظر اللسان). وقال فى الاساس: دانوه، أى انقادوا له.

(٤) هذه الباء ساقطة من الأصل وصبح الأعشى؛ واللغة تقتضى إثباتها.

(٥) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٥ اذ بها يستقيم الكلام.

(٦) تغالى: آرتفع وفى المحكم: كل ما ارتفع فقد علا وتعالى انظر تاج العروس. والذى فى صبح الأعشى: «وتعالى» بالعين المهملة؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٧) عبارة صبح الأعشى: «وتعالى رتبة» الخ بدون قوله: «فى القيمة» والمعنى يستقيم عليه أيضا.

ســنة قطيعةً[١] ترفعها الى بيت المــال، وإياك ثم إيّاك أن تكون عن هذا الأمر ممن مال ؛ ورتِّب جيشا مقيما تحت لواء علم الســلطان الأجلّ الملكِ الناصرِ للقاء العدوّ المخذول التتار، ألحق الله أوّلهم بالهلاك وآخرهم بالبوار؛ وقد علمتَ تفاصيل أحوالهم المشهوره، وتواريخَ سِــيَرِهم المذكوره ؛ واحترِص[٢] على أن يخصك من هذا المشرب السائغ أوفى نصيب، و [أن نكون][٣] ممن جهّز جيشا فى سبيل الله فرَمَى بسهم فله أجرٌ كان مصيبا أو غيرَ مصيب ؛ ليعود رســولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملا أهــلّةَ أعلامنا المنصوره، شاكرا برَّ مواقفنا المبروره؛ وإن أبى حالُك[٤] إلا أن استمررتَ على غيِّك، واستمرأتَ مرعى بَغيِك ؛ فقد منعناك التصرّف فى البلاد، والنظرَ فى أحكام العبــاد؛ حتى تطأَ خيلنا العتاقُ مشمخرّاتِ حصــونِك ، وتعجّل حينئذ ساعة منونك؛ وتُمسِى لهَوادى قِلاعِك عقودا، ولعرائسِ حصونك نهودا؛ وما علّمناك غير ما علمه قلبُك ، ولا فهّمناك غير ما حدَسَه[٥] لُبُّك ؛ فلا تكن كالصغير تزيده كثرةُ التحريك نوما، ولا ممن غرّه الإمهالُ يوما فيوما ؛ وقد أعلمناك ذلك فاعمل بمقتضاه، موفّقا إن شاء الله تعالى؛ والحمد لله وحده .

---

(١) القطيعة : الضريبة والوظيفة .

(٢) يقال : احترص واحرص ، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) التكملة عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٦ .

(٤) المشهور فى كتب اللغــة أن الحــال تذكر كما هنا وتؤنث ، فيقال : حال حسن ، وحال حســنة (المصباح) .

(٥) حدس : ظن ظنا مؤكدا ، « المصباح » والمراد بالحدس هنا : اليقين كما يستعمل الظن فى معنى اليقين أيضا كقوله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) الآية .

(١٩) ومن إنشائه تقليد السلطان الملك الناصر لما ترك الديار المصرية وأقام بالكرك[١] — وكُتِب له بذلك من ديوان الإنشاء عن الملك المظفَّر ركنِ الدين، فلم يمكن الكاتب الإطناب، ولا وَسِعه غيرُ[٢] الاختصار، فلم يُرضه الكتّاب، وعَمِلَ جماعةٌ منهم فى ذلك تجربةً لخواطرهم ولم يُكتَب بشىء منها فعمِلَ هو — :

٥ الحمد لله مدبّرِ الأمر على ما يشاء فى عبادِه، ومنقِّلِ الحالِ على حكم اختياره ووَفقِ مرادِه، ومُجرِى أسبابِ الممالك على يد من اختاره من عباده لإصدارِ الأمر وإيرادِه، ومجيبِ من أصبح قاصدا بابَه الشريفَ والزهادةُ فيما حوله مِن اعتقادِه، ومعزِّ من أضحى له من حَقونا[٣] ركنٌ استَنَد إليه الدهرُ فى استناده، يلبّى دعوةَ مرامه حيث كان من بلادِه، ويجيب داعىَ نداه وإن بعد فيكون أقربَ من سرِّه الى فؤادِه،

١٠ يَذُبّ عن حَوزة نسائه ببيض مرهَفاته وسمرِ صعادِه، ويحمى بيضة جاهه بالغُلْب من أشياعِه والجُرْدِ من جيادِه؛ نحمده على أن جعل مُوالاتَنا لهذا البيت الشريف المنصورىِّ تستديم عهودَه، وتلتحف من المحافظة على مَراضيه الشريفة فى كلِّ حالٍ بُرودَه؛ وترِد من القيام بواجب حقِّه أعذبَ منهل شَرَعه الصفاءُ وسَنّه، وأكّد مُوالاتَه الوفاءُ وحسنُ الوفاء من شعار أهل السُّنّة؛ ونشهد أن لا إله إلا الله

١٥ وحده لا شريك له شهادة تَرفع أعلامَ الهدى بكَلِمها، وتُخمِد نارَ الشرك بنور هداية

---

(١) الكرك بفتح الكاف والراء كما ذكره ياقوت: اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم والبيت المقدّس، وهى على سن جبل عال، تحيط بها أودية إلا من جهة الربض.

(٢) فى الأصل: «عن»؛ وهو تحريف.

٢٠ (٣) فى الأصل: «جقونا» بالجيم؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا. والمراد بالحقو هنا: الجناب الذى يستجار به ويلتجأ اليه، وهو مجاز، والعرب تقول: عذت بحقوه اذا عذت به ليمنعك قال الشاعر:

سماع الله والعلماء أنى * أعوذ بحقو خالك يابن عمرو

عِلْمِها وعَلَمِها ، وتُطهِّر أديمَ البسيطة من أرجاس الكفرة بالحـدّين من غَرْبَىْ[1] صَمصامها وقلمِها ، وتُروِى كلَّ قُطر أصبح ماحلًا من قَطرَىْ عدلها ونعمِها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسـوله الذى كانت الزهادة مَلاكَ أمره و [المـلوكُ[2]] تحت وطأة أقدامِه ، والملائكةُ يحفُّونه مِن حوله ومن أمامِه[3] ، ومعادنُ الذهب تُعرَض عليـه فيساوِى لديه لزهادته بين نُضارِه ورَغامه ؛ صلّى الله عليـه وعلى آله وصحبه صـلاة تُحاكِى أرجَ الصَّـبا وقد سرَى عن خزامِه[4] ، وتُضاهِى فَتِيقَ[5] المسـك وقد تنفّس عن ختامِه ، مشـفوعةً إلى يوم القيامة برضوانه وسـلامِه ؛ وبعد ، فإنه لمـا كان المقامُ العالى الملكىُّ الفلانىُّ هو الذى ربّته الممالكُ فى حجرها وليدا ، وخوّلتْه السلطنةُ الشريفـةُ من نفائس ذخائرها طارفا وتليـدا ، وبوّأتْه من مراتب العز أقصى غاية لا ترام ، وأبادت بمرهَفه البتّار جمعَ التتار الطَّغام ؛ وآستخدمتْ لطاعتـه جيشَين : جيشَ نهارٍ بَكَرَ فيه مواليه على أعدائه بسابِق خيـلِه ومرهَف حسامِه ، وجيشَ ليلٍ تَبسُـط أولياءُ دولته أكُفَّهـم للدعاء ببقائه فى جنح ظلامِه ؛ طالمـا هزّت المنابرُ أعطافَها طربا عنـد ذكر آسمِه ، وآزدادت وسامةُ الدّينارِ حُسـنا لمّـا شرّفها بحسن

(١) فى الأصل : «عزى» ؛ وهو تصحيف .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٣) لعله : «من خلفه» كما تدل عليه مقابلته بالأمام .

(٤) يريد بالخزام : الخزامى ، وانما أسقط الألف لضرورة السجع الذى التزمه فى هـذا التقليد ؛ أو لعـل الخزام بدون الألف لغة فى «الخزامى» ، ولم نجده فيما بين أيدينا من كتب اللغة غير كتاب أقرب الموارد ؛ والخزامى : خيرىّ البرّ وهى عشبة طويلة العيدان ، صغيرة الورق ، حمراء الزهرة ، طيبة الريح ، لها نور كنور البنفسج ؛ قال أبو حنيفة : ولم نجد من الزهر زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى ؛ وواحد الخزامى خزاماة .

(٥) الفتيق — فعيل بمعنى مفعول ، من فتقت المسك بغـيره : اذا استخرجت رائحته بشىء آخر تدخله عليه .

وشيمه ورسْمِه ، وتلت أوصافَ بأسه ألسـنةُ خرصانه (١) ، ورجعتْ سوابقُ الهمم عن التطاوُل للطاوَلة فى مَيدانه ، وقالت فوارس الحروب لمـّا رأت كرّه : هـذا سِباق لسنا من رهانِه ، كم فترق بجيشــه اللُّهامِ (٢) جيشا أَرمَدَ جفنَ الشـمس بقتامِه ، ونصرَ الأحزابَ يوم الكريهة بالعاديات من خيله والمرسَـلاتِ من سهامِه ، فالدهرُ يشكر مواقفَ إقدامِه ، والعدلُ ينشر منشور فضله وسديد أحكامِه ، والممـالكُ تُثنِي على عليائه بالسَـداد ، والمسالكُ تُهدِى لسالكيها ما خصّها به مِن أمنها المعتاد ، والناسُ فى ظلّ عدلٍ لياليه [خُلِقتْ (٣)] كما شاءوا أسحارا ، والوحشُ والغنمُ كلٌّ منهما قد جعل صاحبَـه جارا ، ومواطنُ العـلوم أمست تطرّز بمحاسن أوصـافه ، وحُكّام الشرع الجليل أضحت تَميس فى حلل عدله وإنصافِه ، والأماكنُ التى تُشَـدّ لها الرحالُ يفترّ ثغرها عن عدلِه ، والمشَاعرُ المعظَّمةُ قد حمى حَوزتَها بالسهم من نصلِه والشهمِ من رَجْلِه (٤) ، تَنقَّل فى مراتب الملك صغيرا الى أن ٱشتدّ بالعزم القوىّ كاهلُه ، وٱستوطن ربعَ العـزّ مذ كان يَجتـلِى بدورَه وتجتليه عقائلُه ، فلم تَبقَ له مَأرُبةٌ إلا قضاها ، ولا حالةٌ إلا ابتلاها ، ولا غمّةٌ إلا جلاها ، ولا آيةُ شكرٍ إلا تلاها ، الى أن قمع بحدّ

(١) الخرصان : جمع خرص بكسر الخاء وضمها ، وهو سنان الرمح .

(٢) اللهام : الجيش الكثير ، كأنه يلتهم كل شىء .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل والسياق يقتضيها إذ بها يستقيم الإعراب بالنصب فى قوله «أسحارا» ، وبنصبه يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى هذا التقليد ؛ وقد استنسبنا زيادة هذا اللفظ دون غيره لوروده فى بعض رسائل القاضى الفاضل إذ قال : والليالى التى طابت فكأنما خلقت جميعها أسحارا انظر صفحة ٢٠ سطر ٧ من هذا الجزء .

(٤) الرجل : اسم جمع عند سيبويه للراجل ، وهو ضد الراكب .

سيفه كلَّ مُجترى، وقال للسحابة كما قيل : ٱمطُرى[1]؛ رأى[2] أن المواردَ الدنيويّة لا بدّ لهـا من مصادر، وأن أوائلَ الأمور تَستدعِى الأواخر، وأن للزهادة فى الدنيا وإن عظُم قدرُها الشأنَ الكبير، وأن الانقطاعَ الى الله تعالى مَنهلُ صفو لا يَقبل شوائبَ التكدير؛ وقوىَ عزمُهُ فى الرّحلة عن مَقرّ ملكه الى أعزّ حصونه المنيعه ، بل الى أجلّ معاقله الشامخة الرفيعه؛ قاصدا بها ٱلآنفراد ، عالمـا بأن الله يطلع على خفيّات الفؤاد؛ فرحل ركابُه العـالى ونظامُ المملكة من حُسن الهيئة قائم على ساق، وقلوب كفّال المـالك الشريفةِ متّفقةٌ على الآتفاق؛ واثقا بأن للمُلك من أولياء بيته الشريف كلَّ ولىِّ عهـدٍ لا تُخفَر لديه الذمم ، وكلَّ سلطانِ أُفُقٍ[3] تَضؤل دون عزمـه الهمم؛ يَحمِى بيضةَ خدره من كلِّ متطاولٍ إليها، ويقصِّر أسبابَ الحرص من كلّ شانٍّ[4] عليها؛ وٱختار الآنفراد، وتَيقَّن أنّا لا نعدل عمّا أراد؛ ونصَبَ عُمُدَ خيامه الشريفةِ على سفح روضِ الكَرَكِ النَّضِر، وحَلَّ منه رأسَ شاهقةٍ نبتُها خَضِر؛ ورغب فى الزهادة وشعارِها، وٱستوت[5] عنده الدنيا فى حالتَىْ إقبالها وإدبارِها؛ فاقتَضَى ٱعتناؤنا الشريفُ أن نبلّغه من مآربه الشريفـة أقصى المرام، وأن نساعده فى كلّ أمرٍ يعرف منـه الموافقـة منّا على الدوام؛ وأن ننظِم الأمرَ فى سلك الإرادة على مُرادِه، وأن نبادر إلى راحة سرّه الشريف وفؤادِه؛ ولسوف نعامل مقامَه العالى بكلّ ٱحترامٍ يصـل

---

(١) يشير بهذه العبارة الى ما روى عن بعض الخلفاء أنه رأى سحابة تسير فى الأفق ملأى بالمطر فقال: امطرى حيث شئت فإن ما تنبتينه سيجىء الينا . يريد بهذا أن مملكته واسعة الأطراف فلن تجاوزها السحابة مهما أبعدت فى المسير .

(٢) رأى : جواب لمـا السابقة فى قوله : «لمـا كان المقام العالى» الخ .

(٣) المراد بالأفق هنا : الناحية من الأرض ، وتضم فاؤه وتسكن .

(٤) الشانّ بتشديد النون : اسم فاعل من شن الغارة على القوم اذا صبها عليهم من كل وجه .

(٥) فى الأصل : «واستهوت» ؛ والهاء زيادة من الناسخ .

إليه تفصيلا و إجمالا ، ونراعى معه أدبَ أسلافه الكرام حالا لحالا ، و إنّا لا نخليه من تجهيز مثالٍ يتضمّن من محاسنه سِيَرا وأمثالا ، ولولا عرفُ السلطنة ونظامُ المملكة يقتضيان ذلك ما جهّزْنا إلى بابه الشريف مثالا ، فلذلك خرج الأمرُ الشريفُ بكذا وكذا .

٥ هذا ما آتفق إيرادُه فى هذا الفصل من رسائل الكُتّاب ، وكُتّابُ العصر — أعزّهم الله تعالى — كثير ، وكلامُهم مشهور ، ومدوَّنٌ بأيدى الناس ومحفوظٌ فى صدورهم ، ولَم نشترِطْ أن نورد لجميعهم فنلتزم الشرط ، ولو فعلنا ذلك لطال الكتابُ وخرج عن شرطه ، وانما خصصنا هؤلاء بالذكر لتعلّقِنا بهم ، وآتصال سببنا فى الوداد بسببِهم .

---

١٠ ذكر شىء من الأبيات الداخلة فى هذا الباب(١)

فمن ذلك قول بعض الشعراء :

إنّى لِعُظْمِ تشوّقى * وشديدِ وجدى واكتئابى
أصبحتُ أحسُد من يفو * ز بقربكم حتى كتابى

وقال آخر :

١٥ وما تأخُّرُ كُتْبى عنك من مللٍ * طُوبى(٢) لوُدّك يآبن السادة النُّجبِ
لكن حسدتُ كتابى أن يراك وما * أراكَ فاخترتُ إمساكى عن الكُتُبِ

---

(١) المراد بالباب هنا : باب الرسائل الإخوانية فقد سبق أن ترجم لها فى السفر السابع من هذا الكتاب ص ٢١٣ إذ قال : « واما الرسائل الإخوانية وما يتجدد من الأمور و يطرأ من الحوادث » .

(٢) طوبى وزان فعلى ، من الطيب ، كأن أصله طيبى بضم الطاء فقلبوا الياء واوا للضمة قبلها .

[وقال آخر][1] :

عقتُ الرسائل طامعا أن نلتقى * فأبَى الزمانُ يُتيح لى ما أطلبُ
وتأخّرتْ كُتْبى فقلتُ أعاتبٌ * فى ذاك أنت علىّ أم متعتّبُ[2]
فإذا[3] وجدتك فى الضمير ممثّـلا * أبدا تنـاجينى إلى مَن أكتبُ

وقال آخر :

الكُتْبُ تُكتب للبعيـ * ـد وانت من قلبى قـــريب
فإذا وجـــدتك فى الفـــؤا * دِ فمَن أكاتب أو أجيب

وقال آخر :

لو أنّ كُتْبى بقدر الشوق واصلةٌ * كانت إليك مع الأنفاس تتّصِلُ
لكنّنى والذى يبقيك لى أبدا * على جميل ٱعتقادى فيك أتّكِلُ

وقال آخر :

وفى الكُتْب نجوى من يَعِزّ لقاؤه * وتقريبُ من لم يدنُ منه مَزارُ
فلِمْ تُخلِنى[4] منهـا وتعـــلمُ أنّهـا[5] * لعيـــنى وقلبى قُـــرّةٌ وقَـرارُ

وقال آخر :

سألتـك عوِّذْنى بكُتْبك إنّ لى * شياطينَ شوق لا تفارِق مَضْجَعى
إذا ٱسترَقتْ أسرارَ فكرى تمرّدا * بعثتُ إليها فى الدجى شُهْبَ أدمعى

---

(١) لم ترد هذه العبارة فى الأصل .

(٢) التعتّب : التجنّى ، يقال : تعتب عليه وتجنى عليه ، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) ورد هذا البيت فى صفحة ٣٢ من هذا السفر أيضا وروايته ثم : « مهما وجدتك » الخ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل بحذف الياء ، ولا نرى مقتضيا لجزمه غير ضرورة الوزن ، أولعله : « فلا تخلنى » وإذن فهو مجزوم بلا الناهية .

(٥) فى الأصل : « أنى » ؛ والسياق يقتضى الهاء كما أثبتنا .

وقال آخر :

أتَبْخَل بالقرطاس والخط عن أخٍ * وكفّاك أندَى بالعطايا من المزنِ

لَعمرى لقد قوّى جفاؤك ظِنّتى * وأوهن تأميلى وما كان ذا وَهْنِ

وقال آخر :

٥ أظنّ القراطيسَ فى مصركُم * تخوّنها ريبُ دهرٍ خؤون

فلو أنها صفحاتُ الخدو * د نُكتَب فيها بماء الجفون

لما أعوزتْك ولكن جفَوت * فألقيتَ شأنى خلالَ الشؤون

(٣١)

وقال المتنبّى فى جواب كتاب وَرَدَ عليه :

بكُتْب الأنام كتابٌ[(١)] ورد * فَدَتْ يدَ كاتبِه كلُّ يد

١٠ يعبِّر عما له عندنا * ويذكر من شوقه ما نجد

وقال أبو الفتح البُسْتىّ :

لمّا أتانى كتاب منك مبتسمٌ * عن كل فضلٍ وبرٍّ غيرِ محدودِ

حَكَتْ معانيه فى أثناء أسطره * آثارَك البيضَ فى أحوالىَ السودِ

وقال آخر :

١٥ طلع الفجر من كتابك عندى * فمتى باللقاء يبدو الصباحُ

وقال آخر :

ولمّا أتانى بعد هجرٍ كتابُكم * وفيه شفاءُ الوالهِ الدنِف المُضْنَى

سُررتُ به حتى توهّمتُ أنه * كتابى وقد أُعطيتُه بيدى اليمنَى

---

(١) قوله : «كتاب» بالرفع على الابتداء، أى كتاب ورد مفدىٌّ بكتب الخ ويجوز أن يقرأ بالنصب على المفعولية، أى أفدى بكتب الأنام كتابا، وقد جوّز العكبرىّ الوجهين عند شرحه لقول المتنبى ٢٠ أيضا : * بأبى الشموس الجانحات غواربا *

انظر شرحه لديوان المتنبى ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

وقال آخر :

نفسى الفداءُ لغائب عن ناظرى * ومحـــلُّه فى القلب دون حجابِه

لولا تمتُّـــع مقلتى بلقـائه * لوهبتُها لمبشِّرى بكـتابِه

وقال آخر :

ورد الكتابُ مبشِّرا * نفسى بأوقات (١) السرور ٥

وفضَضْـــتُه فوجـــدتُه * ليـــلا عـلى صَفَحات نور

مِثْـــلَ السوالفِ والخدو * د (٢) البيضِ زِينَتْ بالشـعور

أنزلتُـــه منّى بمنـ * ـزلة القـلوبِ من الصدور

وقال آخر فى كتاب عُدِم فلم يصل إليه :

نُبِّئْتُ أنّ كتابا * أرسلتَه مع رسـولِ ١٠

ملأتَه منـك طيبا * فضاع قبل الوصولِ

ومما يتصل بهذا الباب ويلتحق (٣) به، ويحتاج الكاتبُ إلى معـرفته والاطلاع عليه الحجّةُ البالغةُ والأجوبةُ الدامغة .

فمن ذلك فى التنزيل قولُه عزّ وجل : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾. ١٥

وقولُه تعـالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ .

---

(١) فى الأصل : « بأوراد » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « والحدوق » بالحاء المهملة والقاف ؛ وهو تحريف . ٢٠

(٣) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر .

وقولُه تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ .

وقولُه تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ .

٥ وقولُه تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

وقولُه تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

وقولُه تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ .

١٠ وقال تعالى في الدّلالة على إثبات نبوّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ ، فإنه صلّى الله عليه وسلّم كان يُعرف في قريش بالصادق الأمين

وقولُه تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

١٥ ولمّا بُعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : " يا معشر قريش لو قلتُ لكم إنّ خيلا[1] تَطلُع عليكم من هذا الجبل كنتم تصدّقونى ؟ قالوا : نعم ؛ قال :

(٢٣)

---

(١) روايته في صحيح البخاري من طريق يوسف بن موسى : أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدّقىّ ؟ الخ وفي رواية أخرى من طريق محمد بن سلّام : أن العدوّ مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدّقوني ؟ الخ وحذفت نون الرفع من قوله : تصدقون تخفيفا ؛ ويروى تصدّقونى بإثباتها انظر

٢٠ ارشاد السارى ج ٩ ص ٢٩٥ طبع الأستانة .

"فإنّى نذيرٌ لكم بين يدَىْ عذابٍ شديد" فلمّا أقرّوا بصدقه خاطبهم بالإنذار، ودعاهم إلى الإسلام . فهذه حججٌ من الكتاب والسنّة لا جواب عنها

ولمّا آنتهى إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يومَ السّقيفة أنّ الأنصارَ قالت : منّا أميرٌ ومنكم أمير ؛ قال علىّ : فهلاّ آحتججتم عليهم بأنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أوصى بأن يُحْسَن إلى محسنهم، ويُتجاوَزَ عن مسيئهم ؛ قالوا : وما فى هذا من الحجة عليهم ؟ قال : لو كانت الإمارةُ فيهم لم تكن الوصيّةُ بهم .

ولمّا قال الحُبابُ بنُ المنذر فى يوم السّقيفة أيضا : أنا جُذَيْلُها[1] المُحكَّك وعُذَيْقُها المُرجَّب[2]، إن شئتم كررناها جَذَعة[3]، منّا أميرٌ ومنكم أمير، فإن عمل المهاجرىُّ شيئا فى الأنصارىِّ ردّه عليه الأنصارىّ ، و إن عمل الأنصارىُّ شيئا فى المهاجرىِّ ردّه عليه المهاجرىّ ؛ أراد عمر الكلام ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : على رِسْلِك[4]، نحن المهاجرين أوّلُ الناس إسلاما ، وأوسطُهم دارا، وأكرمُ الناس حسبا ، وأحسنُهم وجوها ، وأكثرُ الناس ولادةً[5] فى العرب، وأمسُّهم رحما بالرسول صلى الله

(١) الجذيل : تصغير جذل بكسر الجيم قال يعقوب : عنى بالجذيل هنا الأصل من الشجرة تحتك به الإبل فتشتفى به ؛ أى قد جر بتنى الأمور ، ولى رأى وعلم يشتفى بهما كما تشتفى هذه الإبل الجربى بهذا الجذل ؛ وصغره على جهة المدح .

(٢) العذيق : تصغير تعظيم للعذق بالفتح ، وهو النخلة . والمرجب : من الترجيب ، وهو أن تدعم النخلة من جانب ليمنعها ذلك من السقوط ؛ يريد أن له عشيرة تعضده وتمنعه وترفده ؛ وقيل : الترجيب هنا بمعنى التعظيم .

(٣) قال فى اللسان : اذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم : ان شئتم أعدناها جذعة : أى أوّل ما يبتدأ فيها اهـ .

(٤) الرسل : التؤدة ، يقال : على رسلك ، أى اتئد ، كما يقال : على هينتك .

(٥) كذا فى الأصل وعيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية ؛ يريد بهذه العبارة أنهم أكثر عددا وأغزر نسلا ؛ ويحتمل أن يريد أن كثرة مصاهرتهم لغيرهم من القبائل جعلت أبناءهم فى قبائل العرب أكثر من سواهم ؛ أى أن اتصالهم بالعرب أوثق ، وأشياعهم من القبائل أكثر .

عليه وسلّم ، أسلمنا قبلكم ، وقُدِّمنا فى القرآن عليكم ، وأنتم إخواننا فى الدِّين ، وشركاؤنا فى الفىء ، وأنصارُنا على العدو[1]، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيرا، نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تَدِين العرب الا لهذا الحىّ من قريش . قالوا : قد رضينا وسلّمنا .

قال بعض اليهود لعلىّ رضى الله عنه : ما دفنتم[2] نبيّكم حتى آختلفتم؛ فقال : انما آختلفنا عليه لا فيه[3]، ولكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيّكم : ﴿ٱجْعَل لَنا إِلٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ .

وقال حاطب بن أبى بَلْتَعة : لما بعثنى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الى المقوقس مَلكِ الإسكندريّة بكتابه ، أتيتُه وأبلغته الرسالة ، فضحك ثم قال : كتب إلىّ صاحبك يسألنى أن أَتّبِعَه على دينه ، فما يمنعه إن كان نبيا أن يدعوَ اللهَ فيسلِّط علىّ البحرَ فيغرقَنى فيكتفىَ مُؤْنتى، ويأخذَ مُلْكى؟ قلتُ : ما مَنَع عيسى عليه السلام إذ أخذتْه اليهودُ فربطوه فى حبل، وحلقوا وسَط رأسه، وجعلوا عليه إكليلا من شوك، وحمّلوا خشبتَه التى صلبوه عليها على عاتقه، ثم أخرجوه وهو يبكى حتى نصبوه على الخشبة ثم طعنوه حيّا بحربة حتى مات — على زعمكم — فما مَنَعه أن يدعوَ اللهَ فينجيَه ويهلكَهم، ويكتفىَ مُؤْنتهم، ويَظهَرَ هو وأصحابه عليهم؟ وما منَع يحيى بن زكريّا حين سألت آمرأةُ المَلِكِ المَلِكَ أن يقتله فقتله وبعث برأسه اليها حتى وُضِع بين يديها أن يسأل الله أن يحميَه ويهلكَهم؟ فأَقبَل على جلسائه وقال : والله إنه لحكيم، وما تخرج الحِكَم إلّا مِن عند الحكماء .

(١) كذا فى عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٤ والذى فى الأصل : « ى » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «ما دفعتم» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) عليه : أى على الأولوية به ومن أحق خلافته قرابته أم غيرهم؟ لا فيه : أى لا فى صدق رسالته .

وخطب معاويةُ بنُ أبى سفيان ذات يوم وقال : إنــ الله تعــالى يقول : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُــهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ فما نلام نحن؛ فقام اليه الأحنفُ بنُ قيس فقال له : يا معاوية، إنا والله ما نلومك على ما فى خزائن الله، وإنّمــا نلومك على ما آثَرَك الله [به] (١) علينا (٢) من خزائنه فأَغلقتَ بابَك دونَه .

وقال معاويةُ لرجل من اليمن : ما كان أحمقَ قومَك حين مَلّكوا عليهم امرأة ! قال : قومُك أَشدُّ حماقةً إذ قالوا : "ٱللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" أفلا قالوا : اهدِنا له .

وقيل : مرّت آمرأةٌ من العرب بمجلس من مجالس بنى نُمير، فرماها جماعةٌ منهم بأبصارهم، فوقفت ثم قالت : يا بنى نُمير، لا أمرَ آلله تعالى أطعتم، ولا قولَ الشاعر سمعتم، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾
وقال الشاعر (٣) :

فغُضَّ الطرفَ إنّك من نُميرٍ * فلا كعبا بلغتَ ولا كلابا

فما آجتمع منهم بعد ذلك آثنان فى مجلس .

وقيل : استَعمَل عُتبةُ بنُ أبى سفيان رجلا من أهله على الطائف، فظَلَم رجلا من أَزْدِ شَنُوءة، فأتى الأزدىُّ عُتبةَ فقال :

أمرتَ مَن كان مظلوما ليأتيَكم * فقد أتاكم غريبُ الدار مظلومُ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : «عليك»؛ وهو تحريف .

(٣) هو جرير؛ والبيت من قصيدة له يهجو الراعى النميرى انظر ديوان جرير ص ٣١ طبع المطبعة العلميــة .

ثم ذكر ظلامته ، فقال عُتبة : إنّى أرى أعرابيّا جافيا ، والله ما أحسبك تدرى كم تصلِّى فى اليوم والليلة ؛ فقال : إن أنبأتُك ذلك تجعلُ لى عليك مسألة ؟ قال : نعم ؛ فقال الأعرابىّ :

إنّ الصلاةَ أربعٌ وأربعُ * ثم ثلاثٌ بعدهنّ أربعُ
* ثم صلاةُ الفجر لا تُضيَّعُ *

٥

قال : صدقتَ فاْسأل ؛ فقال : كم فَقارُ ظهرِك ؟ فقال : لا أدرى ؛ قال : أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك ؟ فأمر بردّ ظلامته عليه .

وقال الحجّاج بن يوسف ليحيى بن سعيد بن العاصى(١) : بلغنى أنّك تشبه إبليس فى قبح وجهك ؛ قال : وما ينكر الأميرُ من أن يكون سيّدُ الإنس يشبه سيّدَ الجنّ ؟ .

١٠

وقال لسعيد بن جُبير : اختر لنفسك أىَّ قتلة شئت ؛ قال : اختر أنت فإنّ القصاص أمامك .

(٢٣)

وحكى أن حُويطب(٢) بن عبد العُزّى بلغ عشرين ومائة سنة ، ستين فى الجاهليّة وستين فى الإسلام ، فلما ولىَ مروانُ بنُ الحكم المدينةَ دخل عليه حُويطب(٢) ، فقال له مروان : لقد تأخّر(٤) إسلامُك أيها الشيخ حتى سبقك(٣) الأحداث ؛ فقال : والله لقد هممتُ

١٥

(١) قال المبرد : انه العاصى بالياء لايجوز حذفها ، وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة ؛ يعنى أنه من الأسماء المنقوصة فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها مستدرك التاج مادة «عصى» .

(٢) فى الأصل : «حويطب» بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف ، والتصويب عن القاموس وغيره . وهو حويطب بن عبدالعزى بن أبى قيس بن عبد ودّ ، ينتهى نسبه الى عامر بن لؤى ؛ ويكنى أبا محمد ؛ وأسلم يوم فتح مكة ؛ وكانت وفاته سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ٣٣٥ طبع ليدن .

٢٠

(٣) فى الأصل : «تتعك» ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٤) هذه الكلمة فى الأصل مطموسة الحروف تتعذر قراءتها ؛ وقد أثبتناها عن العقد الفريد ج ٢ ص ١١٧ طبع المطبعة الشرفية بمصر .

بالإسلام غيرَ مرّة[2] كلُّ ذلك يَعُوقنى أبوك[1] عنه و ينهانى ، و يقول : أتدَع دين آبائك [لدينٍ مُحْدَث][3] ؟ ! أما أخبرك عثمانُ ما كان قد لَقِيَ من أبيك حين أسلم .

وقيل : لمّـا ظفِر الحجّاج بابن الأشعث وأصحـابه أَمرَ بضرب أعناقهم ، حتى أَتَى على رجلٍ من تميم ، فقال التميمىّ : أيها الأمير ، والله لئن أسأنا[4] فى الذنب ما أحسنتَ[5] فى العقوبة ، فقال الحجاج : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ فوالله ما مَننتَ ولا فاديتَ[6] ، فقال الحجّاج : أُفٍّ[7] لهــذه الجِيَف ، أما كان منهم من يُحسِن مِثلَ هذا ؟ وأَمَر بإطلاق من بقِىَ وعفا عنهم .

وحُكِىَ أن الرشيد سأل موسى بنَ جعفرٍ فقال : لِمَ قلتم إنّا ذرّيّةُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وجوّزتم للناس أن ينسُبوكم اليــه و يقولوا : يا [بَنِى][8] نبىِّ الله وأنتم

---

(١) فى الأصل : « به » وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، وانظر العقد الفريد .

(٢) فى الاصل : «امامك» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر العقد الفريد .

(٣) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن العقد الفريد ج ٢ ص ١١٧ طبع المطبعة الشرفية .

(٤) فى الأصـــل : « أمرنا » ؛ وهو تحريف صـــوابه ما أثبتنا كما تدل عليـــه مقابلتـــه بقوله : ما أحسنت .

(٥) فى الأصل : « لما أحسنت » واللام زيادة من الناسخ فان الجملة جواب للقسم السابق وليست جوابا للشرط لتقدّم القسم عليه ؛ وفى كتب القواعد أن جواب القسم اذا نفى « بما » لم يقترن باللام وما ورد من اقترانه بها شاذ لا يقاس عليه ، ومنه قول الشاعر :

أما والذى لو شاء لم يخــلق الورى ✻ لئن غبت عن عينى لمـا غبت عن قلبى

انظر حاشية الصبان ج ٤ ص ٢٢ طبع بولاق .

(٦) يقال : فاديته مناداة : أى أطلقته وأخذت فديته المصباح .

(٧) فى الأصل : « ان » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ ولا يستقيم الكلام بدونها ، ويرشد اليها قوله بعد : «وأنتم بنو» الخ .

بنو عليّ ، وانما يُنسب الرجلُ إلى أبيه دون جدّه ؛ فقرأ[1] : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ﴾ وليس لعيسى أب ، وانما لحق بذرّيّة الأنبياء مِن قِبَل أمّه ؛ وكذلك أُلحقنا بذرّيّة الرسول صلّى الله عليه وسلّم مِن قِبَل أمّنا فاطمةَ — عليها السلام — وأزيدك يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ﴾ ولَم يدْعُ صلّى الله عليه وسلّم فى مباهلة[2] النصارى غيرَ فاطمة والحسن والحسين[3] ، وهما[4] الأبناء .

قيل : لما وُلّى يحيى بنُ أكثم قضاءَ البَصرة آستصغر الناسُ سنَّه ، فقال له رجل : كم سنُّ القاضى — أعزّه الله — ؟ فقال : سنُّ عتّاب[5] بنِ أَسيد حين ولّاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قضاءَ مكّة . فجعل جوابَه آحتجاجا .

قال يزيد بن عروة : لمّا مات كُثيّرٌ لم تتخلّف بالمدينة آمرأةٌ ولا رجلٌ عن جنازته ، وغَلَب النساءُ عليها ، وجعلن يبكينه و يذكُرن عزّةَ فى ندبهنّ له ؛ فقال

---

(١) فى الأصل : «فقدا» ؛ وهو تحريف .

(٢) المباهلة : أن يجتمع القوم اذا اختلفوا فى شىء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .

(٣) لم يذكر عليّا رضى الله عنه مع أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه المباهلة انظر روح المعانى عند تفسير الآية المتقدّمة .

(٤) وهما الأبناء : أى وهما المقصودان بلفظ الأبناء فى الآية وإذن فالخبر مطابق للمبتدا فى التثنية .

(٥) هو عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس ؛ أسلم يوم الفتح فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى حنين استعمله على مكة يصلى بالناس وأقام عتاب للناس الحج تلك السنة ، — وهى سنة ثمان — وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتاب بن أسيد عامله على مكة الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ٣٣٠ طبع ليدن .

أبو جعفر محمدُ بن علىّ الباقر : أفرِجوا[1] لى عن جِنازة كُثَيّر لأرفعها ، فجعلْنا ندفع النساء عنها ومحمدُ بنُ علىّ يقــول : تنحّين يا صُوَيحبات يوسف ؛ فانتَدَبتْ له آمرأةٌ منهن فقالت : يابن رسول الله ، لقــد صدقتَ ، إنّا لصُوَيحباته ، ولقد كنّا له خيرا منكم له ؛ فقال أبو جعفر [لبعض مواليه][2] : احتفِظْ بهــا حتى تجيئنى[3] بها إذا آنصرفتُ ؛ قال : فلما آنصرف أُتِىَ بها وكأنّها شَرَرَةُ النار ؛ فقال لهــا محمد بنُ علىّ : إيهِ[4] ، أنتِ القائلة : إنّكنّ ليوسفَ خيرٌ منّا ؟ قالت : نعم ، تُؤمّننى غضبَك يابنَ رسول الله ؟ فقال : أنتِ آمنةٌ من غضبى فأنبئينى ؛ فقالت : نحن دعوناه إلى اللّذّات من المطعم والمشرب والتمتّع والتنعّم ، وأنتم معــاشر الرجال ألقيتموه فى الجبّ وبعتموه بأبخس الأثمان ، وحبستموه فى السجن ؛ فأيّنا كان عليه أَحنَى ، وبه أرأف ؟ فقال محمد : لله دَرّكِ ! لَن تُغالَب آمرأةٌ إلاّ غَلَبتْ ؛ ثم قال لهــا : ألك بعلٌ ؟ فقالت : لى من الرجال من[5] أنا بعلُه ؛ فقال أبو جعفر : ما أصــدقكِ ! مثلُكِ من تَملك الرجلَ ولا يملِكها ؛ فلمّا آنصرفتْ قال رجل من القوم : هــذه فلانة[6] بنت معقب[7] .

وقال المأمون ليحيى بن أكثم : من الذى يقول :

قاضٍ يَرَى الحدَّ فى الزناءِ ولا * يَرَى على من يلوط من باسِ

(١) فى الأصل : «أفرحوا لى» بالقاف المثناة والحاء المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأغانى ج ٨ ص ٤٣ طبع بولاق .

(٣) فى الأصل : «تحيني» ؛ وهو تحريف .

(٤) إيه بكسر الهاء ويجوز تنوينها : كلمة استزادة واستنطاق .

(٥) فى الأغانى ج ٨ ص ٤٣ طبع بولاق : «بعلها» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٦) كذا فى الأصل بلا تعيين لاسمها ؛ وذكر أبو الفرج أنها زينب .

(٧) كذا فى الأصل ؛ والذى فى الأغانى : «معيقب» ولعله معيقيب بن أبى فاطمة الدوسىّ انظر ترجمته فى كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٤ ص ٨٦ طبع أوربا .

فقال : يا أمير المؤمنين، هو الذى يقول :[١]

شاهــدُنا يَرتَشِى[٢] وحاكمُنا * يلوط والراسُ شــرُّ ما راسِ
لا أحسَب الجورَ ينقضى وعلى ا * لأ[٣] مّــة والٍ من آل عبّاسِ

قال ومن هو ؟ قال : أحمد بن [أبى] نُعيم[٤]؛ فأَمَر بنفيه إلى السِّند[٥] .

٥ وحُكِى أنّ أهــل الكوفة تظلّموا إلى المأمون من عاملٍ ولّاه عليهم ؛ فقــال : ما علمتُ فى عَددِ عمّــالى أعدَلَ ولا أقومَ بأمر الرعيّة ولا أعوَدَ بالرفق عليهم منه ؛ فقام رجل من القوم فقال : يا أمير المؤمنين، ما أحدٌ أولى بالعدل والإنصاف منك، فاذا كان الأمر على هــذه الصفة فينبغى أن تعــدِل فى ولايتــه بين أهل البُلدان ، وتُسوِّى بنــا[٦] أهلَ الأمصار، حتى يَلحَقَ أهلَ كلِّ بلد مِن عدلِه و إنصافِه مِثلُ الذى لحقنا ، فاذا فعل أميرُ المؤمنين ذلك فلا يَخصّنّا منه أكثر من ثلاثِ سنين؛ فضحك ١٠ المأمون وعزَلَ العاملَ عنهم .

ولنصِل هذا الفصل بذكر هفوات[٧] الأمجاد وكبوات الجياد[٧] — وقد رأيتُ بعضَ أهل الأدب ممن يستحِقّ الأدب تَعرّض فى هذا الفصل الى ذكر قصص

(١) فى الأصل : «من هو» وقوله : «من» زيادة من الناسخ .

١٥ (٢) فى وفيات الأعيان ح ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق : «أميرنا» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) هذه الواو ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الوزن تقتضيها .

(٤) كذا فى وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٦ طبــع بولاق ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى ج ١ ص ١٢٥ طبع مطبعة جمعية المعارف ؛ والذى فى الأصل : «ابن نعيم» باسقاط لفظ أبى ؛ ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

٢٠ (٥) السند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان ؛ وقد فتحت فى أيام الحجاج بن يوسف (ياقوت) .

(٦) فى الأصل : « به » ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٧) ورد فى الأصل كل من هاتين الكلمتين مكان الأخرى ؛ والمقام يقتضى ما أثبتنا ، فان الهفوات من صفة الإنسان ، والكبوات من صفة الخيل وانظر هذه الترجمة أيضا فى المستطرف ح ١ ص ٧٤، ٧٥ طبع بولاق .

الأنبيـاء — صلوات الله عليهـم — كآدمَ و يوسفَ وداودَ وسليمانَ فكرهتُ ذلك منه، ونزّهتُ كتابى عنه —

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ فكانت هـذه هفوةً من المسلمين غفرها الله وعفا عنها . ٥

وقال الأحنف بن قيس : الشريفُ من عُدّتْ سَقطاتُه .

وقال النابغة :

ولستَ بمسـتبقٍ أخًا لاتَلُمُّــه * على شَعَثٍ[1] أىُّ الرجال المهذَّبُ

وقالوا : كلُّ صارمٍ ينبو، وكلُّ جوادٍ يكبو .

١٠ وكان الأحنف بن قيس حليما سيّدا يضرب به المثل ، وقد عُدّت له سقطات فمن ذلك أنه نظر الى خيلٍ لبنى مازن فقال: هذه خيل ما أُدركَتْ بالثار، ولا نَقَصت الأوتار[2]؛ فقال له سـعيد بن القاسم المـازنىّ : أمّا يومَ قتلَتْ أباك فقـد أدركتْ بثارها؛ فقال الأحنف : لشىءٍ ما قيل : "دَع الكلام حذرَ الجواب" — وكانت بنو مازن قتلت [أبا][3] الأحنف فى الجاهليّة .

١٥ ومنها أنه لمّـا خرج مع مُصعَب بنِ الزبير أَرسَل اليه مائةَ ألف درهم، ولم يرسل الى زَبْراء[4] جاريتِه بشىء، فجاءت حتى وقفت بين يدى الأحنف، ثم أرسلَتْ عينيها؛

---

(١) «لا تلمه على شعث» : أى لا تحتمله على مافيه من زلل فتلمه وتصلحه وتجمع ما تشعث من أمره «اللسان» .

(٢) الأوتار جمع وتر بكسر الواو، وهو الذحل، أى الثأر؛ يقول : ان هذه الخيل لم تقلل عدد الدحول والثارات التى لفرسانها عند غيرهم من القبائل . ٢٠

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل واستقامة الكلام تقتضى اثباتها .

(٤) فى الأصل : «ديرا» بالدال والياء المثناة؛ وهو تحريف، والتصويب عن القاموس .

فقال لها : ما يُبكيك؟ فقالت : ما لى لا أبكى عليك إذ لم تبك على نفسك ، أَقعدْتَها وتذر مَرْوَ الرُّوذ[١] تَجمَع بين غارِين[٢] من المسلمين؛ فقال : نصحتِنى والله فى دينى إذ لم أتنبّه لذلك؛ ثم أَمَر بفُسطاطه فقُوِّض، فبلغ ذلك مُصعَبا فقال : ويْحَكم ، مَن دهانى فى الأحنف؟ فقيل : زَبْراء، فبعث إليها بثلاثين ألف درهم، فجاءت حتى أرخت عينيها بين يديه؛ فقال : مالك يازَبْراء؟ قالت : عجبتُ لأحوالك فى[٣] أهل البَصرة، تَزُفّهم كما تُزَفّ العروس ، حتى اذا ضربتَ بهم فى نحور أعدائهم أردتَ أن تَفُتّ فى أعضادهم؛ قال : صدقتِ والله ، يا غلام دَع الفساطيط؛ فاضطرب العسكر بمجىء[٤] زَبْراء مرّتين .

ومن سقطاته التى عُدّت عليه أن عمرو بن الأهتم[٥] دسّ إليه رجلا ليسفّهه ، فقال له : ياأبا بحر، من كان أبوك فى قومه ؟ قال : كان من أوسطهم، لم يسُدْهم ولم يتخلّف عنهم؛ فرجع إليه ثانية، ففطن الأحنف إلى أنه من قِبَل عمرو، فقال :

---

(١) مرو الروذ : مدينة بخراسان بين بلخ ومرو؛ افتتحها الأحنف بن قيس فى خلافة عثمان رضى الله عنه؛ وأكثر ما يقال فيه : مرّوذ كسفود التاج مادة (روذ) وهى على نهر عظيم؛ والروذ بالفارسية : النهر، فلهذا سميت بذلك (ياقوت) .

(٢) فى الأصل : عاذين بالعين المهملة والدال، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا؛ والغار : الجيش الكثير، ومنه قول الأحنف فى عبد الله بن الزبير عند انصرافه من وقعة الجمل : وما أصنع به إن كان جمع بين غارين من الناس ثم تركهم وذهب . والضمير فى قولها : «تجمع» يعود إلى مرو الروذ؛ ومعنى العبارة أنها تلومه على قعوده مع مصعب بن الزبير وتركه المسير الى مرو الروذ وفيها جيشان من المسلمين يتحاربان — وهما جيش الخوارج وجيش المهلب — فهى تحرض الأحنف على أن يسير بجيشه الى مرو الروذ ويترك مصعبا .

(٣) فى الأصل : «من»؛ وهو تحريف لا يستقيم به الكلام .

(٤) فى الأصل : «يمتحى»؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٥) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٦٢ من هذا السفر .

ما كان مال أبيـك ؟ قال : كانت له صِرْمة(١) يَمنَح منهـا ويَقرِى ، ولم يكن أهتمَ سَـــلّاحا .

وقيل : إن الحســن(٢) سئل عن قوله تعالى : ﴿قَدْ جَعَـلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ فقال : إنْ كان لَسَرِيّا ، وإنْ كان لَـكريما ؛ فقيل له : من هو؟ قال : المسـيح ؛ فقال له حُميد(٣) بن عبد الرحمن : أعِدْ نظرا ، إنما السرىُّ : الجَدول ؛ فأنعِم(٤) له ، وقال : يا حُمَيد ، غَلَبنا عليك الأمراء .

ومات ولدٌ طفلٌ لسليمان(٥) بن علىّ ، فأتاه الناس بالبَصرة يعزّونه وفيهم شَبيبُ بن شَيبَة وبكرُ بنُ(٦) حبيب السَّهْمىّ ؛ فقال شبيب : أليس يقـال : إنّ الطفل لا يزال

---

(١) فى الأصل : «حرمة» بالحاء ؛ وهو تحريف . والصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين .

(٢) الحسن : هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرىّ ؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ؛ وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارىّ رضى الله عنه وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصرى ومن الحجاج بن يوسف ؛ فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن ؛ وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ؛ وتوفى بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة رضى الله تعالى عنه اهـ ملخصا من وفيات الأعيان ج ١ ص ١٨٠ طبع بولاق .

(٣) هو حميد بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ، ينتهى نسبه إلى زهرة بن كلاب ؛ وكنيته أبو عبد الرحمن ؛ روى عن سعيد بن زيد ومعاوية بن أبى سفيان وأبى هريرة والنعمان بن بشـير ؛ وكان ثقة عالما كثير الحديث ؛ وتوفى بالمدينة سنة خمس وتسعين اهـ ملخصا من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ١١٤ ، ١١٥ طبع مدينة ليدن .

(٤) أنعم له : أى قال له نعم . والذى فى الأصل : «فنعم له» بدون ألف ؛ ولم نجده فما لدينا من كتب اللغة بالمعنى المراد هنا .

(٥) كذا فى الأصل ؛ والذى فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٩٦ طبع بولاق أن الذى مات ولده هو إسحاق بن عيسى ؛ وعبارته : ودخل شبيب بن شيبة على إسحاق بن عيسى يعزيه عن طفل أصيب به .

(٦) لم يرد هذا الاسم فى العقد الفريد ضمن هذه الحكاية .

محبنظئا[1] بباب الجنّـة حتى يدخُل أبواه » بخاء بظاء معجمة ؛ فقال له بكر بن[2] حبيب : مُحبنطِئا[1] ، بطاءمهملة ؛ فقال شَبِيب : إلاّ أنّ مَن بين لابتَيها يَعلم أنّ القول كما أقول[3] ؛ فقـال بكر : وخطأٌ ثانٍ ، ما للبَصرة لابتان[4] ، أذهبتَ إليه[5] بالمدينة ؟ . (مَن بين لابتَيها : أى حَرّتَيها[6]) .

قيل : جلس محمدُ بنُ عبدالملك[7] يوما للظالم ، وحصر فى جملة النـاس رجلٌ زيُّه زىُّ الكُتّاب ، فجلس بإزاء محمد ، ومحمد ينقُد الأمور وهو لا يتكلّم ، ومحمدٌ يتأمّله ؛ فلما خفّ المجلسُ قال له : ما حاجتك ؟ قال : جئتُك — أصلحك الله — متظلّما ؛ قال : ممّن ؟ قال : منك ، ضـيعةٌ لى فى يدِ وكيلِك يَحمِل إليك غلّتَها ، ويَحُول بينى وبينها ؛ قال : فمـا تريد ؟ قال : تكتب بتسليمها إلىّ ؛ قال : هـذا يُحتاج فيـه إلى شهودٍ و بيّنة وأشياءَ كثيرة ؛ فقال له الرجل : الشهودُ هم البيّنة ، وأشـياء كثيرة عِىٌّ منك ؛ فخجل محمدٌ وهاب الرجلَ ، وكتب له بمـا أراد .

---

(١) فى الأصل : « محتبظئا » و « محتبطئا » بالتاء والياء فى كلتا الكلمتين ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا انظر العقـد الفريد ج ١ ص ٢٩٦ طبـع بولاق ؛ ونص هذا الحـديث فى اللسان : « إن السقط ليظل محبنطيا على باب الجنة » قال ابن الأثير فى النهاية . المحبنطئ بالهمز وتركه : المتغضب المستبطئ للشىء .

(٢) فى العقد الفريد : قال إسحاق بن عيسى .

(٣) كذا فى الأصل ؛ وعبارة العقد الفريد . ألى يقال مثل هـذا وما بين لابتيها أعلم منى بها ؟ . ومعنى العبارتين مختلف ؛ وكلا المعنيين يستقيم به الكلام .

(٤) عبارة العقد : فقال له إسحاق : وهذه أيضا ، أللبصرة لابتان يالكع ؟ .

(٥) إليه : أى إلى سليمان بن على ؛ و يريد بهذه العبارة أن اللابتين إنمـا هما للدينة لا للبصرة .

(٦) فى الأصل : « الى » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٧) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٧٣ من هذا السفر .

ووُصِف ذو الرُّمَّةِ[1] لعبد الملك[2] بن مروان بالذكاء وحسنِ الشعر، فأمر بإحضاره، فلما دخل عليه أنشده قصيدةً ٱفتتحها بقوله : "ما بال عينِك منها المـاءُ ينسكبُ" وكانت عينا عبد ٱلملك تَدْمَعان دائمـا، فظَنّ أنه عَرّض به، فغضب وقال : مالك ولهـذا السؤال يٱبن ٱللَّخناء ؟ وقطع إنشادَه، وأمر بإخراجه .

ودخل أبو النجم[3] على هشـام بن عبـد ٱلملك وأنشـده أُرجوزتَه التى أوّلُهـا : "الحمـد لله الوهوبِ ٱلمُجْزِلِ"[4] حتى ٱنتهى إلى قوله يصف الشمسَ عند الغروب : "وهى على الأُفْق كعين الأحوَلِ"، وٱستدرَك سقطةَ لسانه، وقطع إنشادَه، وعلِم أنها زلّة، لأنّ هشاما كان أحوَل، فقال له هشام كَمِّلْ إنشادَك ويلك وأَتْمِم البيت، وأمر بوجْء[5] عنقه وإخراجه من الرُّصافة[6] .

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا السفر .

(٢) كذا فى الأصل ؛ وقد وردت هذه القصة فى محاضرات الأدباء للراغب ج ١ ص ١١٨ طبع جمعية المعارف بين ذى الرمة وهشام بن عبد الملك ؛ ويؤيد ذلك أن وفاة عبد الملك كانت فى سنة ست وثمانين كما فى كتب التاريخ وسن ذى الرمة إذ ذاك تسع سنين فإنه ولد فى سنة ثمان وسبعين كما يستفاد من ترجمته فى وفيات الأعيان، فقد ذكر فى وفاته ما نصه وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة رحمه الله تعالى، ولما حضرته الوفاة قال : أنا ٱبن نصف ٱلهرم، أنا ٱبن أربعين سنة اهـ

(٣) أبو النجم : هو المفضل، وقيل : الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة ينتهى نسبه إلى ربيعة بن عجل بن لجيم ؛ وهو من رجاز الإسلام الفحول المقدّمين، وفى الطبقة الأولى منهم، وكان أبلغ فى النعت من العجاج انظر الأغانى ج ٩ ص ٧٧ طبع بولاق ؛ وكانت وفاته فى آخر دولة بنى أمية كما فى معاهد التنصيص ص ١٢ طبع بولاق .

(٤) كذا فى الأصل والأغانى ج ٩ ص ٨٠ طبع بولاق ؛ وروايته فى معاهد التنصيص ص ٩ طبع بولاق : "الحمد لله العلى الأجلل" وبعده : "الواهب الفضل الوهوب ٱلمجزل" .

(٥) الوجء : اللكز، يقال : وجأ عنقه وفى عنقه .

(٦) يريد بالرصافة : رصافة هشام بن عبد الملك ؛ وهى فى غربى الرقة، بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية ؛ بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها فى الصيف ؛ ثم أورد ياقوت بعد هـذا الكلام ما يفيد أن الرصافة كانت مبنية قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير .

قال المدائنيّ : كان رجل من وَلَد عبد الرحمن بن سَمُرَةَ أراد الوثوب بالشام في زمن المهديّ ، فأُخِذ وحُمِل إليه ، فلمّا مَثَل بين يديه آعتذر ، فرأى منه المهديّ نُبلا وفضلا ، فعفا عنه وخلطه بجلسائه ؛ ثم قال له يوما : أنشِدْني شيئا من شعر زهير ، فأنشَده قصيدتَه التي أوّلها : "لِمَن آلديارُ بقُنّة(١) الحِجْرِ" حتى أَتَى على آخرها ؛ فقال المهديّ : مضى من يقول(٢) مِثلَ هذا ؛ فقال السَّمُرِيّ : وذهب والله من يقال فيه مِثلُه ؛ فآستشاط(٣) المهديّ غضبا ، وأَمَر أن يُجَرّ برِجله ، وألّا يُؤذَنَ له بعدها .

ولنختم ما ذكرناه من أمر كتابة الإنشاء بشيء من الحِكَم .

ذكر شيء من آلحِكَم

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "الحِكمةُ ضالّةُ المؤمن" .

وقال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه : لكلّ جوادٍ كبوه ، ولكلّ حكيمٍ هفوه ؛ ولكلّ نفسٍ مَلّة(٤) ، فاطلبوا لها طرائفَ آلحكمة .

ومن آلحديث النبويّ — صلواتُ الله تعالى وسلامُه على قائله — ممّا يدخل في هذا الفصل قولُه صلّى الله عليه وسلّم : "كرمُ الرجل دينُه ، ومروءتُه عقلُه ، وحسَبُه عملُه" . "خيرُ الأمور أوسطُها(٥)" . "كلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِق له" .

---

(١) قنة الحجر : جبل ليس بالشامخ خداء الحجر . والحجر : قرية خداءها قرية يقال لها : الحصبة للأنصار وبنى سليم من محمد (ياقوت) وقال في مستدرك التاج مادة قنن : قنة الحجر : قرب معدن بنى سليم .

(٢) في الأصل : «يقول» بالبناء للفاعل ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) استشاط : التهب .

(٤) في الأصل : «ملهة» ؛ والميم زيادة من الناسخ .

(٥) رواه ابن الأثير في النهاية : «أوساطها» بصيغة الجمع .

" زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حبّا " . " الوُحدةُ خيرٌ من قرين السوء " . " البركةُ فى الحركة " .
" صِلوا أرحامَكم ولو بالسلام " . "من كَثَّر سوادَ قوم فهو منهم " . "ما قلّ وكفى
خيرٌ ممـا كثُر وألهَى " . "ليس الغِنى عن كثرة العَرَض ، إنّمـا الغِنى غِنى النفس " .

وقال أبو بكر الصِّدّيقُ رضى الله عنه — : صنائعُ المعروف تَقِى مَصارعَ السوء .

وقال علىّ بن أبى طالب : اِستغنِ عمّـن شئتَ فأنتَ[1] نظيرُه ، وآحتَجْ إلى من
شئتَ فأنتَ[1] أسيرُه ، وأَفْضِلْ على من شئتَ فأنتَ[1] أميرُه .

قال بعض الشعراء :

و إذا ما الرجاء أُسقِطَ بين الـ * ـناس فالناسُ كلُّهم أَكْفاءُ

وقال لقمان لآبنه : ثلاثةٌ لا يُعرَفون إلّا فى ثلاثة مواضعَ : لا يُعرَف الحليم
إلّا وقت الغضب ، ولا الشجاعُ إلا فى آلحـرب اذا لاقى آلأقران ، ولا أخـوك
إلا عند حاجتك .

وقال عمر بن آلخطّاب رضى الله تعالى عنه : أَحَبُّكم إلينا قَبل أن نختبرَكم[2] أحسَنُكم
صمتا ، وإذا تكلّم فأَبْيَنُكم منطقا ، فإذا آختبرناكم فأَحْسَنُكم فعلا .

وفى رواية : أَحَبُّكم إلينا أَحْسَنُكم آسمـا ، فإذا رأيناكم فأَجْمَلُكم مَنظَرا ، فإذا
آختبرناكم فأَحْسَنُكم مَخبَرا .

وخطب علىّ رضى الله عنـه يوما فقال فى خطبته : وأَعْجَبُ ما فى الإنسـان
قلبُـه ، له أمدادٌ[3] من آلحكمة ، وأضدادٌ من خلافها ، فإذا سَنَح له الرجاءُ هاج به

(١) المشهور فى روايته « تكن » فى المواضع الثلاثة مكان قوله : «فأنت» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) فى الأصل : « نحركم » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله : فإذا آختبرناكم .

(٣) الأمداد : الأعوان ، واحده مدد بالتحريك .

الطمع ، وإن هاج به الطمعُ أَهلكه ٱلحرص ، وإن مَلَكه اليأسُ قتله الأسف ، وإن عَرَض له الغضبُ ٱشتدّ به الغيظ ، وإن أُسعِد بالرضا نَسِىَ ٱلتحفُّظ ، وإن ناله الخوفُ شغله ٱلحزن ، وإن أصابته مصيبةٌ قصمه ٱلجزع ، وإن أفاد مالا أطغاه الغِنى ، وإن عضّته فاقةٌ شغله البلاء ، وإن جَهَده الجوعْ أقعده الضعف ، فكلُّ تقصيرٍ به مُضِرّ ، وكلُّ إفراطٍ له مفسد .

ومن كلامه — رضى الله عنه — : فَرَضَ الله تعالى الإيمانَ تطهيرا من الشِّرك ، والصَّلاةَ تنزيها عن الكِبر ، والزكاةَ سببا للرزق ، والصيام ٱبتلاء لإخلاص ٱلخلق ، وٱلحَجَّ تقويةً للبَدَن[1] ، والجهادَ عزًّا للإسلام ، والأمرَ بالمعروف مصلحةً للعوامّ ، والنهىَ عن المنكر رَدْعا للسفهاء ، وصِلةَ الرحم منماةً للعَدد ، والقِصاصَ حَقْنا للدماء ، وإقامةَ الحدود إعظاما للمَحارم ، وتَرْكَ شربِ الخمر تحصينا للعقل ، ومجانبَةَ السرقة إيجادا[2] للعفّة ، وتَرْكَ الزنى تصحيحا للنَّسب ، وتَرْكَ اللواط تكثيرا للنسل ، والشهاداتِ ٱستظهارا على المجاحَدات ، وتَرْكَ الكذبِ تشريفا للصدق ، والسلامَ أمانا من المخاوف ، والإمامةَ[3] نظاما للأمّة ، والطاعةَ تعظيما للإمامة[3] .

وقال فَرفُوريوس[4] : لو تَميزت ٱلأشياء بأشكالها لكان الكذبُ مع ٱلجبن ، والصدقُ مع الشجاعة ، والراحةُ مع اليأس ، والتعبُ مع الطمع ، والحرمانُ مع الحرص ، والعزُّ مع القناعة ، والأمنُ[5] مع العفاف ، والسلامةُ مع الوُحدة .

(١) العوام : جمع عامة ، كدابة ودواب (المصباح) .

(٢) فى الأصل : «ايجازا» بالزاى ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٣) فى الأصل : «الأمانة» بالنون فى كلتا الكلمتين ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) كذا فى كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٥٦ طبع ليبسك ، والذى فى الأصل : « فرفوريس » . وفرفوريوس هذا من أهل مدينة صور من ساحل الشأم ؛ وكان بعد زمن جالينوس ؛ وله البراعة فى علم الفلسفة والتقدم فى تفسير كتب أرسطوطاليس .

(٥) فى الأصل : «والأمر» بالراء ، وهو تحريف .

وقال آخر : الشكرُ محتاجٌ إلى القبول ، والحسبُ محتاجٌ إلى الأدب ، والسرورُ محتاج إلى الأمن[1] ، والقرابةُ محتاجة إلى المودّة ، والمعرفةُ محتاجة إلى التجارِب ، والشرفُ محتاج إلى التواضع ، والنَّجدةُ محتاجة إلى الجِدّ .

وقال حكيم يونانىّ : السعاداتُ كلُّها فى سبعة أشياء : حُسنُ الصورة ، وصحّةُ الجسم ، وطولُ العمر ، وكثرةُ العِلم ، وسَعَةُ ذات اليـد ، وطِيبُ الذكر ، والتمكّنُ من الصديق والعدوّ .

وقال بعض الأدباء — وقد سئل عن العيش — فقال : فى الغِنى فإنى رأيتُ الفقير لا يلتذّ بعيش أبدا ؛ فقال له السائل : زِدْنى ، قال : فى الصحّة ، فإنى رأيت المريض لا يلتذّ بعيش أبدا ؛ فقال له : زِدْنى ، قال : فى الأمن ، فإنى رأيت الخائف لا يلتذّ بعيش أبدا ؛ قال : زِدْنى ؛ قال : لا أجد مَزِيدا . وهـذا الكلام مأخوذ من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

"من أصبح آمنا فى سِرْبِه[2] ، مُعافًى فى بَدَنه ، عنـده[3] قوتُ يومه ، فكأنّمـا حِيزتْ له الدنيا بحذافيرها" .

وقال فيلسوف : كثيرٌ من الأمور لا تَصلُح إلّا بقُرَنائها : لا ينفع العِلمُ بغير ورع ، ولا الحفظُ بغير عقل ، ولا الجمالُ بغير حلاوة ، ولا الحسبُ بغير أدب ، ولا السرورُ بغير أمن ، ولا الغِنى بغير كفاية ، ولا الاجتهادُ بغير توفيق .

(١) فى الأصل : "الأمر" بالراء ؛ وهو تحريف .

(٢) السرب بكسر السين : النفس .

(٣) كذا فى الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٥٢ طبع بولاق ومحاضرات الأدباء ج ١ ص ٣٢٢ طبع جمعية المعارف بمصر ؛ والذى فى الأصل : «له» بدل قوله : «عنده» ؛ ولم نقف على هذه الرواية فيما بين أيدينا من المظانّ .

وقالوا : المنظرُ يحتاج إلى القبول ، والحسبُ إلى الأدب ، والسرورُ إلى الأمن ، والقُرْبى إلى ٱلمودّة ، والمعرفةُ إلى التجارِب ، والشرفُ إلى التواضع ، والنجدةُ إلى ٱلجِدّ [١] .

وقال علىٌّ رضى الله عنه : يَغلِب المقدار على التقدير ، حتى تكون الآفةُ ٥ فى التدبير .

أخَذه ٱبنُ الرومىّ فقال :

غَلِطَ الطبيبُ علىَّ غلطةَ مُورِدٍ ❊ عَجَزتْ مَوارِدُه [٢] عن الإصدارِ
والناس يلحَون الطبيبَ و إنّما ❊ غَلْطُ الطبيبِ إصابةُ ٱلمقدارِ

وقال : اذا ٱنقضت ٱلمدّه ، كان ٱلهلاك فى العُدّه .

١٠ وقال القدماء : لا خيرَ فى القول إلّا مع الفعل ، ولا فى المَنظَرِ إلّا مع المَخبَر ، ولا فى المالِ إلّا مع ٱلجود ، ولا فى الصديق إلّا مع الوفاء ، ولا فى الفقهِ إلّا مع الورع ، ولا فى الصدقةِ إلّا مع حسن النيّة ، ولا فى ٱلحياةِ إلّا مع الصحّة ، ولا فى السرورِ إلّا مع الأمن .

قال بعض بنى تميم : حضرتُ مجلسَ الأحنف بن قيس وعنده قوم مجتمعون ، ١٥ فحمِد ٱلله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الكَرَم ، مَنْعُ الحُرَم ؛ ما أَقرَبَ النِّقمةَ من أهل البغى ! لا خيرَ فى لذّة تُعقِب ندما ؛ لن يَهلِكَ مَن قَصَد ، ولن يفتقرَ مَن زَهَد ؛ ربّ هزل قد عاد جِدّا ؛ من أَمِن الزمانَ خانه ، ومن تَعظَّم عليه أهانه ؛ دَعوا ٱلمزاح فإنه

(١) تقدّم هذا الكلام فى صفحة ١٨٤ مع تغيير يسير فى عباراته .
(٢) كذا فى وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٠٠ طبع بولاق وغيره من المصادر التى بين أيدينا ؛ والذى ٢٠ فى الأصل : « محانيه » ؛ وهو تحريف .

يؤرث[1] الضغائن؛ وخيرُ القول ما صدّقه الفعل؛ احتمِلوا مَن أَدَلَّ عليكم ، وآقبلوا عذرَ من آعتذر إليـكم؛ أطع أخاك وإن عصاك، وصِلْه و إن جفاك؛ أَنصِفْ مِن نفسِك قبـل أن يُنتصَف منك ؛ و إيّاكم ومشاورةَ النساء ؛ وآعلم أنّ كفر النعمة لؤم، وصحبةَ آلجاهل شؤم؛ ومِن الكرم، الوفاء بالذمم؛ ما أقبحَ القطيعةَ بعد الصِّلة؛ والجفاء بعد اللُّطْف، والعداوةَ بعد الوُدّ ! لا تكوننّ على الإسـاءة أَقوَى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أَسرَعَ منك إلى البـذل ؛ وآعلم أنّ لك من دنيـاك ، ما أصلحتَ به مَثـواك، فأَنفِق فى حقٍّ ولا تكوننّ خازنا لغيرك ؛ واذا كان الغدرُ موجودا فى الناس فالثقةُ بكلّ أحد عجْـز ؛ اعرِف آلحقَّ لمن عرَفه لك؛ وآعلم أنّ قطيعةَ الجاهـل، تعدل صِلةَ العاقـل . قال : فما رأيتُ كلاما أبلغَ منه ، فقمتُ وقد حفظتُه . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ومن كلام علىٍّ رضى الله عنه : من أَبصَر عيبَ نفسه شُـغِل عن عيب غيره ؛ ومن سَلّ سيف البغىِ قُتِل به ، ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ؛ ومن هَتَك حجابَ أخيه آنهتكتْ عوراتُ بيتِـه[2] ؛ ومن نسِى خطيئته آستَعظَم خطيئةَ غيره ، ومن تكبّر على الناس زَلّ ؛ ومن سَفِه على الناس شُتِم ؛ ومن خالط العلمـاءَ وُقِّر ، ومن خالط الأنذالَ حُقِّر ؛ ومن أكثر من شيءٍ عُرِف به ؛ والسـعيدُ من وُعِظ بغيره ؛ وليس مع قطيعـة الرحم تُقى ، ولا مع الفجور غِنى ؛ رأسُ العـلم الرفق ، وآفتُه الخُرْق ؛ كثرةُ الزيارة تورث آلملالة .

وقال موسى بنُ جعفر: ماتَسابّ[3] آثنان إلّا آنحطّ الأعلى إلى مرتبة الأسفل .

---

(١) يقال : أرّث النار تأريثا ، إذا أوقدها ؛ وما هنا مستعار منه .

(٢) فى الأصل : « بنته » بالنون؛ وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل : «ما أشب » ؛ وهو تحريف .

وقال آخر : ما تَسابّ آثنان إلا غَلَب ألأمُهما .

وقال ٱلحسن بن علىّ بن موسى الرِّضىّ : اعلم أن للحِباء[1] مقدارا فإن زاد عليه فهو سَرَف ، وللحزم مقـدارا فإن زاد عليه فهو جبن ، وللاقتصاد مقـدارا فإن زاد عليه فهو بخـــل .

٥ قال مهدىّ بن أبان : قلتُ لوَلّادةَ العَبْدِيّة — وكانت من أعقل النساء — : إنّى أريد الحج فأوصينى ، قالت : أوجِزْ فأبلغ ، أم أطيل فأُحْكِم ؟ فقلت : ماشئتِ ، فقالت : جُدْ تَسُدْ ، وٱصبر تفز ، قلت : أبصا ، قالت : لا يُبعِد غضبُك حلمَك ، ولا هواك علمَك ، وقِ دينَك بدنياك ، وقِ عِرْضَك بعَرَضك ، وتَفَضَّلْ تُخدَم ، وٱحلمْ تُقدَّم ، قلت : فبمن أستعين ؟ قالت : بالله ، قلت : من الناس ، قالت : الجَـلْد

١٠ النشيط ، والصالح الأميـــن ، قلت : فمن أستشير ؟ قالت : المجرِّبَ الكَيِّس ، أو الأديبَ الأريب ، قلت : فمن أستصحب ؟ قالت : الصديقَ المسلمَ ، أو المؤاخى[2] المتكرِّم ، ثم قالت : يآبنـاه ، إنك تَفِد إلى مَلِك الملوك فآنظر كيف يكون مقامُك بين يديه .

وقال حكيم : مَن الذى بلغ جسيما فلم يَبطَر[3] ، وٱتّبع الهوى فلم يَعطَب ، وجاوَر

١٥ النساء فلم يَفتتن ، وطَلب إلى اللئام فلم يُهَنْ ، وواصَـل الأشرارَ فلم يندم ، وصَحِب السلطانَ فدامت سلامتُه .

(١) الحباء بالكسر : العطاء .

(٢) فى الأصل : « المداجى » بالدال والجيم ، وهو تحريف مفسد للمعنى ، وإن المداجاة : المداراة ومساترة العداوة .

٢٠ (٣) فى الأصل : « ينظر » ، وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى .

وقال : الاعتبارُ يفيدك الرشاد، وكفاك أدبا لنفسك ما كرهتَ من غيرك .[1]

وكان يقال : عليكم بالأدب فإنه صاحبٌ فى السَّــفر ، ومُؤنسٌ فى الوُحدة، وجمالٌ فى المَحْفِل، وسببٌ إلى طلب الحاجة .

وقال بعضهم : احذر كلَّ الحذر من أن يخدعك[2] الشــيطان فيمثِّلَ لك التوانىَ فى صورة التوكّل، و يُورثك الهُوَينَى[3] بالإحالة على القَدَر. فإن الله تعالى أمر بالتوكّل عند انقطاع الحِيَل، و بالتسليم للقضاء بعد الإعذار، فقال تعالى : «خُذُوا حِذْرَكُمْ» «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » .

وقال آخر : لا تجاهــد الطلبَ جهادَ الغالب ، ولا تتّــكل على القــدر اتّكالَ المستسلِم ، فإنّ ابتغاءَ الفضل[4] من السنّة ، والإجمالَ فى الطلب من العفّة، وليست العفّةُ بدافعة رزقا، ولا الحرصْ بجالب فضلا .

وقالوا : عشرُ خصالٍ فى عشرة أصناف أقبحُ منها فى غيرهم : الضيقُ فى الملوك، والغدرُ فى الأشراف، والكذبُ فى القضاة، والخديعةُ فى العلماء ، والغضبُ فى الأبرار[5]، والحرصُ فى الأغنياء، والسَّفهُ[6] فى الشيوخ، والمرضُ فى الأطبّاء، والزَّهوُ فى الفقراء، والفجورُ فى القُرّاء[7] .

---

(١) فى الأصل : « يعتدك » بالعين والتاء ، وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « يدعك » بسقوط الخاء ، والتصويب عن محاضرات الأدباء للراغب ج ١ ص ٢٠٥ طبع جمعية المعارف بمصر .

(٣) كذا فى محاضرات الأدباء ؛ والذى فى الأصل : « يريك تهو يبا » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

(٤) فى الأصل : « بالفضل » ؛ والباء زيادة من الناسخ .

(٥) لعله : « فى الأمراء » .

(٦) فى الأصل : « والسعة » ؛ وهو تحريف .

(٧) المراد بالقرّاء : حفظة القرآن والتالون له .

وقالوا : ثمانيةٌ إذا أهينوا[1] فلا يلوموا إلّا أنفسَهم : الآتى طعاما لم يُدْعَ إليه، والمتأمِّرُ على ربّ ٱلبيت فى بيته، وطالبُ ٱلمعروف[2] من غير أهله، وراجِ مِنَ الفضلِ من ٱللئام، والداخلُ بين ٱثنين لم يُدخِلاه، والمستخفُّ بالسلطان، والجالسُ مجلسا ليس له بأهل، والمقبِلُ بحديثه على من لا يسمعه .

٥ ومن الأبيات المناسبة لهذا الفصل قولُ الأَضْبَط بن قُرَيع :

لِكلّ ضِيقٍ من ٱلهموم سَعَه * والمُسْىُ والصبح لا بقاءَ معه
فصِلْ حبالَ البعيد إن وصل الـ * ـحبلَ وأَقصِ القريبَ إن قطعَه
وخذ من الدهر ما أتاك به * من قرّ عينا بعيشه نفَعَه
لا تُحقِرنّ[3] الفقيرَ علّك أن * تَركَعَ[4] يوما والدهرُ قد رفَعَه
١٠ قد يَجمع ٱلمالَ غيرُ آكلِه * ويأكل المالَ غيرُ مَن جَمَعَه

وقال أُحَيحة :

فما يدرى الفقيرُ متى غِناه * ولا يدرى الغنىُّ متى يَعِيلُ[5]
ولا تدرى إذا أَزمعتَ أمرا * بأىّ الأرض يأتيك ٱلمَقِيلُ

---

(١) فى الأصل : « هينوا »؛ وهو تحريف .
١٥ (٢) فى الأصل : « المعروه » بالهاء؛ وهو تحريف .
(٣) فى اللسان مادة « ركع » ولا تهين الخ . وقال : أراد «ولا تهينن» فجعل النون ألفا ساكنة فاستقبلها ساكن آخر فسقطت .
(٤) يقال : ركع الرجل، إذا افتقر بعد غنى وانحطت حاله .
(٥) يعيل : يفتقر .

وقال الصَّلَتان العبدىّ[1] :

أشـاب الصـغيرَ وأفنَى الكبيـ * ـرَ كَـرُّ[2] الغـداة ومَرُّ العَشِى

إذا ليـــلةٌ هَرَّمَتْ[3] يومَها * أَتَى بعـــد ذلك يومٌ فَتِى

نروح ونغـــدو لحـاجاتنا * وحاجةُ من عاش لا تنقضِى

تمـــوت مع المـــرء حاجاتُه * وتَبْـــقَى له حاجـــةٌ ما بَقِى

وقال المتنبّى :

ذِكْرُ الفتى عُمْرُه الثانى وحاجتُه * ما قاته وفضولُ العيش أَشغالُ

وقد جُمِـعَ من شعر أبى الطيّب فى ذلك ما وافق كلام أَرِسْـطوطاليسَ فى الحكمة، فمن ذلك قول أَرِسْطوطاليسَ : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاكُ الجسم[4] دون بلوغ الشهوة .

قال المتنبّى :

وإذا كانت النفوس كبارا * تَعِبتْ فى مُرادها الأجسامُ

وقال أَرِسْطوطاليس : قد يفسد العضو لصـلاح أعضاء، كالكىّ والفصـد اللّذين يُفسِدان الأعضاءَ لصلاحِ غيرِها . نقله المتنبّى إلى شعره فقال :

---

(١) كذا فى الأصل ومعاهد التنصيص ص ٣٥ طبع بولاق ؛ ونقل صاحب معاهد التنصيص أيضا عن الجاحظ فى كتاب الحيوان نسبة هذه الأبيات الى الصلتان السعدى ، وقال — أى الجاحظ — : هو غير الصلتان العبدى .

(٢) كذا فى معاهد التنصيص ؛ والذى فى الأصل : « لواء » ولعله مقلوب «ولاء» بتقديم الواو المكسورة ؛ وهو المتابعة ، مصدر والى الشىء : أى تابعه ، فإن المعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) فى الأصل : «هزمت» ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما فى اللسان ؛ ويدل عليه أيضا مقابلته بقوله فى آخر البيت : « يوم فتى » .

(٤) فى الأصل : « الهم » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

لعلّ عَتْبَك محمودٌ عواقبُه * فربّما صحّت الأجسادُ بالعِلَلِ

وقال أَرِسْطوطاليس : الظلم من طبع النفوس، وإنما يصُدّها عن ذلك إحدى علّتين : إمّا علّة دينيّة خوف مَعاد، أو علّة سياسيّة خوف سيف

قال المتنبّى :

٥ والظلمُ من شِيَم النفوس فإن تجِدْ * ذا عفّةٍ فلعلّةٍ لا يَظلِمُ

هذا ما اتفق إيرادُه فى هذا الباب من أمر كتابة الإنشاء، وكلامِ الصحابة والخلفاء، وذوى الفصاحة من الأمراء، وبلاغاتِ الخطباء والفصحاء، ورسائلِ الفضلاء والبلغاء، وفِقَرِ الكتّاب والأدباء، وحِكَمِ أوائل الحكماء ؛ وهو ممّا يُضطرّ الكاتبُ إليه، ويَعتمد فى الاطّلاع على ما خفى من أمر هذه الصناعة عليه ؛ وهى ١٠ إشاراتٌ إلى مجموعِها، ورشَفاتٌ من يَنبوعِها ؛ وبابٌ يتوصّل منه إلى رحابِها، وسلّمٌ يرتقى عليه إلى هضابِها، ومَسِيلُ عذبٍ يتّصل بعبابِها ؛ فقد وَضَح لك أيّها الطالبُ السبيل، وظهر لك أيّها الراغبُ قيام الدليل ؛ وفيما أوردناه كفايةٌ لمن تمسّك بهذه الصناعة ورغب فيها، وغُنيةٌ لمن تأمّل مقاصدها وتدبّر معانيها ؛ فلنذكر كتابةَ الديوان والتصرّف .

١٥ ذكر كتابة الديوان وقلم التصرف وما يتصل بذلك

قد ذكرنا فى أوّل هذا الباب فى السفر السابع من هذا الكتاب اشتقاقَ الكتابة، ولِمَ سُمّيتْ بذلك، وذكرنا أيضا أصلَها وشرفَها وفوائدَها ، فلا حاجة إلى إعادته فى هذا الموضع ، فلنذكر الآن ما يتعلّق بقلم الديوان والتصرّف والحساب ؛ وإن كنّا قدّمنا ذكرَ كُتّابِ الإنشاء لِما هم بصدده من الصدارة والوجاهة، والنبالة والنباهة ؛ ٢٠ والفصاحةِ والصباحة، والنزاهةِ والسماحة ؛ والأمانةِ والديانة، والسيادة والصيانة ؛

ولمـا تصدّوا له مِن كَتِم أسرار الدُّوَل ، وتردّوا به من محاسنِ الأواخرِ ومآثِرِ الأُوَل ، وٱلتَحفوا به من مَطـارف الفضائل والمكارم ، وتحلّوا به من صـفات الأفاضل والأكارم ، الى غير ذلك من مناقبهم ٱلجمّـه ، وأياديهم ٱلتى وَضَحَتْ غررا فى ليالى ٱلخطوب ٱلمدلهمّه ، فكتّابُ ٱلحساب أكثرُ تحقيقا ، وأقربُ إلى ضبط الأموال طريقا ، وأدَلُّ برهانا ، وأوضحُ بيانا ، قال ٱلله تعالى فى كتابه ٱلعزيز : ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ وذهب بعض ٱلمفسرين لكتّاب الله تعالى فى قوله تعـالى إخبارا عن يوسف عليـه السلام : ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ، أى كاتبٌ حاسب .

وروى البخارىّ عن أبى حُمَيد ٱلساعدىّ قال : "استعمل رسولُ ٱلله صلّى الله عليه وسلّم رجلا من الأَسْد[١] على صدقات بنى سَلِيم يُدعَى ٱبنَ اللُّتْبيّة[٢] فلمّا جاء حاسَبَه" فقد صحّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاسَبَ ، وبكتّاب ٱلحساب تُحفَظ الأموال وتُضبَط الغلال ، وتُحَدّ قوانينُ البلاد ، وتُميَّز الطوارفُ من التِّلاد ، لم يفخر كُتّاب الإنشاء بمَنقَبة إلا فَخَروا بمناقب ، ولا سَمَوا إلى مرتبـة إلّا وقد رَقُوا إلى مراتب ، ولا تَميَّزوا برسالة[٣] إلّا ولهؤلاء فيها القِدْحُ المعَلَّى ، ولا نُسِبوا إلى نباهة إلّا ومحلُّهم فيها

(١) كذا فى الأصل بالسين ، وهو أفصح ، ويقال فيه : "الأزد" بالزاى ، وهو أبو حى من اليمن ، ومن أولاده الأنصار كلهم .

(٢) هذه الكلمة فى الأصل مهملة الحروف من النقط ؛ وقد أثبتناها هكذا نقلا عن صحيح البخارى ج ١ ص ٢٨٢ طبع ليدن واللتبية : أمه ، نسبة إلى حى لتب بالضم ، وهم حى من الأزد ؛ ومنهم من يفتح اللام والتاء المثناة ؛ وفى بعض الروايات : «الأتبية» بالهمز ؛ وفى رواية أخرى بضم ففتح ؛ وٱسم ٱبن اللتبية هذا : عبد الله انظر شرح القاموس مادة (لتب) .

(٣) كذا وردت هـذه الكلمة فى الأصل ، ولعل فيها تحريفا فإن رسائل المنشئين ليس لكتّاب التصرف فيها القدح المعلى كما قال إلا اذا كانوا منشئين أيضا ؛ ولعـل صوابه « ببسالة » ويرجحه حصول الجناس بها مع قوله فى الجملة الآتية « نباهة » والمؤلف يميل إلى هذا النوع فى كتابته ؛ وقد سبق أن جمع بين الكلمتين فى صفحة ١٩١ س ١٩ .

المحلُّ الأرفعُ ومقامُهم المقامُ الأعلى ؛ ولا ٱتصفوا بكتمان سرٍّ إلّا ٱتصف هؤلاء بمثله ، ولا شُهِروا ببـذل بِرٍّ إلا وهؤلاء هم أعيان أهله ؛ ثم ٱختصّ كُتّابُ التصرف بأمورٍ مُنِـع أولئك منها ، وأُطلِقتْ أقلامُهم فى أقلام[(١)] حُبِستْ أقلامُ أولئك عنها ؛ وٱرتقَوا إلى قُلَل مراتبَ كَبَتْ جيادُهم عن إدراك غايتهـا ، وتَسَنّموا ذرا مناصبَ لا تمتـدّ الآمالُ[(٢)] إلى أكثرَ من نهايتهـا ؛ ولسنا نقيمهم فى محلّ المناظره ، ولا نوقفهم فى موقف المكاثرة والمفاخره ؛ بل لكلّ طائفة فضـلٌ لا ينكَر ، وفضائلُ هى أشهرُ من أن تملَى وتسطَّر ؛ ولمـّا ٱنتهيتُ فى كتابى هذا إلى باب الكتابة ، أردت أن أضرب عن ذكر كتابة التصرّف صفحا ، ولا أُعيرها من النظر لمحا ، وأقتصر على كتابة الإنشاء جريا على عادة من صـنّف ، وقاعدةِ من ألّف ؛ فسألنى بعض إخوانى أن أضع فى ذلك ملخَّصا يَعلم منـه المباشِرُ كيف المبـاشَره ، ويستضىء به فيما يسترفعُه[(٣)] أو يرفعه من ضريبةٍ ومُوافَره[(٤)] ؛ فأوردتُ[(٥)] هـذه النُّبذة إزالةً[(٦)] لسؤاله ، وتحقيقـاً لآماله ؛ وذكرتُ من صناعة الكتابة ما هو بالنسبة الى مجموعها قطرةٌ من بحرها ، وشَذْرةٌ من عقود درّها ؛ ممّـا[(٧)] لا بدّ للمبتدى من الإحاطة بعلمِـه ، والوقوفِ عنـد رسمِه ؛ وحين وضعتُ ما وضعتُ من هـذه الصناعة لم أقِفْ قبل ذلك على كتاب فى فنّها

(١) المراد بالأقلام هنا : أنواع كتابة الديوان كما هو المصطلح عليه عند كتاب الدواوين فى زماننا ؛ وبالتى قبلها والتى بعدها : جمع القلم بالمعنى المعروف .

(٢) فى الأصل : « الأمثال » ؛ والثاء زيادة من الناسخ .

(٣) يسترفعه : أى يطلب من غيره أن يرفعه إليه . ويرفعه : أى يرفعه هو إلى غيره .

(٤) فى الأصل : « موامره » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : «فأردت» بسقوط الواو ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٦) فى الأصل : « إرادة » وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٧) فى الأصل : « مما » ؛ وهو تحريف .

مصنَّف، ولا آنتهيتُ إلى فصل مترجَم[(١)] بهـا أو مؤلَّف؛ ولا لمحتُ فى ذلك إشاره، ولا سمعتُ من لخّص فيها عباره؛ ولا من تفوّه فيها ببنت شـفة ولسان، ولا من صرَّف ببنانٍ[(٢)] بلاغتِـه فى ميادينها آلعنان؛ حتى أقتدىَ بمثالِه، وأَنسُجَ[(٣)] على منوالِه؛ وأسلك طريقه فى الإجاده، وأحذوَ حذوَه فى الإفاده؛ بل وجدتُها مقفَلةَ آلبـاب، مسبَلةَ الحجـاب؛ قد آكتفَى كلُّ كاتب فيهـا بعلمه، وآقتصر على حسب فهمه؛ فراجعتُ فيها الفكره، وعطفتُ الكرّة بعد الفتره؛ ثم قرعتُ بابها ففُتِح بعد علْقِه[(٤)]، ورفعتُ حجابَها ففُتِق بعد رتْقِه؛ وآمتطيتَ صهوتَها[(٥)] فلانت بعد جماحِها، وآرتقيتُ ذُروتَها فظهر للفكرة طريقُ نجاحِها؛ فشرعتُ عنـد ذلك فى تأليف ما وضـعتُه[(٦)]، وترصيفِ ما صفّفتُه[(٧)]؛ وبدأتُ بآشتقاق تسمية الديوان، ولِمَ سُمِّىَ ديوانا، ثم ذكرت ما تفرّع من كتابة الديوان من أنواع الكتابات، وأوّلَ ديوان وُضِع فى الإسـلام، وسبب وضـعِه؛ ثم ذكرت ما يحتاج اليه كلُّ مباشر من كيفيّة المباشرة وأوضاعِها، وما آستقرّتْ عليه آلقواعد العرفيّـة، والقوانينُ الآصطلاحيّة، وما يرفعه كلُّ مباشر ويسترفعه، والأوضاع آلحسابية[(٨)]، على ما ستقف إن شاء آلله تعالى عليه، وترجع فيما أشكَل من أمورها إليه .

---

(١) فى الأصل : «لفظ» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . ومترجم بفتح الجيم : أى مسمى .

(٢) فى الأصل : «بنيان» ؛ وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل : «وأنسج» ؛ وهو تحريف .

(٤) العلق . مصدر علقت الباب بدون ألف ، وهى لغة قليلة قال الشاعر : «ولا أقول لباب الدار مغلوق» .

(٥) فى الأصل : «صهرتها» بالراء ؛ وهو تحريف .

(٦) لعله : «وصفته» ؛ يدل به مع قوله : «صففته» فى الجملة الآتية يستقيم السجع الذى التزمه المؤلف .

(٧) الترصيف : التجميع والتنضيد ؛ يقال : رصف الحجارة ورصفها بتخفيف الصاد وتشديدها .

(٨) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٩٣ من هذا السفر .

ذكر آشتقاق تسمية الديوان ولم سمّى ديوانا ومن سمّاه بذلك

قد آختُلف فى تسمية الديوان ديوانا على وجهين : أحدهما أنّ كسرى آطّلع ذات يوم على كتّاب ديوانه ، فرآهم يحسُبون مع أنفسهم ، فقال : دِيوانه : أى مجانين ؛ فسُمِّىَ موضعُهم بهذا الآسم ، ثم حُذفت الهاء لكثرة الآستعمال تخفيفا للآسم ، فقيل : ديوان . والثانى أن الديوان بالفارسيّة آسمٌ للشياطين ، فسُمِّىَ الكتّابُ بآسمهم لِحدقهم بالأمور[(١)] ووقوفهم على آلجلىّ وآلخفىّ ، وجمعِهم لما شذّ[(٢)] وتفرّق ، وآطلاعهم على ما قرُب وبعُد ، ثم سُمِّىَ مكانُ جلوسهم بآسمهم ، فقيل : ديوان . هذا ما قيل فى تسميته[(٣)] على ما حكاه آلماوردىُّ فى الأحكام السلطانيّة ؛ والله أعلم .

ذكر ما تفرّع عن كتابة الديوان من أنواع الكتابات

هذه الكتابة تنقسم إلى أقسام ووظائف : أصولٍ وفروع ، وهى : مباشَرةُ آلجيوش ، ومباشَرةُ الخزانة ، وبيت المال ، وأهراءِ[(٤)] الغلال ، ومباشَرةُ البيوت ، ومباشَرةُ آلهلالىّ[(٥)] ، ومباشرةُ آلجوالى[(٥)] ، ومباشَرةُ آلخراجىّ ، ومباشرةُ الأقصاب وآلمعاصر ومطابخ السكّر ، ويحتاج مباشر كلّ وظيفة من هذه الوظائف إلى معرفة قواعدَ يأتى ذكرها إن شاء الله تعالى ؛ ولنبدأ بذكر مباشرة آلجيوش .

(١) كذا فى الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٩٠ بالباء ، ولعله « فى الأمور » ، إذ لم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أنه يقال : حدقت بالشىء ؛ والذى وقفنا عليه أنه يقال : حدقته ، وحدقت فيه .

(٢) فى الأصل : « شدّد » بدالين مهملتين ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «تسميتهم» والميم زيادة من الناسخ ، فإن المراد تسمية الديوان .

(٤) الأهراء : جمع « هُرِىّ » بضم الهاء وكسر الراء وتشديد الياء ، وهو بيت كبير تجمع فيه الغلال التى للسلطان ؛ قال الأزهرى : لا أدرى أعربى هو أم دخيل .

(٥) سيأتى شرح الهلالى والجوالى عند الكلام على ما يحتاج إليه مباشر كل منهما .

ذكر مباشرة ديوان ٱلجيش وسبب وضع الدواوين وأول من وضعها فى ٱلإسلام

وديوانُ ٱلجيش هو أوّلُ ديوان وُضِع فى الإسلام[١]، وضعه عمرُ بنُ ٱلخطّاب ــ رضى الله عنه ــ فى خلافته؛ وقيل : بل وُضع فى عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ويدلّ على ذلك أن البخاريّ ــ رحمه الله ــ تَرجَم على هـذا بقوله : باب كتابة الإمام النـاسَ، قال : حدّثنا محمدُ بن يوسف، قال : حدّثنا سفيانُ عن الأعمشِ عن أبى وائلٍ عن حُذَيفةَ : قال النبي صلّى ٱلله عليه وسلّم : "اكتبوا لى من تَلفَّظ بالإسلام من النّاس، فكتبنا له ألفا وخَمسمائة رجل" وقد روى البخاريّ أيضا بسنده عن ٱبن عبّاس ــ رضى ٱلله عنهما ــ قال : "جاء رجل إلى النبي صلّى ٱلله عليه وسلّم فقال : يارسول الله، إنّى ٱكتُتِبتُ[٢] فى غزوة كذا وكذا، وٱمرأتى حاجّة؛ قال : ارجع فٱحجُج مع ٱمرأتك"

وٱختلف الناس فى سبب وضعه فى أيّام عمر، قال قوم : سببُه أنّ أبا هُرَيرة ــ رضى الله عنه ــ قَدِم بمـال من البحرين، فقال له عمر رضى ٱلله عنه : ما ذا

(١) فى صبح الأعشى ج ١ ص ٩١ أن أول ديوان وضع فى الإسلام هو ديوان الإنشاء؛ قال : وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان ٱلله عليهم ويكاتبونه الخ ثم قال أيضا : وهذه المكتوبات متعلقها ديوان الإنشاء .

(٢) كذا فى اللسان مادة كتب؛ والذى فى الأصل : «إنى اكسبيت»؛ وهو تحريف؛ وفى صحيح البخارى ج ٤ ص ٧٢ طبع بولاق سنة ١٣١١ : «كتبت» ؛ وقد روى البخارى هـذا الحديث أيضا فى ج ٣ ص ١٩ طبع بولاق برواية أخرى ، وهى : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «لا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم ، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم؛ فقال رجل : يارسول الله ، إنى أريد أن أخرج فى جيش كذا وكذا وامرأتى تريد الحج؛ فقال : اخرج معها» ولا شاهد فيه على هذه الرواية حيث قال : «إنى أريد أن أخرج» ولم يقل : «إنى كتبت» .

جئتَ به ؟ قال خمسمائة ألفِ درهم، فٱستكثَره عمرُ وقال : أتدرى ماتقول؟ قال : نعم، مائة ألف خمس مرات؛ فقال عمر : أطَيِّبٌ[(١)] هو ؟ فقال : لا أدرى؛ فصَعِد عمرُ رضى الله عنه المنبرَ، فحمِد الله وأثنَى عليه، ثم قال : أيها الناس، قد جاءنا مالٌ كثير، فإن شئتم كِلنا لكم كيلا، وإن شئتم عَددنا [لكم عدّا][(٢)]؛ فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيتُ الأعاجم يدوِّنون ديوانا لهم، فدوِّن أنت [لنا][(٣)] ديوانا .

وقال آخرون : بل سببُه أنّ عمر — رضى الله عنه — بعث بعثا وعنده الهُرمُزانُ[(٤)]، فقال لعمر : هذا بعثٌ قد أعطيتَ أهلَه الأموال، فإن تخلَّف رجلٌ منهم وأخَلّ[(٥)] بمكانه فمن أين يعلَم صاحبُك[(٦)] ؟ فأثبِتْ لهم ديوانا ؛ فسأله عن الديوان حتى فسّره له .

وروى [عابد بن يحيى][(٧)] عن [الحارث][(٧)] بن نُفَيل أن عمر رضى الله عنه استشار المسلمين فى تدوين الدواوين، فقال علىّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه : تَقسِم فى كلّ سنة ما آجتمع إليك من المال ولا تُمسِك منه شيئا؛ وقال عثمان بن عفّان — رضى الله عنه — : أرى مالا كثيرا يسَع الناسَ، وإن لم يُحصَوا حتى يُعرَف من أخَذ ممن لم يأخذ خشِيتُ أن ينتشر الأمر؛ فقال خالد بنُ الوليد : قد كنتُ بالشأم

(١) الطيب : الحلال، وهو ضد الخبيث، أى هل اكتسبه دافعوه من حلال ؟ .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٣٤٤ طبع ألمانيا .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية .

(٤) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٦ والأحكام السلطانية؛ والذى فى الأصل : « الفيرزان »؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « آخر » وفى الأحكام السلطانية : « وأجل » وهو تحريف فى كليهما والتصويب عن صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٦ ومقدمة ابن خلدون ص ١١٨ طبع بولاق .

(٦) يريد بقوله : « صاحبك » أمير الجيش؛ وزاد فى الأحكام السلطانية بعد هذه الكلمة قوله : به .

(٧) هاتان التكملتان ساقطتان من الأصل؛ وقد أثبتناهما عن الأحكام السلطانية .

فرأيتُ ملوكها دوّنوا ديوانا، وجنّدوا جنودا، [فدوّن ديوانا، وجنّد جنودا] (١) فأخذ بقوله، ودعا عَقيلَ بنَ أبى طالب ومَخْرمةَ (٢) بنَ نوفل وجُبيرَ بنَ مطعم — وكانوا من كتّاب قريش — فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فبدءوا ببنى هاشم فكتبوهم، ثم أتبعوهم قومَ أبى بكر، ثم عمرَ وقومَه، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة (٣)، ثم رفعوا ذلك إلى عمر رضى الله عنه، فلمّا نظر فيه قال: لا، [ما] (٤) وَدِدتُ أنّه كان هكذا، ولكن ٱبدءوا بقرابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه ٱلله؛ فشكره العباس رضى الله عنه على ذلك؛ وكان ذلك فى المحرّم سنة عشرين من الهجرة، وقيل فى سنة خمس عشرة، — والله أعلم —؛ فلمّا ٱستقرّ ترتيب الناس فى الدواوين على قَدر (٥) النسب المتصل برسول ٱلله صلّى ٱلله عليه وسلّم فَضّل بينهم فى العطاء على قدر السابقة فى الإسلام. وسنذكر إن شاء ٱلله فى خلافة عمر رضى ٱلله عنه ما فرضه من العطاء لكلّ طائفة على ما ستقف عليه — إن شاء ٱلله تعالى — فى موضعه من فنّ التاريخ؛ وهو فى السفر السابع عشر من كتابنا هذا؛ فهذا كان سببَ وضعِ ديوانِ ٱلجيش.

وأما دواوين الأموال — فإنها كانت بعد ظهور الإسلام بالشأم والعراق على ما كانت عليه قبل الإسلام. فكان ديوان الشأم بالروميّة لأنه كان من ممالك

(١) التكملة عن الأحكام السلطانية ص ٣٤٥ طبع ألمانيا.

(٢) كذا فى مستدرك التاج، والذى فى الأصل والأحكام السلطانية: «مخرمة» بالحاء المهملة والزاى المعجمة؛ وهو تصحيف.

(٣) لعله يريد بقوله: ووضعوها على الخلافة، أنهم جعلوا ترتيب القبائل فى الديوان على حسب قربهم فى النسب من القبيلة التى فيها الخلافة.

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية إذ بها يستقيم الكلام.

(٥) كذا فى الأحكام السلطانية؛ والذى فى الأصل: «تعدّد»؛ وهو تحريف.

الروم؛ وكان ديوان العراق بالفارسيّة لأنه كان من ممالك الفُرس؛ فلم يزل أمرهما جاريا على ذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان، فنقل ديوان الشأم إلى العربيّة فى سنة إحدى وثمانين من الهجرة؛ وكان سبب نقله — على ما حكاه المدائنىّ — أن بعض كتّاب الروم فى ديوانه أراد ماءً لدواته، فبال فى الدواة، فبلغه ذلك فأدّبه، وأمر سليمانَ بنَ سعد أن ينقل الديوانَ إلى العربيّة، فسأله أن يُعينه بخراج الأُرْدُنّ[1] سنةً، ففعل وولّاه الأُرْدُنّ، وكان خراجه مائةَ ألف وثمانين ألف دينار. فلم تنقض السنةُ حتى فرغ من الديوان ونقلَه، وأتى به عبد الملك فدعى سرجون[2] كاتبه فعرضه عليه فغمّه وخرج كئيبا، فلقيه قوم من كتّاب الروم، فقال لهم: اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم.

وأما ديوان العراق — فكان سبب نقله إلى العربيّة أنّ كاتب الحجّاج بن يوسف كان زاذان فَرُّوخ[3]، وكان معه صالح بنُ عبد الرحمن يكتب بين يديه بالعربيّة والفارسيّة، فأوصله زاذان فَرُّوخ[3] إلى الحجّاج، فخفّ على قلبه، فقال صالح لزاذان فروخ[3] إنّ الحجّاج قد قرّبنى ولا آمن أن يقدّمنى عليك؛ فقال: لا تظنّ ذلك فهو إلىّ أحوجُ منّى إليه، لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيرى. فقال له صالح: والله لو شئتُ أن أحوّل الحساب إلى العربيّة لفعلت؛ فقال: فحوِّلْ منه ورقة أوسطرا حتى أرى، ففعل؛ ثم قُتِل زاذان فَرُّوخ فى حرب عبد الرحمن بن الأشعث، فاستَخْلَف

---

(١) الأردن بضم الهمزة وتشديد النون: كورة واسعة، منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك.

(٢) كذا فى تاريخ الطبرى قسم ٢ ص ٨٣٧ طبع ليدن؛ والذى فى الأصل. «سرحون» بالحاء المهملة.

(٣) كذا فى مقدمة ابن خلدون ص ١١٩ طبع بولاق وتاريخ الطبرى قسم ٢ ص ١٠٥٨ طبع ليدن؛ والذى فى الأصل: «زاذا نفروح»، وهو تحريف.

ٱلحجّاج صالحا مكانَه، فذَكَر له ما جرى بينه و بين زاذان فَرُّوخ فأمره أن ينقله، فأجابه إلى ذلك وأجّلَه فيــه أجلا حتى نقله إلى العربيّة، فلمّا عرف مَرْدانشاه بن زاذان فَرُّوخ ذلك بذَل له مائةَ ألف درهم ليُظهِر للحجّاج العجزَ عنــه ، فلم يفعل ؛ فقال له : قطع ٱلله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل ٱلفارسيّة .

وكان عبدُ الحميد بنُ يحيى كاتبُ مروان يقول : لله دَرُّ صالح ما أعظم مِنّته على الكتّاب ! .

هــذا ما حُكِىَ فى ٱبتــداءِ نقلِ الدواوين ، فلنرجع إلى الجيش وما يحتاج إليه مباشرُه .

ذكر ما يحتاج اليه كاتب الجيش على ما ٱستقر فى زماننا[1] هذا من ٱلمصطلح

يحتاج كاتب الجيش إلى أن يرصِّع[2] أسماءَ أرباب ٱلإقطاعات والقودِ والمَكِيلاتِ من ٱلأمراء على ٱختلاف طبقاتهم ، والمماليك السلطانيّة ، وأجنادِ ٱلحَلْقة، وأمراءِ التُّرْكمان والعربان ؛ و يضَعَ لذلك جريدة مُقفّاةً على حروف المُعجَم يُثبِت فيهـا أسماءهم ، ويذكرَ ٱلأسمَ وٱبتداءَ إمرته أو جنـديّته فى أىّ ســنة كانت من السنين الهلاليّة لٱستقبال ما يكتب من مُغَلّ السنة الخراجيّة ، وعمن ٱنتقل إليه الإقطاع ؛

(١) فى الأصل : « فى مكاننا » ، ويرجح ما أثبتناه قوله فيما سيأتى فى صفحة ٢٠٨ س ١١ فهـذه هى القواعد التى استقرّت فى زماننا .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة فى مواضع كثيرة من هذا الباب ؛ ولعلّ كتّاب الدواوين إذ ذاك كانوا يستعملون الترصيع بمعنى التنظيم ، كما يفهم من سياق الكلام ؛ وفى كتب اللغة أنه يقال : رصّع العقد بالجوهر ترصيعا اذا نظمه فيــه وضم بعضه الى بعض ، والمعنى أن كاتب الجيش يضمّ أفراد كل طائفــة الى بعضها ولا يدخل فيها ما ليس منها .

ويَرمُز قُبالةَ كلِّ آسمٍ إلى عِبرة(١) إقطاعه رمزا لا تصريحا ، ويشير فى جندىّ الحَلْقة إلى مقدَّمه ، ويعيِّن فى آسم التُّركمانىّ أو البـدوىّ ما قدّمه إلى الإصطبلات السلطانيّة والمُناخات من الخيل والجمال ، وفى عربان مصر المقرَّر عليهم فى مقابلة الإقطاعات من التَّقادِم(٢) ، وإقامةِ خيل البريد فى المراكز ، وغيرِ ذلك من نقلِ الغلال ، وما هو مقرَّرٌ

٥ عليهم فى آبتداء أمرهم عند خروج الإقطاعات بأسمائهم ، وغير ذلك على جارى العادة ، فإن آنتقل أحدٌ منهم من إقطاع إلى غيره فى ذلك العمل بعينه وَضَع تحت إقطاعه الأوّل ما صورتُه : ثم آنتَقل إلى غيره بمقتضَى منشورٍ تاريخُه كذا عن فلان المنتقلِ إلى غيره ، أو المتوفَّى ، أو المفارِق ، أو غير ذلك ؛ فإن كان على سـياقته فى إقطاعه الأوّل قال : على سياقته ؛ وضَبَط تاريخَ الأوّل ، وإن كان لآستقبال مُغَلٍّ أو شىءٍ

١٠ من مُغَلٍّ ميَّزَه ، وآحتاج إلى محاسبة ربّ الإقطاع على إقطاعه الأوّل ؛ والمحاسَباتُ غالبا إنما تقع بعد وفاة الأمير أو الجندىّ ، أو آنفصالِه بوجه من وجوه الآنفصالات ، وأما ما دام فى الخدمة فهى يتلو بعضُها بعضا ؛ وصورة المحاسبة أن يُقيم تاريخَ منشوره إلى تاريخ آنفصاله أو نقلته ، ويَعقِدَ على ذلك جملةً ، ويوجبَ له عن نظير خدمته آستحقاقا ، وينظرَ إلى ما قبضه من المُغَلَّات فيجمعها ، فإن كان قبضُه نظيرَ خدمته

١٥ فلا شىء له ولا عليه ، وإن زاد قبضُه على مدّة خدمته آستعاد منه ما زاد بنسبته ، وإن كانت خدمتُـه أكثرَ من قبضه أَفرَج له عن نظير ما فَضَل له ؛ ومن العـادة فى غالب الأوقات أن يُسقط من آستحقاق أرباب الإقطاعات فى كل سنة أحد عشر يوما وربع يوم ، وهى التفاوتُ بين آلسنة الشمسيّة والقمريّة ، ويُبرِزَ له ما بقىَ

(١) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل فى عدّة مواضع من هـذا الباب وكتاب التحفة السنية لابن

٢٠ الجيعان ؛ والظاهر أن المراد بها ما يقدّر على الإقطاعات ، أخذا من سياق الكلام ؛ وسميت بذلك لأنهم كانوا يعبرون الدراهم المتحصلة من البلد ، أى يقوّمونها بدنانير جيشية كما يفهم من التحفة السنية .

(٢) المراد بالتقادم : الهدايا ، وهو جمع تقدمة .

ويُعطيَه المِثل من نسبة البارز، وقد سومح بذلك فى بعض الأوقات دون بعض؛ وهذه ٱلجريدة تسمّى ٱلجريدةَ ٱلجيشيّة .

ويَحتاج إلى بسـطِ جريدة إقطاع صـورتها : أنه يرصَع[1] الأعمـال كلَّ عمـل وبلاده وضياعه وكفوره وقراه وجزائره وجروفه وجهات الهـلالىّ والحَوالِى، وغير ذلك من معالمه وحدوده[2] والجهات المستظهر بها والبذول[3]، وسائرِ ما هو متعـلّق بذلك المكان. ويَذكُر عِبرةَ[4] البـلد ٱلجيشيّة . وما ٱستقرّ عليـه حال متحصِّلها أخيرا، وإن كان بالشأم ذَكَر العبرةَ ٱلجيشيّة ومتحصَّلَ البلد لثلاث سنين: مُبقلة[5] ومتوسّطة ومجدبة، ثم يشطب[6] قُبالةَ كلِّ جهة أسماءَ مُقطَعيها، وما هو باسم كلِّ واحد منهـم، ليَنحرِز[7] له بذلك هل ٱستوعب الإقطاعُ جمـلةَ النواحى والجهات، ويتمـيّز له ما بقِىَ من المحلولات؛ وإن ٱستقل ربُّ إقطاع من إقطاع إلى غيره بادَر بشطبه لوقته فى موضعه لئلا يدخُل عليه الوَهَم[8] والٱختلاف .

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

(٢) فى الأصل : «حقوقه»؛ وهو تحريف .

(٣) كذا فى الأصل؛ ولم نجد من معانى هذه الكلمة ما يناسب سياق ما هنا .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : مقبلة . وفيه قلب صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه؛ والمبقلة : التى كثر بقلها .

(٦) كذا وردت هذه الكلمة فى عدّة مواضع من هذا الباب والشطب هو أن تمدّ خطا على الغلط الواقع فى الكلام كما فى شفاء الغليل، وليس هذا مرادا هنا؛ والظاهر أن كتاب الدواوين فى عصر المؤلف اصطلحوا على استعمال الشطب بمعنى التقييد والنقل من المستندات الى الدفاتر، كما هو مصطلح كتاب الدواوين عندنا فى استعمال هذه الكلمة، ولديهم دفاتر تسمى دفاتر الشطب، وهـذا المعنى هو المراد بالشطب فى هذا الباب، كما يفهم من السياق .

(٧) فى الأصل : « لينحرز » بالزاى المعجمة؛ وهو تصحيف .

(٨) الوهم بالتحريك : الغلط .

ويحتاج إلى أن يتعاهد مباشرى المعاملات والبرور[1] بطلب الكشوف الجيشيّة فى كل ثلاث سنين ويشطبها[2] على ما عنده لتتحرّر[3] عنده العبر[4]، ويتميّز له ما تعيّن من الزيادة والنقص .

ويحتاج أيضا إلى بسط جريدة ثالثة بأسماء أرباب النقود والمكيلات خاصّة، لأنه يحتاج أن يفرج لكلّ منهم فى كلّ سنة عن نقده ومكيله بمقتضى ما شهد به منشوره، وعادة قبضه وجهته، أو ممّا تعيّن بقلم الاستيفاء إن كان، فإذا أفرج لكلّ منهم شطب[5] تاريخ إفراجه قبالة اسمه لتنضبط له بذلك تواريخ قبوضهم ويأمن من التكرار والغلط، وهذه الجريدة هى فرع من الجريدة الجيشيّة، فإنه يبسطها منها .

ويحتاج فى أجناد[6] الحلقة السلطانيّة إلى أن يضيف كل جماعة منهم إلى مقدّم مشهور من أعيانهم ممن هو متميّز الإقطاع، ويقيم عليهم نقيبا يعرف مساكنهم ومظانّهم، فإذا طلبوا جمعهم، أو طلب أحد منهم أحضره، ويسمّى هذا المقدّم: مقدّم الحلقة، ويضيف كلّ جماعة من أمراء الطّبلخاناه[7] وأمراء العشرات،

---

(١) كذا فى الأصل؛ ولم نجد من معانى هذه الكلمة ما يناسب السياق .

(٢) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٣) فى الأصل: «لتتحرز» بالزاى المعجمة؛ وهو تصحيف .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) المراد بالشطب هنا: التقييد؛ كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل: «من أخبار»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) الطبلخاناه: أى بيت الطبل؛ وخاناه: لفظ فارسى معناه البيت إلا أنهم يؤخرون المضاف عن المضاف إليه على عادة العجم فى ذلك، وقال فى صبح الأعشى ج ٤ ص ٨ عند الكلام على الطبلخاناه: إنها طبول متعدّدة معها أبواق وزمّارات تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تدق فى كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون صحبة الملك فى الأسفار والحروب، وهى من الآلات العامة لجميع الملوك .

ومقدّمِى ٱلحَلْقة، ومضافِيهم إلى مقدّمٍ كبير من أمراء ٱلمـائة، ويسمّى هذا الأميرُ : مقدَّمَ ٱلألف؛ ويحتاج إلى أن يضع لهاتين الطائفتين (١) جريدةَ عِدّة، يضع فيها ٱسمَ مقدَّم الألف وعِدّتَه من غير تفصيل لأسمائهم وقُبالةَ ٱسمه عِبْرة (٢) إقطاعه، ما هو لخـاصّه، وما هو لأصحـابه؛ ثم أمراء الطَّبْلخاناه كلّ أمير وعِدّته، وعِبْرة إقطـاعه، على ما تَقدَّم فى مقدَّم الألف، ويرتّبهم فى التقـديم والتأخير على مراتبهم؛ ثم أمراء العَشَرات كذلك؛ ثم يذكر مقدِّمِى ٱلحَلْقة فيعيِّن ٱسمَ ٱلمقـدَّم ونسبتَه وأتبـاعَه إن كان له أتباع، وعِبْرَة إقطاعه، ثم يذكر مضافِيه من ٱلحَلْقة على هذا ٱلحكم، ويرتّبهم بحسب مراتبهم، يبـدأ فى كلّ تَقدِمةٍ بٱسم ٱلمقـدَّم، ويختمُ باسم النقيب، ليسهل عليه طلبُ كلِّ جندىٍّ من مقدَّمه، ويطلبه مقدَّمه من نقيبه؛ وإن ٱنتقل أميرٌ أو جندىٌّ من مقدَّم ألف أو مقدَّم حَلْقة وٱنضاف إلى مقدَّمٍ آخَرَ نقَلَه لوقتـه لئلا يضطرب عليه حالُهم، ويلتبسَ أمرُهم؛ وكذلك أيضا يَفعل فى ٱلممـاليك السلطانيّة من إضافة كلِّ جمـاعة منهم إلى مقدَّم من أعيانهـم، ويميِّز أربابَ الوظائف منهـم : من السلاحدارية (٣) والجَرْبدارية والرِّمحدارية والجُمَقْـدارية (٤) والزَّردكَشـية (٥)

---

(١) يريد بالطائفتين : الأمراء وأجناد الحلقة .

(٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٣) السلاحدارية : نسـبة الى السلاحدار وقد ذكر فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ أن دار لفظة فارسية معناها ممسـك ، فاعل من الإمساك؛ وكثير من كتّاب الزمان أو أكثرهم بل كلهم يظنون أن لفظ دار فى ذلك عربىّ بمعنى المحل كدار السلطان أو الأمير؛ وهو خطأ الخ ماقال؛ فمعنى سلاحدار : ممسك السلاح؛ وكذا يقال فيما يأتى بعده .

(٤) الجمقدارية : نسبة الى الجمقدار وهو الذى يكون دائما حامل الدبوس، كما فى كتاب معيد النعم ومبيد النقم ص ٥٠ طبع أوربا .

(٥) الزردكشية : هم لابسو الدروع؛ وكش باللغة الفارسـية، معناه لابس انظر المعجم الفارسى الانجليزى تأليف ستاين جاس مادة «كشيدن» .

والبُنْدقـدارية[1] ومن السُّقاة[2] والجَمَـدارِيّة[3] والخَزَنداريّة[4] والحُـرّاس[5] والبَشْمَقدارِيّة[6] وغيرِهم؛ ويضيف كلَّ جماعة من كلِّ طائفة منهم إلى متعيّن من جملتهم، ويجمع عِدّة كلِّ طائفة ويقدِّم عليهم أمثلَهم؛ وأمّا المماليك الكُتّابيّة[7] أرباب الجامكيّات[8] فيَنسُب كلَّ جماعة منهم إلى طبقةٍ مُقدَّمُها من الطواشيّة، ويَنسُب المماليكَ البُرجيّـة[9]

---

(١) البندق : الذى يرمى به ، وهو معروف ؛ والبندقدارية : هم الذين يحملون هذا البندق خلف السلطان أو الأمير . انظر صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٨ فى تفسير البندقدار .

(٢) السقاة : جمع ساق ؛ قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٤ هو لقب على الذى يتولى مدّ السماط وتقطيع اللحم وسق المشروب بعد رفع السماط ونحو ذلك ، وكأنه وضع فى الأول لساق المشروب فقط ثم استحدثت له هذه الأمور تبعا الخ .

(٣) قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ عند الكلام على الجمدار : إنه الذى يتصدّى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه ؛ وأصله : « جامادار » بحذف الألف بعد الجيم و بعد الميم استثقالا وقيل : جمدار وهو فى الأصل مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاما ومعناه الثوب والثانى دار ومعناه ممسك .

(٤) فى الأصـل : « والحربداريه » وهو تحريف لتكرره مع ما سبق ولعل صوابه ما أثبتنا ؛ قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٢ فى الخزندار بكسر الخاء وفتح الزاى المعجمة : هو لقب على الذى يتحدّث على خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما الخ .

(٥) فى الأصل : « والحراث » بالثاء ؛ ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

(٦) قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ فى تفسير البشمقدار : إنه الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير ؛ وقال : إن البشمق باللغة التركية معناه النعل ؛ ثم نقل عن صاحب الأنوار الضوئية : أن الصواب فيه « بصمق » بالصاد بدل الشين ؛ ثم قال : والمعروف فى ألسنة الترك بالديار المصرية ما تقدّم والذى فى الأصل : « السمقداوية » بالسين ؛ ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

(٧) الكتابية : أى الذين يشتغلون بالكتابة .

(٨) الجامكيات : الرواتب والأجور ، واحده جامكية ؛ وأصله باللغة الفارسية : « جامكى » بفتح الميم وكسر الكاف . انظر المعجم الفارسى الإنجليزى تأليف ستاين جاس .

(٩) سميت هذه الطائفة بهذا الاسم نسبة إلى الأبراج التى كانوا يسكنونها فى القلعة ، ومنهم كانت دولة المماليك الثانية التى حكمت الديار المصرية .

الى مساكنهم ومقـدَّمِيهم ، والبحريّةَ(١) إلى مراكزهم ومقدَّمِيهم ، والأُوشاقيّــةَ ٱلذين إقامتُهم بالإسطبل إلى المقدَّم عليهم من الطواشيّة ، ويرجع سائرَ المماليك السلطانيّة إلى مقدَّمهم الكبير ، ولا يكون فى الغالب إلّا من الطواشيّة ٱلأمراء .

ويحتاج أيضـا الى أوراقٍ أخر تتضمّن أسمـاءَ أمراء الميمنة وأمراء الميسرة ، والجالس — وهو المقدَّم — أمامَ قلبِ ٱلجيش ، وهده الأوراق ٥ تكون جُمليّة يُستغنَى فيها بذكر مقدَّمِي الألوف دون مضافِيهم .

(٣٣)

ويتلو هذه الأوراقَ أوراقٌ أخرُ — تتضمّن أسماءَ الأمراء الذين جرت عادتهم بصحبة ركاب السلطان فى الصَّيد والركوبِ للمُتنزَّهات وفى الميادين للّعب بالكرة ، وفى غير ذلك ، هذا ما يحتاج إليه فى الأمراء والمماليك السلطانيّة ورجالِ ٱلحَلْقة .

١٠ وأما أجناد الأمراء فإنّ مباشرَ ٱلجيش يَسترفِع(٢) من دواوينهم أوراقا بعِــدّة أجناد كلِّ أمير منهم ، يُصْدِرُها كاتبُ عِدّة(٣) الأمير على عِدّة نُســخ بحسب المباشِرين للجيش ، ويقـول فى صدرها ما مثـاله : عَرضُ رَفَعَــه(٤) ٱلمملوكُ فلان الفلانىُّ على ما ٱستقرّ عليه ٱلحال إلى آخر كذا ، والعِدّةُ خاصّته ، وكذا كذا طواشيّا ، ويشرح أسماء

(١) قال فى صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦ : ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم : البحرية ، يبيتون ١٥ بالقلعة وحول دهاليز السلطان فى السفر للحرس ؛ وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب . اهـ كلامه وإنما سميت هـذه الطائفة بهـذا الاسم لأنهـم كانوا يسكنون بجزيرة فى النيل وهى جزيرة الروضـة ؛ ومن هؤلاء كانت دولة المماليك الأولى ، كما فى كتب التاريخ .

(٢) يسترفع : أى يطلب أن يرفع إليه ، كما سبق فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٩٣ من هذا السفر .

٢٠ (٣) فى الأصل : «هذه» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) فى الأصل : « رقعة » ؛ وهو تصحيف .

ٱلجنـد، وما أُقطِع بٱسم كلٍّ منهم من إقطاع ونقـد ومكيل، مبتدئا برأس المدرّج ومن يليه فى ٱلجند، ثم مماليك الأمير وألزامه، ويختمهم بالنقيب، ثم يعيّن فى آخر المدرّج ما بقى لخاصّ الأمير من النواحى وٱلجهات، وما عليـه منه لأصحابه من نقد ومكيل إن كان؛ ويلزمه عمل مَسير على نواحى الإقطاع يَشْطُب[1] كلَّ جهـة بأسماء من أقطعتْ لهم، وما بقى منها للخاصّ إن كان؛ فإن كان منشور الأمير قد عُيِّن فيه ما هو لخاصّـه وما هو لأصحـابه فليس له أن يقتطع من المعيّن لجنـده ما يضيفه لخاصّه، ولا يُمنَع أن يقطع من خاصّه زيادةً لأصحابه؛ وهذه القاعدة لاحقة بقواعد الفقه، فإنّ له التصرّف فى ماله دون مال غيره، وله أن يميّز بعضهم على بعض بحسب أحوالهم ومراتبهم؛ فإذا رُفعتْ إليه هـذه الأوراقُ عَرَضَ جندَ كلِّ أمير فى مجلس ولىّ الأمر بمشهد من الأمراء وغيرهم، فمن أجاز ولىُّ الأمر عَرْضَه حَلّاه[2] قُبالةَ ٱسمه، ويعيّن فى حُلاه سِنَّه ولونَه وقامتَه، ثم يذكُر حِلية وجهـه، ويصف ما يتميّز به عن غيره من أثرٍ فى وجهه أو غيرِ ذلك؛ ومَن ردَّه ولىُّ الأمر من العَرْض طولب الأمير بإقامة غيره، فإذا أقامه وعرَضَـه وأجاز ولىّ الأمر عَرضَـه حَلّاه عند ذلك، وعيّن تاريخَ عَرْضِه إن كان عَرَضَه بعـد يوم العَرْض الشامل؛ ويرقُم المباشر بقلمه على رأس أوراق العَرْض تاريخَ عَرْض ٱلجند؛ وتستحقّ هؤلاء ٱلجندُ الإقطاعاتِ والنقودَ والهلالىَّ من تاريخ عرضِهم وتدوينهم فى الديوان، والأميرُ من تاريخ منشـوره؛ فإن مات جندىٌّ منهم أو فارق الخدمة أقام الأميرُ عوضَه، وعَرَضَه على ولىّ الأمر، وأثبت ٱسمه بالديوان؛ وإن قطعه الأمير فلا يخلو قطعُه: إمّا أن يكون لسبب كالعجز ونحوه فله ذلك، وإما أن يكون بغير سبب فلا يخلو:

(١) يشطب: أى يقيد كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.
(٢) حلاه: أى وصفه، والحلية: الهيئة والصفة.

إما أن يكون قَطْعُه له فى قرب زمن إدراك المُغَلّ فلولىّ الأمر منعُه من ذلك، أو فى غير وقت المُغَلّ، فإن عَرَض من هو أَكْفى منــه وأقدرَ على ٱلجندية أُجِيزَ، وإن عَرَض من هو دونه مُنِـع أميرُه من ذلك، وأُلزِم بٱستمرار الكافى أو إقامة من يماثله فى الكفاية والقدرة؛ وإذا عرض الأمير أصحابه فى السنة الثانية جَدَّد كاتبُه أوراقا بالعرض نظير الأولى، وشطب كاتبُ الجيش(١) حُلَى(٢) ٱلجند من ٱلعَرْض الأوّل، ثم يقابلها بالصورة الجديدة فى وقت العَرْض الثانى(٣)، فإن وافقتْ وطابقتْ أجازه، وإن ٱختلفت ٱلحُلَى وتباينت ردَّه وطالع ولىَّ الأمر به ليقــع الإنكارُ على من تجاسر على فعــل ذلك لمــا فيه من التلبيس؛ فهذه هى القواعد التى ٱسـتقرّت فى زماننا والله أعلم .

ويحتاج الكاتب إلى تحرير شواهده وحفظها، فإن كان بين يدى السلطان ورَسَم له بإقطاع أمير أو جنــدىّ كتب مثالا بالإقطاع، وكَتب السلطانُ أو نائبُه بقلمــه أعلى المثال ما مثالُه : يُكتَب، وعَيَّن ناظرُ ٱلجيش بقلمه تحت خطّ السلطان أو نائبِه ما مثالُه : رُسِم أن يُكتَب بٱسم فلان لٱستقبال مُغَلّ سنةِ كذا، ولٱستقبال كذا من مُغَلّ سنةِ كذا، وخَلَّد الكاتب هذا الشاهدَ عنده، وكتب مثالا ثانيا مربَّعا بما مثالُه : رُسِم بالأمر الشريف العالى المولوىّ السلطانىّ المَلَكىّ الفلانىّ — ويدعو للسلطان — أن يُقطَع ويقرَّر بٱسم فلان الفلانىّ — ويَنعَته بمـا يستحقّ — ما رُسِم له به الآن من الإقطاع والنقدِ والمَكِيل إن كان فيه نقدٌ أو مَكِيلٌ فى السنة، خارجا



---

(١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٢) فى الأصل : «جدا» بالجيم والدال؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «الجندىّ»؛ وهو تحريف .

عن الجوالى[1] والمواريثِ الحَشْرِيّة[2] والرِّزَق[3] الإحباسيَّة ، إن كان الإقطاع بالديار المصرية ؛ وإن كان بالشام قال : خارجا عن المِلْك والوقف ، ثم يقول : خُبْز[4] فلان الفلانىّ ، إن كان عن أحد ؛ وإن كان من الخاصّ أو مستجدّا أو مستظهرا به عَيَّنه ، ويذكر خاصّته وعِدّته وأتباعَه ، أو بمفرده ، ثم يعيِّن جهاتِ إقطاعه ، ويُثبِت هذا المثال الثانىَ فى الديوان ، وتَشمَله علامةُ السلطان ونائبِه ، ثم يُخلَّد بديوان الإنشاء ، وهو شاهِدُ الموقِّع ، ويُكتَب منشورُه بمقتضى ذلك المثال ، وتَشمَله علامةُ السلطان وخطّ نائبه ووزيره بالامتثال ، ويُثبَت بديوان الجيش ثم بالدواوين ؛ وإن كان الكاتب فى جهة خارجة عن باب الملك من الممالك الشامية وأَمَره النائب بإقطاع أحد كتب مثالا بالإقطاع ، وكتب النائبُ أعلاه : يُكتَب ، ثم يَكتُب عليه الناظر نحوَ ما تقدّم ، وهو شاهدُ الكاتب ، ثم يكتب المثال الثانى فى ورقة مربَّعة بما مثالُه : رُسِم بالأمر الشريف العالى المولوىّ السلطانىّ المَلَكىّ الفلانىّ أن يُقطَع ويُقرَّر بٱسم فلان ما رُسِم له به الآن من الإقطاع ، ويُعيِّن خُبْز[4] من كان وسببَ حَلِّه عنه ، إما بوفاة ، أو بمفارقة ، أو بٱنتقال إلى غيره ، أو غيرِ ذلك من الأسباب الموجبة لإخراج الإقطاع عنه ،

---

(١) الجوالى : جمع جالية ، وهى الجزية التى تؤخذ من أهل الذمة ؛ وسيأتى الكلام عنها فى ذكر الجزية .

(٢) المواريث الحشرية : هى مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة أو غيرها ؛ أو الباقى بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصب له انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٤ .

(٣) فى الأصل : «الورق» وهو تحريف ؛ والرزق بكسر ففتح وزان عنب : جمع رزقة بكسر الراء ، وهى الجراية : يقال : كم رزقتك فى الشهر : أى جرايتك . (مستدرك التاج) والإحباسية بكسر الهمزة : نسبة الى الإحباس ، وهو مصدر أحبست المال : اذا وقفته .

(٤) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٣ ، ١٥٦ ؛ والذى فى الأصل : «حبر» ؛ وهو تصحيف .

ويَكتُب نائب السلطنة عليه بالتَّرجمة، ويترجِم عليــه الناظر بقلمه تحت خطّ النائب بما مثالُه : المملوك فلان يقبِّل الأرض ويُنهِى أن هذا مثالٌ كريمٌ بآسم فلان آلمرسومِ إثباته فى جملة الأمراء والمماليكِ السلطانيّة، أو البحريّة، أو رجالِ الحَلْقة آلمنصورة، أو رجالِ التُّركمانِ، أو العربان، أو الجبليّة بالمملكة الفلانيّة، أو بالجهة الفلانيّة بمـا رُسِم[1] له به الآن من الإقطاع عن فلان، والعِدّة خاصّته[2]، وكذا كذا طواشيًّا، أو بحسب ما يكون لآستقبال ما عُيِّن فيه على ما شُرِح باطِنَه، والأمرُ فى ذلك معذوق[3] بإمضائه أو بما يؤمَر به من الأبواب . ثم يُثبَت بديوان آلجيش، ويُجهَّز إلى باب السلطان، فإذا وصل إلى الباب كَتب عليه الناظر ومن معه من الرِّفاق بالمقابَلة، وقوبل به، ثم تَشمَله علامةُ السلطان أو نائبِــه بالكتابة، ويخلِّده كاتب الجيش بالباب عنــده، ويكتب مثالا من جهته على ما تقدم، فإذا خرج المنشور الشريف ووصل الى تلك المملكة شَمل خطَّ نائبها بالآمتثال، وكتب عليــه ناظر آلجيش ورُفقتُه بالثبوت تحت خط ناظر آلجيش بالبــاب ورِفاقِه، ثم يُثبَت بالدواوين، ويفرج لربِّ الإقطاع على حُكمه، ويُثبَت إفراجُه، ويُسلَّم اليه إِقطاعُه؛ فهذه شواهد المناشير والأمثلة .

وأما غيرها من شواهد الكشوف فعلى حسب الوقائع ؛ والله ســبحانه وتعـالى أعلم بالصواب .

ويحتاج إلى ضبط أسماء من تَوجَّه بدُستور[4] إلى جهة من آلجهات،

ويراعِى آنقضاءَ مدّة الدُّستور، ثم يكشِف عنه، ويطالِب مقدَّمَه به،

(١) فى الأصــل : « ما رسم » بدون الباء ؛ والسياق يقتضى إثباتها كما فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٥، أى هذا مثال بما رسم الخ .

(٢) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٩ ؛ والذى فى الأصل : «خاصة» بدون هاء .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر .

(٤) المراد بالدستور : الإذن . واطلاقه على هذا المعنى إطلاق عامىّ، انظر شرح القاموس .

وكذلك من تَوجَّه إلى ٱلحجاز وغيره، وكذلك من تخلَّف عن العَوْد مع ٱلجيش المجرَّد في ٱلمهمّات، فيراعِي ذلك حَسَب الطاقة والإمكان، وإن تعذّرت عليه معرفة من تأخَّر بعينه يَستعلِم[1] أخبارهم مجملَة من مقدَّميهم ونقبائهم .

ويحتاج إلى أنه مهما ٱنحلّ من الإقطاعات، أو تَعيَّن من تَفاوُت المُدَد عمّن دَرج[2] وفارق[3] وٱنتقل[4]، أو ما تَعيَّن فى خلال المُدَد بين منفصل ومتّصل يحرِّر ذلك، ويَكتُب به حَوطةً[5] جيشيّة يضمّنها ٱسمَ ربّ ٱلإقطاع ٱلمتّصل ونواحىَ إقطاعه ونقدَه ومَكيلَه إن كان، ويعيِّن ٱستقبالَ ٱلحَوْطة، ويميِّز ما ٱستحقّه الديوان من المُغَلّ، وتُصدَر الى ديوان التصرّف بعد شمولها بالعلامة وثبوتها، ويطالِب المستوفىَ[6] بكتابة رُجْعة بوصول ذلك إليه لِيَبرأ من عُهدته، ويُلزَم المثبِتون التعريفَ بذلك وإضافةَ ما يَتحصّل منه، فإن أخّر كاتب ٱلجيش إصدارَ ٱلحَوطات الى ديوان التصرّف حتى يفوت الزمن الذى يمكن فيه تحصيلُ ما فيها، كان تحت دَرَكه[7] وتَبِعته؛ والله أعلم .

(١) فى الأصل: «يستعمل»؛ وفى حروفه قلب لا يستقيم به المعنى .

(٢) درج: أى مات .

(٣) يريد بالمفارقة مفارقة الخدمة .

(٤) المراد بالانتقال: الانتقال من إقطاع الى إقطاع آخر .

(٥) الظاهر أنه يريد بالحوطة ما يسميه كتّاب الدواوين فى زماننا بالحافظة، أخذا من السياق، وفى كتب اللغة أن الحوطة ٱسم من الاحتياط، وهو الأخذ بالحزم والثقة؛ والحوط: الحفظ .

(٦) المستوفى: هو الذى يضبط الديوان، وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك؛ وفى بعض المباشرات قد ينقسم المستوفى الى مستوفى أصل، ومستوفى مباشرة؛ ولكل منهما أعمال تخصه صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ .

(٧) الدرك بالتحريك والتبعة كلاهما بمعنى واحد، ومنه ضمان الدرك فى البيع، وتسكن راؤه أيضا .

ويحتاج مباشر الجيش إلى مراجعة جرائده : الجيشيّة والإقطاعيّة وأوراق العِدّة فى كلّ وقت من غير احتياج إلى كشف ، لتكون على خاطره أسماءُ الجنـد ونواحى إِقطاعهم ، فإنه بصدد أن يُسأَل عن شىء من ذلك بين يدَىْ مَلِك أو نائب ، فإن أَخّرَ الجواب بالجملة[1] إلى أن يَكشف عنه ربّمـا يُنسَب إلى عجز فيتعيّن أن يكون على خاطره من جليّات الأحوال ما يجيب به فى المجلس على الفور ، ولا يتأتّى له ذلك إلا بمراجعة حسابه ومداومة النظر فيه ، والناظرُ إلى ذلك أحوجُ من غيره من المبـاشرين ، لأنه المسؤول والمخاطَب فى غالب الأوقات ؛ والله أعلم بالصـــواب .

ويحتاج أيضا إلى معرفة الحِلَى[2] واختلافها على ما نذكره فى فصل الوراقة[3] ، ولا بدّ له من معرفة الأوضاع التى اصطلح عليهـا كُتّاب الجيوش فى كتابة الحِلَى من الاختصار ؛ فهذه أمورٌ كلّيّةٌ لا بدّ لمباشر الجيش من معرفتها و إتقانها .

ويتجنّب[4] مباشر الجيش أن يرقُم بقلمـه عِدّةَ جيش تصريحا ، لمـا يتعيّن من إخفاءِ عِدّته وذِكرِ تكثيره ، فإنه إن وَضـع ذلك بقلمه لا يأمن من الاطّلاع عليه

---

(١) لعله : « بالحاله » كما يرشد إليه قوله بعد : « من جليات الأحوال ما يجيب به » .

(٢) الحلى : جمع حلية ، وهى الصفة والهيئة وانظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٧ من هذا السفر .

(٣) فى كتب اللغة أن الوراقة هى حرفة من يورّق و يكتب ؛ والمراد بها هنا القواعد التى اصطلح عليها الكتّاب فيما يكتبونه من الأوراق ، كما يستـفاد مما يأتى فى كتابة الحكم والشروط ، فإنه ذكر فيما يحتاج اليـه كاتبها أن يكون قد أتقن صـناعة الوراقة وعلم قواعدها وكيفية ما يكتب فى كل واقعة وحادثة الخ . وقال أيضا بعـد ذلك ما نصه : وأما معرفة صنـاعة الوراقة فى الأمور التى ذكرناها فلذلك من الفوائد ما لا يخفى على ذى لب لأن الكاتب اذا أخرج المكتوب من يده بعد إتقانه وتحرير ألفاظه على ما استقر عليه الاصطلاح من التقديم والتأخير ومتابعة الكلام وسياقته وترصيعه وترصيفه حسن موقعه وعذبت ألفاظه الخ .

(٤) فى الأصل : « و يحبب » ؛ وهو تصحيف .

فيَشِيع ويَذِيع [1]، وقد يتّصل بالعدوّ والمعاند والمُنَاوِئ [2] فيترتّب عليه من الفساد مايترتّب وهذا بابٌ يجب على كاتب الجيش الاحتفال به [3]، والاحترازُ من الوقوع فيه، وكتمانُه عن سائر الناس ؛ وإن دعته الضرورة الى تسطير ذلك خشيةَ [4] أن يسأله ولىّ الأمر عن شىء منه، فليكن وضعه لذلك رمزا خفيّا يصطلح عليه مع نفسه لايعرفه إلا هو، أو من له دُرْبَةٌ بمباشَرة الجيش . ٥

ويتجنّب أن يكشف عِبرة [5] إقطاع أو متحصَّله، أو يذكرَ ذلك لأحد إلا بمرسوم ولىّ الأمر، ثم يذكره باللفظ دون الخط، ووجوهُ الاحتراز كثيرة، وهى بحَسَب الوقائع، فيتعيّن على مباشر الجيش ملاحظةُ ذلك والاحترازُ من الوقوع فيما يُنتَقد عليه، أو يصلُ سببُ ضررٍ منه إليه ؛

١٠ هذا ما أمكن إيراده مما يحتاج مباشر الجيش إلى اعتماده، والله أعلم .

(٣٦) وأما مباشرة الخزانة — فالعُمدة فيها على العدالة والأمانة، لأن خزائن الملوك فى هذا العصر لَسعتها، وكثرةِ حواصلها، وعظمِ ذخائرها لا تنضبط بسياقة، فإنه لوطولب كاتبُ الخزانة بعمل سِياقة لحواصلها عن سنةٍ احتاج إلى أن ينتصب لكتابتها سنةً كاملةً لا يشتغل فيها بغيرها ، فإذا تحرّرت سِياقة السنة فى آخر السنة الثانية ١٥ وكشفها مباشر الأصل وحرّرها فى مدّة أخرى من السنة الثالثة فاتت المصلحة المستقبَلة، وتعطّل على المباشر ما بعد تلك السنة، لاشتغاله بنظر [6] تلك السِّياقة، فإذا تقرّر عجزُ

(١) فى الأصل : «نيسيع» ؛ وهو تصحيف لا معنى له .

(٢) فى الأصل : «بالعدد والمعاند» ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

(٣) الاحتفال به : أى الاهتمام بأمره .

٢٠ (٤) فى الأصل : «حسبة» ؛ وهو تصحيف .

(٥) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «بعطر» بالميم ؛ وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

الكاتب عن عمل السِّياقة بهذه المقدِّمة فقد تعيَّن أنّ[1] العمدة فى مباشرتها على الأمانة والعدالة؛ ومع ذلك فيحتاج كاتبها إلى أمور :

منها ضبطُ ما يصل[2] إليه من حمول الأموال والأصناف، ويقابِل ما يصل منها على رسائِله، ويحرّره بالوزن والذَّرع والعَدَد والأحمال على ٱختلاف أجناسه وأنواعه وأوصافه، ويميِّزُ ما يصل إليه من الأقاليم والثغور والأعمال والممالك، وما يصل من ٱلهدايا والتَّقادِم[3] على ٱختلافها، فيضيف كلَّ نوع إلى نوعه، وصنفٍ إلى صنفه؛ وكذلك يحرِّر ما يبتاعه من الأصناف التى تدعو الضرورة إليها وجرت العادة بٱبتياعها .

ومنها معرفة عوائد[4] أرباب الصِّلات والإنعام، ومصاريِف[5] أرباب المناصب عند ولاياتهم؛ وما جرت عليه عوائدهم[6] من الإنعام فى خلال مباشراتهم بالأسباب الموجِبة لذلك وغيرِ الأسباب، وعوائد أرباب التَّقادِم والصنّاع وغيرِهم .

ومنها ضبطُ ما يصل إلى ٱلخِزانة من تَقادِمِ ٱلملوك والنوّاب، ويقابل ما يصل منها فى الوقت الحاضر على ما تَقدَّم، ويحرِّر زيادتَه من نقصِه، ويكون ذلك على خاطره،

(١) فى الأصل : «لأن» ؛ واللام زيادة من الناسخ .

(٢) فى الأصل : «فصل» ؛ وهو تحريف .

(٣) التقادم : جمع تقدمة بكسر الدال، وهى الهدية؛ فعطفه على الهدايا من قبيل عطف المرادف .

(٤) المراد بالعوائد هنا : الصلات، واحده عائدة .

(٥) فى الأصل : «وتصاريف» بالتاء؛ وهو تحريف .

(٦) المراد بالعوائد جمع عادة، كما فى المصباح المنير ، ولم نجد هذا الجمع فى غيره من كتب اللغة ؛ وقد سبق أن نبهنا على ذلك فى الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣٩ من هذا السفر .

فإن سأله ولىّ الأمر عنه أجابه، وإلّا فلا يبدؤه؛ ويضبط عادات مُهاداة الملوك وما جُهِّز إلى كلٍّ منهم فى السنين الخالية، وما كان قد وصل من هداياهم، وما جرت عليه عادات رسلهم وقُصّادِهم[1] من التشاريف والإنعام.

ومنها ضبطُ ما جرت به العادة من كُسا أرباب العوائد[2] المقرَّرة فى كلِّ سنة على اختلاف طبقاتهم من أرباب الرتب والمناصب والمماليك السلطانيّة وغيرِهم، وتواريخِ صرف الكسوة اليهم.

ومنها تجهيزُ ما جرت العادة بأن يُجهَّز فى خزائن الصحبة عند استقلال ركاب السلطان من مَقرّ مُلكه، إما إلى الصيد والنزهة، وإما لكشف ممالكه[3] عند انتقاله من مملكة إلى أخرى، أو فى حروبه عند ملاقاة الأعداء، فيجهِّزُ ما جرت به العادة فى ذلك، ولا يزيد عليه إلا بمرسوم ولىّ الأمر، ولا يَستكثر من استصحاب صنف من الأصناف عند توجّهه إلى مَعدِن ذلك الصنف ومَظِنّته، ولا إلى الخزانة منه بحملِه[4]، بل يستصحب منه مايكون معه ذخيرة واحتياطا، إذ لو طلب المَلِكُ ذلك الصنفَ فى مَسِيره قَبْل وصوله إلى معدن ذلك الصنف كان معه منه ما يَسُدّ به الضرورة، ولا يَعتذِر بأنه ما استصحبه معه بحُكم تَوجُّهه إلى مَعدِنه، وأنه فعل ذلك للمصلحة الظاهرة، فإن الملوك لا تحتمل مثل ذلك، ولا تصبر على أن يُفقَد

(١) فى الأصل: «ونصادهم»؛ وهو تحريف.

(٢) العوائد: الصلات.

(٣) فى الأصل: «مماليكه» والياء زيادة من الناسخ.

(٤) فى الأصل: «باجمله»؛ وهو تحريف لا يظهر به المراد من هذه العبارة، والمعنى على ما أثبتنا: أنه لا يستكثر من حمل ذلك الصنف إلى الخزانة، بل يحمل منه اليها ما تدعو الحاجة إلى حمله.

من ذخائرها ما تطلبه ؛ ويَستكثِر من آستصحاب الصنف المعـدوم فى ذلك الوجه الذى يتوجّه إليه؛ ويحمل منه ما يعلم أنه يكفيه فى مَسِيره وعَودِه؛ والله أعلم .

ومنها[1] ضبطُ ما ينسـلّمه الصُّنّاع من مُزركش وخيّـاط وفَرّاء ونجّـاد[2] وسَرّاج ونَخْرَدْفُوشِى[3] وغيرهم بالوزن والذَّرع والعَدد، ويُحرِزه عند آستعادته من صانعه .

ومنها تحريرُ ما يصل إليه من الأقمشة من دار الأعمال وما جرت به العادة أن يُحَمل منها فى كلّ مُدّة ليطالِبَ به إن تأخّر عن وقته؛ وإن قلّ صنف من الأصناف عنده يبـادِر بمطالَعة وزير المملكة أو مدبِّرها بذلك ليَخلُصَ من عُهدته، وعلى وزير المملكة ومدبِّرها طلبُ ذلك الصنف من مظانّه وحَملُه إلى الخزانة .

وأما ملبوس الملكِ المختصّ بنفسه وعادتُه فى التفصيل والحبس[4] والطُّولِ والسَّعة فهو أمر متعلّق برأس نوبة الجَمدارية[5]، وهو المقدَّمُ عليهم، فعليه أن يَحضُر إلى الخزانة ويختار من الأقمشة ما يعلم أنه ملائم لخاطر السلطان وموافقٌ لغرضه، فيفصِّل منه ما يراه على ما يراه من أنواع التفصيل، وعلى معـلِّم الخيّاطين الدَّرَكُ فى طوله وسَعتِه وهِندامِه، ولا يَستغنِى المباشرُ عن معرفة ذلك، ولا يستغنى أيضا عن معرفة

(١) فى الأصل : «ومنها» ؛ وهو تحريف .

(٢) النجاد بتشديد الجيم : من يعالج الفرش والوسائد ويخيطها .

(٣) كذا ضبط هـذا اللفظ بالقلم فى كتاب المعرب والدخيل للمدنى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة وورد فى هذا الكتاب فى تفسير هذه الكلمة أنها كلمة يقولهـا أهل الحرمين لصانعى السروج ونحوهـا، وليس له أصل فى اللغة العربيـة اهـ والذى فى الأصل «خردقوسى» بالقاف والسين، ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

(٤) كذا فى الأصل؛ ولعله يريد بالحبس هنا : ضيق الثياب .

(٥) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

قِيَم الأشياء على آختلافها وعادةِ التفصيل والتَّرفئة[1] وآلجَنْدرة[2] وآلحَشْو ليشارِك ربَّ كل صنعة فى صناعته بنظره ولسانه، ولا يكون فى ذلك مقلِّدا جملة، بل يشاركهم فيما هم فيه، وعليهم الدَّرَكُ دونه فيما لعلّه يعرض فى ذلك من خالٍ إن وقع، لأن هذه الصناعاتِ زائدةٌ على وظيفته ولازمةٌ لأولئك. فأيُّما رجل آجتمعت فيه هذه الأوصافُ تعيَّن على ولىّ الأمر ندبُه لمباشرة آلخِزانة، وقرَّر له كفايتَه، وألزمه إن آمتنع.

وأما مباشر بيت المال — فعُمدتُه على ضبط ما يدخُل إليه وما يخرُج منه، ويحتاج فى ضبط ما يصل إليه من الأموال إلى أن يُقيم لكلّ عمل من الأعمال وجهةٍ من الجهات أوراقا مترجَمةً بآسم العمل أو آلجهة، ووجوهِ أموالها، فإذا وصل إليه المال وضع الرسالةَ الواصلةَ قريبةً من ذلك العمل[3]، ثم شطّبها[4] بما يصحّ عنده من آلواصل إليه، وذلك بعد وضعه فى تعليق المياوَمة. فإن صحّ الواصلُ صحبةَ الرسالة كَتَب لمباشر ذلك العمل رُجْعةً بصحّته، وإن نقص ضمَّن رُجْعتَه: من جملة كذا، وآستثنى بالعجز والردّ، وبرز بما صحّ، وأعاد الردّ على مباشر ذلك العمل وأثبَت فى بيت المال ما صحّ فيه، فإن كان العجز عن آختلاف الصِّنَج[5] عيَّنه فى رُجْعته

(١) فى الأصل: التقربة؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما راجعناه من المظان. والترفئة: مصدر رفّأ الثياب بتشديد الفاء: اذا لأم خروقها، والتشديد فى هذا الفعل للتكثير والمبالغة، وهو وإن لم يوجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة فقد ورد فى شعر أبى العلاء المعرّى، قال:

ألق عليها جليسى فى الدجى حمما * فقام عنها بأثواب يرفئها

انظر هذا البيت فى لزوم ما لا يلزم ص ٥١ طبع مطبعة المحروسة بمصر.

(٢) فى الأصل: «العتدرة»؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما بين أيدينا من المظان؛ والجندرة: من جندرت الثوب، اذا أعدت وشيه بعد ذهابه قال الجوهرى: وأظنه معرب.

(٣) من ذلك العمل: أى من أو راق ذلك العمل.

(٤) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.

(٥) الصنج: جمع صنجة بفتح فسكون، وهى ما يوزن به؛ وهذا الجمع ذكره صاحب المصباح مادة «سنج» والسين فيها أفصح من الصاد؛ وهو معرّب.

ولا شيء على مباشر العمل، وإن كان مع آتفاقها فلا يعتدّ لمبـاشر العمل أو آلجهة إلا بما صحّ فى بيت المـال .

ويحتاج كاتب بيت المـال إذا عمل جامعةً اسنةٍ إلى أن يضمّ كلَّ مال وصل إليه إلى ما هو مِثلُه ، من الخراج والجَوالِي والأخماس وغيرِ ذلك بحَسَب ما يصل إليـه ، ويفصِّل جملةَ كلِّ مالٍ بنواحيه التى وصل منها ، ويَستشهِد فيـه برسائل آلحمول ، ويضيف إلى جملة ما آنعقد عليـه صدرُ آلجامعة من الأموال ما آنسـاق عنده من الحاصل إلى آخر السنة التى قبلها، ويُفذلِك[1] [بعد ذلك][2]، ويعرف ما لعلّه صرَفَه من نقدٍ بنقدٍ فى تواريخه، ويستقرّ بالجملة بعد ذلك؛ ثم يشرع فى الخصم، فيبدأ منه بما حمله إلى المقام على يد من حمل على يده وتَسلّمه، من الخزنْداريّة والجمَداريّة[3] وغيرِهم إن كان، ثم يذكر ما نقله إلى الخِزانة ويستشهد فيه برُجْعاته، وما نقله إلى آلحوائج خاناه والبيوتِ والعمائر وغيرِها بمقتضَى آستدعاءاتِ[4] هـذه الجهات ووُصولاتِ مباشريها ، وفى أرباب الجامكيّات[5] والرواتبِ والصِّلاتِ بمقتضَى الآستئمارات[6] والتواقيع السلطانيّة؛ فإذا تكامل الحَمْلُ والمصروفُ عقد عليهما جملةً وساق ما بقيَ إلى آلحاصل، والله أعلم .

وطريقُ مباشر بيت المـال فى ضبط المصروف أن يبسط جَريدةً على ما يصـل إليه من الآستدعاءات[4] والوُصولات من آلجهات ، وأسمـاءِ أرباب الآستحقاقات

(١) يقال : فذلك الحاسب حسابه ، إذا أنهاه وفرغ منه ؛ وهذا اللفظ منحوت من قول الحاسب : فذلك كذا وكذا إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته .

(٢) موضع ها تين الكلمتين فى الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) انظر تفسير الخزندارية والجمدارية فى الحاشيتين رقم ٣ و ٤ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

(٤) فى الأصل : «استيدعات» وهو تحريف .

(٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «الآستئمار» ؛ بالثاء ، وفيه تصحيف ونقص ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

والجامكيّات والرواتب والصِّلات، وما هو مقرّر لكلٍّ منهم فى كلّ شهر بمقتضى تواقيعهم أو ما شَهِدتْ به الآستئمارات القديمةُ المخلَّدة فى بيت المال، ويشطب[1] قُبالةَ كل آسم ما صرفه له على مقتضى عادته إما نقدا من بيت المال، أو حَوالة تُفرِّع[2] على جهة تكون مقرّرة له فى توقيعه، ويوصل إلى تلك الجهة ما فرّعه عليها، وكذلك إذا أحال ربُّ آستحقاق غيرِ ثمن مَبيع[3] أو غيرِه على جهةٍ عادتُها تُحمَل إلى بيت المال سَوَّغ[4] ذلك المالَ فى بيت المال، وأوصله إلى تلك الجهة، والتسويغ[5] فى بيت المال هو نظير المجرى؛ وإذا وصل إليه آستدعاء[6] من جهة من الجهات أو وُصولٌ وَضَعه فى جريدته، وخصمه بما يُقبضه لربّه، ويُشهِد عليه بما يقبضه، ويُورد جميعَ ذلك فى تعليق المياوَمة .

وأما مباشر أهراء[7] الغلال — فمبنىٌّ أمرُه أيضا على ضبط ما يصل إليه، وما يُصرَف من حاصله؛ ويحتاج فى مبدإ مباشرته إلى تحرير ما آنساق من حواصل الغلال بأصنافها، وإن أمكنه تمييزُ ذلك بيّنه، ويكون أتقَنَ لعمله؛ ثم يبسط جريدة يرصِّع[8] فيها أسماء نواحى آلخاصّ السلطانىّ التى تصل الغلال منها إلى الأَهراء

(١) يشطب : أى يقيد كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .
(٢) فى الأصل : «بمرع» ؛ وهو تحريف . (٣) فى الأصل : «متبع» بالتاء ؛ وهو تصحيف .
(٤) فى الأصل : « صوع » بالصاد ؛ وهو تحريف اذ لم نقف على معنى له يناسب السياق . ولعل صوابه ما أثبتنا كما يستفاد من صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١ فإنه قال فى نظر بيت المال ما نصه : وموضوعها حمل حمول المملكة الى بيت المال والتصرف فيه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسويغ محضرا وصرفا الخ . والتسويغ : التجويز ، يقال : سوّغه له ، أى جوّزه . والمراد به هنا : الإذن فى تناول الاستحقاق من جهة معينة تيسيرا وتسهيلا على الآخذ (التاج) .
(٥) فى الأصل : «والتصويغ» بالصاد ؛ وهو تحريف انظر الحاشية السابقة .
(٦) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل . (٧) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٩٥ من هذا السفر . (٨) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

فإذا جاءته رسالة من جهة من تلك الجهات (١) وضعها تحت آسم الجهة وعبّر (٢) ما وصل قرينها، فإن صحّ صحّتها كتب لتلك الجهة رُجْعةً بالصحّة، وإن نقص فلا يخلو: إما أن يكون المَركَب أو الظهر الذى حمـل ذلك الصنف قد سُفِّر من ديوان الأصل، أو سَفَّره مبـاشر العمل من جهته، فإن كان قد سُفِّر من ديوان التسفيرات طالب مباشرُ الأهراء مقدَّمَ رجال المَركَب والأمينَ المسفَّرَ عليه بالعجز، وألزمهما بحَمله، فإن كان قد سُفِّر من الأعمال كان دَرَكُ ذلك على مَن سفّره، ومبـاشرُ الأهراء بالخيار بين أن يطالِب محضَرَ الغلّة بالعجز، أو يرجعَ على مباشِر العمل به، ويكون مباشرُ العمل هو المطالِبَ لمَن سفَّرَه، والأولى طلبُ محضِر الغـلّة، فإنه إذا أطلقه ورجع إلى المبـاشر الذى سفّره فقد يعود إلى العمل وقد لا يعود، فإن لم يَعُد كان مباشرُ الأهراء قد أَضَرّ بمباشر العمل، لأنه ألزمه الغُرْم (٣) مع قدرته وتمكّنه من آسترجاعه ممن عدا عليه، ويكون هو أيضا ممن شارك فى التفريط، وإن وصلتْ إليه الغلّة متغيّرةً تغيّرا ظهر له منها أنها خُلِطت بغيرها، إما بوصول عينِ تلك الغلّة إليـه، أو بقرينة الحال التى يعلم منها أن تلك الغلة لا يوجد مثلُها من فلّاح، ولا يُعتدّ بها من خراج السلطنـة لظهور غَلَثها (٤)، أو وصلت إليه الغلّة مبـلولةً بللا ظاهرا لتزيد عنـد الكيل وتُمَيِّز (٥) نظيرَ ما أُخِذ منها، فله أن يعمل لذلك معدّلا، وهو أن يَكِيل منها جزءا معلوما ويغربله حتى يصير مثلَ العين التى عنده، أو بتجفيف ذلك حتى يعود إلى حالتـه

(١) فى الأصل: «هذه» وهو تحريف.

(٢) يقال عبرت الشئ: اذا نظرت كم هو كيلا أو وزنا.

(٣) فى الأصل: «الغريم»؛ والياء زيادة من الناسخ.

(٤) الغلث بفتحتين: اسم لما تخلط به الحنطة، يقال: غلثت الحنطة بالشعير: أى خلطتها به (المصباح).

(٥) تميز: اى ترتفع، وهو من الميز بمعنى الرفعة، كما فى مستدرك التاج.

(٣٩)

الأولى، ويحرِّر العجزَ على هذا الحكم، ويطالِب به مُحضِرَ الغلّة؛ وينبغى له أن يبدأ بصرف ما وصل إليه من الغلال المبلولة ولا يخلطها بغيرها، فإنها بعد بللها لا تحمل طولَ البقاء؛ هذا ما يعتمده فى القبض .

وأما فى المصروف، فإن كان لِصاحب جرايةٍ أو صِلةٍ أو إنعامٍ أو تَقاوٍ(١) لفلّاح صرف ذلك من عرض حاصلِه ، ويراعِى فى صرف التَّقاوى أن(٢) تكون من أُطيب الغلال وأَفضَلِها، لأنه يجنى ثمرة ذلك عند آستيفاء آلخراج؛ وإن كان ما يصرفه مما ينقله إلى الطواحين برسم المَخابز، أو للإسطبلات والمُناخات برسم العليق غربَلَه ، وحرَّر نقْصَه ، وأورده فى جامعته من الفَذلَكة(٣) وآستقرارِ الجملة؛ ومباشرةُ الأَهراء مناسبةٌ فى أوضاعها لمباشَرة بيت المال .

ذكر مباشرة البيوت السلطانية

وهى الحوائج خاناه ، والشراب خاناه ، والطشت خاناه ، [والفِراش خاناه](٤) ، والسلاح خاناه؛ وأمر(٥) البيوت معذوقٌ(٦) بأستاذ الدار .

فيحتاج مباشر الحوائج خاناه إلى أمور: منها ما يُحتاج إليه من راتب السِّماط العام والطارئ — وهو الطعامُ الثانى الذى يُمَدّ بعد قيام السلطان من المجلس العام، ويأكله

(١) التقاوى من الحبوب : ما يعزل لأجل البذر؛ وهى عامية (مستدرك التاج) .

(٢) فى الأصل : « وأن » ؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٣) الفذلكة : حاصل الحساب، وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢١٨ من هذا السفر .

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها لأن الفراش خاناه من البيوت التى سيذكرها فيما يأتى .

(٥) فى الأصل : «وأمراء» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٦) معذوق : أى منوط ومرتبط كما يناط العذق بكسر العين — وهو القنو — بالنخلة ؛ وقد ورد هذا اللفظ فى مواضع من هذا الكتاب وفى مؤلفات أخرى مرادا به هذا المعنى .

خواصّ المَلك ومن يَحضُره بين يدى السلطان ، وهو أخصّ من السِّماط الأول — وطارئ الطارئ وهو الطعام الثالثُ الذى يُمَدّ بعد رفع الطارئ. ومنه يأكل المَلك وخواصّه، وقـد يأكل السلطان من الطارئ الذى قبـله؛ فيحترز ما يُحتاج إليه من لحوم وتوابلَ وخَضْراواتٍ وأبازيرَ[1] وتَحالٍ وقلوبٍ[2] وطِيبٍ وبَخور وأحطاب وغير ذلك؛ ولذلك عندهم معدَّلٌ قد عرفوه فلا يتجاوزه، فإنه إن صرف زيادةً عنه[3] بغير سبب ظاهر خرج عنه وكان تحت دَرَكه .

ومنها معرفـة مقاديرِ الأسمطة فى أوقات المهمّات والأعياد ليجرىَ الأمر فيها على العـادة، ولا يتجاوزها إلا بمرسوم .

ومنها تَعاهُد أسمـاء الحوائج خاناه ، فيَستدعِى ما يراه قد قلّ عنده منهـا قَبْلَ نفاده بوقت يمكن فيه تحصيلُه ، فإن أَخَّر طلبَ ذلك إلى أن يَنفَد، أو طلبه فى وقت ولم يَبقَ عنده منه ما يكفيه إلى أن يأتيَه ذلك الصنف من بلد آخر كان المباشر تحت دَرَك إهماله[4] ، ومتى طَلَبَ ذلك فى وقته وطالع ولىَّ الأمر به فقد خَلَص من عُهْدته .

ويحتاج إلى بسط أسمـاء مَن يُعامِل[5] بالحوائج خاناه من قصّاب وحَيَـوانىٍّ وطيورىٍّ وغيرهم ، ويَحصُر[6] لكلٍّ منهم ما أحضره فى كلّ يوم، فإذا آجتمع له من ذلك

---

(١) الأبازير : جمع أبزار، وهو جمع بزر بالفتح والكسر، فأبازير جمع الجمع .

(٢) يريد بالقلوب هنا : لب اللوز والبندق والفستق وغيرها مما يؤكل قلبه ، كما يستفاد من خطط المقريزى ج ١ ص ٤٢٦ طبع بولاق فى الكلام على دار الفطرة .

(٣) «عنه» : أى عن المعدّل.

(٤) فى الأصل : «اشتماله» ؛ وهو تحريف .

(٥) من يعامل : أى من يعاملهم ، وهم الذين يشترى منهم الأصناف المطلوبة للحوائج خاناه؛ والذى فى الأصل : «من العامل» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٦) فى الأصل : «ويحضر» بالضاد؛ وهو تحريف .

ما يقتضى محاسبته جَرَّد له محاسبةً ضَمَّ فيها كلَّ صنف إلى صنفه وثَمَّنه، إما بتعريف ٱلحِسْبة، أو بعادة ٱستقرّت له، وأحاله بمبلغ ما وجب له على بيت المال، أو ٱستدعى من بيت المال ما يُنفِق منه[1] وأَشهَد عليه بقبض ذلك .

ويحتاج أيضا إلى بسط أسماء أرباب الرواتب السلطانيّة وأرباب الصِّلات، وما لكلٍّ منهم فى كلّ يوم، وخصْمه بقبوضهم مياومة أو مشاهرة، صنفا أو حَوالة؛ ويراعى حالَ مَن مَرِض من المماليك السلطانيّة ونُقِل من ٱللحم إلى المَزَاوِير[2] أو المَسَاليق[3] فيَقطع مُرتَّبَه من اللحم فى مدّة مرضه، ونظيرَ ذلك من التوابل فى مدّة مرضه .

ويحتاج إلى معرفة عادات الرُّسُل الواردِين، والأضياف[4] المتردِّدين، ومرتَّب الصدقة فى شهر رمضان، وعاداتِ الأضاحِى والصِّلات فى عيد النحر، فيجرِى ٱلأمرَ على حكم العادة؛ ويَضْبِط جميعَ ما يَصِل إليه من ديوان المتجر ومطابخ السكّر وغيرِها، ويكتب لهم بما يحملونه إليه من الأصناف؛ ويَضْبِط أيضا ما ٱستَقرّ فى كلّ ليلة من الوَقود من شَمَع وزيت، ويَصرِف على ما ٱستقرّ عنده، وإذا سَلَّمَ شَمَعَ ٱلوَقود إلى الطَّشْتدارِيّة وَزَنه عليهم، وعَبَره[5] عند إعادته فى بُكرة النهار ليتميّز له المقص؛

(١) عبارة الأصل: «ما نفق فيه»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما يقتضيه السياق .

(٢) كذا فى الأصل؛ ولعله يريد جمع "مزوّرة" بتشديد الواو المفتوحة، وهى مرقة يطعمها المريض، وهى مولّدة، كما فى شفاء الغليل، ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من المظان .

(٣) فى الأصل: «المصاليق» بالصاد؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما راجعناه من المظان . والمساليق: جمع مسلوق، وهو من سلقت البقل ونحوه: إذا أغليته بالنار؛ والمراد هنا ما شاع استعماله عند العامة، وهو ما طبخ بالماء وحده .

(٤) فى الأصل: «والأصناف»؛ وهو تصحيف .

(٥) عبره: أى نظر كم وزنه .

ويَضْبِط غيرَ ذلك مما يصل إليه وينزل عنده من عادات مَن قَنِــع وتَبتَّل(١)، وغير ذلك من جميع ما يَرِد وما يُرتَّب ويزاد ويُقطَع .

وأما الشراب خاناه — وهى بيت يشتمل على أنواع المشروب من المياه على اختلافها ، والسكَّر والأشربة والدِّرياقات(٢) والسَّموفات والمعاجين والأَقراص والأَقْسِما(٣) والفُقَّاع(٤) والبلح والأَبقـال والحَلْويّات(٥) والجُوارِشات(٦) والفواكه، وما يَجرِى هذا المَجرَى ؛ وأمر هذا البيت الخاص(٧) معذوق بأمير مجلس(٨)، والعام بأستاذ الدار ؛ فيحتاج مباشر هذه الوظيفـة الى ضبط ما يصل إليه من جميع هـذه الأصناف ،

(١) عبارة الأصل : « من دامات ما بعق » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، والمراد : الرواتب التى جعلت للزهاد والمنقطعين إلى العبادة من طعام وشراب .

(٢) الدرياق والترياق بالدال والتاء : ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين ، وهو فارسىّ معرب .

(٣) الأقسما : شراب يصنع من السكر المحلول بالماء والليمون ويطرح فى ذلك يسير من السذاب ، وهو شراب جيد للهضم انظر كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية . وفى شفاء العليل أن الأقسما : نقيع الزبيب ، قال : وأصله معرّب « أبسما » .

(٤) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير ، وسمى بذلك لما يرتفع فى رأسه ويعلوه من الزبد انظر القاموس وشرحه . وفى كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية أن هذا الشعير يبقل ويحمص ويطحن ويضاف إليه من دقيق الحنطة قدر مثليه إلى آخر ما ذكر فى كيفية صنعه .

(٥) الحلويات : جمع حلوىّ بفتح فسكون : نسبة الى الحلوى بقصر الألف .

(٦) الجوارشات : أنواع من الحلواء ، وهو معرب ؛ وفى المعجم الفارسى الانجليزى تأليف ستاينجاس أن الجوارش يصنع من دقيق وعسل أو سكر، وأنه يساعد على الهضم .

(٧) فى الأصل : « خاص » بدون أداة تعريف ؛ والسياق يقتضى إثباتها كما يدل عليه قوله بعد : « والعام » .

(٨) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر .

وما يستعمله من ذلك فى عَقد الأشربة والحَلْويّات، وما يَعقده للشروب وما يَصرِفه من ذلك، ومعرفةِ عادات الأسمِطة والطَّوارئ والرواتبِ المقرَّرة فى كلّ يوم، فيُجرِى الأمرَ فيها على العادة المستقِرّة، وما يستدعيه السلطان على حَسَب الاتفاق، وما يصرف للمرضى من المماليك السلطانيّة من أنواع الأشربةِ والمعاجينِ وغيرِها بمقتضَى أوراق الأطبّاء؛ هذا ما يَعتمِد عليه مباشرُها والله أعلم .

وأما الطَّشْتْ[1] خاناه — فهى بيت تكون فيه آلةُ الغسل والوضوء، وقماشُ[2] السلطان البياضُ[3] الذى لا بدّ له من الغسل، وآلةُ الحمّام، وآلاتُ الوَقود؛ فيكون فى هذا البيت من الآلات : الطُّشوتُ[1] والأباريقُ والسخّاناتُ والطاساتُ والكراسىُّ والستائرُ واللَّبابيدُ[4] المختصّةُ بالحمّامات والسَّجّاداتُ والنُّمرُقاتُ[5] والمَناشفُ وفُوَطُ الخدمة ومقاعدُ الجلوس من الجَوخ والبُسُط، وغير ذلك، والمَباخرُ وأنواعُ البَخُورات والطِّيب والغوالِى[6] وماءُ الورد والمُسَّكُ، وغيرُ ذلك من الأصناف التى تلائم هذا البيت، ويُستدعَى ما يُحتاج اليه برَسْم هذا البيت من الحوائج خاناه والخِزانة؛ والله أعلم .

---

(١) الطشت بالشين المعجمة لغة فى الطست بالسين المهملة؛ وقد نقلت هذه اللغة فى شروح الشفاء، فقيل : هى خطأ، وقيل : بل هى لغة .

(٢) الذى يستفاد من مستدرك التاج وكتاب المعرّب والدخيل للدنى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة أن إطلاق القماش على الثياب كما هنا إطلاق عامىّ .

(٣) البياض : أى ذو البياض، فوحه الوصف به ظاهر .

(٤) كذا ورد هذا الجمع فى الأصل؛ ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة؛ والمراد بها هنا : اللبود، وهى البسط من الصوف الملتبد، واحده لبد بكسر اللام .

(٥) وردت هذه الكلمة فى الأصل هكذا «النمرلقات»؛ باهمال النون وزيادة لام بين الراء والقاف وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . والنمرقات بضم النون والراء : الوسائد .

(٦) الغوالى : جمع غالية، وهى ضرب من الطيب؛ وإنما سميت بهذا الاسم لأنها أخلاط تغلى على النار مع بعضها، وأول من سماها بذلك سليمان بن عبد الملك (انظر تاج العروس) .

وأما الفِراش خاناه — فيكون فيها أنواعُ الفُرُش والخِيامِ والخَرْكاهات(١) والتُّخوت وقُصور الخشب التى تُنصَب فى الدهاليز، وحمّامات الخشب التى تُنقَل على الظَّهر فى الأسفار، ومايتعلّق بذلك من اللَّبابيدِ(٢) وشلائتِ(٣) النوم وغيرِ ذلك؛ وهو بيتٌ متّسِعٌ فيه حواصلُ كثيرةٌ لهـا قِيَمٌ جليلةٌ تحتاج الى ضبط ومعرفة، فإن(٤) مباشر هـذا البيت يحتاج الى معرفة ما يحتاج الى آستصحابه فى أسـفار السلطان لخاصّته(٥) ولمماليـكه على آختلاف طبقاتهم ووظائفهم، وما يُنصَب برسم آدُر(٦) السلطان ومَن يتبعها من الخُدّام وما يُنصَب برسم البيوت السلطانيّة الخزائنِ فما دونها، وما يُنصَب لأرباب الوظائف من المبـاشِرين الذين يكونون فى صحبة الرِّكاب السلطانىّ، ومِن غير المبـاشِرين حتى الكِلابِ السلطانيّـة والكلابزيّةِ(٧) والجوارى؛ ويميِّز بين خِيام الصـيد والنُّزَه والأسفارِ والحروب، وغيرِ ذلك من الحركات التى يحتاج فيها إلى آستصحاب آلخيام ١٠

(١) فى الأصل : «والحزكاهات» ؛ وهو تصحيف اذ لم نقف عليه فيما راجعناه من المظان . والخركاهات : جمع خركاه ، وأصله بالفارسية « خرجاه » ، ومعناها : القبة ، كما فى المعجم الفارسى الانجليزى تأليف ستينجاس .

(٢) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر .

(٣) الشلائت : لفظ يستعمله العامة ويريدون به الفرش المحشوة . ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا . ١٥

(٤) فى الأصل : «قال» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٥) فى الأصل : « الخاصة » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما بعده .

(٦) الآدر : جمع دار .

(٧) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : « ومن غير المباشرين حتى الكلاب السلطانية ومن غير المباشرين حتى الكلابزية » وفيها تكرار وقع من الناسخ؛ واستقامة الكلام تقتضى ما أثبتنا؛ والكلابزية : هم الذين يكلفون بخدمة الكلاب والقيام عليها ، كما يستفاد من كتاب معيد النعم ص ٢٠٧ طبع ليدن . وفى شفاء الغليل : أن الكلبزة هى المعرفة بحال الكلاب السلوقية . ٢٠

(٨) فى الأصل : «خادم» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه السياق .

ولكلّ حركة منها ما جرت به العادة من خيام المُقام والسَّفر(١)، ويَعرِض ما يسلّمه للفرّاشين عليهم، ويَضبِط صفاته عند السَّفر، ويستعيده منهم عند العَود بعَرْضٍ ثانٍ، وكذلك ما يسلّمه لأرباب الوظائف، ويَضبِط أيضا ما يتسلّمه الصُّنّاعُ الذين يفصِّلون آلخامَ الجديدَ وغيرَه من آلات الفِراش خاناه: من قُماش بياض(٢) ومصبوغ وغَزْلٍ وجلودٍ ومُشمَّعاتٍ وشعرٍ وأخشاب، وغيرِ ذلك، ويَعرِف عوائدَهم فى الأُجَر(٣)، ويحاسبهم على ما يستحقّونه من الأجر بحسب أعمالهم فيُحيلهم بمَبلَغه.

وأما السلاح خاناه — فهى من أعظم البيوت وأهمّها، وأمرُها راجعٌ الى أميرِ سلاح، وعلى المباشر فيها(٤) حفظُ ما يدخُل إليها، وضبطُ ما يخرُج منها مما يتسلّمه السلاح داريّة والزَّرَدْكَشيّة(٥) والحَرْب داريّة والرُّمْح داريّة من أنواع السلاح وأصنافه اذا ركب السلطان أو جلس فى المجلس العامّ، وآستعادتُه منهم، وإعادتُه لهم، والآعتدادُ لهم بما أَنعَم به السلطان وذهّبه مما كان بأيديهم، ويوصِلُ ما يَصِل إلى السلاح خاناه من خزائن السلاح وغيرِها، وما يَصِل اليه من سيوف الأمراء الذين يُرسَم بآعتقالهم، وما يُحمَل اليه من سلاح من تُوُفّىَ من الأمراء على جارى العادة. «ويميِّز(٦) ذلك من غيره» وعليه أن ينبّه أميرَ سلاح على ما عنده من العُدَد التى يُخشى عليها التلف

---

(١) فى الأصل: «والسبق»؛ وهو تحريف.

(٢) المراد بالبياض: ذو البياض، كما سبق فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر.

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣٩ ورقم ٦ من صفحة ٢١٤ من هذا السفر.

(٤) لعله: «لها».

(٥) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٠٤ من هذا السفر.

(٦) فى الأصل: «ويمن»؛ وهو تحريف. وقد وردت هذه الجملة فى الأصل قبل قوله: «وما يحمل اليه» وسياق الكلام يقتضى تأخيرها عنها كما أثبتنا.

بتطاول المدّة ليأمر بكشفها و إصلاحها : من مسحٍ ودهانٍ وصَقْلٍ وجِلاءٍ وشَحْذ(١) وتثقيف وخَرْزٍ، وغير ذلك .

وجميعُ ما قدمنا ذكرَه من البيوت ليس بشيء من صناعة الكتابة العلميّة ، بل العمليّةِ خاصّة ، فإن علوم الكتابة إنما تظهر فى نُظُم الحُسبانات ، ولا نُظُم فيما قدمناه ؛ والعمدةُ فى صناعة الكتابة على مباشَرة الهلالىّ والخراجىّ على ما يأتى بيانُ ذلك إن شاء الله تعالى .

ذكر جهات أموال الهلالىّ ووجوهها(٢) وما يحتاج إليه مباشرها

والهلالىُّ عبارةٌ عمّا تُستأدَى أجورُه مشاهرةً ، كأجر الأملاك المسقّفة من الآدُر(٣) والحوانيتِ والحمّاماتِ والأفرانِ وأَرْحِيَةِ(٤) الطواحين الدّائرةِ بالعوامل(٥) ، والراكبةِ على المياه المستمرّةِ الجَرَيان ، لا الطواحينِ التى تدور بالمياه الشّتْويّة فى بعض نواحى الشام ، فإنها تجرِى مَجرى الخراجىّ ، وسنذكر ذلك إن شاء الله فى موضعه ؛ ومما نورد فى أبواب الهلالىّ عدادُ الأغنام والمواشى ، ومن الهوائىّ(٦) الجهاتُ الهلاليّةُ المضمونة والمحلولة ؛ والذى يَعتمِد عليه مباشرُه أن يَتخيّر لكلّ جهةٍ من يستأجرها بقيمتها ، وما لعلّه يتعيّن

---

(١) فى الأصل : « ونجد » بالنون والدال ؛ وهو تحريف .

(٢) يريد بالوجوه هنا : الطرق ، أى طرق الكتّاب واصطلاحاتهم فى كتابة هذه الأموال ، فلا تكرار بينه وبين قوله : « جهات » .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢٦ من هذا السفر .

(٤) الأرحية : جمع رحى ، وهذا الجمع نادر ، بل نقل الأزهرى عن أبى حاتم أنه خطأ وأن الصواب فى جمعه أرحاء .

(٥) العوامل : البقر .

(٦) المراد بالهوائى : ماليس له سقف ؛ وعبارة المقريزى فى الخطط ج ١ ص ١٠٧ طبع بولاق : « والجهات الهوائية المضمونة والمحلولة » .

من ٱلْحَيْطة[(١)]، ويُلزِم المستأجِر بكتابة إجارةٍ شرعيّةٍ لمدّةٍ معلومةٍ بأجرة معيَّنة؛ ويخلِّدُها في ديوانه؛ وإن كانت الجهة هوائيّةً أَلزَم ضامنَها بكتابة حُجّة بمبلغ الضَّمان، وطالَبه بمن يكفُله من الضُّمّان الأَمْلِئاءِ[(٢)] القادرين بالمـال[(٣)] في الذمة، فإن تعذَّر فبالوجه[(٤)]؛ فإذا خُلِّدت ٱلحجّةُ عنده كَتب له من ديوانه تقريرا عيَّن له فيه ٱستقبالَ مدّةِ ضَمانه، ومبلَغ

٥ الضمان وأقساطَه مبسوطةً[(٥)] أو منجَّمة[(٦)]، ويذكر فيه ما يَستأديه من رسوم تلك ٱلجهة على ما تشهد به الضرائبُ المخلَّدةُ في الدِّيوان، وسُلِّمَ اليه؛ فإذا تكاملت عنده إجاراتُ الأملاك وحُجَجُ الضَّمان بسط على ذلك جريدةً يَشرَح فيهـا الجهةَ، وٱسمَ مستأجِرِها أو ضامنِها، وٱستقبالَ مدة إيجارِه[(٧)] أو ضمانِه، ومبلَغَ الأُجرة أو الضَّمان في السنة والشهر



واليوم؛ وإنمـا ذكرنا اليوم لمـا يتحصّل من أقساط أيّام سُلُوخِ[(٨)] الشهورِ الناقصة،

١٠ ولمـا كانت العادةُ جاريةً به من ٱستخراج قسطِ يومِ التعديل من سائر ضُمّان ٱلجهات

---

(١) في الأصل : «الغبطة» بالعين والباء الموحدة؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق؛ والحيطة اسم من الاحتياط؛ والمعنى أنه يلزمه القيام بما يتعين عليه من الاحتياط والأخذ بالثقة في إجارة كل جهة .

(٢) «الأملئاء» بهمزتين : جمع ملىء، وهو الثقة الغنىّ، وقد أولع الناس فيه بترك الهمزة وتشديد الياء .

١٥ (٣) «بالمـال» متعلق بقوله : يكفله .

(٤) الظاهر أنه يريد بالوجه هنا : الجاه، أى ان تعذر الكفيل ذو المـال والغنى قبلت الكفالة بذى الجاه وإن لم يكن غنيا .

(٥) الظاهر أن المراد بالمبسوطة هنا : المدفوعة مرة واحدة، كما تدل عليه مقابلته بالمنجمة؛ ولم نجد هذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة، فلعله اصطلاح لكتّاب الدواوين فى زمن المؤلف لأن دافع المـال

٢٠ يبسطه فى المجلس ولا يؤجله .

(٦) المنجمة : هى التى يقدر عطاؤها فى أوقات معلومة متتابعة، مشاهرة أو مساناة؛ وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها، فتقول : اذا طلع النجم حل عليك مالى .

(٧) الإيجار مصدر آجر، يقال : آجرت زيدا الدار مثلا اذا أكريتها .

(٨) فى الأصل : «لوخ» باللام والخاء؛ وفيه نقص وتصحيف .

الهوائيّة، وهو قسطُ يومٍ واحدٍ فى سَلخ ثلاثِ سنين يُؤخَذ من الضُّمّان خالصا للديوان
زيادةً على الأقساط ، وهـذا يُستأدَى فى بعض أقاليم الشأم، و إنما أوردناه خشيةَ
الإخلال به، و يكون بَسْطُه لذلك فى يَمْنة القائمة إلى الشطر المكسور المعتاد الذى
يتخلّله خيط آلجريدة، فإن آتّفق فى جهةٍ زيادةٌ فى أثناء السنة قرّرها فى تعليق المُياوَمة،
ووضعها فى الجريدة بمـا صورته : ثم آستقَرّت بآسم فلانٍ لآستقبال التاريخ الفلانىّ ٥
بكذا وكذا، العِبرةُ(١) كذا، والزيادةُ كذا، و يحاسِب المستأجِرَأو الضامنَ المنفصلَ
عمّا آستُحِقّ عليـه إلى حين آنفصاله، ويُلزِمه بالقيام به، وذلك بعـد أن يَعرِضَ
على الضامن آلمستقرّ مازاد عليه، فإن آختار قبولَ الزيادة على نفسه قَبِل ذلك منه،
وكان ذلك له، فإن زِيدت عليه فى الوقت ز يادةٌ ثانيةٌ لم يكن له الآستمرارُ فى الجهة
إلا بزيادةٍ على تلك الزيادة الثانيـة، و إذا انقضت مدّة مستأجِرٍ أو ضامنٍ وأراد ١٠
الخروج من تلك الجهة، فإن كان قد غَلَّق(٢) ما عليـه من الأجرة أو الضّمان لم يكن
للمباشِر إلزامُه بالآستمرارِ بها، و إن آنطرد(٣) عليه باقٍ كثيرا كان أو قليلا لزمه آستئنافُ
عَقـدٍ جديدٍ نظيرِ العَقد الأوّل، هذا آصطلاحهُم فى الديوان ، ولهم آصطلاحات
أيضا نحن نذكر ما تيسَّر منها ، إذ لا تمـكن الإحاطـةُ بجميعها لآختلاف أحوال
المباشَرات، ولو آستقصينا ذلك لطال، فمن آصطلاحاتهم أن المبـاشِر يسلِّم للمستأجِر ١٥
الطاحونَ عند أذان المغرب من اليوم الذى حصل فيه الإيجارُ أو الزيادةُ لآستقبال

---

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر.

(٢) فى الأصل : « علق » بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف إذ لم نجد من معانيـه ما يناسب سياق الكلام ؛ وغلق بالغين المعجمة وتشديد اللام : أى تمم وكمل ، وهـذا الاستعمال لا يزال شائعا بين العامة فى زماننا ؛ ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة ، وكأنهم أخذوه من أن المستأجر اذا دفع كل ما عليه فقد أغلق باب المطالبة . ٢٠

(٣) فى المصباح وغيره أنه لا يقال انطرد إلا فى لغة رديئة .

اليوم الثانى، ويسلّم الحمّامَ من وقت التسبيح، ويسلّم بقيّةَ الجهات لاستقبال غُرّة النهار؛ وإذا دخل ضامنُ نيلةٍ قُوِّم[1] للمنفصل ماله بالخَوابِي من مياه الأصباغ المختلفةِ بالقيمة العادلة، ولا يُمَكَّن مِن أخْذِ ذلك من المصبغة لما فيه من الإضرار بهما، أما ضررُ المنفصل فلفساد المياه، وأما ضررُ المتصل فلأنه يتعطّل مدّةً إلى أن تَختمِر له مياهٌ غيرُها، ولا يُمَكَّن ضامنُ المصبغة المنفصل مِن أخذِ خابية وإن كانت مِلكَه، بل القيمةِ عنها؛ هذا اصطلاحهم؛ وليَحترِز مباشرُ الجهات الهلاليّة من قبول زيادةٍ بسطا فى جهة منجَّمةٍ قد مضت أقساطُها الخفيفةُ[2] وبقيَت الأقساطُ الكبار، لما يحصُل فى ذلك من التّفاوت والنقصِ على الدّيوان مع وجود الزيادة الظاهرة، مثال ذلك أن تكون جهةٌ مضمونةً فى كلّ سنة بأربعة آلاف درهم منجَّمة، قسطُ ستة شهور ألفُ درهم، وقسطُ الستة شهور الثانيةِ ثلاثةُ آلاف، فانقضت الستّةُ الأُوَل، وحَصَلتْ زيادةٌ فى الجهة فى أوّل الستّةِ[3] الثانيةِ مَبْلغ خمسمائة درهم فى السنة على أن تكون قسطين، فيصير بمقتضى البسط قسطُ الستّةِ شهور الثانيةِ ألفين ومائتين وخمسين درهما، وهى على الضامن المنفصل بثلاثة آلاف، فتكون هذه الزيادة على هذا الحُكم نقصا؛ فيراعى المباشرُ ذلك، فإنه متى وقع فيه خرج عليه وكان مخرجا لازما؛ ومهما استخرجه المباشرُ من مستأجِرٍ أو ضامنٍ أو أجراه بوُصولٍ[4] لربِّ استحقاقٍ أو ثمنِ صنف، أو غيرِ ذلك من وجوه المصارف أَوْرَدَه فى تعليق المياوَمة، وصورةُ وضعِه لذلك أن يرصِّع[5] المُحضَر أو المُجرَى عن يَمْنة القائمة، ويخصمَ عن يَسْرتها قُبالةَ

(١) فى الأصل: «مثله»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.
(٢) فى الأصل: «الحقيقة»؛ وهو تصحيف.
(٣) فى الأصل: «السنة»؛ وهو تصحيف.
(٤) الوصول بصيغة المصدر: هو المعروف الآن بين الناس فى معاملاتهم بالإيصال. وفى شفاء الغليل أن هذه الكلمة مولدة عامية لم يستعملها متقدم ولا متأخر محسن، إلا أنها وقعت فى الأشعار النازلة كثيرا.
(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر.

المُجرَى، فيقول فى يَمْنتها : من جهة فلان كذا، وفى مقابلته : ينصرف فى كذا؛ ثم يَشْطُب[1] المُحضَرَ والمُجرَى من تلك الجهة فى يَسْرة قائمة ٱلجريدةِ التى بَسَطَها قُبالةَ كلّ ٱسم ٱستَخرج منه أو أَجرَى عليه، يَفعل ذلك فى مدّة السنة، ويَرمزُ على تعليقه إشارةَ ٱلخدمة على الجريدة، وصورتُه [له][2]؛ وكذلك اذا كتب وُصولا رَمَزَ عليــه إشارةَ الكتابة، وصورتُه له؛ فإذا ٱنقضت السَّنة عَمِـلَ محاسَبةَ كلِّ جهةٍ بمـا ٱستخرجه من مستأجرها أو ضامنِها وأجراه عليــه، وعقَدَ على ذلك جملةً، فان كان المستخرَجُ والمُجرَى نظيرَ الأجرة أو الضَّمان فقــد تَعَلّقت[3] تلك ٱلجهة عن تلك السنة، وإن زاد المستخرَجُ على الأجرة أَوْرَدَه فى حسابه مضافا، ويسمّيه : زائدَ مستخرَجٍ، على ما يأتى بيانُه فى كيفيّة الأوضاع الحسابيّة، وٱعتَــدَّ[4] له بذلك فى السنة المستقبلَة؛ وإن تَعيّن للضامنِ أو المستأجرِ ٱعتدادٌ بما يجب الأعتدادُ به كبَطالة الحمّامات من ٱنقطاع المياه عنها أو وقوفِها فيها، وإصلاحِ القدور، وعُطْلِ العمائر، وبَطالةِ الطواحين لٱنقطاعِ المياه وٱنكسارِ الأحجار أو السهامِ أو العُددِ، أو حصولِ جائحةٍ[5] أرضيّةٍ أو سمائيّــة كٱنقطاع الأجلاب[6] عن الجهات الهوائيّة بسبب مداوَمَةِ الأمطار، أو سقوطِ الثلوج، أو طُروقِ عدوٍّ للبلاد، أو حادثةٍ عُطِّلت تلك الجهةُ بسببها ٱعتَدّ له بقسط تلك المدّة محسوبا

(١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٣) فى الأصــل : « تعلقت » بالعين؛ وهو تصحيف اذ لم نجد من معانيه ما يناسب السياق . «وتعلقت» الخ : أى تم دفع ما على هذه الجهة من الأجرة أو الضمان، كما يرشد اليه السياق؛ وهو استعمال عامىّ كما سبق توضيح ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .

(٤) فى الأصل . «وامتد»؛ وهو تحريف . وفى المصباح انه يقال : اعتددت بالشىء، أى أدخلته فى العد والحساب .

(٥) فى الأصل : «حاجة»؛ وهو تحريف . والجائحة : الآفة والنازلة .

(٦) الأجلاب بفتح الهمزة : جمع جلب بالتحريك، وهو المجلوب .

"هذا إذا شرط ذلك فى تقريره"[1] على ما يأتى شرح ذلك؛ هذا ما يعتمد عليه المباشر[2] للجهات الهلالية فى أصولها .

وأما مضافاتها فلا فرق بينها وبين سائر الأموال ، وسيرد الكلام إن شاء الله على ذلك مفصلا ؛ وقد اصطلح بعض مباشرى الجهات على إيراد أحكار البيوت والحوانيت ، وريع البساتين التى تستخرج أجورها[3] مشاهرة ، ومصايد السمك ، ومعاصر الشيرج[4] والزيت فى مال الهلالى ؛ ومنهم من يوردها فى أبواب الخراجى ، وهو الأليق ، وإنما نبهنا عليه لبيان الاختلاف فيه ، ولا أرى فى إيراد ريع البساتين فى مال الهلالى وجها ، بل يتعين ألا يرد إلا فى أبواب الخراجى ؛ وإن قال قائل منهم : قد يكون فى أرض البستان مسكن يستحق أجرة ، قلنا : إن أمكن إفراد ذلك المسكن بأجرة معينة تقيد أمواله فى أموال الهلالى دون البستان ، وان تعذر إفراده وأوجرا بعقد واحد فالمسكن هنا فرع البستان ، والفرع يتبع الأصل ولا ينعكس ، هذا ما لخصناه من حال مال الهلالى ، فلنذكر الجوالى[5] .

---

(١) وردت هذه الجملة فى الأصل قبل الجملة السابقة ، أى قبل قوله : « اعتمد » الخ ؛ والسياق يقتضى تأخيرها عنها كما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : « تقليله » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه قوله فى صفحة ٢٢٩ س ٤ : « كتب له من ديوانه تقريرا » الخ .

(٣) فى الأصل : « أصولها » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ، كما فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٣ طبع المعهد الفرنسى .

(٤) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى مستدرك التاج مادة « شرح » بالمعجمة ، وذكر أن العوام ينطقون به بالسين المهملة مكسورة ؛ وهو دهن السمسم .

(٥) موضع هذه الكلمة فى الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

ذكر الجزية الواجبة على أهل الذمّة وما ورد فيها من الأحكام الشرعيّة وأوّل مَن ضربها وقرّرها على الرءوس وما اصطلح عليه كُتّابُ التصرّف فى زماننا من ٱستخراجها وموضع إيرادها فى ٱلحساب ونسبتها فى الإقطاعات الجيشيّة وما يلزم مباشرَها من الأعمال وما يحتاج إليه والله أعلم

أما الأحكام الشرعيّة فالأصل فى وجوبها قولُه تعالى : ﴿ قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ وقد ورد فى هذه الآية تأويلاتٌ ذكرها أقضى القضاة أبو الحسن علىُّ بنُ محمد بنِ حَبِيب ٱلماوردىّ — رحمه الله — فى الأحكام السلطانيّة ، نحن نذكرها على ما أورده ، قال : أما قولُه : « الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ » فأهلُ الكتاب [وإن][1] كانوا معترفين بأن الله سبحانه واحد ، فيَحتمِل [نفىُ][2] هذا الإيمانِ بالله تأويلين ، أحدهما : لا يؤمنون بكتاب الله سبحانه وهو القرآن ، والثانى : لا يؤمنون برسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم ، لأن تصديقَ الرُّسُل إيمانٌ بالمرسِل ؛ وقولُه : « وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ » يَحتمِل تأويلين ، أحدهما : لا يخافون وعيدَ اليوم الآخرِ وإن كانوا معترفين بالثواب والعقاب ، والثانى : لا يصدّقون بما وصفه الله تعالى من أنواع العذاب ؛ وقولُه تعالى : « وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ » يَحتمِل تأويلين ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٤٦ طبع ألمانيا .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن نسخة الأحكام السلطانية طبع ألمانيا ، وقد أثبتناها عن نسخة الأحكام السلطانية طبع مصر اذ بها يستقيم الكلام .

أحدهما : ما أَمَر الله سبحانه بنَسْخه مِن شرائِعهم ، والثانى : ما أَحَلّه لهم وحَرَّمه عليهم ؛ «وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ» فيه تأويلان ، أحدهما : ما فى التوراة والإنجيل من ٱتّباع الرسول — وهو قول الكلبىّ — ، والثانى : الدخولُ فى دين الإسلام — وهو قول الجمهور — ، وقولُه : «مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ» فيه تأويلان ، أحدهما : من أَتْباع[1] الذين أوتوا الكتابَ ، والثانى : مِن الذين ملّتهم الكتابُ ، لأنهم فى ٱتّباعِه كإيتائه[2] ؛ وقولُه : «حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ» فيه تأويلان ، أحدهما : حتى يدفعوا ٱلجزية ، والثانى حتى يَضمَنوها ، لأنه بضمانها يجب الكفُّ عنهم ؛ وفى الجزية تأويلان ، أحدهما : أنها من الأسماء المُجْمَلة التى لا يُعرَف منها ما أُريد بها إلا أن يَرِدَ بيانٌ[3] ، والثانى : أنها من الأسماء العامّة التى يجب إجراؤها على عمومها إلا ما خصصه دليل ؛ وٱسمُها مشتقٌّ من ٱلجزاء ، وهو إما جزاءٌ على كفرهم ، أو جزاءٌ على أمانِنا لهم ؛ وفى قوله : «عَنْ يَدٍ» [تأويلان ، أحدهما : عن غِنًى[4] وقُدرة ، والثانى : أن يَعتقِدوا أن لنا فى أخذها منهم يدًا وقُدرةً عليهم ؛ وفى قوله] : «وَهُمْ صَاغِرُونَ» تأويلان ، أحدهما : أَذِلّاءُ مساكينُ[5] ، والثانى : أن تُجْرَى عليهم أحكامُ الإسلام . وقال غيرُه : الصَّغار أن يُضرَب على فَكِّ الذمّىّ برءوس الأنامل عند قيامه بالجزية ضربا لطيفا غيرَ مؤلم . وقال الماوردىّ :

(١) انما قدر هذا المضاف لأن الذين أوتوا الكتاب أنفسهم لم يكونوا فى زمن الإسلام فتؤخذ منهم الجزية ؛ والذى فى نسخ الأحكام السلطانية « من أبناء » وكذلك فى كتاب الحاوى الكبير للماوردى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعى ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) فى الأصل : « كإتيانه » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا فان الإيتاء هو مصدر « أوتوا » لا « الإتيان » ؛ والمعنى أنهم فى ٱتباعه كأنهم أوتوا الكتاب ؛ والذى فى الأحكام السلطانية : « كأبنائه » ؛ وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصل : « تروتنان » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، كما فى الأحكام السلطانية ص ٢٤٧ طبع ألمانيا .

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية إذ بها يتم الكلام .

(٥) فى الأصل : «مسالتين» ؛ وهو تحريف .

فيجب على وليّ الأمر أن يضرِبَ ٱلجزيةَ على رقاب من دخل فى الذمّة من أهــل الكتاب ليقرّوا بها فى دار الإسلام، ويَلتزِم لهم ببذلها حقّين : أحدهما الكفُّ عنهم، والثانى ٱلحمايةُ لهم، ليكونوا بالكفّ آمنين، وبالحماية محروسين؛ روى نافعٌ عن ٱبن عمر رضى الله عنهم قال : آخرُ ما تكلّم به النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم: "اِحفظونى فى ذِمّتى"(١)

قال المــاوردىّ : ولا تؤخَذ من مُرتدٍّ ولا دَهْرِىٍّ ولا عابِدِ وَثَن، وأخَذَها أبو حنيفة من عَبَدَة الأوثان من العجم، ولَم يأخذْها منهم إذا كانوا عربا(٢)؛ وأهُل الكتاب هم اليهود والنصارى، وكتابُهم التوراةُ والإنجيل، وتجرى ٱلمجوسُ مَجراهم فى أخذ الجزية منهم؛ وتؤخَذ من الصابئِين(٣) والسامِرة(٤) اذا وافقوا اليهودَ والنصارى فى أصل معتقَدِهم وان خالفوهم فى فروعه، ولا تؤخَذ منهم إن خالفوا اليهودَ والنصارى فى أصــل معتقَدِهم؛ ومن جُهِلتْ حالُه أُخذتْ جزيتُه، ولا تؤكَل ذبيحتُه؛

والجزية تجب على الرجال الأحرار(٥) العقــلاء، ولا تجب على صبىٍّ ولا آمرأةٍ ولا مجنونٍ ولا عبدٍ، لأنهم أَتْباعٌ وذَرارىّ؛ ولو تَفرّدت آمرأةٌ منهم [عن](٦) أن تكون تبعا لزوجٍ أو نسيبٍ لَم تؤخَذْ منهــا ٱلجزية، لأنها تبعٌ لرجال قومها وإن كانوا أجانب

(١) أراد : فى أهل دمتى .

(٢) فى الأصل : «عرباء» ؛ وهو تحريف .

(٣) الصابئون : قوم يشــبه دينهم دين النصارى الا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح (تاج العروس) .

(٤) السامرة : قوم من اليهود يخالفونهم — أى اليهود — فى بعض أحكامهم، كإنكارهم نبوة من جاء بعــد موسى عليه السلام وقولهم : « لا مساس »، وزعمهم أن نابلس هى بيت المقدس؛ وهم صنفان : الكوشان، والدوشان؛ واليهم نسب السامرىّ الذى عبد العجل (تاج العروس) .

(٥) فى الأصل : «والأحرار»؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها؛ والذى فى نسختى الأحكام السلطانيــة طبع ألمــانيا وطبع مصر مكان هذه الكلمة : «على»؛ وهو تحريف .

منها؛ ولو تفردت آمرأةٌ فى دار الحرب فبذلت آلجزية للمقام فى دار الإسلام لم يلزمها ما بذلته، وكان ذلك منها كالهبة لا يؤخذ منها إن آمتنعتْ؛ ولا تؤخذ الجزية من خنثى مُشكِل، فإن زال[1] إشكالُه وبان رجلا أُخذتْ منه فى مستقبل أمره وماضيه؛

وآختلف الفقهاء فى قدر آلجزية، فذهب أبو حنيفة إلى تصنيفهم ثلاثة أصناف: أغنياءُ يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهما، وأوساطٌ يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهما وضَربٌ[2] يؤخذ منه آثنا عشر درهما، [فجعلها مقدَّرةَ الأقلِّ والأكثر][3] ومنع من آجتهاد الولاة فيها.

وقال مالك: لا يقدَّر أقلُّها ولا أكثرُها، وهى موكولةٌ إلى آجتهاد الإمام فى الطرفين.

وذهب الشافعىّ إلى أنها مقدَّرةُ الأقل بدينارٍ لا يجوز الآقتصار على أقلَّ منه، وعنده أنها غيرُ مقدَّرةِ الأكثر، يُرجَع فيه إلى آجتهاد الولاة، ويجتهد رأيَه فى التسوية بين جميعهم، أو التفضيل[4] بحسب أحوالهم، فإذا آجتهد رأيه فى عقد الجزية معهم على مُراضاة أُولى الأمر منهم صارت لازمة لجميعهم ولأعقابهم قرنا بعد قرن، ولا يجوز لوالٍ بعده أن يغيره[5] الى زيادة عليه أو نقصانٍ منه.

(١) فى الأصل: «زاد» بالدال؛ وهو تحريف.

(٢) الذى فى الأحكام السلطانية: «وفقراء»؛ وهو أظهر لأنه قد عين الصنفين السابقين بقوله: «أغنياء» «وأوساط».

(٣) لم ترد هذه العبارة فى الأصل، وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية كما تقتضيه المقابلة بما أتى فى قول مالك والشافعىّ.

(٤) فى الأصل: «والتفصيل»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى الأحكام السلطانية ص ٢٤٩ طبع ألمانيا.

(٥) أن يغيره، أى أن يغير عقد الجزية.

ويُشترَط عليهم فى عقد الجزية شرطان : مســتحَقٌّ ومستحَبّ، أما المستحَق فستة أشــياءَ[1] : أحدها ألّا يذكُروا كتابَ الله تعــالى بطعنٍ فيــه ولا تحريفٍ له ، والثــانى ألّا يذكُروا رسولَ الله صلّى الله عليه وسـلّم بتكذيبٍ له ولا ازدراءٍ به ، والثــالث ألّا يذكُروا دينَ الإســلام بذمٍّ له ولا قدحٍ فيــه ، والرابع ألّا يُصيبوا مسلمةً بزنًى ولا باسم نكاح، والخامس ألّا يفتِنوا[2] مسلما عن دينه ولا يتعرّضوا لمــاله و لا دمه[3]، والسادس ألّا يُعينوا أهلَ الحرب ولا يؤوُوا أغنياءَهم ؛ فهذه الستةُ حقوقٌ ملتَزمةٌ بغير شرط ، و إنمــا تُشترَط إشعارا لهم ، وتأكيدا لتغليظ العهد عليهم ، فيكون انتهاكُها بعد الشرط نقضا لعهدهم .

وأما المستحَبّ فستة أشياءَ : أحدها تغييرِ هيآتهم بلُبْس الغِيار[4] وشدّ الزُّنّار[5]، والثانى ألّا يَعلُوا على المسلمين فى الأبنية ، ويكونوا إن لم ينقصوا مساوِين لهم ، والثالث ألّا يُسمِعوهم أصواتَ نواقيسهم ، ولا تلاوةَ كتبهم ، ولا قولَهم فى عُزَير والمسيح ، والرابع ألّا يجاهِروهم بشرب خمورهم ، ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم ، والخامس أن يُخْفُوا[6] دفنَ موتاهم ولا يَجهَروا بندبٍ عليهم ولا نياحة ، والسادس أن يُمنَعوا من ركوب الخَيل عِتاقا وهُجْنا ، ولا يُمنَعوا من ركوب البغال والحمير ؛ قال : فهذه الستة المستحبّة



(١) كذا فى نسخ الأحكام السلطانية التى بين أيدينا ؛ والذى فى الأصل : «فيه أشياء» وهو تحريف ويرشد الى ما أثبتناه أيضا مقابلته بقوله الآتى : « وأما المستحب فستة أشياء » .

(٢) فى الأصل : « يعينوا » ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «ذمته» ؛ وهو تحريف .

(٤) الغيار : علامة أهل الذمة كالزنار ؛ قال فى شفاء العليل نقلا عن شرح المهذب : الغيار أن يخيطوا على ثيابهم الظاهرة مايخالف لونه لونها ، وتكون الخياطة على الكتف دون الذيل ، والأشــبه ألا تختص بالكتف . اه

(٥) الزنار وزان رمان : ما يلبسه الذمّىّ يشدّه على وسطه .

(٦) فى الأصل : « أن لا يخفوا » ؛ وقوله : « لا » زيادة من الناسخ مفسدة للمعنى .

لا تلزم بعقد الذِّمّة حتى تُشترَطَ فتصيرَ بالشرط ملتزمة، ولا يكون ارتكابُها بعد الشرط نقضا للعهد، لكن يؤخذون[1] بها إجبارا[2]، ويؤدَّبون[3] عليها زجرا، ولا يؤدَّبون إن لم يُشترَط ذلك عليهم، ويُحتاط به[4].

[وتجب الجزية عليهم][5] فى كل سنة مرّةً واحدةً بعد آنقضائها[6] بالشهور الهلاليّة، ومن مات منهم فى أثناء السنة أُخِذ من تَرِكتِه بقدر ما مضى منها، ومن أسلم كان ما لَزِم من جزيته دَينا فى ذمّته يؤخَذ منه؛ وأسقطها أبو حنيفة بإسلامه وموته؛ ومَن بلَغ من صغارِهم، أوأفاق من مجانينِهم آستُقبِل به حولٌ [ثم أُخِذ][7] بالجزية ويُؤخَذ الفقيرُ بها إذا أَيْسر، ويُنتظَر بها إذا أَعْسَر؛ ولا تسقط عن شيخ ولا زَمِنٍ، وقيل: تسقط عنهما وعن الفقير؛ ولِأهل العهد إذا دخلوا دارَ الإسلام الأمانُ على نفوسهم وأموالهم، ولهم أن يقيموا فيها أربعةَ أشهر بغير جزية، ولا يقيموا سنةً إلا بجزية، وفيما بين الزمانَين[8] خلاف؛ ويَلزَم الكفُّ عنهم كأهل الذمّة، ولا يَلزَم الدفعُ عنهم؛ وإذا أَمَّن بالغٌ عاقلٌ من المسلمين حربيّا لَزِمَ أمانُه كافّةَ المسلمين، والمرأةُ

(١) فى الأصل: «يوحدون»؛ وهو تصحيف.

(٢) فى الأصل: «اخبارا» بالخاء؛ وهو تصحيف.

(٣) فى الأصل «ويؤذنون»؛ وهو تصحيف.

(٤) وردت هذه العبارة فى الأصل مكتوبة بخط كبير مشبه لما تكتب به تراجم الأبواب والفصول؛ ولم ترد فى الأحكام السلطانية؛ والمعنى أنه ينبغى للامام أن يحتاط باشتراط ذلك عليهم ليعاملهم بمقتضاه.

(٥) هذه التكملة ساقطة من الأصل؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها؛ وعبارة الأحكام السلطانية ص ٢٥١ طبع ألمانيا: «ولا تجب الجزية عليهم فى السنة الا مرة واحدة».

(٦) هذه الهاء والباء ساقطتان من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتهما، كما فى الأحكام السلطانية.

(٧) هذه التكملة ساقطة من الأصل وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا.

(٨) كذا فى الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا و ص ١٣٩ طبع مصر؛ والذى فى الأصل: «دون»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى.

فى بذل الأمان كالرجل، والعبدُ فيه كالحــرّ؛ وقال أبو حنيفة : لا يصحّ أمانُ العبد إلا أن يكون مأذونا له فى القتال؛ و[1] إذا تَظاهَر أهلُ الذمّة والعهدِ بقتال المسلمين كانوا حربا لوقتِهم، يُقتَل مُقاتِلُهم، ويُعتَبَرُ حالُ مَن عدا المُقاتِلة منهم بالرضا بفعلِهم والإنكارِ له؛ وإذا آمتنع أهــلُ الذمّة من أداء الجزية كان نقضــا لعهدِهم؛ وقال أبو حنيفة : لا يَنتَقِض به عهدُهم إلّا أن يلحَقوا بدار الحرب، وتُؤخَذ منهــم جَبْرا كالدُّيون؛ وإذا نَقَض أهلُ الذمّة عهدَهم لم يُستَبَح بذلك قتلُهم، ولا غُنْمُ أموالهم، ولا سَــبْيُ[2] ذراريّهم ما لَم يقاتِلوا، ووجب إخراجُهم من بلاد المسلمين آمنِــين حتى يَلحَقوا مَأمَنَهم من أدنى بلاد الشِّرك، فإن لم يَخرُجوا طوعا أُخرِجوا كَرْها؛ فهذه هى الأحكام الشرعيّة فى أمر الجزية .

وأوّلُ ما ضُربت آلجزية وجُعِلتْ على الرءوس فى خلافة عمــر[3] بن الخطّاب — رضى الله عنــه — وكانت قبل ذلك تُحمَل قطائعَ؛ وآختُلِف : هل آستأداها سَلَفا أو عند آنقضاء الحَوْل .

---

(١) هذه الواو ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها .

(٢) فى الأصل : «ولا بى»؛ وهو تحريف .

(٣) فى كتب الفقه ما يفيد أن الجزية كانت على الرءوس فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب من كل حالم دينارا ولم يفصل . وروى مسروق عن معاذ بن جبل أنه قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وأمرنى أن آخذ من كل حالم دينارا أو عدله معافر، انظر كتاب الحاوى الكبير للماوردى ج ١٩ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقــه شافعى وكتاب الخراج ليحيي بن آدم ص ٧٢ طبع المطبعة السلفية . والمعافر: ثياب تصنع باليمن . أما ما كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فهو أنه جعل أهل الذمة طبقات، فأخذ من الأغنياء ثمانية وأربعين درهما، ومن المتوسطين أربعة وعشرين درهما، ومن الفقراء آثنى عشر درهما، وذلك فى سواد العراق لما افتتحه، انظر كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٢٠ و ٢١ و ٢٢ طبع المطبعة الأميرية وكتاب الأوائل لأبى هــلال العسكرى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ . ولم يكن هذا التقسيم قبل خلافة عمر .

وأما ما آصطلح عليه كُتّاب التصرّف فى زماننا هذا من آستخراجها وموضع إيرادها فى حُسباناتهم، فهُم يستخرجونها سَلفا وتعجيلا فى غُرّة السنة، وفى بعض الأقاليم تُستَخرَج قبل دخول السنة بشهر أو شهرين؛ وتُورَد فى الحُسبانات قلما مستقِلا بذاته، بعد الهلالىّ وقبل الخراجىّ، وسببُ تأخيرها عن الهلالىّ أنها تُستأدَى مُسانَهةً، وسببُ تَقدُّمها على الخراجىّ ما ورد من وجوبها مشاهَرةً على الأشهر من أقوال الفقهاء؛ وقد تقدَّم ذكرُ الحُكم فيمن أسلم أو مات فى أثناء الحَوْل، وأنه لا يَلزَمه منها إلا بقدر ما مضى من السنة قبل إسلامه أو وفاته، فلذلك وردتْ بين الهلالىّ والخراجىّ .

٥

وأما نسبتُها فى الإقطاعات الجيشيّة عند خروج إقطاعٍ ودخولِ آخر[1] فإنها تَجرِى مَجرى المال الهلالىّ، لأنها تُستخرَج على حكم شهور السنة الهلاليّة دون الشمسيّة؛ فإن تَعجَّلها مُقطَعٌ فى غُرّة السنة على العادة وخرج الإقطاعُ عنه فى أثنائها بوفاةٍ أو نقلة إلى غيره استَحقّ منها نظيرَ ما مضى من شهور السنة إلى حين آنتقاله، لا على حُكم ما آستَحَقّ من المُغَلّ؛ ويَستحِقّ آلمتّصلُ من[2] آستقبال تاريخ منشوره كعادة النقود[3]؛ وإن تَخلَّل بين المنفصل والمتّصل مدّةٌ كان قسطُها للديوان، يَرِد فى جملة آلمحلولات من الإقطاعات .

١٠

١٥

(١) كذا فى الأصل؛ ويوضح ذلك ما ورد فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد الفرنسى؛ وعبارته : عند خروج إقطاع عن مقطع — بفتح الطاء — ودخول آخر على ذلك الاقطاع .

(٢) كذا فى كتاب الخطط للقريزى؛ والذى فى الأصل : « لاستقبال » باللام مكان « من » وما أثبتناه هو مقتضى السياق .

(٣) كذا فى كتاب الخطط للقريزى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد الفرنسى؛ والذى فى الأصل : «النفوذ»؛ وهو تصحيف .

٢٠

وأما ما يَلزَم مباشِرَ الجوالى وما يَحتاج الى عمله، فالذى يلزمه أن يبسُط جريدةً على أسماء الذمّة[1] بمقتضَى الضريبــة المرفوعةِ إليه، أو الكشفِ الذى كَشفَه إن كان العمــلُ[2] مفتوحا[3] أو مستجَدًا، يبدأ فيها بذكر أسمـاء اليهود، ويثنّى بالسامِرة[4] لأنّهم شَعْبٌ منهم ، ويثلّث بالنصارى، وإن كان فى عمله طائفــةٌ من الصابئة والمجوس ذَكَرهم بعد النصــارى ؛ وفى بعض بلاد الشأم تؤخذ الجزية من طائفة تُعرف بالشَّمسيّة، يوحّدون الله تعالى وينكِرون نبوّةَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ومنهم من يقول بنبوّة عيسى عليه السلام وأن لا نبيَّ بعده؛ ويكون بَسْطُ الكاتب لهذه الجريدة على التقفية إذا كانت الأسماء كثيرة، ليسهل عليه بذلك الكشفُ والشطب، وإذا ٱستخرَج جاليةً أوْرَدها فى تعليق المياوَمة، وكَتَبَ له بها وُصولا[5]، وشَطَبَها عن ٱسم من ٱستُخرِجتْ منه فى جريدته ، ويَرمُز فى تعليقه إشارةَ الكتابة والخدمة على ما تَقدّم بيانه فى الهلالىّ .

ويَحتاج مباشر الجوالى فى كلّ سـنة إلى إلزام رئيس اليهود ورئيس السامِرة وقِسّيس النصارى أو أُسْقُفِّهم[6] بكتابة أوراق يسمّونها : الرِّقاعَ بمن عنـد كلّ منهم من الرواتب[7]، وما لعــلّه ٱستجَدّ[8] من الطّوارئ والنّوابت[9]، ويعيّن فى آخر الرِّقاع من

(١) أسماء الذمة : أى أسماء أهل الذمة . (٢) يريد بالعمل : البلد . (٣) مفتوحا : أى مما فتحه المسلمون من دار الحرب . (٤) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣٦ من هذا السفر .

(٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «أو استفهم» ، وهو تحريف ، والأسقف بتخفيف الفاء، وتشديدها فوق القسيس ودون المطران .

(٧) يريد بالرواتب : المقيمين ، وهو من رتب رتبا إذا أقام بالبلد ، كما فى المصباح ؛ وإنما جمعه على فواعل لأن واحده «راتبة» ، صفة للطائفة .

(٨) فى المصباح أن استجد قد يستعمل لازما — أى بمعنى تجدّد — فلذلك ضبطناه بفتح التاء والجيم .

(٩) الطوارئ : الذين طرأوا على البلد ولم يكونوا منه . والنوابت : جمع نابتة ، أى النشء الصغار، والمراد بهم هنا من دون البلوغ .

آهتدى بالإسلام ، ومَن هلك بالموت ، ومَن تَسَحَّب[1] من العمل ، وإلى أىّ جهة توجّه ، ويَجعل تلك الرِّقاعَ شاهدا عنده بعد الإشهاد فيها على[2] الصادرةِ عنه بأنه لم يُخلّ بشىء من الأسماء ، ويُلزِمه بكَتْبِ مَشاريحَ بمن ضَمَّن رِقاعَه أنه آهتدى أوهلك أوتَسحَّب[1] كلّ اسمٍ بمشروح ، ويخلِّد المشاريحَ عنده ويشطُبُها[3] على جريدته ؛ والكُتّاب فى إيراد من آهتَـدَى ونَزَح وهَلَك مختلفون : فمنهم من يُوصِل العِدّةَ المستقِرّةَ عنده عن يَمْنة العمل[4] ، ويَستثنِى بالتعديَةِ عمّن آهتَدَى وهلَك وتَسَحَّب[1] ، كلّ آسم بمقتضَى مشروحه المشهودِ فيه ، ويبرز بما تَحرَّر بعـد ذلك ؛ ومنهم من يُوصِل الجميعَ على ما آستقرّتْ عليه الحالُ الى آخر السنة المـاضية ، ويَستخرِج ممّن آستخرج منه ، ويَعتدّ[5] بما يجب على المهتدى والهـالكِ والمتسحِّبِ[1] محسوبا فى باب المحسوب قَبْل فَذْلَكة الواصـل فى الرِّقاع — على ما نبيّنه إن شاء الله فى الأوضاع الحسابيّة — ويكون ماعلى النازحين موقوفا الى أن يتحرَّى أمرهم ؛ فإن عاد أحدٌ منهـم الى ذلك الإقليم ولم يكن قد قام بالجزية فى بلد آخر آستُخرِجتْ منه ، ووَرَدتْ فى باب المضاف فى حساب السنة ، وإن كان قد قام بالجزية فى بلد آخرَ وأَحضر وُصولَ مباشِرِ تلك الجهة بمـا آعتَدّ له

---

(١) تسحب : أى نزح من بلد الى بلد آخر ، ولم نجـده فيما راجعناه من كتب اللغـة بهذا المعنى ، والظاهر أنها عامية .

(٢) فى الأصل : «عن» ، وهو تحريف ، واللغة تقتضى ما أثبتنا .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٤) يريد بالعمل هنا : مايسميه الكتّاب بالقائمة ، كما يرشد اليه السياق ، وسيأتى هـذا اللفظ مرادا به هذا المعنى فى موضع آخر ، وسننبه عليه فى مكانه .

(٥) يقال : اعتددت بالشىء : أى أدخلته فى العدّ والحساب (المصباح) .

به عن تلك السـنة ، نَقْل[1] مَبلغَ الوُصول على تلك الجهة التى حَضَر وُصولُهـا قربت أو بعـدت ، وآستَشهَد فى حسابه بمقتضى الوُصول؛ وكلتا الطريقتين سائغـةٌ عند الكُتّاب ؛

وأما النَّوابت[2] والطَّوارئ فإنهـا تَرِد فى باب المضـاف باتفاق الكُتّاب فى أول سنة، وتستقِرّ أَصْلا فى السنة التى تليها وما بعدها ؛ ويحتاج المباشر الى تفقُّد أحوال النوابت فى كلّ مدّة لِآحتمال بلوغ صبيٍّ فى أثناء الحَوْل، واختبار ذلك بأمور شرعيّة واصطلاحيّة : أما الشرعيــة فبإنبات[3] الشَّعر الخَشِن[4]، أو بكمال خمسَ عشرةَ[5] سنة ؛ وأما الآصطلاحيّة فبآنفراق[6] رأسِ الأنف، وغلَظ الصوت، و بظهور شىء على حَلَمَة الثَّـدْيِ من باطنه كالتُّرمُسة ، و بأن يُدارَ خَيطٌ على عنق الصبيِّ مرّتين تحريرا ، ثم يوضَع طرفُ الخيط بين أسنانه وتُدخَل أُنْشُوطةٌ[7] فى رأســه ، فإن دخلت دلّ ذلك على بلوغه ، و إلا فلا ؛ وآصطلَح بعضُ مباشِرى الجوالى فى بعض الأقاليم على إلزام عُرَفاء الذمّة[8] بالمطالَعــةِ بكل صبيٍّ يُولَد لوقتِــه ، و بمن هلك منهم ، ويرصَع[9] أسماءهم

(١) فى الأصل : « ونقل » ؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٢) انظر الحاشية رقم ٩ من صفحة ٢٤٢ من هذا السفر .

(٣) يقال : أنبت الغلام ، اذا نبت شعرعانته ، وهوحدّ معتبر لبلوغ صبيان أهل الدمة لأنه لا يمكن الوقوف على سنهم لأتهام أقوالهم .

(٤) فى الأصل : «الحسن» ؛ وهو تصحيف .

(٥) عبارة الأصـل : « أو الكمال من عشرة » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا إذ به يسـتقيم الكلام ؛ وتحديد سن البلوغ بخمس عشرة سنة مذهب الشافعى وأبى يوسف ومحمد ، وعليه الفتوى عند الحنفية .

(٦) هذه الكلمة فى الأصل مهملة الحروف من النقط؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٧) الأنشوطة : ربطة دون العقدة ، إذا شدّت من أحد طرفيها آنحلت .

(٨) الذمة ، أى أهل الذمة .

(٩) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

فى جريدة مفردَةٍ بهم ، فمن بلغ عمره ثلاثَ عشرةَ سنةً استَخرَج منه ٱلجزيةَ سواء ظهرت أماراتُ بلوغه أم لا ، ويلازم المباشرُ الكشفَ والتنقيبَ عمّن لعلّه أُخفِيَ من الرواتب، أو ٱستجدّ من الطَّوارئ والنَّوابت ولم يُرِد الدفع، فمن ظهر له أمرُه ٱستَخرَج الحاليةَ منه لٱستقبال وجوبها عليه؛ ويقابل من أخفاه بالإهانة والنكال؛ والمباشَرةُ تُظهِر ما لا تحيط به الكُتُب؛ هذا ما يتعلّق بالجوالى، فلنذكر الخراجىّ — إن شاء الله تعالى — .

ذكر جهات الخراجىّ وأنواعه وما يحتاج اليه مباشره

(٤٧) والخراجىُّ عبارةٌ عما يُستأدَى مسانَهةً ممّا[(١)] هو مقرَّرٌ على الأراضى المُرصَدة للزراعة والنخلِ والبساتينِ والكرومِ والطواحينِ السنويّةِ التى تدور أحجارُها بمياه السيول فى ٱلجهات[(٢)] الشاميّة، وما يُستأدَى من خدم الفلّاحين، ويسمَّى ذلك بمصر: الضِّيافة، وبالشأم: رَسْمَ[(٣)] الأعياد والخميس، وهو أغنامٌ ودَجاجٌ وكَشْكٌ وبَيض — على ما ٱستقرّ على كلّ جهة — وهو إنما يكون على النواحى الإقطاعيّة غالبا، وأما فى نواحى الخاصّ فلا يُستأدَى، لِما هو مقرر على الأراضى بمصر من الحقوق التى تُستخرَج دراهمَ، وبالشأم من التَّضْييف[(٤)] المقرَّر عليهم فى أيّام الفتْح[(٥)] عن مدّة ثلاثة

---

(١) فى الأصل: «ممن»، وهو تحريف.

(٢) فى الأصل: «فى المياه»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٣) فى شرح القاموس أن كسر الكاف فى هذا اللفظ مما ولعت به العامة.

(٤) فى الأصل: «المضيف»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة.

(٥) فى الأصل: «القسم»؛ وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق؛ ولعل صوابه ما أثبتنا فانه يريد صلح عمر رضى الله تعالى عنه لنصارى الشأم على ضيافة من يمر بهم من المسلمين ثلاثة أيام مما يأكلون من غير أن يكلفوا ذبح شاة ولا دجاجة وتبييت دوابهم من غير شعير، وجعل ذلك على أهل السواد دون المدن. الأحكام السلطانية ص ١٣٨ طبع مصر.

أيّام، ومن أبواب الخراجىّ ما يُستأدَى بالشأم فى خدمة رؤساء الضِّيَاع فى مقابَلة ما لهم من المُطلَقِ والوُلاةِ والوكلاءِ والنُّقباءِ والصّيارِفةِ والكيّالين والضَّوئيّة[1] فى مقابَلة ما يستأدونه من الرسم ، وذلك يَرِد فى أبواب المضاف، والخراجىّ تختلف أحكامه وقواعده بمصر والشام، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

أما الديار المصريّة وأوضاعها وقوانينها وما جرت عليه قواعدها على ما آستَقَرّ فى زماننا هذا وتَداوَله الكُتّاب، فقانون الديار المصريّة مبنىٌّ على ما يَشمَله الرِّىُّ من أراضيها و يعلوه النيل ؛ وقد ذكرنا فى باب الأنهار فى الفن الأوّل من كتابنا هذا نِيلَ مصر، ومَبدأَه، والآختلافَ فيه، وما يَمُرّ عليه من البلاد، وكيفيّةَ الآنتفاعِ به مِن حفْرِ التُّرَع ، وضبْطِ الجُسور ، وتصريفِ المياه عن الأراضى بعد رَيِّها ؛ ونيلُ مصر هو من أعاجيب الدنيا ، وقد رُوِىَ عن ذى القرنين أنه كتب كتابا عمّا شاهده من عجائب الوجود فذكر فيه كلّ عجيبة، ثم قال فى آخره : وذلك ليس بعَجَب ، ولكنّ العَجَب نِيلُ مصر، ولولا ما جعل الله تعالى فيه من حِكمة هذه الزيادةِ فى زمن الصيف على التدريج حتى يَتكامَل رِىُّ البلاد، وهبوطِ الماء عنها عند بَدْءِ وقتِ الزراعة لفسد أمرُ هذا الإقليم، وتعذّرتْ سكناه، إذ ليس به أمطارٌ كافية ولا عيونٌ سارحةٌ[2] تعمّ أراضيَه، وليس ذلك إلا فى بعض إقليم الفيّوم؛ فسبحان من بيده الخلقُ والأمرُ القادرِ على كلّ شىء، والمدبّرِ لكلّ شىء، سبحانه وتعالى لا إله إلّا هو .

(١) فى الأصل : «الصوية»؛ وهو تصحيف . والضوئيّة : نسبة الى الضوء، والمراد بهم الذين يحملون المصابيح و يمشون بها ليلا، ولا تزال طائفة منهم الى وقتنا هذا تعرف بهذا الآسم وان لم يعملوا ذلك الآن .

(٢) السارحة : الجارية .

والذى يحتاج إليه مباشرُ الخراج بمصر و يَعتمِد عليه فى مباشَرته أنه اذا شَمِل الرِّىُّ أرضَ الجهة التى يباشرها أن يبدأ بإلزام خولَة(١) البلاد بَرفع قوانين الرِّىّ ، وصورتُها أن يكتب فى صدر القانون ما مثالُه : قانونٌ رَفَعَــه كلٌّ واحدٍ من فلان وفلان الخولَة(١) والمشايخِ بالناحية الفلانيّة ، بما شَمِله الرِّىُّ وعلاه النِّيلُ المبارك من أراضى الناحية لسنة كذا وكذا الخراجيّة ، وهو من الفُدُن(٢) ؛ ويذكُرون جملةَ قانون البلد ، ويُفَصِّلونه بالرِّىِّ والشَّراقِى ، فالرِّىُّ : ما شَمِله النيل . والشراقِى : ما لم يشمله ؛ ولِلرِّىِّ تفصيل : منه ما هو نَقاء(٣) ، ومنه ما هو مزروعٌ ، وخِرْسٌ ، وغالب ، ومستبحر ؛ و يُفَصَّل بقبائله(٤) ، ويُشرَح فى كل قَبالة هذا التفصيل ؛ والنقاء : هو الطينُ السوادُ(٥) الذى يَصلُح للزراعة ويَنبُت فيــه اذا لم يُزرَع الكلأُ الصــالحُ للرِّعْيِ(٦) ، و يسمَّى نبــاتُه بصعيد مصر : الكُتَّيح(٧) ، وهو نباتٌ تَستغنِى به الخيلُ والدوابُّ والمــاشيةُ عن البِرسيم(٨) . وأما المزروع :

(١) كذا ورد هذا الجمع فى الأصل بالتاء ؛ ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة ، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة ، وواحده خولى ، وفى مستدرك التاج أنه هو الذى يقيس الأرض بقصب المساحة .

(٢) الفــدن بالضم — والعامة تكسر الفاء — : جمع فدان بتخفيف الدال ، وهى لغة فى الفدان بالتشديد ؛ قال فى شفاء الغليل ما نصه : الفدان : نبطى معرّب و يخفف و يشدّد جمعه فدن وأفدنة الخ . وكذلك فى كتاب المعرّب للجواليق ؛ والذى يستفاد من شرح القاموس أن الفدان للقدار المعلوم بتشديد الدال لا غير .

(٣) النقاء فى الأصل : مصدر ، وقــد أريد به هنا اسم المفعول ، أى الأرض النقية ممــا يعوق الزارعين عن زراعتها .

(٤) القبائل : جمع قبالة بفتح القاف ، وهى الأرض التى يقبلها أصحابها ، أى يضمنونها بمبلغ من المــال يؤدّونه عنها فى كل سنة .

(٥) السواد : أى ذو السواد ، وهذه التسمية لا تزال مستعملة بين العامة حتى اليوم .

(٦) فى الأصل : « للزرع » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) فى الأصل : «الكثيح» بالثاء المثلثة ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما فى مستدرك التاج .

(٨) كذا ضبط هذا اللفظ فى القاموس ، والذى فى شرحه أن فتح الباء من لغة العامة .

فهو ما عادتُه أن يُزرَع فى كلّ سنة . وأما الخِرْس : فهو الأرض التى تَنبُت فيهـا الحَلْفاء[1]، فلا تُزرَع إلا بعـد قلعها منها وتنظيفها، وقَطيعتُه[2] دون قطيعة النَّقاء. وأما الغالب : فهو ما غَلَبتْ على أرضه الحَلْفاء وتكاثفتْ فلا تُقلَع إلّا بكُلْفة، وقَطيعتُه دون قطيعة الخِرْس، وقلّما يُزرَع، وأكثرُ ما يكون الخِرْس والغالبُ ببلاد الصعيد الأعلى لسعتها، وكثرةِ أرضها، وتعطيلها[3] من الزراعة سنةً بعد أخرى . وأما المستبحِر : فهـو أراضى الخلجان المشتَغلة التى تستمرّ المياه فيهـا إلى أن يَفُوت زمنُ الزراعة، فمنها ما يُبوَّر، ومنها ما يُزرَع مَقاثِئَ[4]، وقَطيعتُه متوسّطة، وتكون غالبـا بالدراهم دون الغلّة . وعندهم أيضا التَّرطيب[5]: وهو الذى تَخلّلت المياه باطنَ أرضه شبهَ النِّزِّ[6] ولم تَعلُها، ولا تَصلُح لغير المقاثئ، فاذا رُفِع الى المباشر قانونُ الرِّى أشهدَ فيه على رافعيه[7] بأن الأمر على ما تَضَمَّنه، ثم ينظُر المباشرُ إلى سنة يكون نيلها نظيرَ نيل تلك السنة، ويبرز الكشوف، ويُحضِّر[8] البلد على الفلّاحين القَراريّة نظيرَ ما حضَّروه فى السنة الموافق نيلُها لنيل تلك السنة الحاضرة[9]، ويُشهِد على كلّ مزارِع بمـا يُسجِّله من

(١) الحلفاء : نبت من الأعلاث، وقلما تنبت الحلفاء إلا قريبا من ماء أو بطن واد، وهى سلبة غليظة المس، وتأكل منها الإبل والغنم أكلا قليلا، وهى أحب شجرة إلى البقر .

(٢) القطيعة : الضريبة .

(٣) فى الأصل : «الأعلال» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) المراد بالمقاثئ هنا : أنواع القثاء، فهو مجاز من إطلاق الموضع وإرادة ما يكون فيه .

(٥) فى الأصل : «الترتيب» ؛ وهو تحريف ؛ يريد : الأرض ذات الترطيب .

(٦) فى الأصل : «النزز» ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ وكسر النون فيه أجود من فتحها وهو فارسى معرب .

(٧) فى الأصل : «بايعيه» وهو تحريف .

(٨) فى الأصل : « ويحصر » بالصاد، وهو وإن صح معناه إلا أن الذى يمنع منه قوله بعـد ذلك فى ص ٢٤٩ س ١١ فاذا تكامل تحضير البلد على المزارعين القرارية ؛ الخ والظاهر أن المراد بالتحضير : التسجيل، كما يدل عليه قوله بعد : « ويشهد على كل مزارع بمـا يسجله » وهو من المحضر بمعنى السجل، كما فى كتب اللغة .

(٩) فى الأصل : «الحاصرة» بالصاد؛ وهو تصحيف .

أراضى كلّ قبالة[1] وقطيعتها المستقرّة، ويعيّن منها ما هو بحقوق وما هو بغير حقوق، والحقوق: دراهم يقوم بها المزارع عن كلّ فدّان غير الغلّة، وتكون من أربعة دراهم إلى درهمين، والغلّة بحسب قطيعة الأرض وعادتها، وأكثر ما عرف من الخراج عن كلّ فدّان — وهو أربعمائة قصبة بالقصبة الحاكمية[2]، والقصبة ستة أذرع وثلثا ذراع بذراع القماش — ثلاثة أرادب[3]، وهذه الأرض جزيرة بالأقصر من أعمال قوص، وأقلّ ما علمناه من القطيعة عن كل فدان سدس إردب، وهى فى الأراضى التى غلبت عليها الأحراس وقلّ الانتفاع بها، فهى تسجّل بهذه القطيعة عليها، وتنصلح فى المستقبل؛ وأما الأراضى التى تسجّل بالدراهم فأكثر ما علمناه بأراضى الجيزية[4] قبالة فسطاط مصر عن كلّ فدّان مائتان وخمسون درهما. وهو كثير فى أراضيها وسجّل فى بعض السنين ثلاثة أفدنة بألف درهم، ولم تستقرّ هذه القطيعة، وهذه الأراضى تزرع غالبا كتّانا؛ فاذا تكامل تحضير[5] البلد على المزارعين القرارية والطوارئ نظم المباشر أوراقا بجملة ما اشتمل عليه التحضير[5] مفصّلة بالأسماء والقبائل[6] والجزائر

(١) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) قال فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٦ عند الكلام على القصبة الحاكمية: كأنها حررت فى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى فنسبت اليه، وطولها ستة أذرع بالهاشمى، وخمسة أذرع بالنجارى، وثمانية أذرع بذراع اليد.

(٣) فى الأصل: «ثلاثة عشر اردبا» ولم نجد هذا المقدار فيما راجعناه من المصادر التى بين أيدينا، كخطط المقريزى وقوانين الدواوين وصبح الأعشى وغيرها وما أثبتناه هو الموافق لما ورد فى هذه الكتب، فقد جاء فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٢ نقلا عن ابن مماتى أن قطيعة القمح كانت الى آخر سنة سبع وستين وخمسمائة عن كل فدان ثلاثة أرادب ثم إنه تقرر عند المساحة فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة عن كل فدان إردبان ونصف إردب.

(٤) فى الأصل: «الحيرية»؛ وهو تصحيف.

(٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر.

(٦) تقدم تفسير القبائل فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

والحروف ، وتكتب عليها الشهود الذين حضر البلد[1] بحضورهم ، ثم يصرف لكل مزارع ما جرت العادة به من التقاوى[2] بحسب ما يسجله ، و يكون ما يصرفه من التقاوى من أطيب الغلال وأفضلها وأنصعها ، ثم يبسط جريدة على أوراق السجلات يشرح فيها آسم كل فلاح وما يسجله من الفدن[3] ، و يفصل ذلك بقبائله وجهاته وقطائعه ؛ فاذا نبت الزرع وآستوى على سوقه ندب عند ذلك من يباشر مساحة الأراضى : من شاد وعدول ذوى خبرة بعلم المساحة ، و كاتب عارف خبير أمين ، وقصابين : وهم الذين يقيسون الأراضى بالأحكام[4] الحاكمية المحررة ؛ فيمسحون الأراضى المزروعة بأسماء أربابها وقبائلها ، و يعينون أصناف المزروعات بها ، و يكون مباشرو المساحة قد بسطوا أيضا سجلات التحضير ، فإذا تكاملت المساحة نظم مباشروها أوراقا يسمونها : المكلفة ، يترجم صدرها بما مثاله مكلفة تاريخ[5] فنداق مساحة الأراضى بالناحية الفلانية لمغل سنة كذا وكذا الخراجية . والتاريخ[5] : هو الأوراق التى يبسطها مباشر المساحة بما فى السجلات ويختمها[6] بما انتهت اليه المساحة . والفنداق : هو عبارة عن التعليق ، وهو الذى تكتب فيه المساحات حال قياسها . فإذا انتهت ترجمة صدر المكلفة عقد

(١) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر .

(٢) التقاوى : ما يعزل من الحبوب للزرع ، وهى عامية .

(٣) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٤) بالأحكام : أى بحسب الأحكام ؛ و يريد : أحكام المساحة ؛ وقد تقدم بيان القصبة الحاكمية فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٩ من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : « تاريخ » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى القاموس وشرحه ، فقد جاء فى مادة «أرج» ما نصه : والأوارجة من كتب أصحاب الدواوين فى الخراج ونحوه ؛ و يقال : هذا كتاب التأريج الخ .

(٦) فى الأصل : «يخدمها» بالدال ؛ وهو تحريف .

جمـلةَ قُدُنها[1] فى صدرها وفصَّلها بأصناف المزروعات وأسماء المزارِعين، فإن طابقت المساحةُ السِّجلّات من غير زيادة ولا نقص قال : وذلك بمقتضَى السِّجلّات، وإن تميّزتْ قال: ما تضمّنته السِّجلّات كذا، زائدُ المساحة كذا ، وان نقصتْ ذَكَر ماصحّ بمقتضَى مساحته، وكمَّله بالقلم تَمِمّة[2]؛ وإن نَقَص مزارعٌ عن سجلّه فى قَبالةٍ وزاد على سِجلّه فى قَبالةٍ أخرى كَمَّل[3] عليه ما نقص بمقتضَى سِجلّه، وأورد ما زاد فى القَبالة الأخرى زيادة، ولا يَنقُل الزائدَ إلى الناقص، ويُلزِمه المباشرُ بالقيام بخراج ما نقص من تلك القبالة ومازاد فى الأخرى؛ هذا مصطلَحُهم، وليس هو منافيا للشرع، إلا أنّى أرى فى هذا النقص تفصيلا هو طريقُ العـدل والحقّ، وهو إن كان النقص مع وجود أرضٍ بائرة[4] بتلك القَبالة لَزِمه القيامُ بخراج النقص، لأنه عطّلها مع قدرته على الانتفاع بها وزراعتِها؛ ويسلّم إليه من الأراضى البـائرة التى شَملها الرِّىُّ بتلك القَبالة نظيـرَ ما نَقَص عنده لينتفع بما لعلّه نبت فى تلك الأرض من الكَلإ؛ وإن كان النقص مع تغليق[5] أرضِ تلك القَبالةِ بالزراعة فلا شىء عليه لأنه لم يتسلّم ما بسِجلّه، ويعتدّ له بهـا لعلّه زاد على تسجيل غيره بتلك القَبالة، فإنه يعلم بالضرورة القطعيّـة أن الذى زُرِع بهـا أكثرُ مما بسجلّه أُخذ من جمـلة سجلّ غيره؛ وإن صحّت تلك القَبـالةُ فى جميع[6] المزارعين بمقتضى سجلّاتهم بغير زيادة، ونَقَص عنـد واحد بعينه

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) هذه الكلمة فى الأصل مهملة الحروف من النقط.

(٣) كمل عليه : أى كتب ذلك عليه كاملا وإن لم يكن كاملا عند المساحة.

(٤) فى الأصل : «مباشرة»؛ وهو تحريف.

(٥) فى الأصل : «تعليق» بالعين المهملة ولم نجد من معانيـه ما يناسب سياق الكلام؛ والمراد بالتغليق : التكميل والتتميم؛ والظاهر أن هـذا الاستعمال عامى كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر.

(٦) فى جميع : أى فى مساحات جميع.

جميعُ ما آشتملت عليــه المساحة بهــا ، فإن وافق جمــلةَ قانونها تَعيَّن أن الخلل إنمــا جاء من قِبَــل المباشر، لأنه سَجَّـل فى قَبالة أكثرَ من قانونها ، فلا يُلزَم المزارعُ بالنقص؛ هذا هو العدل والإنصاف، فمن خرج عنه فقد ظلم وحاف ؛ فاذا تَكمَّلتْ تكملة المساحة وضع المبــاشرُ زائدَ مساحةِ كلِّ آسمٍ تحت آسمِه ، وضمّه إلى سجــلّه ، ورفَع[1] الجملةَ بالعَين والغلّة، وأضاف [إلى][2] كلِّ آسم مالعلّه قدتَسلَّمه من تَقاوٍ وقُروض، وما عليه من عُشْرٍ ووفرٍ ورسوم ، وما لعلّه آنساق من الباقى الى آخر السنة المــاضية إن كان؛ وهم[3] يُضيفون عُشْرَ التقاوى ،وهو حرام لا شُبْهةَ[4] فى أخذِه، وهو الرِّبا بعينه، فإنه يُقرِض الرجلَ عشرة فيأخذها أحدَ عشَر؛ و يُضيفون أيضا فى بعض البلاد عُشرَ العُشر فيَقبِضُ كلَّ مائة إردبٍّ مائةَ إدربٍّ وأحدَ عشَرَ إردبًّا؛ و إنمــا آشتدّت هذه المظالم وأُحدِثت من قِبَل أرباب البذول[5] الذين يَقترِفون[6] المظالم ولا يجدون مــن يردعهم و يُردّهم عنها فتستمِرّ ، وهى من السنن السيئة التى عليهم وِزْرُها و وِزْرُ مَن عَمِلَ بها إلى يوم القيامة .

---

(١) فى الأصل : « ربع » بالباء، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا؛ يقال : رفع الحاسب حسابه : اذا عدّده ثم أجمله ، و يقال لجملته وفذلكته : مرفوع؛ وهذا اصطلاح لحساب والكتّاب مشهور فى كتبهم ورسائلهم انظر شفاء العليل .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ واللغة تقتضى إثباتها .

(٣) فى الأصل : « وهو »؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « مالا شبهة » وقوله «ما» زيادة من الناسخ ، فان المعنى عليها غير ظاهر، ولعل صواب العبارة ما أثبتنا اذ به يستقيم الكلام . والشبهة : الالتباس ، يريد أنه لا التباس فى حرمة أخذه .

(٥) لعله : « البذور » بالراء، جمع بذر، وهو ما يعزل من الحبوب للزراعة .

(٦) فى الأصل : «يقتفون» بسقوط الراء .

ثم يَعقِد المباشر على جميع ذلك جملةً و يشطُها(١) بما يستخرجه منه ويحصّله ، والذى تنعقد عليه الجملة هو ما تعيّن عليه للديوان أنجب زرعه أو لم يُنجِب ؛ ومهما آستخرجه منه وحصّله وأحال به كَتَب به وُصولا ؛ فإذا غلّق(٢) كلُّ آسمٍ ما عليه أجاز عليه إشارةَ التغليق ، و إن بقِىَ عليه شىء ممّا تعيّن عليه طَرَدَه للباقى ؛ هذا حكم الأرض التى تُسجّل بالغلّة ؛

وأما ما يُسجّل بالنقد فإنه تَتساوَى عليه ثلاثةُ أقساط أو قسطان : قسطٌ من ثمن البِرسيم الأخضر عند إدراكه و بيعه لربيع الخيل ، وقسطٌ من الكتّان عند قلعه إن كان ، وقسطٌ عند إدراك المُغَلّ والمَقاثئ ، ومنهم من يسجّل بالنقد الحاضر جملةً واحدةً فى وقت السجلّ ؛ هذا حكم خراج الزراعة .

وأما الخراج الراتب ، فهو لا يكون إلا بالنقد عَينا(٣) أو فضّة ؛ وهو خراج السواقى والبساتين والنّخيل ؛ وذلك أن أربابه يقاطعون(٤) الديوان على فُدُن(٥) معيَّنة بمبلغ معيّنٍ عن كلّ فدان فى كلّ سنة يقومون به فى أوقات معلومة ، رَوِيَت الأرضُ أو شَرَّقت(٦) ؛ وهم يَحفِرون فى تلك الأراضى آبارا بقدر ما يعلمون أن المياه التى تطلع منها تُروِى تلك الأراضىَ ، و يركّبون على أفواه الآبار السواقِىَ

(١) فى الأصل : «و يسطها» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٢) فى الأصل : «علق» بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ وغلق بالعين المعجمة من التغليق ، وهو التتميم والتكميل والظاهر أنه عامىّ — كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر — وكأن المزارع اذا دفع كل ما عليه فقد أغلق باب المطالبة .

(٣) العين : ما ضرب من الدنانير .

(٤) يقاطعون ، من القطيعة : وهى الضريبة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٦) ذكر فى مستدرك التاج أن مصدره التشريق ، ولذلك ضبطناه بتشديد الراء .

المتّخذة من أخشاب السنط وما ناسبه، المشهورةَ بالخرير[١] التى تُعين على رفع المـاء ويسمّونها بديار مصر: المَحال[٢]، وبحماةَ: النواعير، إلا أن النواعير تَدُور بالمـاء، وهذه تدور بالأبقار، ويزرعون عليها بتلك الأراضى ما أحبّوه واختاروه من أصناف المزروعات والغُروس لا يطالَبون عليهـا بغير الخراج المقرَّر، إلا أن يَنْصبوا القصبَ[٣] فلا يُقتصَر منهم عند ذلك على الخراج، بل للديوان على الأقصاب مقرَّرٌ يستأديه عن كلّ فدّان؛ ويُستأدَى خراجُ الراتب على أقساط فى زمن الثمار والأعناب والفواكه وعند ضَرْبِ الوَسِمة[٤] — وهى النِّيل الذى يُصبَغ به اللونُ الأزرق — وخراج الراتب يستأدَى ممن هو عليه، زَرَع أرضَه أو عَطّلها، وهو لا يبطل بوفاة المُقاطَع[٥] على الأرض، بل ينتقل على ورثته، ويطالَبون به أبدا ما تعاقبوا وتناسلوا، ولا يوضع عنهم إلا إن ابتلع البحرُ الأرضَ المُقاطَع عليهـا بعد أن يعملوا بذلك مشاريحَ[٦] تُثْبِت عند حاكم البلد أن البحر ابتَلَع[٧] تلك الأراضىَ بكمالها أو بعضها، ولا يَنهض مباشرُ الناحية أو ناظرُ العمل

---

(١) الخرير: صوت المـاء.

(٢) فى كتب اللغة أن المحال والمحالة: البكرة العظيمة التى يستقى عليها، سميت بذلك لأنها تدور فتنقل من حالة إلى حالة.

(٣) نصب القصب: هو أنهم اذا هيأوا الأرض لزرعه يلقونه فيها قطعتين، قطعة مشاة وقطعة مفردة بعد أن تجعل الأرض أحواضا وتفرز لها جداول يصل المـاء منها الى الأحواض، ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاث أنابيب كوامل وبعض أنبوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفلها خطط المقريزى ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق وسيأتى ذلك أيضا عند الكلام على زراعة القصب.

(٤) ضرب الوسمة: هو أن يضربوا شجرها بعد جفافه لينحت الورق عنه ويسقط.

(٥) المقاطع: هو الذى جعلت عليه قطيعة أى ضريبة يؤديها إلى الديوان.

(٦) فى الأصل: «مشارعا»، وهو تحريف؛ ويرشد الى ما أثبتنا ورود هذه الكلمة فى ص ٢٤٣ س ٣، ٤ من هذا السفر.

(٧) فى الأصل: «اقتلع» بالقاف؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما سبق.

بوضعه مع وجود المَحضَر[1] الثابت[2]، بل يحضر المقاطع على الأرض أو من انتقلت اليه بالإرث أو الابتياع الى باب السلطان، ويرفع قصّةً الى الوزير بصورة الحال، ويوقّع عليها بقلمه أن[3] يُوضَع عنه من خراج الراتِب بقدر ما ابتاعه البحرُ بمقتضى المحضَر، ويستمرّ حكمُ ما بقىَ، ويكتب على ظهر قصّته: توقيعٌ شريفٌ سلطانىٌّ، ويُثبَت بدواوين الباب السلطانىّ، ثم يُثبَت بديوان العمل الجامع، ثم ينزل فى ديوان البلد التى بها تلك الأرض، ويُوضَع عند ذلك من الضريبة الديوانية؛ هذا حُكمُ الخراج بالديار المصريّة وقاعدتُه والعادة فيه .

وأما جهات الخراجىّ بالشام وكيفيّتها وما يعتمد عليه مباشروها — فإن قانون البلاد الشاميّة مبنىٌّ على نزول الغيث، ووقوعِ الأمطار فى إبّانها وأوقاتِ[4] الاحتياج اليها، فمن ذلك المطرُ المسمَّى: الوَسمىّ، وهو الذى يقع فى فصل الخريف، وعند وقوع هذا المطر يُخَدُّ[5] شَقُّ الأراضى المكروبةِ[6] بالسِّكك[7]، ثم يُبذَر الحبُّ فيها، ويعاد شقُّ الأرض عليه لِيَخفَى عن الطير[8] خشيةَ التقاطه، فإذا نزل عليه المطر الثانى

(١) المحضر: خط يكتب فى واقعةٍ خطوط الشهود فى آخره بصحة ما تضمنه صدره؛ وهو اصطلاح حادث ليس من اللغة، كما فى القاموس وشرحه .

(٢) فى الأصل: «النايب» بالنون والياء؛ وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل: «أو»؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) موضع هذه الكلمة فى الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها، ولم يتضح لنا منها غير الواو الأولى والألف التى بعدها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٥) فى الأصل: «يحدّ» بالحاء المهملة؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا؛ يقال: خدّ الأرض خدّا: إذا شقها .

(٦) المكروبة: المحروثة، يقال: كربت الأرض كربا وكرابا بكسر الكاف: إذا قلبتها وأثرتها للزرع .

(٧) السكك: جمع سكّة بكسر السين، وهى حديدة المحراث التى يحرث بها .

(٨) فى الأصل: «الطين»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما يدل عليه التعليل .

بعد ذلك نَبَت و برَزَ إلى وجه الأرض، وهو عند ذلك يسمّى : الأَحْوَى[(١)]، ثم لاتزال الأمطار تسقيه والأنواءُ تغذيه حتى يصير غُثاء، ثم يقع عليه بعد ذلك المطر المُسمَّى بالمطر الفاطم. وهو غالبا يكون فى شهر نَيسانَ، ثم يعقد فيه الحبُّ بعد ذلك، و ينتهى على عادة الزرع؛ هذا حكمُ ما يُزرع على الوَسمِىّ .

٥ ومن أراضى الشأم [نواحٍ][(٢)] يغِبّها[(٣)] الوَسمىُّ فيَزرَع سُكّانُها[(٤)] الحبَّ عَفِيرا، ومعنى ذلك أنهم يزرعون فى الأرض الحبَّ قبل إبّان الزرع و يَنتظِرون وقوعَ الأمطار عليه؛ ومن غريب ما ٱتّفق فى بعض السنين أنهم أُودَعوا ٱلحبَّ الأرضَ على عادتهم فلم تَسقط عليه الأمطارُ فى تلك السنة، فاستمرّ فى الأرض إلى العام القابل، وأيس أهلُ البلاد منه، و زرعوا فى السنة الثانية شطرَ الأراضى التى كانت

١٠ كِرابا غيرَ مزروعة — فإن عادتهم بسائر بلاد الشأم أن كلَّ فلّاحٍ يَقسِم الأراضىَ التى بيده شطرين، فيزرع شطرا، و يُرِيح شطرا، و يتعاهده بالحرث لتَقْرَع الشمسُ باطنَ الأرض، ثم يزرعه فى القابل و يُرِيح الشطرَ الذى كان به الزرع؛ هذا دأبهم، خلافا لأراضى الديار المصريّة، فإنها تُزرَع فى كلّ سنة — فلما وقعت الأمطار نَبَت الشطران معا، وأَقبلت الزراعاتُ فى تلك السنة، فتَضاعَف المُغَلّ، وهذا

١٥ غريبٌ نادر الوقوع .

---

(١) الأحوى من النبات : ما يضرب إلى السواد من شدّة خضرته، وهو أنعم ما يكون منه .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

(٣) يغبها : أى يتأخر عنها؛ والذى فى الأصل : «يقع بها»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق؛ فإن ما قبله من الكلام فيما إذا نزل المطر قبل الزرع، فيقتضى أن يكون مقابله فيما إذا تأخر نزول

٢٠ المطر عن الزرع .

(٤) فى الأصل : «مكانها»؛ وهو تحريف .

ومن أراضى الشأم ما يسقَى بالمياه السارحة من الأنهار والعيون، وتكون مقاسمةُ أرضه أوفرَ من مقاسمة ما يسقَى بالأمطار، وقيمةُ الأملاك بها أرفع وأغلَى[(1)] من تلك، ويكون غالبا فى الأراضى المسْتَفِلة[(2)]، والله تعالى أعلم .

والذى يعتمده مباشر الخراج ببلاد الشأم أنه يبدأ بإلزام رؤساء البلاد بتغليق[(3)] أراضيها بالزراعة والكِراب[(4)]، ومصطلَحُهم فى ذلك أن يقولوا : أحمرَ وأخضرَ، يَعنُون بالأحمر : الكِراب، و بالأخضر : الزرع شَتويّا أو صيفيّا[(5)]، و يَعنُون بالشَّتوىّ : القمحَ والشعيرَ والشُّوفانَ[(6)] والفولَ والحِمَّصَ والعدسَ والكِرِسنّة[(7)] والجُلُبّان[(8)] والبسْتِيلية

---

(١) لم يتصح لنا فى الأصل من هاتين الكلمتين غير بعض حروفهما، وسائرها مطموس تتعذر قراءته؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . (٢) فى الأصل : « المستقلة » ؛ وهو تصحيف . ويريد بالمستفلة : ما اطمأن من السهل وسفل .

(٣) فى الأصل : « تعليق » ؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ ويريد بالتغليق التكميل والتتميم ؛ والظاهر أن استعماله فى هذا المعنى استعمال عامىّ، كأن الشىء اذا كمل فقد أغلق باب الزيادة فيه ؛ وقد سبق ذلك أيضا فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ والحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٥١ من هذا السفر .

(٤) الكراب : الحرث . (٥) فى الأصل : «صيفيا أو شتويا» والأولى تقديم الشتوىّ كما أثبتنا إذ هو مقتضى صنيعه بعد فى ذكر الماتات الشتوية قبل الصيفية .

(٦) الشوفان، ذكر فى بعض الكتب باسم السلت، والسلت : ضرب من الشعير يجرد من قشره، ولعل المراد من ذلك نوع من الشوفان يسمى بالمقشر، أى الذى يخرج عاريا من قشره ؛ والشوفان نبات من الفصيلة النجيلية، وسيقانه تعلو من قدمين الى ثلاثة ؛ وهو أنواع كثيرة، أشهرها الشوفان المستنبت، وهو أهم علف للخيل، وتعلفه أيضا الماشية والطيور، فهو يسمن الغنم، ويزيد فى اللبن، و يكثر بيض الطيور، و يصنع الفقراء فى بعض الأماكن خبزا من دقيقه لكنه ردىء، و يتخذ من الشوفان نشاء و برغل اه ملخصا من دائرة المعارف للبستانى .

(٧) الكرسنة : شجرة صغيرة لها ثمر فى غلف تعلفه الدوابّ، وهى الكشنى .

(٨) الجلبان : هو من القطانى بتشديد الياء، أى الحبوب التى تطبخ، وقال ابن البيطار فى مفرداته ج ١ ص ١٦٤، ١٦٥ طبع المطبعة الأميرية : الجلبان هو من القطانى المأكولة، وله قضبان مربعة سباطية تنبسط على الأرض، وله ورق حوالى القضبان الى الطول وله نوار الى الحمرة تخلفه مزاود فيها حب مدوّر الى البياض حلو، و يؤكل نيّا فى الربيع، ثم يجف و يطبخ .

وهى التى تسمّى بمصر : البِسِلّى[1]، و بالساحل الطرابُلُسىّ : الحالبة ؛ و يعنون بالصيفىّ : الذُّرَة والدُّخْن والسِّمسِم والأرُزّ والحبّة السوداء والكُسْبرَة والمَقَاثئ[2] والوَسْمة[3] والقِرْطِم[4] والقطن والقِنّب[5] ؛ ويكتب عليهم بذلك مشاريح أنهم لايبوّرون شيئا من الأراضى ومن بوّر شيئا منها كان عليه القيام بربع الغامر[6] من نسبة[7] العامر ؛ فإذا زُرعت الأراضى وبدا صلاحُ الزرع ، وأخذ الفول فى العقد خرج الوكلاء على الزراعة إلى النواحى يحفظون الزراعة من التطرّق إلى شىء منها ، و يلازمونها إلى أن تُحصَد وتُنقل إلى البيادر[8] ؛ فعند ذلك يخرج الأمر بحفظ ما يصل إلى البيادر[8] ، و يأخذون فى الدّراس ؛ فإذا تكامل وطابت البيادر ولم يبق إلا التّذرية أُخرج مذرّيا — ووظيفة المذرّى أنه يلزمهم بتخليص الغلال من الأقصال وتنظيفها ؛ فإذا فعلوا ذلك وخلصت الغلال من الأتبان والأقصال وصارت بيادرَ صافيةً خرج والى العمل ومباشروه إلى تلك الجهة ، وتقدّموا[9] بتوزيع بيادرها على ضريبة الناحية وعادتها فى المقاسمة ، مناصفةً — وذلك فى أراضى السَّقْى — ، ومثالثةً ومرابعةً — وهو فى غالب

(١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى مستدرك التاج .

(٢) المراد بالمقاثئ هنا نفس القثاء ، وهو مجاز من اطلاق اسم الموضع وارادة ما يكون فيه .

(٣) الوسمة : ورق النيل الذى يصبغ به كما سبق فى صفحة ٢٥٤ س ٧ من هذا السفر .

(٤) القرطم : حب العصفر .

(٥) القنب : ضرب من الكتان ، وهو الغليظ الذى تتخذ منه الحبال وما أشبهها .

(٦) فى الأصل : « ربع العامر » ؛ وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين ؛ والمراد بالغامر الذى لا نبات فيه .

(٧) لعل صوابه « بنسبة » بالباء مكان « من » كما يدل عليه ما ورد فى قوانين الدواوين صفحة ٣٧ طبع مطبعة الوطن ؛ وعبارته : « اذا استعمل المزارع أرضا على أن يزرعها مشاطرة بعد أن شملها الرىّ ثم بوّر شيئا منها وجب عليه القيام بخراجه بالنسبة لتحصل المشاطرة » الخ .

(٨) البيادر : المواضع التى يداس فيها الفول والحنطة ونحوهما ؛ واحده بيدر بفتح الباء .

(٩) يقال : « تقدّم إليه بالشىء » أى أمره به .

البلاد — ، ومخامسة ومسادسة — وذلك فى المزارع والنواحى الخالية من السكان التى يزرعها المستكرون[1] — ، ومسابعة ومثامنة — وذلك فى النواحى المجاورة لسواحل البحر والمتاخمة لأطراف بلاد العدو ؛ فإذا فرغ توزيعها أخذ المباشرون ما يخص الديوان من التوازيع ، ثم يحزر[2] ما لعله تأخر من الغلال فى عرصات البيادر والأقصال وأعقاب التبانات والعفائر ، ويؤخذ منه ما يخص الديوان من نسبة[3] المقاسمة ، ويكمل على الفلاح على حكم ضريبة ذلك العمل[4] ؛ وفى بعض النواحى يكون من المواسطة ، فتفرد لها توزيعة بمفردها ، ثم يؤخذ من حاصل الفلاح بعد الرسوم عشر ما بقى له ؛ وهذا غير مطرد فى جميع البلاد ، فإن فى جهات الأوقاف والبر وما يناسبها لا يؤخذ العشر إلا من النصاب الشرعى ؛ وفى نواحى الخواص والإقطاعات يؤخذ مما بقى للفلاح من كل عشرة أجزاء جزءا مما قل أو كثر بحسابه ؛ وفى بعض الأقاليم لا يؤخذ العشر من المزارعين الذمية ؛ وأما النواحى الإقطاعية والأملاك التى أعشارها ديوانية فمنها ما عليه ضريبة مقررة تؤخذ فى كل سنة زاد المغل أو نقص ، ومنها ما يندب له من يقف على النواحى ويحزر[5] ما بها من الغلال ويقدر العشر عنها ، ويكون هذا الحزر والزرع قائم أو حصيد قبل دراسه ، ثم يستعاد بعد ذلك من الفلاحين ما لعله

(١) فى الأصل : « المشكرون » بالشين ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا .

(٢) يحزر : أى يقدر بالظن والحدس ؛ والذى فى الأصل : « يحرز » ؛ وهو تصحيف ، إذ لا يتأتى التحرير — وهو الضبط بدقة — فى هذه الحالة .

(٣) لعله « بنسبة » كما يدل عليه ما نقلناه عن قوانين الدواوين فى الحاشية رقم ٧ من صفحة ٢٥٨ ، فانظره .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل ؛ ولم يتضح لنا المراد به فى هذا الموضع .

(٥) فى الأصل : « ويحرر » ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ؛ وقد سبق تفسير الحزر فى الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة .

عليهم من التقاوى[1] والقُروض[1]، وتكون بمفردها مرصَدةً لتقاوى السنة الآتية؛ ثم يُعتبَر ما يتحصّل من الغلال على اختلاف أصنافها بالكيل المتعامَل به فى ذلك الإقليم، وتُعمَل بذلك مخازيم[2] على العادة مفصَّلة بالأسماء وأصلِ المقاسَمة والرسوم والعشر وما لعلّه استعيد من التقاوِى والقُروض؛ وعند تكامُل قَسْم نواحى كلّ عملٍ يُنْظَم على المخازيم[2] عمَلٌ[3] بالمتحصِّل على ما نشرحه إن شاء الله تعالى فى الأوضاع الحسابيّة؛ هذا ما يعتمده فى الغلال .

وأما الحُبوبُ والزيتونُ والقطنُ والسُّمّاقُ[4] والفستقُ والجوز واللّوز والأُرُزّ فإنّ الوكلاء تستمرّ على حفظ ذلك إلى أن يصير فى بيادره، و يُقسَم على حُكم الضريبة ويُحصَّل و يُورَد على المتحصَّل؛

وفى بعض الأعمال الشاميّة نواحٍ مفصولةٌ[5] ومضمَّنةٌ[6] على أربابها بشىء معلوم يؤخَذ منهم عند إدراك المُغَلّ من غير توكيل ولا مقاسمة، وهى نظيرُ المتاجرات[7]،

---

(١) تقدّم تفسير التقاوى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر، فانظره .

(٢) فى الأصل : «محاريم» بالراء؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا؛ وقد ذكر فى شفاء الغليل أن المحزومة : نوع من الدفاتر يحرق، مولّدة؛ وقد وردت هذه الكلمة فى شعر ابن نباتة يذم كاتبا، قال :

لم يدر ما محزومة وجريدة ※ سبحان رازقه بغير حساب

وسيأتى كيفية عمل المخزومة فى صفحة ٢٧٤ من هذا السفر، فانظره .

(٣) المراد بالعمل نوع من القوائم يعمله كتّاب الدواوين بالكيفية التى سيأتى بيانها فى هذا السفر عند الكلام على الأعمال وأنواعها .

(٤) السماق بالتشديد : من شجر القفاف والجبال، وله ثمر حامض عناقيد فيها حب صغار يطبخ؛ قال أبو حنيفة : ولا أعلمه ينبت بشىء من أرض العرب إلا ما كان بالشأم؛ وهو شديد الحمرة .

(٥) انظر تفسير هذه الكلمة فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦١ عند شرحنا للفظ المفصل .

(٦) فى الأصل : «مذيمة»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) فى الأصل : «المتأخرات»؛ وهو تصحيف .

بالديار المصريّة ؛ ولفظُ الفصل[1] بالشأم كلّه كلمة فَرَنجيّـة ، وآستمرّ آستعمالها فى البلاد الساحليّة التى آرتجِعت من أيدى الفَرَنْج جريا على عادتهم .

وأما خراج العين فهو مقرَّر على البساتين والشـجريّات والكروم والمقاثئ ويُستخرَج على حكم الضريبة عند إدراك كلّ صنف .

٥ ومن أبواب[2] الخراجىّ الخِدَمُ التى تقدّم[3] ذكرُها ، ومقرّرُ القصب والبريد[4] والبُسـط ، وعُشْرُ العِرَق[5] ، وغيرُ ذلك ممـا يطول شرحه ، الّا أن جميعَ ما يُستخرَج من الأراضى منسوبٌ الى الخراج .

ومن أبواب الخراجىّ الأحكارُ على ما فيها من آلآختلاف ؛ ومهما آستخرجه المباشر وحصّـله من ذلك يَعتمِد فى إيراده نحوَ ما شرحناه فى الهلالىّ : من إيراده ١٠ فى تعليق المياوَمة ، وشَطْبِه على الجريدة المبسوطة على أبوابه ؛ هـذا حكم الهلالىّ والجوالى والخراجىّ ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) لعل أصل هذه الكلمة فى اللغة الفرنسية (Vassal) فسال ومعناه التابع الذى أعطاه متبوعه إقطاعا نظير واجبات يؤدّيها ، كما فى معجمات هذه اللغة ، فكأن أهل الشأم اشتقوا منه لفظ (الفصل) وأرادوا به المعنى المصدرىّ ، أى التبعية ، ثم حرّفته ألسنتهم الى (الفصل) كما هنا حسب نطقهم العربى واشتقوا منه ١٥ لفظ (مفصولة) السابق فى صفحة ٢٦٠ س ١٠ .

(٢) فى الأصل : «إدراك» ، وهو تبديل وقع من الناسخ لا يستقيم به معنى الكلام ؛ ويرشد الى ما أثبتنا ما يأتى بعد فى السطر الثامن من هذه الصفحة .

(٣) فى الأصل : «تقرر» ، وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ؛ فقد تقدم ذكر هذه الخدم فى قوله فى ص ٢٤٥ من هذا السفر : «وما يستأدى من خدم الفلاحين» الخ .

٢٠ (٤) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل وخطط المقريزى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد العلمى الفرنسى ؛ ولعله «البرود» بدليل عطف البسط عليه ، والبرود : الثياب ، وكان ما يؤخذ على الثياب معروفا فى مصر الى زمن قريب .

(٥) العرق : دبس التمر ، أى عسله .

وأما ما يشترك فيه الهلالىّ والخراجىّ ويختلف باختلاف أحواله بجهاتٍ، وهى المراعى والمصايدُ والأحكار ؛

أما المراعى[(١)] — فالذى يَرِد منها فى أبواب الهلالىّ ما آستقرّ حُكمه بجهة، وتَقرّر فى كل سنة، وصار ضريبةً مقرّرة ؛ فمن المباشرين من يَقبضه على شهور السنة، ويستخرجه أقساطا، ويورده فى جملة أبواب الهلالىّ ؛ والذى يَرِد منه فى أبواب الخراجىّ هو ما يُستخرَج من أرباب المواشى فى كلّ سنة عند هبوط نيل مصر ونباتِ الكلإ، فى مقابلة ما رعته مواشيهم من نبات الأرض، وهو يزيد وينقُص بحسب كثرة المواشى وقلّتها ؛ وعادتُهم فيه أن يُنْدَب لمباشرة ذلك مشدٌّ[(٢)] وشهود وكاتب، ويعدّوا الأغنام وغيرَها، ويَستخرِجوا من أربابها عن كلّ رأسٍ شيئا معلوما بحسب ضريبة تلك آلجهة وعادتها ؛ وهو على هذا الوجه لا ينبغى إيراده إلا فى أبواب الخراجىّ ؛ ومن الكتّاب من يُورده[(٣)] فى أبواب الهلالىّ، وهو غلط .

وأما المصايد[(٤)] — فمنها أيضا ما يورَد فى أبواب الهلالىّ كالنواحى التى تصاد

---

(١) فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٨١ ، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى أن أوّل من قرر فى مصر مالا على المراعى وأدخلها الديوان أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراجها، وذلك بعد سنة خمسين ومائتين .

(٢) لم نقف على ضبط هذا اللفظ فيما راجعناه من الكتب التى وردت فيها، كما أنه لم يرد فيما بين أيدينا من كتب اللغة، وكأنه سامى، وبعض العامة فى مصر ينطقون به بكسر أوّله وفتح ثانيه ؛ وسيأتى فى هذا السفر شرح ما يلزم المشدّ من الأعمال عند ذكر أرباب الوظائف .

(٣) فى الأصل : « ما » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٨١ ، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى أن أول من قرر مالا فى مصر على المصايد أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراجها وأنه احتشم من ذكر المصايد وشناعة القول فيها فأمر أن يكتب فى الديوان : خراج مضارب الأوتاد ومغارس الشباك .

بها الأسماك على الدوام ، مثل ثغر دمْياطَ والبُرُلُّس[١] وجنادل[٢] ثغر أُسوانَ وأشباه ذلك بالديار المصريّة ، و بالشأم مثل نهر العاصى[٣] و بُحَيرة طَبَرِيَّة ، وغيرهما من الأنهار والبِرَك ؛ ومنها ما يَرِد فى أبواب الخراجىّ ، وهو ما يصاد من الأسماك عند هبوط نيل مصر ورجوع المـاء من المزارع الى بحر النيل ، والعادة فى ذلك اذا انتهت زيادة النيل وشرع المـاء فى مبادئ النقص سَكَرُوا[٤] أفواهَ التُرَع ، وسَدّوا أبوابَ القناطر التى عليها حتى يرجع المـاء (ويتكاثف مما يلى المزارع)[٥] ثم ينصبون الشِّباكَ ، و يصرفون المياه ، فيأتى السمكُ وقد اندفع مع المـاء الجارى ، فيجد الشباكَ تَحُول بينه و بين الانحدار مع المـاء ، فيجتمع فيها ، ثم يُخْرَج منهـا الى البَرّ ، فيوضع على نخاخ[٦] و يُملَّح و يودَع فى الأمطار ، وأكثرُ ما يكون ذلك فى طول الإصبَع ونحوه[٧] ؛ وله أسماء : منها البُلْطىّ[٨]

---

(١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى القاموس ؛ وضبطه ياقوت بفتحتين ؛ وهى بلدة على ساحل مصر من جهة الاسكندرية (شرح القاموس) .

(٢) الجنادل : موضع فوق أسوان بثلاثة أميال فى أقصى صعيد مصر قرب بلاد النوبة ، وهى حجارة نابتة فى وسط النيل (ياقوت) . وقال فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٩١ إنها هى الجبل الذى تنحدر عليه النيل بين منتهى مراكب النوبة فى انحدارها ومراكب مصر فى صعودها .

(٣) نهر العاصى : هو اسم لنهر حماة وحمص ، ويعرف بالمقلوب ، مخرجه من بحيرة قدس ، ومصبه فى البحر قرب انطاكية ، واسمه قرب انطاكية : الارند (ياقوت) وذكر فى صبح الأعشى ج ٤ ص ٨٠ فى سبب تسميته بهذا الاسم أن غالب الأنهار تسقى الأرض بغير دوالب ولا نواعير بل تركب البلاد بأعليها ، وهذا النهر لا يسقى إلا بنواعير تنزع الماء منه .

(٤) سكروا ، أى سدوا .

(٥) هـذه العبارة فى الأصل مطموسة الحروف تتعذر قراءتها ، وقد أثبتناها عن خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى .

(٦) النخاخ : جمع نخ بتشديد الخاء ، وهو بساط طويل ، طوله أكثر من عرضه ؛ وقد شاع فى مصر إطلاقه على الحصير الذى يتخذ من البردىّ ونحوه ، وهو المراد هنا .

(٧) فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى : «فما دونه» .

(٨) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى مستدرك التاج ؛ وقال عنه : إنه أطيب الأسماك ، و يشبهون به المترعرع فى الشباب والنعمة .

والزّاىُ[1] والبُنِّىُّ[2] وغيرُ ذلك، وما يؤكَل منه طريًّا بعد قَلْيه يسمّونه الإبسارية[3]؛ ومنهـا ما يكون بقدر الفِتْر، ويسمّى الشال[4]، وهو يُملَّح أيضا[5]؛ فهـذا الذى يتعيّن إيرادُه فى أقلام الخراجىّ، ومنهم من يورده فى الهلالىّ، ومن الكُتّاب من يورد المصايدَ والمراعىَ قلما مستقلاّ بعد الجوالى وقبل الخراجىّ .

وأما الأحكار — فقد تقدّم الكلامُ عليهـا عند ذكرنا للهلالىّ .

وهـذه الاختلافات بين الكُتّاب هى بحسب آرائهـم وعاداتِ النـواحى وما استقرّت عليه قواعدها؛ وإنما أوردنا ذلك على سبيل التنبيه عليه، وذكرِ مصطلَح الكُتّاب فيه .

وأما أقصاب السكّر ومعاصرها — فهى[6] تختلف بحسب الأماكِن والبقاعِ والنواحى والديارِ المصريّة والشأم، وتختلف ايضا فى الديار المصريّة بحسب الأعمال والنواحى والأراضى؛ وقاعدتُها الكليّةُ التى لاتكاد تختلف فى الديار المصريّة أن تُختارَ لها الأراضى الجيّدةُ الدَّمِثةُ[7] التى شمِلها الرِّىُّ وعلاها النيل، ويُقلَع ما بها من الحَلْفاء وتُنظَّف، ثم تُبرْش بالمقلقِلات — وهى محاريثُ كبار — ستةَ وجوه، وتجرَّف

(١) فى الأصل : «الراى»؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما هو الشائع فى مصر؛ ولم نجد الزاى بالمعجمة فيما لدينا من المظان . (٢) كذا ضبط هذا اللفظ فى القاموس .

(٣) كذا ورد هـذا اللفظ فى الأصل وخطط المقريزى ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى؛ وعامة مصر يقولون : «بسارية» بحذف الألف الأولى وكسر الباء؛ والظاهر أنه ليس بعربىّ، إذ لم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة .

(٤) كذا فى مستدرك التاج؛ والذى فى الأصل : «الرشال» والراء زيادة من الناسخ .

(٥) فى الأصل : «نقصا»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٦) فى الأصل : «وهل»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام؛ ويرشد اليه ما يأتى فى أقصاب الشأم صفحة ٢٧١ سطر ١٤ . (٧) الدمثة : السهلة اللينة .

حتى تُمَهَّدَ، ثم تُبْرَش ستةَ وجوهٍ أخرى وتجرَّف — ومعنى البَرْش الحرث —(١)؛ فإذا صَلَحتْ وطابتْ ونَعُمتْ وصارت ترابا ناعما وتساوت بالتجريف تُشَقّ عند ذلك بالمقاتلات، ويُرمَى القصبُ فيها قطعتين : [قطعةً](٢) مثناةً(٣)، وقطعةً مفردة؛ وذلك بعد أن تُجعلَ أحواضا وتُفرزَ لها جداولُ يصل الماء منها الى تلك الأحواض، ويكون طول كلِّ قطعة منها ثلاثةَ أنابيبَ كواملَ وبعضَ أنبوبة من أعلى القطعة وبعضَ أخرى من أسفلها؛ ويُختار برسم النَّصْب من الأقصاب ما قصرتْ أنابيبُها، وكثُرت عيونُها؛ فإذا تكامل النَّصْبُ أعيد الترابُ عليه؛ وصورة النصب أن تكون القطعة ملقاةً لا قائمة؛ ثم يُسقَى من حال نصبه فى أوّل فصل الربيع فى كلّ أسبوع مرّة؛ فإذا نبت القصب وصار أوراقًا ظاهرةً على وجه الأرض نبتتْ معه الحَلْفاءُ والبقلةُ الحَمْقاء(٤)، فعند ذلك تُعزَق أرضُه — ومعنى العَزْق أن تُنْكَش الأرضُ وينظَّف ما نبت مع القصب — ويُتعاهد(٥) بذلك مرّةً بعد أخرى إلى أن يَغْزُر القصب و(٦) يقوَى ويَتكاثف، فلا يتمكّن العُزّاقُ من الأرض، فيقال فيه عند ذلك : طَرَدَ القصبُ عُزّاقَه، وذلك عند بروز الأُنْبوب منه؛ ومجموعُ ما يُسقَى بالقادوس ثمانيةٌ وعشرون ماءً .

---

(١) لم نجد البرش بمعنى الحرث فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا؛ ولكن هذا الاستعمال عامّى .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن خطط المقريزى ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق .

(٣) كذا فى خطط المقريزى ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق؛ والذى فى الأصل : « جدداه » وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) البقلة الحمقاء : هى المعروفة فى مصر بالرجلة؛ وإنما سميت بذلك لأنها تنبت على مجارى المياه [illegible] الماء ويقتلعها، ثم تعود فتنبت هناك أيضا .

(٥) فى كتب اللغة أن يتعهد أفصح من يتعاهد، لأن التعاهد إنما يكون بين اثنين؛ وأجازهما الفراء .

(٦) هذه الواو ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها، فإن المعنى ان القصب يتعاهد بذلك العمل؛ وستأتى هذه العبارة أيضا فى صفحة ٢٦٦ سطر ٩

والعادةُ أن الذى يُنصَب من الأقصاب على كلّ محالٍ[1] بَحْرانىّ[2] — أى[3] مجاور للبحر — إذا كان مُزاحَ العِلّة[4][5] بالأبقار[6] الجياد مع قُرْبِ أرْشِيَة الآبار ثمانيةُ أفدنة؛ ويحتاج إلى ثمانية أرؤسٍ بقرا؛ فإذا كانت الآبارُ بعيدةً[7] عن مَجْرَى النيل لا يَقُوم المَحال[1] بأكثر من ستة أفدنة الى أربعة أفدنة؛ فإذا طلع النيلُ وارتفع سُقِىَ القصب عند ذلك ماءَ الراحة؛ وصفةُ ذلك أنه يُقْطَع عليه من جانب جسرٍ يكون قد أدير عليه ليقيَه من الغرق عند ارتفاع المـاء بالزيادة، فيَدخُل المـاء من تلك الثُّلْمة التى فُرِضتْ من الجسر، ويعلو على وجه أرضه نحوا من شبر، فيُسَدّ[8] عند ذلك، ويُمنَع المـاء من الوصول اليـه، ويُترَك ذلك المـاءُ عليه مقدارَ ساعتين أو ثلاثٍ الى أن يَسخُن، ثم يُصرَف عنه من جانبٍ آخرَ إلى أن يَنضُب، ثم يجدَّد عليـه المـاءُ مرّةً أخرى؛ يُتعاهد بذلك مرارا فى أيّام متفرّقة بقدر معلوم، ثم يقطَع بعد ذلك؛ هذا هو القصب الذى يوفَّى حقّه فى حرثه ونَصْبه[9] وسَقْيه وعَزْقه وغير ذلك؛ فما نَقَص من ذلك كان المباشرُ قد أَخَلَّ به إلا النصبَ على الرّىّ وسقىَ ماء الراحة فإنه أمرٌ ربّانىّ لا قـدرة للمبـاشر على آستجلابه .

(١) المراد بالمحال آلة الرى المعـروفة بالساقية، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٥٤ سطر ٢ . والمحال والمحالة فى الأصل : البكرة العظيمة التى يستقى بها، كما فى اللسان والتاج مادة « محل » . (٢) قال ابن سيده : ان النسب إلى البحر بحرانىّ على غير قياس، وقد ردّ عليه السهيلىّ فى ذلك وأنكر هذه النسبة انظر اللسان مادة (بحر) . (٣) فى الأصل : "أو"، وهو تحريف . (٤) عبارة الأصل : « إذا كانت مزاحة » ؛ والذى يؤخذ من كتب اللغة أن المحال مذكر، قال حميد الأرقط :

يردن والليل مرم طائره ✻ مرخى رواقاه هجود سامره

ورد المحـال قلقت محاوره ✻

انظر اللسان والتاج مادة (محل) .

(٥) فى الأصل وخطط المقريزى ج ٢ ص ٧٧ طبع المعهد العلمى الفرنسى : « العله » ؛ وهو تصحيف لا يظهر به معنى الكلام . (٦) « بالأبقار » أى يدار بالأبقار، والمتعلق محذوف لفهمه من الكلام . (٧) هذه العبارة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها . (٨) فى الأصل : «فيشتد» ؛ وهو تحريف . (٩) فى الأصل : « ونصبه » بالصاد المعجمة، وهو تصحيف .

ولا غُنْيةَ للقصب عن القَطِران قبل أن يحلوَ، فإنه يمنع السوسَ من الوصول إليه؛ وصفةُ ذلك أنهم يجعلون القَطِران فى قادوسٍ مبخوشٍ[1] من أسفله، ويُسدّ ذلك البُخْشُ[1] بشىء من الحَلْفاء، ويُعلَّق القادوسُ على جَدْوَل الماء، ويُمزج القَطْران بالماء فيقطُر من خلال ذلك البُخْش المسدود، ويمتزج قَطْرُه بالماء الذى يصل إلى القصب، ويحصل به المقصود .

وإن خشِىَ المباشر على القصب من فساد الفأر أدار حوله حيطانا رقيقة مقلوبةَ الرأس إلى خارج أرض القصب تُسمَّى حيطانَ الفأر، وتُصنَع من الطين المخلوط بالتبن فتمنع الفأرَ من الوصول إلى القصب، فإنه إذا تسلَّق فى[2] الحائط وانتهى إلى آخرها منعتْه تلك الحافَةُ المقلوبةُ وأصابت رأسه فيسقُط إلى الأرض .

هذا ما يلزم المبَاشرَ الاحتفالُ به واعتمادُه فى أمر القصب .

فإذا كان فى أوّل كيهك من شهور القبط كُسِرت الأقصابُ وقُشِرتْ، ونُقلتْ إلى المعاصر؛ وإذا كان فى أوان نصب القصب من السنة الثانية حُرِقتْ آثار الأقصاب وسُقِيتْ وعُزِقتْ كما تقدّم، فتُنبِت أرضُها القصبَ؛ ويسمُّونه بمصر: الخِلْفَة[3]، ويسمّون الأوّل : الرأس؛ وقنود[3] الخلفة فى الغالب أجوَدُ من قنود الرأس .

ذكر كيفية الاعتصار والطبخ وتقدير المتحصّل

الذى جرت عليه العادة بالديار المصرية أن الأقصاب إذا نُقلت من المَكْسِر إلى المعصرة على ظهور الجمال أو الحمير وُضِعت فى مكان برسمها يسمَّى دارَ القصب،

(١) مبخوش، أى مثقوب . والبخش : الثقب، ينطق به العامة بضم أوله وسكون ثانيه؛ والظاهر أنه لفظ عامى إذ لم نجده فيما راجعناه من المعاجم، بل إن مادته لم ترد فى كتب اللغة التى بين أيدينا .

(٢) الذى وجدناه فى كتب اللغة التى بين أيدينا أن « تسلق » يتعدّى بنفسه لا بالحرف كما هنا؛ ولعله ضمن هذا الفعل معنى « صعد » فعدّاه « بفى » .

(٣) القنود : جمع قند، وهو عسل القصب إذا جمد، وهو معرّب « كند » .

بها وَتَرَاتٌ(١) وحطبٌ ورجالٌ مُرْصَدون لإصلاح القصب بالسكاكين الكبار التى مقدارُ حديدها ثلثا ذراع، فى عَرْض سدس ذراع فى سَمْك إبهام، فينظّفون عيدانَ القصب، و يقطعون من أعلاه ما ليس فيه حلاوة، ويسمّونه الَّلكلوك(٢)، وينظّفون اسفلَ العود ممّا لعلّه به من عروق وطين؛ و يسمّى هذا الإصلاحُ التطهيرَ؛ ثم يُنقَل من تلك الوَتَرات الى وَتَرات أُخَر مؤبَّدةٍ بأعلى حائطٍ عريضٍ مرتفعٍ عن الأرض، أحدُ جانبى الحائط مما يلى دار القصب، والوجهُ الآخَرُ إلى بيتٍ آخر يسمَّى بيتَ النُّوب(٣)؛ وعلى ذلك الحائط رجالٌ جالسون فى مقاعدَ أُعِدّتْ لهم، وبأيديهم السكاكين التى ينظَّف بها القصب، والوَتَراتُ المؤبَّدةُ أمامَهم، فيَجمَع الرجل منهم عدّةَ عيدان من القصب، و يضعها على الوَتَرة، ويقطّعها قِطعا صغارا فتسقط فى بيت النُّوب(٣)؛ ثم تُنقَل من بيت النُّوَب الى الحَجَر فى أفرادٍ(٤) تسمَّى العِيارات(٥) متساويةِ المقادير؛ فيوضع ذلك القصبُ المقطَّع تحت الحَجَر، ويَدوُرُ الحَجَرَ عليه الأبقارُ الجِياد فيَعصِره؛ و يَنزل ما يخرج منه من الماء فى أبخاشٍ(٦) فى القاعدة التى تحت الحَجَر إلى مكانٍ ضَنْكٍ(٧)

---

(١) فى الأصل: «الدى»؛ وهو تحريف.

(٢) لم نجد هذا اللفظ بالمعنى الذى ذكره فيما راجعناه من كتب اللغة، والظاهر أنه من ألفاظ العامة، وهم ينطقون به بفتح أوّله؛ و يسمونه أيضا: «الزعزوع».

(٣) لم نجد هذا اللفظ فيما راجعناه من المظان التى بين أيدينا؛ وقد أخبرنا بعض من لهم علم بالمعاصر القديمة لقصب السكر أنهم يسمون المكان الذى يغسل فيه القصب قبل عصره بيت النوبة؛ فلعله اصطلاح لهم.

(٤) الأفراد: أوعيـة تتخذ من حوص، واحده فرد بفتح فسكون؛ وهو لفظ شائع الاستعمال بين العامة فى مصر؛ ولم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة.

(٥) فى الأصل: "القبارات"؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق.

(٦) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦٧ من هذا السفر.

(٧) فى الأصل: «مضنك»؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة بمعنى الضيق بتشديد الياء، كما هو المراد هنا.

معدٍّ له ؛ فإذا انتهى ذلك القصب من العَصْر تحت الحَجَر نُقِل إلى مكانٍ آخر ، ثم يجعل فى قفاف مُتّخذةٍ من الحَلْفاء مشبّكة الأسافل والجوانب ، ويُلقَى تحت دولاب التَّخْت(١) ، ويَدُور الدولاب عليه بالأعواد حتى يأخذ حدّه ، ويخرج ما بقى فيه من الماء ؛ ويجتمع ما تحصّل من ماء القصب من الحَجَر والتَّخْت(١) فى مكان واحد ؛ ثم يُنقَل ذلك الماء فيصفّى من مُنْخُلٍ موضوعٍ فى قفصٍ مُعَدٍّ له ، وينزل ما يخرج الى مكانٍ متصلٍ يسمّونه البَهْو(٢) ، له عِيارٌ معلومٌ محرَّر ؛ فإذا امتلأ من ذلك الماء المصفَّى نُقِل إلى المطبخ ، وصفِّىَ تصفية ثانية فى قِدْرٍ كبيرةٍ يسمّونها الخابية يُصَبّ فيها بعد التصفية جميعُ ما كان فى البَهْو ، وهو ستون مَطْرا(٣) من ماء القصب ضريبةُ كلِّ مَطَرٍ نصفُ(٤) قنطار باللّيثىّ على التحرير — والرطل اللّيثىّ مائتا درهم — فيكون مافى الخابية ثلاثةَ آلاف رطل وهو ما كان فى البَهْو ؛ ثم يوقَد عليها من خارج المعصرة إلى أن يغلىَ الماء غليانا كثيرا ، وينقُص نقصا معلوما ، فعند ذلك يبطل الوقيد(٥) عنها ؛ فإذا سكن غليانُها نُقِل ما فيها من الماء المسلوق فى يقاطِينَ كِبار ، فى كلّ قرعة منها خشبةٌ منجورةٌ طويلةٌ كالساعد نافذةٌ فى جانبى القرعة ، ويُصَبّ فى أكسية من الصوف

(١) لم نجد هذا اللفظ بالمعنى المراد هنا فيما راجعناه من المظان ؛ والظاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف عند أصحاب المعاصر .

(٢) عبارة الأصل : «السهولة عيار» الخ وهو تحريف . والبهو : حوض مبنى ينزل فيه ما يصفى من العصير كما أنبأنا بذلك من له علم بمعاصر القصب ؛ والظاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف بين هذه الطائفة اذ لم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من المظان .

(٣) كذا ضبط هذا اللفظ بالقلم فى كتاب المعرب والدخيل المحفوظ منه بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة تحت رقم ٦٤ لغة وقال مؤلف هذا الكتاب : كأنها لغة مصرية ، ولم أرها فيما وقفت عليه من كتب اللغة اهـ . وفى هامش كتاب مناقب الليث بن سعد لابن حجر ص ٥ طبع بولاق : أن المطر وعاء معروف عند بعض اهل مصر .

(٤) فى مناقب الليث بن سعد ص ٥ طبع بولاق : أن المطر مائة وعشرون رطلا ؛ وفى هامش هذه الصفحة انه يسع مائة رطل مصرىّ تقريبا . (٥) الوقيد مصدر كالوقود بضم الواو انظر لسان العرب .

تحتها دِنَانٌ كبار فيصفَّى المـاء منها تصفية ثالثة، ويستقرّ فى تلك الدِّنان؛ ثم يُنقَل من الدنَانِ فى دُسوت[1] إلى القُدور ، فيُطبَخ فيها إلى أن يأخذ حدَّه من الطبخ؛ ويحتاج كلُّ حَجرٍ الى خابية وثمانى قدور لطبخ ما يُعتصَر تحت الحَجَر والتَّخْت؛ ثم يُنقَل بعد طبخه فى دُسوت[1] من النُّحاس ، لكلِّ دَسْت منها قبضتان من الخشب مسمورتان فى أعلاه يقبض الرجـل عليهما ليقيـاه حرارةَ الدَّسْت ؛ ويُصَبُّ ذلك المطبوخ ـ ويسمَّى إذ ذاك المَحْلب ـ فى أباليجَ من الفخّار ضيِّقة[2] الأسافل ، متسعةِ الأعالى، مبخوش[3] فى أسفل كلّ أُبْلوجة منها ثلاثةُ أبخاش مسدودةٌ بقَشّ[3] القصب، وهـذه الأباليجُ موضوعةٌ فى مكان يسمَّى بيتَ الصبّ، فيه مصاطبُ مبنيّةٌ مستطيلة تشبه المداود[4] ، ويُجعل تحت كلّ أُبْلوجة من تلك الأباليج قادوس يقطُر فيـه ما يتخلّص من رقيق ذلك المَحْلَب[5] ــ وهو العسل القَطْر ــ ثم يخدُمها الرجال بالكرانيب[6] مرّة بعد أخرى حتى تمتلئ تلك الأباليج، وهى تختلف، فمنها ما يسع أكثر من قنطار، وأقلّ منه؛ فإذا امتلأتْ وتكاملتْ خدمتها وأخذت فى الجفاف نُقلت من بيت الصبّ الى بيت الدفن[7]؛ فتعلَّق فيه على قواديسَ يَقْطُر فيها ما بقِىَ من أعسالها .

(١) اطلاق الدسوت على القدور المتخذة من النحاس ــ كما هو المراد هنا ــ اطلاق عامىّ شائع الاستعمال فى مصر وغيرها من بلدان المشرق انظر تاج العروس .

(٢) فى الأصل : «رقيقة» ؛ وهو تحريف .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦٧ من هذا السفر .

(٤) المداود : معالف الدواب، واحده «مذود» وزان منبر .

(٥) فى الأصل : «المجلب» بالجيم ؛ وهو تصحيف، والتصويب عن القاموس .

(٦) فى الأصـل : «الركانيب» ؛ وهو تحريف لا معنى له . والكرانيب : المغارف، واحده كرنيب؛ وهو لفظ عامىّ شائع الاستعمال فى مصر حتى اليوم، وفى مستدرك التاج : الكرنبـة : المغرفة، مصرية .

(٧) لعل وجه تسميته بيت الدفن أن الأباليج تستتر فيه وتوارى مدّة حتى يقطر منها ما بقى من أعسالها .

وأما أوساخ الأقصاب التى تنظّف منها فى دار القصب فإنها تُعتَصَر على ٱنفرادها، وتُطبَخ بمفردها، وتسمَّى الخابية ، وهى أردأ من عسل القصب .

ولِما يتحصّل من الاعتصار أسماءٌ وعِبر[1]: منها الضريبة، ومنها الوضعة[2]، ومنها اليد؛ فالضريبة عبارة عن ثمانى أيادٍ؛ واليدُ ملءُ خابية؛ والخابيةُ ثلاثة آلاف رطل من عصير القصب بالرطل الليثىّ كما تقدّم؛ فتكون الضريبة أربعةً وعشرين ألف رطل من الماء، يَجمُد منها مع جَودة القصب وصلاحه من القَنْد خمسةٌ وعشرون قنطارا إلى خمسةَ عشرَ قنطارا ، ومن الأعسال ٱثنا عشر قنطارا إلى ثمانية قناطيرَ ؛ ونهايةَ ما يتحصّل من الفدان القصب ثلاثُ ضرائب : منها قَنْدٌ وقَطْرٌ ضريبتان ونصف وعسلُ خابيةٍ نصفُ ضريبةٍ مقدارها أربعة وعشرون قنطارا بالمصرى؛ ومن الأقصاب ما يفسد فلا يَجمُد طبيخُ مائه ولا يصير قَنْدا، فيُطبَخ عسلا ، ويسمّونه المُرْسَل ؛

وهذا الذى ذكرناه من الوَضْع[3] والمتحصِّل والتسميةِ ٱصطلاحُ بلاد قوص من الصعيد الأعلى بالديار المصريّة، وهو وإن ٱختلف فى غيرها من البلاد فلا يبعد من هذا الترتيب .

وأما أقصاب الشأم — فهى تختلف أوضاعها بحَسَب البقاع والنواحى والأعمال، فمنها ما هو بالسواحل الطَّرابُلُسيّة والبَيْروتيّة والعكّاويّة؛ ولهم ٱصطلاحٌ فى نصب الأقصاب وٱعتصارها : فمنها ما يُعتَصَر بحجارة الماء ، ومنها ما يُعتَصَر بالأبقار، ومنها ما يُعتَصَر بالسِّهام[4]؛ وليس ذكرُها وبسطُ القول فيها من المهمّات التى

(١) يريد بالعبر المقادير، لأنها تعبر، أى توزن .

(٢) لم يذكر مقدار الوضعة كما ذكر مقدار الضريبة واليد فيما يأتى؛ ولم نقف على تعيين مقدارها فيما بين أيدينا من المظان .

(٣) فى الأصل : « الموضع »؛ وهو غير مستقيم ، والمراد بالوضع المصطلح .

(٤) السهام : الأعواد من الخشب .

تفتضى الانصباب اليهـا[1] ؛ والذى قدّمنا ذكره أيضا من أمر أقصاب مصر هو على الحقيقة فلاحةٌ ودَولَبةٌ[2] ، وليس هو كتابة ، وهو للباشر زيادةٌ على صناعته ، على أنه لايَستغنِى عن معرفته والاطلاع عليه .

وعمـدةُ المباشر فى الاعتصار ضبطُ ما يتحصّل ، وحراستُه من السارق والخائن والمفرِّط ؛ ويلزم مباشرَ الاعتصار أن يَنظِم فى كلّ يوم وليـلة مخزومةً[3] بمـا اعتُصِر وبمـا تحصَّل ؛ فإذا انتهى الاعتصـار نَظَمَ عمـلا[4] شاملا لجميعـه على ما نشرحه فى الأوضاع الحسابيّة .

والقَنْد إذا جَفَّ وأخذ حدّه من البياض نُقِل إلى مطابخ السكّر ، فيُحَلّ بالمـاء وشيء من اللبن الحليب ، ويُطبَخ فيصير منه السكّرُ البياضُ[5] والقُطارة ؛ ويَتحصّل من كلّ[6] قنطار من القَنْد ربعُه وسدسُه سكّرا ، وثلثُه وربعُه قُطارة ؛ ومنه ما يُكرَّر ثانيا فيصير فى غاية البياض والنقاء ، وقُطارتُه تقارب قَطرَ النبات ؛ ومنه أيضا ما يُطبَخ نباتا ؛

وهذه أمور جمليّة يُستدَلّ منها على المقاصد ، والمباشَرةُ تشمَل مالا يمكن إيرادُه فى كتاب ، وتُظهِر ما لا يكاد ينحصر بخطاب ، فلنذكر الأوضاع الحسابيّة .

(١) لعل صوابه : « الانصراف » .

(٢) الدولبة : العمل بالدولاب .

(٣) تقدم تفسير المخزومة فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ فانظره .

(٤) تقدّم بيان المراد بكلمة « العمل » فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٦٠ وسيأتى فى هذا السفر الكلام على الأعمال وأنواعها وكيفية كل نوع منها .

(٥) البياض : أى ذو البياض ؛ فوجه الوصف به ظاهر .

(٦) فى الأصل : « ذلك » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق العبارة .

ذكر أوضاع الحساب وما يسلكه المباشر ويعتمده فيها

أوّل ما يحتاج اليه كلّ مباشر أن يضع له تعليقا ليوميّته، يذكر فيه تاريخَ اليوم والشهر من السنة الهلاليّة، ويذكر فيه جميعَ ما يتجدّد ويقع فى ذلك اليوم فى ديوانه: من مُحْضَرٍ ومستخرَجٍ ومُجْرَى ومُبتاعٍ[(١)] ومُباعٍ ومَبيع ومصروف، وما يتجدّد من زيادات فى الأُجَر والضمانات، وعطلٍ، وتقريرِ أجائر، وترتيبِ أرباب استحقاقات على جهات، وتنزيلِ[(٢)] من يستخدمه، وصرْفِ من يصرفه من أرباب الخِدَم، وغير ذلك بحيث لا يُخِلّ بشىء مما وقع له فى مباشرته قلّ أو جلّ؛ وهذا التعليق هو أصل المباشرة، فمَن ضَبَطَ اليومَ انضبط ما بعده[(٣)]؛ وكلّ المباشرين فى وضعه سواء، يضع الشاهدُ[(٤)] فيه ما يضعه العامل[(٥)]، فإذا كان فى آخر النهار قوبل على مجموعه بين المباشِرين، ويُساق ما يُحتاج إلى سياقته من العين والغلّة والأصناف.

---

(١) المبتاع: المشترى بفتح الراء . والمباع: الشىء المعروض للبيع، وهو من أباعت السلعة — بالألف فى أوّله — أى عرضتها لأن تباع .

(٢) التنزيل: كلمة شاع استعمالها بين العامة فى مصر بمعنى التولية والتنصيب — أى فى مقابلة العزل — فيقولون: « نزل السلطان فلانا فى العمل وعزل فلانا عنه »؛ وهذا هو المراد هنا أخذا من السياق . والتنزيل فى اللغة: الإحلال فى المنزلة؛ وما هنا منه .

(٣) فى الأصل: « ما نقده »؛ وهو تصحيف .

(٤) الشاهد هو الذى يشهد بمتعلقات الديوان نفيا وإثباتا انظر صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ وسيأتى فى هذا السفر شرح ما يلزم الشاهد من الأعمال فى ذكر أرباب الوظائف .

(٥) العامل هو الذى يضبط الحسبانات ويكتبها؛ وقد كان هذا اللقب فى الأصل إنما يقع على الأمير المتولى العمل، ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب وخصه به دون غيره صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ وسيأتى فى هذا السفر شرح ما يلزم العامل من الأعمال فى ذكر أرباب الوظائف .

ثم يكتب العـامل مخزومةً يورِد فيها المستخرَجَ والمُحضَر والمُجرَى والمصروف[١]، ويرفعها على عدّة نُسَخ بحَسَب المسترفِعين؛ وإن شاحّه[٢] المسترفِـعُ لَزِمه أن يوردها فيما أورده فى مياوَمته من سائر المتجدِّدات والأحوال، فيصير بها المسترفِعُ الغـائبُ كالمباشر الحاضر، وتَشمَل المخزومــةُ خَطَّ مَن هو مباشِر: مِن ناظرٍ مباشرةٍ فمَن دونَه؛ وقـد قدّمنا ذكرَ بسطِ الجرائد على الأموال والغلال، وكيفيّة خِدمتها فى الأصول؛ ونظيرُ ذلك أن يبسُط أسماءَ أرباب الاستحقاقات وأربابِ المصاريف تِلوَ أصول الأموال ومضافاتِهـا، ويضعَ لكلِّ اسم ما يستحقّه مشاهرةً ومسانهةً عينا وغلّةً، أو ثمنَ صنفٍ أو غيرَ ذلك؛ ثم يشطب قُبالَةَ كلِّ اسمٍ ما قبضه مفصَّلا بتواريخه من جهة قبضه، لتَسهُل عليه بذلك محاسبةُ كلِّ نفرٍ[٣] عند الاحتياج الى محاسبته كما شرحناه فى الأصول؛ ولا بدّ لكلّ مباشر من جريدة على هــذه الصفة تشتمل على الأصــل والخصم؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

---

(١) فى الأصل : «والمصروب» ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «شاححه» وهذا مما يجب فيه الإدغام؛ وشاحه بتشديد الحاء، أى ناقشه؛ ومنه قولهم : «لا مشاحة فى الاصطلاح» أى لا مناقشة فيه ولا ممازحة .

(٣) إطلاق النفر على الواحد كما هو المراد هنا إطلاق شائع بين عامة مصر، والذى وجدناه فيما بين أيدينا من كتب اللغة أن النفر الجماعة من الرجال من ثلاثة الى عشرة، وقيل : الى سبعة ؛ ولا تصح إرادته هنا كما لا يخفى .

ذكر ما ينتج عن التعليق من الحسبانات بعد المخازيم[1]

وهى الخَتْمُ والتوالى والأعمالُ والسياقاتُ التى[2] تلك كلّها شواهد الآرتفاع :

فأما الخَتْم — فتختصّ بجهات العَين من سائر الأموال ؛ وكيفيّتها أنه إذا مضت على المباشر مدّة لا تتجاوز أحد عشر شهرا فما دون الشهر إلى عشرة أيام — وما دون الشهر لا يقع إلا عند آنفصال كاتب فى أثناء الشهر أو آقتراح مقترِح —[3] نظَمَ[4] حسابا سَمّاه الكُتّاب فى مصالحهم : الخَتْمة ، يَشرح فى صدرها ما مثالُه بعد البسملة : خَتْمة بمبلغ المستخرَج والمُجرَى من أموال الجهات ، أو المعاملة الفلانيّة لآستقبال كذا ، وإلى آخر كذا ؛ ويَذكُر أسماءَ المباشرين فيقول : بولايةِ فلان ، ونظرِ فلان ، ومشارَفةِ فلان ، وكِتابةِ فلان ؛ ويَعقِد فى صدرها جملةً على ما آستخرجه فى تلك المدّة وأجراه من أصول الأموال ، يفصِّل ذلك بسنيه ، ويشرحه بجهاتِه وأسماءِ أربابه وتواريخِ مُحضَره ومُجرَاه ، إلى نهاية ذلك ؛ ثم يقول : وأضيف إلى ذلك ما وجبت إضافته ؛ يَبدأ بالحاصل المساق إلى آخر المدّة التى قبلها ، ثم يذكُر ما لعلّه آستخرجه من الجهات التى تَرِد فى باب المضاف ، وما ورد من أثمان المبيعات والمصالحات والخدم ، وما لعلّه آقترضه ، وما لعلّه حصّل من المواريث[5] الحَشْريّة والمجتذبات والتأديبات ، وما لعله آعتَدّ به لمعامَلةٍ أخرى ونُقِل عليه[6] ، إلى غير ذلك من أبواب

---

(١) فى الأصل : « المخاريم » ، وهو تصحيف ، وقد سبق تفسير المخازم فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ من هذا السفر ، فانظره .

(٢) فى الأصل : «الذى ذلك» الخ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) يظهر لنا أن هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه ؛ فلذلك وضعناها بين خطين .

(٤) «نظم» جواب «لإذا» ؛ والذى فى الأصل : «ونظم» ؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٥) تقدّم تفسير المواريث الحشرية فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩ من هذا السفر ، فانظره .

(٦) «ونقل عليه» ، أى ونقل محسوبا عليه ؛ وإرادة المؤلف لهذا المعنى سوّغت له ذكر « على » مكان «إلى» التى هى مقتضى اللغة .

المضاف على اختلافها . ممـا يطول شرحه لو ٱستُقصِى ؛ ثم يفذلِك(١) على الأصـل والإضافة ؛ وإن صرف نقدا بنقدٍ ذَكَرَه بعـد الفذلَكة ، وٱستقرّ بالجمـلة بعـده وإلّا فالفذلَكة بمفردها ، ثم يخصم تلك ٱلجملةَ بما لعلّه حَمَله أو نَقَله على(٢) معاملة أخرى أو صَرَفَه ، ويذُكُر ٱلحملَ بتواريخه ورسائِله ، وٱسم من حُمِل على يده ، والمنقولَ كذلك والمصروف بأسماء أربابه وتواريخِه ، ثم يسوق إلى التحصيل إن ٱنطرد(٣) له(٤) حاصـل وإلّا فيقول فى آخرها : ولم يَبْقَ حاصلٌ فنذكره .

وقد ٱقتُرِح فى بعض الممالك الشاميّة فى بعض السنين على المباشرين أن يضمِّنوا خِتَمهم ما يوردونه فى الأصل من جهات الأصول — كلِّ جهة من المستخرَج والمُجرَى — الأصلَ مختوما والخصمَ مفصَّلا بجهاته ؛ مثال ذلك أن يقول فى الأصل : الجهةُ الفلانيّة فى التاريخ الفلانىّ كذا [و] كذا درهما ، ويذكُرَ تحت ذلك التاريخ خصمَ تلك الجملة ، وفى الخصم إذا ذكر ٱسمَ ربِّ ٱستحقاق وما وَصَل اليـه فى كل تاريخ يقول : التـاريخ الفلانىّ ، ويعيِّن جهاتِه ، ويشطب المسترفَعُ الأصلَ على الخصم ؛ وفى هذا تضييق كثير على المباشر ، ولم يستقِرّ ذلك ، وعادت ٱلأوضاعُ على ما بيّنّاه ؛ هذا مصطلَحُهم فى الخَتم ؛ والله أعلم .

وأما التوالى — فهى إذا أُطلِقتْ أُريدَ بها تَوالى الغـلال ؛ وكيفيتها أنه إذا مضت مدّة على ماقدّمناه فى شرح الخَتم نَظَم كاتب ٱلجهة حسابا للغلّة ٱسمـه التالى

(١) يقال : فذلك الحاسب حسابه اذا أنهاه وأجمله ؛ والفذلكة : جملة ٱلحساب ؛ وهو لفظ منحوت من قول الحاسب إذا أجمل حسابه : فذلك كذا وكذا .

(٢) ذكر «على» مكان «إلى» لإرادة المعنى الذى ذكرناه فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٧٥ .

(٣) هذه الكلمة فى الأصل مطموس بعض حروفها ؛ وسياق الكلام والحروف الواضحة منها يرشدان إلى ما أثبتنا .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .

يَشرح فى صدره بعد البسملة : تالٍ بما انساق حاصلا من الغلال بالجهة الفلانيّة إلى آخر المدّة الفلانيّة ، مضافا مخصوما إلى آخر كذا ؛ ويذكُر أسماء المباشرين على ما تقدّم، ثم يوصل فى صدره ما ٱنساق إلى آخر ٱلمدّة التى قبلها من الغلال على ٱختلافها، ويفسِّر[(١)] الغلالَ بسنيها، ويضيف اليه ما لعلّه ٱنضاف[(٢)] من متحصِّلٍ ومبتاعٍ وقرضٍ وغيرِ ذلك؛ ثم يفذلِك عليه، ويذكُر بعد الفذلكة ما لعلّه وقع من تبديل صنف بصنفٍ لوجود ذلك الصنف وعدمِ غيرِه، إما فيما قبَضه أو فيما صَرَفه، وما لعلّه أُبيع[(٣)] وثُمِّن، وما لعلّه يُنقل من كيْل إلى كيْل؛ ويستقرّ بالجملة بعد ذلك على ثمن ما أُبيع[(٣)] وما ٱستقرّ من الغلال بعد التبديل والتنقيل، ويَستخرِج ثمنَ البيع بمقتضَى خَتْمة تلك المدّة ، وهى شاهده ؛ ويخصِمُ بالمحمول والمنقول والمصروف على ٱختلافه؛ ويفصِّل ذلك بتواريخه على ما شرحناه فى ٱلخَتْمة، ويسوق الحاصلَ من الغلّة إن كان؛ هذا مصطلَحُهم فى توالى الغلال .

ولهم أيضا توالٍ يسمّونها توالى الآرتفاع — تشتمل على العين والغلّة والأصناف، ولا تُعمَل إلّا عند اقتراحها؛ وصورتها أن يُوصِل فى صدر تالى الارتفاع ما ٱنساق آخر الارتفاع الذى قَبله من الحاصل والباقى عينا وغلّة، ويفصّله بسنيه؛ ثم يضيف اليه ما ٱستُحِقّ فى تلك السنة أصلا ومضافا، ويخصم بالخصم السائغ المقبول، ويطرده بعد ذلك إلى حاصلٍ وباق .

---

(١) « يفسر » ، أى يوضح ويبين .

(٢) أنكر الحريرى فى درة الغوّاص أنه يقال : «انضاف» ؛ وقد ردّ عليه فى ذلك ، ووردت هذه الصيغة فى اللسان مادة «ملد» .

(٣) أبيع بالألف فى أوّله : أى عرض للبيع وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٧٣ من هذا السفر .

ولهم أيضا توالى الآعتصار — وصورتها أن يُوصِل ما انساق حاصلا آخر [المدّة](1) على الآعتصار أو تاليه(2)، ويضيف ما لعلّه تحصّل من قَطْرٍ وغيره، ويفذلك عليه، ويكسّر منه ويبيع، ويستفرّ بالجملة، ويخصم، ويسوق إلى الحاصل .

وأما الأعمـال — وهى تختلف — : فمنهـا أعمال متحصِّـل الغلال والتقاوى، وأعمالُ الآعتصار، وأعمـالُ المَبيع، وأعمالُ المبتاع، وأعمالُ الحَوالِى، وأعمالُ الخدم والتأديبات والجنايات(3) .

فأما أعمال الغلال والتقاوى — فكيفيّتها أن يَشرح فى صدر العمل بعـد البسملة ما مثالُه : عَمَلٌ بمـا تحصّل من الغلال بالناحية الفلانيّة لمُغَلّ سـنة كذا وكذا الخراجيّـة، المدرِك فى شهور سـنة كذا وكذا الهلاليّة، مضافا إلى ذلك ما وجبت إضافته، ويُوصِل فى صدره ما تحصّل من الغلال على آختلافها وأ كيالها(4) مفصّـلا بأسماء الفلّاحين؛ ويضيف إليـه ما لعلّه آستعاده من التّقاوِى والقروض أو حصّله من رسوم أو غير ذلك؛ ويفذلك عليـه؛ فمن الكُتّاب من يسوقه بجملته حاصلا، ويخصم بمقتضى الدالى؛ ومنهم من يخصم بما حَمَلَه وصرَفَه فى مدّة تحصيله للمُغَلّ، ويسوق ما بقِى إلى الحاصل، ويَستغنِى بذلك عن تالٍ لتلك المدّة .

وأما عمل الآعتصار — فصورته أن يترجم فى صدره بعد البسملة بمـا مثالُه : عَمَلٌ بما تحصّل من آعتصار الأقصاب بالجهة الفلانيّة لآعتصار أقصاب سنة

(1) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ والمعنى لا يتضح بدونها؛ ويرشد الى هذه الكلمة ما سبق فى سطر ٣ من صفحة ٢٧٧ عند الكلام على توالى الغلال، فانظره .

(2) فى الأصل : « ثالثه »؛ وهو تصحيف .

(3) فى الأصل : « والكتابات »؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما يأتى فى صفحة ٢٨٢ سطر ٧ .

(4) فى الأصل : «وما»؛ والواو زيادة من الناسخ .

كذا وكذا الخراجيّة؛ ويقول فى يَمْنة العمل : عن كذا وكذا فدانا أو مَطَارة[١] إن كان بالأغوار، أو قسما إن كان بالسواحل؛ ويفصِّل الفُدُن بما فيها رأسا وما فيها خِلْفة[٢] إن كان بمصر، ومقنطرا[٣] أو قائما[٤] إن كان بالشأم، ويبرز عن يَسرته بكميّة ما تحصَّل فيقول : من أصناف الحُلو كذا وكذا قنطارا، ويفصِّل ذلك بالقَنْد والأعسال على آختلافها : من المرسَلِ والقَطْرِ والخُر والأسطروس[٥] والمردودة؛ والمرسَلُ هو من القصب الذى لا يجمُد ولا يصير قَنْدا . والقَطْرُ هو ما يتحصّل من قَطْر أباليج القَنْد . والخُرْ هو ما يتحصّل من أطراف الأقصاب، وهذه الأطراف يسمّونها بالشأم : العيكون[٦]، ولا يعتصرونها ألبتّة، بل تُرْصَد للنَّصْب[٧]، فإنّهم يستغنون

---

(١) المطارة فى الأصل : المرقبة، أى الموضع المشرف الذى يكون فيه الرقيب، والمراد هنا : مقدار من الأرض يمكن للحارث الذى يجلس فى المطارة أن يراه ويحرس ما فيه من المزروعات .

(٢) تقدّم بيان الرأس والخلفة فى ص ٢٦٧ س ١٤ من هذا السفر، فانظره .

(٣) المقنطر : لفظ عامى معناه الملقى على قطره أى جانبه؛ يقولون : تقنطر أى وقع؛ وعربيته تقطر بتشديد الطاء، انظر شرح القاموس مادة (قطر) وشفاء العليل؛ والمراد بهذه الكلمة القصب المزروع أوّل مرة وهو المسمى بالرأس فى مصر؛ وذلك لأن طريقتهم فى زراعة القصب أن يضعوا قطعه فى الأرض ملقاة لا قائمة، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٦٥ سطر ٧ و ٨ من هذا السفر . هذا ما يظهر لنا من معنى هذه الكلمة أخذا من السياق . وفى الأصل : «مقنطارا»؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) المراد بالقائم القصب الذى ينبت تاليا للقصب الأوّل، وهو الخلفة، وسمى قائما لأنه نبت من الجذور القائمة فى الأرض بعد قطع القصب الأوّل .

(٥) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل فى هذا الموضع، وفيما يأتى بالشين المعجمة فى آخره مكان السين المهملة؛ ولم نقف على كلتا الكلمتين فيما راجعناه من المظان التى بين أيدينا .

(٦) لم نجد هذا اللفظ فيما بين أيدينا من مصادر اللغة ولا فى الكتب المدوّنة فى الألفاظ الدخيلة، ولعله : «العثكول»، تشبيها له بعثكول النخلة، وهو قنوها .

(٧) تقدّم تفسير نصب القصب فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٥٤ من هذا السفر، فانظره .

بها عن العيدان[1]، ومنهم من يسمّى الحُرّ المردودة . وأما الأسطروش[2] : فهو ما يُعمل من جُرادة وجوه الأباليج حالَ الطبخ ، وما يتأخّر على البوَارِى[3] عند خلعه بالشأم .
وأما الخابيـة[4] فهى ما يتحصّـل من الأوساخ والرَّيْم[5] . والمرسَلُ والحُرُّ والخابيـةُ لا تُعرَف بالشأم ألبتّة ، وإنمـا يعرفون القَطْرَ والأسطروش[2] ؛ ثم يذكُر بعـد ذلك تفصيلَ المتحصِّل بجهاته إن كان بمصر ـ يفصِّل كلَّ ساقية وفُدُنها وما يُحصَّل منها من الضرائب ـ وتفصيلَ الأقصاب الرأسِ والخِلفة ، ويذكُر آسمَ الطبّاخ ؛ ثم يبيـع من عرض ذلك ويُثمِّن ، ويستقِرّ بالجملة ، ويَحمِل ويَصرِف ويسوق إلى الحاصل .

وأما عمل المَبيع — فصورته أن يقول فى صدره بعد البسملة : [عمَـلُ][6] بمـا بِيعَ من الغلال والأصناف بالجهة الفلانيّـة لمدّة كذا وكذا ؛ ويَعقِـد على الثمن جملة ، ثم يفصّلها بأصنافهـا ، يذكر عن يَمْنة القائمة الصنفَ ، وفى الوسط السعرَ إن كان سعرا واحدا ، وإلّا فيقول مكانه : بأسعارٍ تُذكَر ، وفى اليَسْرة الثمنَ ، ثم يفصّله بأسماء مبتاعِيه ؛ فإذا كَمَل ذلك أضاف ما آنساق له آخرَ العمل الذى قبله

(١) فى الأصل : «الإيدان» ؛ وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٧٩ من هذا السفر .

(٣) البوارىّ بتشـديد الياء هى الحصر المنسـوجة من القصب ، واحده بورىّ وبارىّ ، فارسىّ معرّب . وقوله : «عند خلعه» : أى عنـد اخراج السكر الجامد من القوالب التى يوضع فيها ؛ وكأنهم كانوا عند اخراجه من القوالب يضعونه على الحصر ليكمل جفافه .

(٤) لم يذكر الخابيـة فى أصناف العسل التى سردها فيما سبق ؛ ولعلها هى المرادة بالمردودة السابق ذكرها ضمن أنواعه .

(٥) يريد بالريم فضول الشىء وزوائده التى لا يعتنى بها لخستها ، وفى كتب اللغة : الريم بفتح الراء : الزيادة والفضل ، والعامة فى مصر يكسرون راءه .

(٦) هـذه الكلمة ساقطة من الأصل والسياق يقتضى اثباتها ، كما يرشد اليه ما سبق فى أعمال الغلال وأعمال الاعتصار وما يأتى بعد ذلك من الأعمال .

من أثمان المبيعات ؛ و يفصّل ذلك بأسماء من تأخّر عليه منها شىءٌ إن كان ؛ ثم يفذلك على الجملة ، و يستخرج من عرضه بمقتضى ختم المدّة ، و يسوق إلى الباقى دون الحاصل .

وأما عمل المبتاع — فيقول فى صدره : عَمَلُ بالمبتاع بالجهة الفلانيّة من الأصناف التى يُذكر لمدّة كذا وكذا ؛ و يعقد على ثمن المبتاع جملة يجعلها عن يمْنة نصف القائمة ، و يبرز بالأصناف المبتاعة إن أمكن ، وإلّا فيقول : ما يُذكَر ؛ ويَشرح ما ابتاعه صنفا صنفا بتواريخه ، وأسماءِ من ابتاع منهم ، وأسعارِه ، و يضيف إلى جملة الثمن ما لعلّه تأخّر عليه من ثمن ما ابتاعه فى العمل الذى قَبله ، و يفصّله بأسماء أربابه ؛ و يفذلك على ذلك ، ويخصم بما صرفه من عرضه بمقتضى ختم المدّة ، و يسوق إلى متأخّرٍ أو فائضٍ (١) إن كان قد سَلَف عليه [شىء] (٢) .

وأما عمل الجوالى — فيقول فى صدره ما مثاله بعد البسملة : عَمَلُ بما وجب من مال الجَوالِى بالمعامَلة (٣) الفلانيّة لسنة كذا وكذا الهلاليّة مخصوما مساقا إلى آخر المدّة ؛ ويُوصِل ما كان قد استقرّ من الأنفار (٤) على ما تقدّم (٥) ؛ و يضيف النوابتَ والطوارئَ (٦) بأسمائها ومِلِلها ، وما لعلّه انساق باقيا إن كان ، وقلّما يكون ، و يفذلك

(١) يريد بالفائض : الزائد ، وهو من قولهم : فاض الماء إذا كثر حتى سال .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل يسع كلمة ؛ والسياق يقتضى إثباتها أو إثبات ما يفيد معناها .

(٣) الظاهر من سياق الكلام أنه يريد بالمعاملة : الناحية والجهة ؛ وسيأتى هذا اللفظ فى مواضع أخرى من هذا السفر مرادا به هذا المعنى .

(٤) يريد بالأنفار : الأشخاص ؛ و إطلاق النفر على الشخص الواحد إطلاق عامىّ ، إذ لم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا ؛ وقد سبق التنبيه على ذلك فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السفر ، فانظره .

(٥) يشير بقوله : «على ما تقدّم» إلى ما ورد فى صفحة ٢٤٣ سطر ٥ من هذا السفر ، فانظره .

(٦) انظر تفسير النوابت والطوارئ فى الحاشية رقم ٩ من صفحة ٢٤٢ من هذا السفر .

على ذلك، ثم يذكر بعد الفذلكة من آهتدى بالإسلام، أو هلك بالموت، أو تَسحّب[(١)] إلى عملٍ آخر على ما قدّمناه[(٢)] من الآختلاف فى ايراد ذلك فى هذا الموضع، والآستثناءِ به فى الصدر بالتعدية[(٣)] أو إيرادِه فى باب المحسوب، وكلُّ ذلك سائغ فى الوضع، ثم يستقِرّ بالجملة بعد ذلك، ويستخرج بمقتضى الختَم، ويسوق ما لعلّه آنساق إلى الباقى؛ وإن عاد اليه متسحّبٌ[(٤)] أو نازحٌ وبيَده وُصولٌ[(٥)] من مباشرِ عَمَلٍ آخَرَ اعتدّ له به، وأَورَدَه فى باب المحسوب. وفذلكه على الجملة .

وأما عمل الخدم والجنايات والتأديبات — فصورته أن يُوصل فى صدر العمل بعد الترجمة عليه ما تعيّن من أموال الخدم أو ما تَقرّر من الجنايات والتأديبات، يَذكُر فيه الأسماء والجرائم؛ ويضيف إلى ذلك ما لعلّه آنساق قبل تقرير هذا المال آخِرَ العمل الذى قبله؛ ويفذلك عليه؛ ويَستخرِج من عرضه بمقتضى ختم المدّة، ويَعتدّ بما لعلّه رُسِم بالمسامحة به مما كان قُرِّر، ويسوق ما ينطرد بعد ذلك إلى الباقى؛ فهذه هى الأعمال .

وأما السياقات — فهى مختلِفة : فمنها[(٦)] سِياقة الأَسْرَى والمعتقَلين، وسِياقة الكُرَاع[(٧)]، وسِياقة العُلوفات، وسِياقات الأصناف والعُدَد .

(١) تسحب : أى هرب، أحدا من السياق، ولم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة فى مصر .

(٢) يشير بقوله : «على ما قدمناه» الى الخلاف بين الكتّاب المذكور فى صفحة ٢٤٣ من هذا السفر، فانظره .

(٣) فى الأصل : «بالنقدية»؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا، كما يرشد إلى ذلك ما سبق فى صفحة ٢٤٣ سطر ٦ من هذا السفر .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «وبها»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

فأما سِياقة الأَسْرَى والمعتقَلين — فصورتها أن يُوصل فى صدرها عِدّة من آنساق عنده الى آخر المدّة التى قبلها، و يفصّلَها بالمعتقَلين وأسمائهم و جرائمهم، والأَسْرَى ومِللِهم وأجناسِهم، و يضيفَ اليها ما لعلّه تجدَّد عنده من معتقَلٍ أو أسير، و يفذلِكَ عليها، ثم يذكُر من أُفرِج عنه: إما بمقتضى المراسيم «فيذكُر تواريخها وأسماءَ من حضرتْ على يده، ومن تسلَّم المعتقَل» و إما بالهداية الى دين الإسلام من الأَسْرَى «فيذكُر آسمَ آلمهتدى وجنسَه، ومن أىّ آلملل كان، وتاريخَ إسلامه والإفراجِ عنه، أو من فُودِىَ به، أو من تسحَّب[1]، أو من هلك بالموت بعد آعتبار ما يجب آعتباره فى المالك، و يستقِرّ بالجملة بعد ذلك، وآستقرار آلجملة هو آلحاصل .

وأما سِياقة الكُراع[2] — فهى سياقةٌ تشتمل على الخيل والجمال والدوابّ والأبقارِ والأغنام، وصورتها أن يوصِل الكاتبُ ما انساق عنده حاصلا آخرَ السياقة التى قبلها، و يضيفَ[3] [الى] ذلك ما لعلّه آبتاعه بتواريخه وأسماء من آبتيع منهم، وما لعلّه نُتِج، وما لعلّه آجتُذب، و يفذلِك على ذلك، ثم يذكر بعد ذلك ما باعه من عرض الجملة وما نَفَق[4] وتُنُبِّل[5] وذُكِّىَ[6]، و يستقِرّ بالجملة على ما آستقرّ من حيوانٍ وجلود وثَمَن، ويَصرِف ويَنقُل ما لعلّه صَرَفه أو نَقَلَه، و يسوق الى آلحاصل .

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر .

(٢) الظاهر أن إطلاق الكراع على الدواب التى ذكرها إطلاق اصطلاحى لأن فى كتب اللغة التى بين أيدينا أن الكراع اسم يجمع الخيل؛ ولم نقف على أنه يطلق على الجمال والأبقار والأغنام و يدل على أن هذا الاطلاق من مصطلحات الكتّاب أن الخوارزمىّ ذكره فى كتاب مفاتيح العلوم ص ٥٩ طبع أوربا فى الكلام على مواضعات كتّاب ديوان الخراج .

(٣) عبارة الأصل : «و يصيب ذلك» وفيها تحريف ونقص؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) نفق، أى مات .

(٥) فى الأصل : «تبل»؛ وهو تصحيف؛ وتنبل بالبناء للمجهول، أى اختير، يقال : فلان متنبل، أى يأخذ الأنبل فالأنبل؛ والمراد ما يختار من المواشى للقنية . (٦) ذكى، أى ذبح .

ويحتاج المباشر لذلك الى ملاحظة أحوال الأغنام، ومعرفةِ أوقات نِتاجِهـا وما يكون منها توأمًا، واستقبالِ النِّتاج لينضبط له نِتاجُ النِّتاج .

وأما سياقة العُلوفات — [فصورتها][1] أن يوصل فى صدرها ما صرفه على الكُرّاع فى المدّة التى نَظم لها السِّياقة ، ثم يفصِّل ذلك كلَّ صنفٍ من الكُرّاع وعددَه فى الزيادة والنقص ، وما صرفه على ذلك النـوع فى كلّ مـدّة ، فى اليـوم كذا فى المدّة كذا، والزيادة والنقص على حَسَب الآتفاق، ويراعِى فى ذلك ما تضمّنته سياقةُ الكُرّاع ، وإن صَرَف عُلوفةً لطارئٍ لا يستقرّ عنده ميّزه فى التفصيل من المستقرّ فيقول : المستقرّ كذا، والطارئُ كذا إضافةً إلى هذه السياقة ، ولا فذلكة، ويَتجنّب أن يصرف عُلوفةً عن أيّامِ نقصِ[2] الشهور الهلاليّة، وهى ستةُ أيام فى السـنة فإن ذلك من المُخرَّج اللازم، وكذلك أيّامُ الربيع .

وأما سِياقات الأصناف والزَّرَدخاناه[3] والعُدَدِ والآلاتِ والخزائنِ والبِيمارِستانات[4] — فإنه لا يمكن استيعابُها لمؤلّف كتاب، وقلّمـا عُمِلتْ فيما كَثُر،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها، كما يرشد اليه ما سبق فى السياقتين اللتين قبلها .

(٢) فى الأصل : « بعض » ؛ وهو تصحيف .

(٣) الزردخاناه، أى بيت الزرد، وهى الدروع؛ وفى صبح الأعشى ج ٤ ص ١١ أن هذا اللفظ ربما أطلق على السلاح خاناه، فقد قال عند الكلام على السلاح خاناه ما نصه : السلاح خاناه ومعناها بيت السلاح، وربما قيل الزرد خاناه الخ .

(٤) البيمارستان : لفظ فارسى استعمله العرب، ومعناه مجمع المرضى؛ وهذا اللفظ مؤلف من كلمتين : « بيمار » ومعناه المريض؛ «وستان» ومعناه الموضع؛ وأول من صنعه أبقراط، وسماه : (أخشندوكين) انظر شفاء الغليل .

وإنما تعمل فيما قلّ من الأصناف؛ وصفتها إذا أمكن عَملُها أن يوصل ما عنده من الأصناف مفصَّلة، ويضيف إليها ما ٱبتاعه أو ما وَصَل اليه، ويفذلك على ذلك ثم يذكر بين الفذلكة وٱستقرار الجملة ما يَرِد من الأبواب: من المنتقِل[1] والمستهلَك وغير ذلك على كثرته؛ وإذا ٱستُقصِىَ ما يَرِد بين الفذلكة واستقرار الجملة زاد على مائة باب لا يعرفها إلا أفاضلُ الكُتّاب ومن له حِذْقٌ بهذه الصناعة، واختلفت مباشَراتُه ونكررتْ؛ فاذا ذَكَر ما وقع عنده ٱستقرّ حينئذ بالجملة على ما قام عليه ميزان عمله؛ ثم يخصم بما يَسُوغُ الخصمُ به، ويسوق إلى حاصله .

فهذه هى الخِتَمُ والتَّوالِى والأعمالُ والسياقات، وهى شواهد الآرتفاع .

وأما الآرتفاع — فهو العملُ الجامعُ الشاملُ لكلّ عمل؛ وصورة وضعه أن يشرح الكاتب فى صدره بعد البسملة ما مثالُه : عملٌ بما اشتمل عليه ٱرتفاعُ المعامَلة[2] الفلانيّة لمدّة سنة كاملة، أوّلُها المحرّمُ سنةَ كذا وكذا، وآخرُها سَلْخُ ذى الحجّة منها، ممّا ٱعتُمِد فى إيراد ذلك الهلالىُّ والجَوالِى للسنة المذكورة، والخراجىُّ والأقصابُ لسنة كذا وكذا الخراجيّة، مضافا إلى ذلك ما وجبت إضافته، مفذلَكا عليه، وما ٱستقرّت عليه الجملة[3]، مخصوما مساقا إلى حاصل، وما ٱعتُدّ به محسوبا إن كان، وما ٱشتملتْ عليه فذلكةُ الواصل، وما ٱنساق إلى الباقى والموقوف فى المدّة؛ ويذكر أسماءَ المباشرين كما قدّمناه فى الخَتْمة؛ وإن ٱنفصل أحدٌ من المباشرين

---

(١) فى الأصل : « من النقل » بصيغة المصدر، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد : « والمستهلك » ولم يقل : والاستهلاك ويرشد الى ذلك أيضا ما يأتى بعد فى صفحة ٢٨٨ سطر ١٢ إذ قال : « والمنتقل من سنة الى سنة » الخ .

(٢) تقدّم تفسير المعاملة فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر، فانظره .

(٣) فى الأصل : « مخصوصا » وهو تحريف؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

فى أثناء تلك السـنة و باشر آخرُ بعدَه قال : بمباشرة فلانٍ الى آخر المدّة الفلانيـة وفلانٍ بعده الى آخر المدّة؛ و يقول فى صدره عن يَسْرة نصف القائمة : ما مبلغُه من الذهب كذا، ومن الدراهم كذا، ومن الغلات كذا، ومن الأقصاب كذا، ومن الأصناف كذا، ومن الكُراع كذا؛ يفصّل ذلك بسنيه، ثم يأخذ فى تفصيل كلِّ مال بجهاته، فيبدأ بمال الهلالىّ، يَذكُر كلَّ جهة، وآسمَ مستأجِرِها أو ضامنها، وآستقبالَ  ٥
عَقدِ إجارته أو تقريرِه، و يوجِب عليه فى الشهر وفى السنة، الى أن يستوعب أبوابَ الهلالىّ، و يشطب فى مسوّدته التى ينظمها لنفسه قُبَالَةَ كلِّ جهةٍ ما آستخرجه بمقتضى خَتَمات المستخرَج ليقوم له ميزانُ كلِّ جهة فى الباقى والفائض(١)؛ ولا يلزمه هذا العملُ فى الحساب المرفوع منـه؛ فاذا آنتهت أبواب الهـلالىّ ذكر الجَوالِى وآعتَمَد فيها كذلك؛ ثم يذكر الخراجىّ، و يفصّله بأقلامه وجهاته مستقصًى واضحا جليًّا، و يَعتمِد ١٠
من الشطب قُبالةَ كلِّ جهةٍ ما تقدّم شرحُه؛ فاذا تحرّرتْ له جهاتُ الأصول قال: وأضيف الى ذلك ما وجبت إضافته، و يعقِـد على المضاف جملة، و يذكر أبوابه يبدأ فيها بالحاصل والباقى المُسَاقَيْن(٢) آخرَ العمل الذى قَبْله ، و يعقِد عليهما جملة ، ثم يقول : الحاصلُ كذا، والباقى كذا؛ و يفصِّل ما أمكن تفصيلُه من الحاصـل بسنيه و يفصِّـل الباقىَ بجهاته وأسماءِ أربابِه وسنيه وأسماءِ مباشرِيه إن أمكن ، و يشطب ١٥
فى مسوّدته قُبالةَ كلِّ آسم ما لعـلّه آستخرجه من عرض ما هو عليـه كما تقدّم؛ ثم يذكر جهاتِ مضافِ السـنة الحاضرة، يبدأ بمـا هو مستقرّ من الأموال التى تَرِد [فى] جهات المضاف ، و يشطب قُبالةَ كلّ آسم ما تقدّم بيانه؛ ثم يذكر بعد ذلك ما لعلّه وَصَل اليه أو آعتَدّ به : من الأموال والغلال على آختلافها، وأثمانِ المبيعات

---

(١) فى الأصل : « القابض » ؛ وهو تصحيف ؛ وقد تقدّم شرح « الفائض » فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ . (٢) فى الأصل : « المساق » بصيغة المفرد؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا . ٢٠

والمواريثِ الحَشْرِيّة[1] والمجتذَباتِ والجناياتِ والتأديباتِ والقروضِ والأصنافِ المبتاعة، يستقصِي أبوابَ المضاف على حسب ما ورد عنده منها فى طول السنة بمقتضى ما ورد فى الشواهد التى ذكرناها بحيث لا يخلّ منها بشىء .

ومن أبواب المضاف ما يضاف بالقلم — ولا أصل له، بل يكمّله الكاتب على نفسه فى حسابه لينطرد نظيره الى الباقى، ويقومَ به الميزان، وهو نظير التقاوى[2] والقروض، وكُتّاب الشأم يفعلون ذلك دون كُتّاب الديار المصريّة، وهم على الصواب فى إيراده، لأن الكاتب اذا أوردَ نظيرَ التقاوى[2] والقروض انطرد له الى الباقى نظيرُ ذلك، وصحّ ميزان العمل، فإنه لا يمكن أن ينطرد الى الباقى إلا بإضافة نظيره. فاذا انطرد الى الباقى وجب إيراده [فى] المضاف فى السنة الثانية وما بعدها الى أن يُستخرَج ويحصَّل، وكُتّاب مصر يقتصرون فى ذلك على أعمال التقاوى[2] والقروض، والتحريرُ ما يورد كُتّابُ الشأم فى ذلك .

ومن وجوه المضاف الغريبة : المستعادُ نظيرَ المُعاد، مثال ذلك أن يكون المباشر أحال ربَّ استحقاقٍ على ضامنِ جهةٍ بمبلغٍ بمقتضى وُصولٍ[3] أجراه

---

(١) تقدّم تفسير المواريث الحشرية فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩ نقلا عن صبح الأعشى فانظره؛ وقال المقريزى فى خططه (ج ٢ ص ١١٠) طبع المعهد العلمى الفرنسى انها هى التى يستحقها بيت المال عند عدم الوارث؛ وقال قبل ذلك : إنها فى الدولة الفاطمية لم تكن كما هى اليوم من أجل أن مذهبهم توريث ذوى الأرحام، وأن البنت اذا انفردت استحقت المال بأجمعه، فلما انقرضت أيامهم واستولت الدولة الأيوبية ثم الدولة التركية صار من جملة أموال السلطان مال المواريث الحشرية الخ.

(٢) التقاوى من الحبوب : ما يعزل لأجل البذر؛ وهى عامية .

(٣) الوصول بصيغة المصدر : هو الطاقة المعروفة عندنا بالإيصال؛ وقد سبق فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر ان هذه الكلمة مولدة عامية انظر شفاء الغليل .

وٱعتَـدّ به لضامن تلك ٱلجهــة ، واعتَدَّ على ربّ الآستحقاق بمبلغه ، وقَطَع الباقىَ والمتأخِّرَ بعده ، وصدر حسابه بذلك ، فأعِيدَ[1] عليــه وُصولُه فى أثناء الســنة الثانية فِمثْلِ هــذا تجب إضافتُه و إضافةُ نظيرِه ، فيكون خصمُ إضافته الأولى المُعــادَ على الضامن ، وخصمُ الثانيــة الباقىَ المُساق ، ويكمّل لربّ الآستحقاق نظــير ذلك المبلغ فى محاسبته — على ما يأتى بيانه فى المحاسبات ؛ فاذا ٱستوعب ما ورد عنده من أبواب المضاف فَذْلَك على ذلك فيقول : فَذْلك الأصل وما أُضيفَ اليه ؛ ويَعقِد على الفذلكة جملةً ، ومعناها أن يصمّ ما عَقَد عليــه الجملةَ فى صدر الآرتفاع الى ما عَقَد عليه جملةَ المصاريف ، فتشتمل الفذلكة على الجملتين ، ويفصِّل ذلك عينا وغلّة وأصنافا وكُراعا على ما تقدّم ، ويفصِّل ماهو متميّز بسنيه ؛ وما لم يتميّز كالحواصل من العين والكُراع وغيرِ ذلك يقول فيه : ما لم يتميّز بسنة ؛ ويشرحه ؛ ثم يذكر الأبواب التى تَرِد بين الفذلكة وٱستقرارِ الجملة على ٱختلافها بحَسَب ما وقع عنده منها ، يبدأ بالصرف من نَقْدٍ إلى نَقْد ، والمبدَّلِ من صنفٍ إلى صنف ، والمنتقِلِ من سنة إلى ســنة ، ومن كَيْلٍ إلى كيل ومن وزنٍ إلى وزن ، ومن عَدَدٍ إلى وزن ، ومن وزنٍ إلى عَدَد ، ومن صفةٍ إلى صفة وما وقع من مَبيع ومُثْمَّنٍ[2] ونافقٍ ومستهلَك ، وغير ذلك ؛ وقد جَمَع بعض فضلاء الكُتّاب جميعَ ذلك وٱختصره فى لفظتين فقال : هو عبارة عن منقول ومعدوم ؛ و إذا نظرت إلى حقيقة هاتين اللفظتين وجدت جميع هذه الأبواب و إن كثرت مندرجة فيها[3] ، كما أن جميع الكلام لا يتعدّى أن يكون ٱسما أو فعلا أو حرفا ؛ فإذا ٱنتهت هذه الأبواب قال : واســتقرّت الجملة بعــد ذلك على ... ويذكر ما ٱستقرّت عليه ٱلجملة بمقتضى



(١) فى الأصل : «فاعتدّ» ؛ وهو تصحيف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

(٣) فى الأصل : « عنها » ؛ واللغة تقتضى ما أثبتنا .

قيام ميزانه، ويفصّله بسنيه، ثم يقول : آستُخرِج من ذلك وتَحصّل ... ويذكر المستخرَج بمقتضى الخَتَم، فيشرح ما آستقرّت عليه جملةُ الخَتْمة الأولى، وما آشتملتْ عليه فذلكتُها بعد وضع الحاصل من آلجهة الثانية وما بعدها لئلا يتكرّر عليه؛ ويحصِّل بمقتضى الأعمال والتَّوالِى والسِّياقات على هذا الحكم؛ ويفصِّل آلمستخرَجَ والمتحصّل بسنيه، ثم يخصم ما آستخرجه وحصّله، فيبدأ فى الخصم بالحَمْل من الأموال، والمحمولِ من الغلال والأصناف، والمُساقِ من الكُراع؛ ويتلوه ما لعلّه نَقَلَه على معاملة أخرى مفصّلا بأبوابه ومعقودِ آلجملة على كل باب فيها؛ فإذا تكامل له الخصم فى العين والغلّة والمواشى والأصناف ساق ما تأخّر من جملة ما آستخرجه وحصّله إلى حاصل، ويفصّله بالعينِ والغلّةِ والصنفِ وغيرِه، فيكون ما حمله ونَقَلَه وصَرَفَه وساقه إلى الحاصل خَصْمَ ما آستخرجه وحصّله؛ ثم يذكر بعد سياقة الحاصل ما لعلّه ورد عنده من المحسوب على آختلافه : من عُطْلة، ويذكر أسبابها، وما لعلّه ثبت من الجوائح الأرضيّة والسمائيّة بمقتضى المَحاضر الشرعيّة إذا بَرَزت المراسيمُ بالحَمْل على حكمها؛ فيذكر كلَّ جهة وآسمَ مستأجِرِها أو ضامنها، وتاريخَ مَحضَر الجائحة، وتاريخَ آلمرسوم بحمل الأمر على حكمه، وجملةَ آلمبلغ المتروكِ بسبب ذلك، وما لعلّه سومح به من البواقى المُساقة، وغير ذلك ممّا هو داخل فى باب

(١) لعل صوابه : «من الختمة» كما يرشد إليه السياق .
(٢) ذكر «على» مكان «الى» مع أن الفعل قبلها يقتضيها لإرادة المعنى السابق فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٧٥، فانظره .
(٣) فى الأصل : «عنه» ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يرشد اليه التعبير بدلك فى السطر الخامس من صفحة ٢٨٨، فانظره .
(٤) عبارة الأصل : «نبت من الحوائج الأصلية» ؛ وهو تحريف فى الكلمات الثلاث ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ؛ ويرشد إلى ذلك ما سبق فى صفحة ٢٣٢ س ١٢ من هذا السفر، فانظره .
(٥) ينسب إلى السماء فيقال : «سمائى» على لفظها، و«سماوىّ» بالواو اعتبارا بالأصل (المصباح) .
(٦) انظر تفسير المحضر فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٥٥ من هذا السفر .

المحسوب ؛ وسائرُ المسامحات تَرِد بعد سياقة الحاصل ، وتَرِد فى أماكنَ نذكرها بعد إن شاء الله تعالى ؛ فإذا آستوعب الكاتب جملة ما عنده من المحسوب فى بابه قال بعــد ذلك : فتلك جملةُ آلمستخرَج والمتحصّــل والمحسوب ؛ ويعقِد عليــه جملة يفصّلها بسنيها وأقلامها ؛ ويسمّون هــذه الفذلكةَ فذلكةَ الواصل ؛ وما بقىَ بعــد ذلك مما آستقرّت عليه آلجملةُ بعد هذه الفذلكة تعيّنتْ سياقتُه إلى الباقى والموقوف ، فيطرده باقيــا وموقوفا ، أو باقيا بغــير موقوف ، معقودَ آلجمــلة ، مفصَّلا بالسنينَ والجهات والأسماء والمباشَرات ، ويميز ما يُرجَى آستخلاصُه وتحصيلُه منه وما لا يرجَى ؛ وما آنعقد عليه الباقى والموقوفُ وآشتملتْ عليه فذلكةُ الواصل هو خَصْمُ ما آستقرّت عليه جملة الآرتفاع .

وأما الحواصل المعدومة المُساقة بالأقلام — ولا حقيقة لوجودها ، وإنمــا يُورِدُها الكُتّابُ حفظا لذكرها ، كالحواصــل آلمسروقة وآلمنهوبة — فإنه إذا رُسِم بالمسامحة بها فقد اختلفت آراء الكُتّاب فى إيرادها على وجوه كثيرة : منها ما يَسُوغ ، ومنهــا ما لا يجوز فعله ، ونحن نذكر أقوالَهم وطرقَهم فى ذلك ، ونوضّح ما يجوز منها وما لا يجوز ، ونذكر ما ينبغى أن يُسْلَك فيها : فمن الكُتّاب من يرى أن ينقُل هذا الحاصلَ بين الفذلكة واستقرارِ آلجملة من الحاصل الى الباقى ، ولا يورده فى باب آلمســتخرَج ، ويطرده إلى الباقى ، ويورده فى باب المسموح بعد سياقته الحاصلَ ؛ وهذا لا يجوز ، وفى إيراده على هذا الوجه غلَطٌ وسوءُ صناعة ، لأن آلحاصل لا يجوز نقله إلى الباقى ، والباقىَ أيضا ، فلا بدّ أن يكون بآسم إنسان أو أُناس ، فإن ساقه باقيا باسم مباشِره فقد أتى بغير الواقع ، وعَرّض المباشرَ الى الغرامة ، ولا يفيده ، إذ[1] مرسومُ المسامحة يتضمّن المسامحةَ بحاصل معدوم ، وقد آنتقل هذا من تسمية الحاصل إلى الباقى .

(١) فى الأصل : « إذا » ؛ وما أثبتناه هو مقتضى اللغة .

ومن الكُتّاب من يرى آستثناءه من جملة آلمستخرَج، ثم يورده أيضا [فى][1] باب المسموح؛ وفى هذا أيضا ما فيه مِن نقلِه من الحاصل إلى غيره تسميةً، فإنه لا عِبرة عند ذلك بتسميته ولا بنسبته إلى الباقى والموقوف؛ وإن نُقِلَ فلا يجوز، لأن الحواصل لا يجوز نقلُها إلى تسمية أخرى ألبتّة؛ فهذه الوجوه لا تجوز فى صناعة الكتابة .

٥ وأما الذى يجوز فى هـــذا فوجوه[2] : منها أن يكمّله الكاتب فى باب المستخرَج من ذلك، ويخصمَ إلى نهاية المصروف، ويقولَ قبل سياقة الحاصل : ما نُقِل رُسِم بالمسامحة به عن الحاصل المعدومِ المُساقِ بالقلم حفظا لذكره، بمقتضى مرسوم تاريخُه[3] كذا؛ ويشرح مقاصدَ المرسوم، وسببَ عدمِ الحاصل، وجملتَه؛ ويَكتفى بذلك عن إيراده فى باب المســموح؛ ويَعقِد جمــلةَ الخصم على الحَمــل[4] والمصروفِ ١٠ والمسموح به .

(٦١)

ومنها أنه إذا ساق الحاصلَ بعد الحَمْل والمصروف يقول : من جملة كذا بعــد مَأمَنه ما سوح به عن الحاصل المعــدومِ والمُساقِ بالقــلم؛ ويَشرح ما تقدّم، ويبرز بالحاصل بعد ذلك .

ومنها أن يستثنيَه عند[5] ذكر المضاف، فيقول عند إضافة الحــاصل ما صورتُه ! ١٥ الحاصلُ المُساقُ إلى آخر السنة الحاليّة من جملة كذا بعــد مَأمَنه ماعُدِم فى تاريخ كذا

(١) فى الأصل : « فان » ؛ وهو تحريف .
(٢) فى الأصل : «فرجوة» ؛ وهو تحريف .
(٣) عبارة الأصـــل : « تاريخ مرسومه » ؛ وفى هاتين الكلمتين تقديم وتأخير لايستقيم بهما المعنى ويرشد إلى ما أثبتنا ما يأتى فى السطر الأوّل والثانى من صفحة ٢٩٢ ، فانظره .
٢٠ (٤) فى الأصل : «والموصوف» ؛ وهو تحريف .
(٥) فى الأصل : «عن» ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، كما يرشد إليه قوله بعد : «فيقول عند» الخ .

ووَرَد فى سياقات الحـاصل حفظا لذكرِه، ورُسم بالمسامحة به بمقتضى مرســوم شريف تاريخُه كذا، ويعيِّن جملةَ المسموح به، وهى جملةُ المعدوم، ويبرز بما بقى، ويستثنيه أيضا من المستخرَج عندما يَستشهِد بالخِتَم والتَّوالى والأعمال.

فهذه صورة نَظْم الارتفاع وشــواهدِه التى قدّمناها قَبـله؛ والآرتفاعُ هو جُلُّ العمل، وقاعدةُ الكتابة، والجامعُ لسائر ما يَرِد فى المعاملة . ٥

وإن آنفصل الكاتب أثنـاء السنة لزمه أن ينظِم لمـا مضى من السنة فى مبـاشرته حسابا يسمّونه بالشأم الملخَّص، وبمصر التـالىَ، وهو نظيرُ الآرتفاع فى نَظْمه، إلا أنه يكون لمـا دون السنة، والملخَّصُ عند المصريّين هو الآرتفاع، ويَلزَم الكاتبَ المباشرَ بعده عمـلُ ملخَّصٍ أوتالٍ يتلوه لمـا بقىَ من المدّة، ثم يعمل جامعـةً على الملخَّصين أو[1] التاليَـين، وهما شاهداها[2]؛ ويسـتغنى الكاتبُ فى إيراد ١٠ آلمستخرَج والمتحصِّل والمصروفِ عن الآستشهاد بالخِتَم والتَّوالى والأعمال، ويَستشهِد بهـذين الملخَّصين فيقول : ما تضمّنه ملخَّصُ مدّة كذا وكذا [كذا[3]] وما تضمّنه ملخَّصُ مدّة كذا وكذا كدا؛ وقـد تكون الملخصات أكثرَ من آثنين بحسب الآستبدال[4] بالأعمال .

---

(١) فى الأصل : «و»؛ والسياق يقتضى العطف "بأو" كما أثبتنا . ١٥

(٢) فى الأصل : « شواهدها »؛ وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتنا؛ إذ به تحصل المطابقة بين المبتدإ والخبر .

(٣) هـذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها كما يرشد الى ذلك ورودها فى الجملة التى بعدها .

(٤) الظاهر أن الباء هنا بمعنى «فى» الظرفية، أى بحسب استبدال العمال بعضهم ببعض فى الأعمال . ٢٠

ومما يلزم الكاتب رفعه المحاسبات — وتختلف :

فمنها محاسبة أرباب النقود الجيشية والمكيلات والجامكيات[(1)] والجرايات ، وأرباب الوظائف والرواتب والصلات عما هو مستقر مشاهرةً أو مسانهة ؛ وهذه المحاسبة تنظم من الجريدة المبسوطة على أسمائهم ، المشتملة على كمية آستحقاقاتهم ، المشطوبة بقبوضهم ؛ وصورة عملها أن يقول الكاتب : محاسبةٌ لأرباب النقد والمكيل والقرارات[(2)] والجامكيات والرواتب والصلات بالمعاملة الفلانية لآستقبال مدة كذا ، والى آخر كذا ؛ و يعقد جملة صدرها على ما يستحق لهم فى تلك المدة المعينة من عينٍ وغلة وأصناف ، و يضيف الى تلك الجملة ما تأخر لهم الى آخر المدة التى قبلها ، و يفذلك على ذلك ، و يقبضهم ما صرفه لهم بمقتضى ختم المدة وأعمالها وتواليها ، و يعتد عليهم بما لعله آنساق فائضا[(3)] على من قبض منهم زيادةً على آستحقاقه فى المدة التى قبلها ، ثم يطرد ما آنساق لهم الى متأخر ، وما آنساق عليهم الى فائض ، ثم يفصل ذلك بالأسماء ، فيضع الآسم و يذكره وآستحقاقه فى الشهر وعن المدة ، و يضيف اليه ما لعله تأخر له إن كان ، و يفذلك عليه ، و يخصم بقبضه ، و يسوق إلى متأخرٍ إن بقى له ، أو فائضٍ إن زاد قبضه على آستحقاقه ؛ ومن كان منهم قد تعجل قبل تلك المدة زيادةً على آستحقاقه آستحق له ما وجب له فى المدة ، وآعتد عليه بما آنساق فائضا[(3)] ، وما لعله صرفه له فى تلك المدة يسوقه[(4)] إلى متأخر أو فائض[(3)] ، يفعل ذلك فى جميع الأسماء .

---

(١) قد سبق تفسير الجامكيات فى الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ ، فانظره .

(٢) الظاهر أنه يريد بالقرارات : الاستحقاقات ؛ وقد ورد لفظ «القرار» فى كتاب قوانين الدواوين صفحة ٢٠ سطر ٢٦ مرادا به هذا المعنى أخذا من سياق العبارة التى ورد فيها ، فانظره .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٤) فى الأصل : «و يسوقه» ؛ والواو زيادة من الناسخ فإن السياق يأباها .

وهذه المحاسبة إذا كان الكاتب مستمرَّ المباشرة عَمِلَها لسنة، وان ٱنفصل قبل ٱستكمال السنة أو ٱقترحها مقترِحٌ عليه لزمه عملُها؛ والله أعلم .

ومنها محاسبات أرباب الأُجَر[1] والٱستعمالات[2]، ويعتمِد الكاتب فيها نظيرَ تلك، إلا أنه لا يُستحَقّ لكلّ نفَرٍ[3] إلّا بمقدار عمله، ويضيف إليه ما لعلّه تأخّر له ويفذلِك عليــه، ويخصمه بالقبض والٱعتداد بالمُسْلَف ان كان؛ وهـذه المحاسبة على منوال تلك، إلا أنها تُعمل بمفردها . ٥

ومما يلزم الكاتبَ رفعُـه ضريبةُ أصول الأموال ومضافاتهـا عن كلّ سـنة كاملة، يَذكُر فيهـا كلَّ جهـةٍ من جهات الهـلالىّ، وٱسمَ مستأجِرها أو ضامنِها، ومبلغَ إجارتها أو تقرير ضمانها مشاهرةً ومسانهة، واستقبالَ العقد، وتاريخَ الحجّة المكتَتَبةِ به، ويشطب[4] قُبالتَها أسمـاءَ كُفلاءِ[5] ضامنِ الجهة؛ ١٠ ويذكُر الجوالىَ ويفصّلها بالأسمـاء والمِلل، ويفصِّـل الخراجىَّ بجهاته وأقلامه، والأحكارَ بأسمـاء أربابها؛ وإن كان بتلك المعاملة[6] شىء من نواحى الخاصّ

(١) فى الأصل: «اثبات»؛ وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه ما سبق فى صفحة ٢٩٣ سطر ٢ من هذا السفر .

(٢) لعل صوابه «والعمالات» بضم العين، كما يقتضيه عطفه على الأجر؛ والعمالة: ما يأخذه العامل من الأجر على عمله . ١٥

(٣) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السفر .

(٤) الظاهر أن المراد بالشطب هنا ما سبق بيانه فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر فانظره .

(٥) فى الأصل: «لفلا»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، فإنه لا بد لضامن كل جهة من كفيل يكفل بما عليه من المال كما سبق ذلك فى صفحة ٢٢٩ من هذا السفر، فانظره . ٢٠

(٦) تقدم تفسير المعاملة فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١، فانظره .

ذِكْرَ كلّ ناحية، وآسمَ رئيسها، وحدودَها وعدّةَ فُدُنها الرومية(١) والكادية(٢) والعاطلة(٣)، وأسماءَ من بها من الفلّاحين القَرارية(٤)، وما يُبَدَّره كلّ فدان من الشَّتْوِىّ والصيفىّ، ورَيْعه فى الثلاث سنين المقبِلة(٥) والمتوسّطة والمجدبة، وشروطَ المقاسَمة، وما على كلّ فدان من الحقوق والرسوم، وما بها من المطلَق، وما فيها من جهات العين

٥ وما عليها من الخِدَم(٦) والضيافات، وغير ذلك من معالمها بحيث لا يخلّ بشىء من جميع أحوال القرية، بل يوضحها إيضاحا شافيا كافيا حتى يَعلمَ الغائبُ عنها جليّةَ أمرها كالحاضر فيها.

فإذا تكامل ذكْرُ جهات الأصل فى هذه الضريبة ذَكَرَ(٧) جهاتِ المضاف الراتبة كالخِدَم وما يناسبها، وذَكَرَ فى آخرها ما تتعيّن إضافتُه من المتوفّر من العين والغلّة

١٠ على آختلاف ضرائبه، وهذه القواعد تكون فى ضِياع الشأم.

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) لم نجد للفظ الرومية معنى يناسب سياق الكلام، ولعل صوابه «الردمية» بفتح فسكون، أى الأرض التى فيها الردم، وهو تراب يكون من الطين الذى يأتى به النيل عند فيضانه فى كل سنة، وهو مخصب للأرض ومصلح لزرعها؛ واستعمال هذا اللفظ فى ذلك شائع بين العامة فى مصر؛ والذى فى كتب

١٥ اللغة أن الردم هو ما يسقط من الجدار المتهدم.

(٣) فى الأصل: «الكادنة»، وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا؛ والكادية من الأرض: التى يبطئ نباتها.

(٤) القرارية، أى المقيمون، نسبة الى القرار.

(٥) فى الأصل: «المعتلة» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق؛ ويريد بالمقبلة

٢٠ السنة التى تقبل بالنبات، أى تجىء به.

(٦) تقدّم بيان المراد بالخدم فى ص ٢٤٥ من هذا السفر، فانظره.

(٧) هذه الكلمة فى الأصل ناقص بعض حروفها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

ويلزمه رفعُ المؤامَرات — وتُسمَّى ضرائبَ المستقرِّ إطلاقُه — وهى تشتمل على أسماء من هو مرتَّبٌ على تلك المعاملة : من ربّ نقدٍ ومَكِيلٍ ومقرَّرٍ[1] وصدقة، يذكر آسمَ كلِّ واحد وآستحقاقَه مشاهرةً ومسانَهة، ويعقد على ذلك جملةً فى صدر المؤامَرة مشاهرةً ومسانَهة؛ فإن كان فى حصن ذكر فى صدر الأوراق عدّةَ أرباب الآستحقاقات، ثم يفصّلهم بوظائفهم وأسمائهم من الخَرْجيّة[2] والأَجَقِيّة[3] وغيرهم .

ويلزمه رفعُ ضريبة مايُستأدَى من الحقوق ، يذكر فيها ما يستأديه ضامنُ كلِّ جهة من رسومها وحقوقها، وما لعلّه يُستأدَى بالدُّروب من الخَفْر[4]، وغير ذلك من سائر مايُستأدَى من حقوق تلك المعاملة، وما لعلّه يُقتَطع من أرباب النقود والمَكِيلات وغيرهِم من الوفر والمقتطَع على آختلاف الضرائب، بحيث لايخلّ بشىء منها، لتُعلَم بذلك أحوالُ تلك الجهة، فلا يمكن للضُّمّان أن يستأدوا زيادة على ذلك، لما فيه من تجديد الحوادث على الرعيّة .

(١) فى الأصل : «ومولد»؛ وهو تحريف، ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) لم نجد من معانى هذا اللفظ ما يناسب سياق الكلام فيما راجعناه من الكتب التى بين أيدينا، وقد سألنا بعض من لهم علم بالمصطلحات التركية القديمة فأخبرنا أن المراد بهذه الكلمة الذين يقبضون استحقاقهم حنطة ولحما ونحو ذلك من المأكولات؛ ويرجح ذلك عطف الأجقية عليه .

(٣) المراد بالأجقية الذين يقبضون استحقاقهم نقودا، وهو نسبة الى الأقجة، وهو لفظ تركىّ يراد به نوع من النقود، كما فى معجمات هذه اللغة . والذى فى الأصل : «والأقجة» بدون ياء النسبة؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٤) "من الخفر" بيان «لما» يريد من أجرة الخفر، وهو الحراسة .

ومما يلزمه رفعُه فى كلّ سنة تقديرُ الآرتفاع — وهو الآرتفاع بعينه إلا أنه لا يضيف فيه حاصلا ولا باقيا، ولا يفصِّل فيه الجوالىَ بالأسماء، بل يعقد الجملةَ فى صدره على ما يُستحَقّ بتلك المعاملة من جهات الأصول والمضاف، ويخصم بالمرتَّب عليها عن سنة كاملة، ويسوقه إلى خالص أو فائض[(١)]، ليَظهَر بذلك ميزانُ تلك الجهة .

هذا ما يَلزَم المباشرَ رفعُه مشاهرةً ومسانَهة .

ويلزمه فى كل ثلاث سنين رفعُ الكشوف الجيشيّة، يذكر فيها أسماء النواحى العامرة والغامرة، والمُدُنَ الكادية[(٢)] والعاطلةَ وما تقدّم شرحه فى الضريبة: مِن ذكرِ البِذار والرَّيْع والشروطِ والمطلَق وغيرِه؛ ثم يذكر المتحصّل منها فى ثلاث سنين لثلاث مُغَلات، يعقد على ذلك جملة، ويفصّله بسنيه وأقلامه، ولا يخلّ بشىء مما بكلّ ناحية من الحقوق الديوانيّة والإقطاعيّة، ويعقد فى صدر الكشف جملة على عدّة النواحى وعدّة المُدُن، وجملةَ جهات العين والغلّة، مفصّلا بالمعاملات[(١)]؛ هذه هى الحسابات اللازمة .

وأما المقترَحات — فلا يمكن ضبطها، إلا أنه مهما آقتُرِح مما يكون سائغَ الآقتراح مُمكنَ العملِ لزِمَ الكاتبَ عَملُه .

وحيث آنتهينا إلى هذه الغاية فلنذكر أرباب الوظائف .

---

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٢) فى الأصل : « الكادنة » ، وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق، وقد تقدم تفسير الكادية فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٩٥ من هذا السفر .

ذكر أرباب الوظائف وما يلزم كلا منهم مع حضور رفقته ومع غيبتهم وما يسترفعه كل مباشر عند مباشرته وما يلزمه عمله

أما المشدّ[(١)] أو المتولّى — فالذى يَحتاج إلى استرفاعه عند مباشرته ضرائبُ أصول الأموال والمرتَّبُ عليها ليَعلَم حالَ المعامَلة، وما بها من الخالص، أو عليها من الفائض؛ ويسترفع أوراقا بالحاصلِ والباقى والفائِض والمتأخِّر[(٢)]، ليَعلَمَ أحوالَ الناس ومحاسباتهم، ويعلمَ ممّن يَطلُب وإلى من يَصرِف؛

والذى يلزمه عمارةُ البلاد، وآستجلابُ من نزح منها، وإقامةُ السطوة، وإظهارُ المَهابة والحرمة، وتسهيلُ السُّـبل، وإقامةُ الخُفَراء عليهـا، وتشييدُ مَنـار الشرع الشريف، والتسويةُ بين القوىّ والضعيف؛

ويلزمه آستخراجُ الأموال من سائرجهاتِها ووجوهِها المســتحقّة[(٣)] فى مباشرته، والبواقى التى رُفعتْ إليه بعد تحقيقها بحيث لا ينطرد إلى الباقى الدرهمُ الفرد؛ ومتى آنساق فى مباشرته شىءٌ لَزِمَه؛

ويلزمه تقريرُ الجنـايات[(٤)] والتأديبات على أرباب الجرائم لتنحسم بذلك مَوادُّ المفسديـن.

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٢ .

(٢) فى الأصل : « والمتأجر » بالجيم؛ وهو تصحيف .

(٣) سياق العبارة يقتضى أن المراد بالمستحقة هنا ، المطلوبة منها الحقوق ، يقال : «استحقه» اذا طلب منه حقه انظر لسان العرب .

(٤) فى الأصل : « الجبايات » بالباء، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

وأما الناظر على ذلك — فيحتاج عند مباشرته الى آسترفاع ضرائبِ أصول الأموال ومضافاتها، والمستأدَى من الحقوق، وضرائبَ[(١)] بما آستقرّ إطلاقُه، وأوراق الحاصل والباقى، وأوراقِ الفائض والمتأخّر، وتقديرِ الآرتفاع، والكشوفِ الجيشيّة، ويطالب بمخازيم[(٢)] المياوَمَة لآستقبال مباشَرته، والخِتَم والتَّوالِى عند مضىّ المدّة، والأعمالِ وسائرِ الحُسبانات المتقدّم ذكرُها فى أوقاتها، وما لعلّه يقترحه ممّا يَسُوع آقتراحُه ويمكن عملُه؛

والذى يلزمه الآجتهادُ فى عمارة نواحى آلخاصّ، وتمييزِ آلجهات ونموّها[(٣)]، والنظر فى أحوال المعاملات[(٤)]، وإزاحةُ أعذارها، وتقرير قواعدها، وآختبار من بها من المباشرين، والكشف عن أحوالهم، وكَتْبِ[(٥)] كلِّ واحد منهم بما يلزمه مباشرةً وعملا، ويتصفّح ما يَرِد عليه من الحُسبانات الصادرة عنهم؛ وينظرُ فيما يتجدّد من أحوال المعاملاتِ[(٤)] وما يطرأ من الحوادث على آختلافها ممّا لا يحصره ضبط، بل هو بحسَب ما يقع؛ وإنما جعلنا هذه الإشاراتِ أُنْمُوذَجا يُستدَلّ بها على ما بعدها؛

ويقيِّد بخطّه الآستدعاءاتِ والإفراجاتِ والمراسيمَ والتواقيعَ وغيرَ ذلك ممّا جرت به العادة : من الكتابة بالمقابلةِ والثبوتِ والتَّمحيةِ[(٦)] والآعتمادِ وغيرِ ذلك .

---

(١) ضرائب المستقر إطلاقه : هى التى تسمى عند الكتّاب بالمؤامرات، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٩٦ من هذا السفر مع بيان كيفية عملها، فانظره .

(٢) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ .

(٣) لعل صوابه : «وتميتها» كما يقتضيه العطف على «تمييز» .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : "وكشف" وهو لا يستقيم مع قوله بعد : "بما يلزمه". ولعل صوابه ما أثبتنا؛ والمعنى أنه يكتب كل مباشر بما يلزمه من الأعمال ليسأل كل مباشر عن عمله وتكون عليه التبعة دون غيره فيما قصر فيه .

(٦) فى الأصل : «التجهية»؛ وهو تحريف لا معنى له؛ وما أثبتناه هو المناسب لاصطلاحات الكتّاب .

وأما صاحب الديوان — فإنه يسترفع مايسترفعه الناظر من المعالم خاصّة، وليس [له] أن يسترفع الأرتفاعات ولا شواهدَها؛ فإن آسترفعها لزمه من دَرَكها[1] ما يلزم المستوفِي، وهو يَكتُب على ما يكتب عليه الناظر، وله زيادةٌ على ذلك: وهى الترجمة على التذاكر والآستدعاءات ، والكتابةُ على تواقيع المباشرين بأخذ خطوطهم عند آستخدامهم ، والكتابةُ على محرَّراتهم بالتخليد ، والكتابةُ على تذاكر المخرَّج والمردود الصادرةِ عن مستوفِي العمل بأن يجيب المباشرون عنها بما يَسُوغ قبولُه ، والكتابةُ بقبول الجواب عند عَوده إن كان سائغا ، والكتابةُ على الحساب الصادِرِ عن المباشِرين بتخليده [فى] ديوان الآستيفاء بعد أن يتصفّحه وتَظهَر له سياقةُ[2] أوضاعه؛ وكلُّ عمل لا يكون له صاحبُ ديوانٍ قام الناظر بهذه الوظيفة إلّا الكتابةَ بقبول آلحساب .

وأما مقابِل الآستيفاء — وهو بمنزلة الشاهد فى ديوان الأصل — فله أن يسترفع المعالمَ لنفسه فى كلّ سنة، ويسترفِعَ نتيجةَ الحُسبانات اللازمة التى تصدّر الى الديوان العالى بالباب الشريف ، ويضبُِط[3] مياومة المجلس، ويكتبَ على ما يكتب عليه المستوفِي ، ويكتبَ على الحُسبانات الواصلة من جهة المباشرين بتاريخ حضورها إلى الديوان قبل تخليدها [فى] ديوان الآستيفاء، ويَسُدُّ[4] بقلمه تواريخَ التذاكر والمراسيم، ويتصفّحَ ما يصدر عن المستوفى من المخرَّج والمردود

(١) الدرك : التبعة .

(٢) فى الأصل : «سباغة» ، وهو تصحيف .

(٣) ضبط هذا اللفظ فى اللسان بضم الباء ضبطا بالقلم؛ وفى المصباح أنه من باب ضرب .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ هنا وفى ص ٣٠٢ س ١١ من هذا السفر؛ ولم نقف على المعنى الاصطلاحى الذى يريده كتّاب الدواوين به .

(٦٤)

ويطالِب بحَمْل ما ثبت منه، ويطالِب أربابَ الخطوط والبُذول[(١)] بما يُستحَقّ عليهم ويُنيب شادّ[(٢)] الدواوين عنه[(٣)]، ويكتُب فى كلّ يوم بما يطالب به ؛ وإذا لم يكن للديوان مقابل قام المستوفى بوظيفته .

وأما المستوفِى — فله أن يسترفعَ سائرَ الحُسبانات اللازمة، وما تدعو إليه حاجته من المقترَحات فى المُدد الماضية والحاضرة ممّا يمكن عمله ، فاذا صار الحساب إليه مشمولا بخطّ صاحب الديوان بتخليده ومؤرَّخا حضورُه بخطّ المقابِل تصفَّحَه وآستوفى تفاصيلَه على حَمْلِه أصلا وخصما، وشَطَبَ ما يحتاج إلى شطبه — كلَّ عملٍ على شواهده — وخرَّج ورَدّ ما يتعيّن تخريجُه وردُّه ، وكتب بذلك مطالَعةً تُعرَض على المقابِل، فإذا وافقه عليها عُرِضت على صاحب الديوان وكَتَب بالإجابة عنها، ثم يطالِب المباشرَ بالإجابة عمّا تجب الإجابة عنه، وإضافةِ ما تجب إضافتُه [الى][(٤)] حساب المدّة التالية لتلك المدّة، وحَمْلِ ما يجب حملُه ؛ وتكون إضافتُه فى الحساب منسوبةً إلى قلم مستدرَكه؛ وإن أخّر آستيفاءَ الحُسبانات وشطْبَها وتخريجَ[(٥)] ما يَلُوح فيها ومضت عليها مدّة يمكن فيها العملُ، كان

---

(١) الظاهر أنه يريد بأرباب الخطوط والبذول : الذين يكتب لهم من السلطان ببدل شىء من الإقطاعات ونحوها .

(٢) شادّ الدواوين هو شخص يكون رفيقا للوزير متحدثا فى استخلاص الأموال وما فى معنى ذلك؛ والعادة أن يكون أمير عشرة . انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢ فى شرح وظيفة شدّ الدواوين .

(٣) فى الأصل : «عليه»؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ والسياق يقتضيها .

(٥) فى الأصل : «وخرج» وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يرشد اليه ما ورد فى قوانين الدواوين صفحة ٨ طبع مطبعة الوطن ، فى الكلام على المستوفى إذ قال : «وإن ظهر أنه لم ينبه على وجوب مال أو استرفاع حساب أو أخر ما يجب تقديمه ، أو أهمل ما يعين تخريجه» الخ .

ما يتعيّن فيهـا لازما له إذا عُنِّتَ[1]، و إلا فتلزمه إعادةُ ماتَناوَله من الجامِكيّة[2] عن تلك المدّة، و يطالَب مَن صدر عنه الحسابُ بمـا يلزمه ؛

ويتعيّن على المستوفِي أنه إذا رُفِـع اليه حسابُ معاملة تأمّل خطوطَ المباشرين على عاداتهم[3]، [و][4] نظر فيه[5] بعد ذلك ، فإن تغيّرت عن العادة، فإن كان بزيادة تأكيد فلا بأس، و إن كان بإخلال مثلَ أن يكتُب الشاهدُ على الحساب بالمقابلة، وعادتُه أن يكتُب : «الأمرُ على ماشُرِح» يَلزَمه الكشفُ عن موجِب ذلك ؛

ويَلزَم المستوفىَ ضبطُ مياوَمة المَجلس، وكتابةُ الكشوف بخطّه والتـذاكر ونُسَخ المحرَّرات، وتعيينُ الجهات لأربابها بعد كتابة الناظر بتعيين الجهة، وعليه نَظْمُ جوامع التقدير بعـد عمل موازينها وتحريرها وشـطْبها على التقادير الصادرة عن المباشرين وجوامعِ الحواصـل : من العَين والغلالِ والكُراع[6] والأصـناف المعدودة والموزونة والمذروعة[7] والسـلاح خاناه والعُدَدِ والآلاتِ وغيرِ ذلك، يَسُدّ على ما أمكن سـدُّه جملة، ومالايمكن نَثَرَه أقلاما يستشهد فيها بما رُفِـع اليه من جهة المباشرين؛وكذلك يَعتمِد فى جامعة البواقى، يَعقِد عليها جملة، ويفصّلها بمعاملاتِها وجهاتِها وسنيها وأسماءِ

(١) عنت بالبناء للمجهول ، أى شدّد عليه وأريد به العنت، وهو المشقة .

(٢) تقدّم شرح الجامكية فى الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر، فانظره.

(٣) «تأمل خطوط المباشرين على عاداتهم» . أى نظر فيها مطابقا لها على عاداتهم فى الكتابة .

(٤) فى الأصل، « نظر » بدون واو؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٥) « فيه » ، أى فى الحساب السابق ذكره .

(٦) الكراع : هى الدواب «انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى» ، وانظر سياقة الكراع فى صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

(٧) المذروعة، أى المقيسة .

مباشِريها ، وما يُرجَى منهـا ومالا يُرجَى بمقتضى أوراق المباشرين ؛ وكذلك يَعتمِد في جامعة الفائض والمتأخّر وغيرِ ذلك من الجوامع ؛

وعليه عملُ ما يُطلَب من الأبواب من المقترَحات والمطاوَلات ؛

ويَلزمه عملُ المقايَسات وفوائدِ المتأخّر، وغير ذلك من لوازم قـلم الآستيفاء ؛

٥ ويَلزَمه محاسباتُ أرباب النَّقْدِ والكِيلِ المرتّبين على ما تَعيَّن بقلم الآستيفاء، فيحاسبهم على آستحقاقاتهم، ويَعتدّ[1] عليهم بمـا ثبت ممـا عيّنه لهم بقلمه ؛

ويَلزَمه التنبيهُ على خوالص المعامَلات وطلبها : حَمْلاً[2] الى بيت المـال، أو حَوالةً على ما يعيّنه بقلمه ؛

ويلزمه تحريجُ تَفَاوُت[3] المُدد والمحلولات[4] وغيرِ ذلك ؛

١٠ ويلزمه التفريغُ[5] بما يصل اليه من الحَوْطات الجيشيّة لِوقتِه على ماجرت به العادة.

ووظيفة الآستيفاء كبيرة ، كثيرةُ الأعمال، لا تنحصر لوازمها فى كتاب ، وانمـا هى بحسب الوقائع .

فاذا آنفصـل المستوفى من المباشرة فليس له أن يأخذ ورقةً من حسابه الذى آسترفعه أو وضعه بقلمه، ويتلقّاه المباشرُ بعده .

---

١٥ (١) فى الأصل : «ويعتمد» ، والميم زيادة من الناسخ .

(٢) فى الأصل : «جملا» بالجيم ، وهو تصحيف .

(٣) «تفاوت المدد» ، أى ما توفر من الأموال عما فات من المدد ، كما يستفاد من قوانين الدواوين ص ٢٠ طبع مطبعة الوطن وقد ذكر صاحب قوانين الدواوين مثالا لذلك يوضح هذا المعنى ، فانظره .

(٤) يريد بالمحلولات : الاقطاعات التى انحلت عن أصحابها ولم تقطع لآخرين .

٢٠ (٥) لعل صوابه : «التعريف» .

(٦٥) وأما المُشارِف — فله أن يسترفع عنـد مباشرته مَعالمَ الجهـة ليستعين بها على المباشرة : من ضرائبَ وتقاديرَ[1] وحاصـلٍ وباقٍ وفائضٍ ومتأخّرٍ وغيرِ ذلك ؛ وهو مطلوب بتحقيق الحواصل ، وله الخَتْمُ عليها ؛ وهو مطلوب بنَظْم سائرِ الحُسبانات اللازمة والمقترَحة إن تَسحّب[2] العامل أو مات ، ومع وجود العامل إن كان قد ٱلتَزم عند مباشرته العملَ ؛ وتلزمه المقابَلةُ مع العامل على الحساب الصادر عنهما ، وسِياقةُ التعليق معه ، والكتابةُ على الوُصولات[3] والحُسبانات ؛ وهو مطلوب بجميع ما يُطلَب به العاملُ من المخرَّج وغيرِه .

وأما الشاهد — فيلزمـه ضبطُ تعليق المياوَمة ، والكتابةُ على الوُصولات[3] والحُسبانات ؛ ومتى فُقِد العاملُ والمُشارِفُ لَزِمه رفعُ ٱلحساب اللازم دون المقترَحات ؛ ولا بدّ له من جريدة مبسوطة على الأصل والخصم .

وأما العامل — فقد قدّمنا ذكرَ ما يحتاج إليه كلُّ مباشر من ضبطِ تعليق المياوَمة[4] وبسْطِ الجريدة وخدمتِها فى الأصـل والخصم أوّلا فأوّلا ، والتيقُّظِ لذلك وأنّ من أهمله فقـد قصّر فى مباشرته وأخَلّ بوظيفته ؛ والعاملُ أَحْرَى بجميع ذلك ممن سواه من سائر المستخدَمين ، لما هو مطلوب به من نَظْمِ الحُسبانات وموقِعه[5] من

---

(١) يريد بالتقادير ، تقادير الأرتفاعات ، وقد سبق الكلام على تقدير الأرتفاع فى صفحة ٢٩٧ من هذا السفر ، فانظره . والذى فى الأصل : « مقادير » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر .

(٣) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٤) فى الأصـل : «مياومة التعليق» وفى هاتين الكلمتين تقديم وتأخير وقعا من الناسخ ؛ والصواب ما أثبتنا ، كما سبق فى سطر ٨ من هذه الصفحة ومواضع أخرى من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : «ومتوقعه» ، ولعل صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام .

عملِ المقترَحات والأجوبةِ عن المخرَّج والمردود ، وأنه هو الملتزِمُ لذلك[١] دون غيره وأنه لا يَلزم من سواه شيءٌ من الأعمال مع وجوده .

وقد ذكرنا تلخيصَ قواعد هـذه الكتابة والمباشِرين وأوضاعِهم ولوازمِهم والأوضاع الحسابيّة وغير ذلك من مَعالم المباشَرات ، مجمَلا غيرَ مفصَّل ، وبعضا من كلّ ، وقليلا من كثير ، إذ لو آستقصينا ذلك لطال ولتعذَّر لآختلاف المباشَرات والوقائع والأوضاع والآراء ؛ ولقد حصل الآجتماعُ لجماعة من مشايخ أهلِ هذه الصناعة ممّن آتّخذها حرفة من مبادئ عمره إلى أن طَعَنَ فى سنّه ، وما منهم إلا من يُخبِر أنه يَستجِدّ[٢] له فى كلّ وقت من أحوال المباشَرات ما لم يسمع به قبل ، ولا طرأ له[٣] فيما سلف من عمره ؛ فكيف يمكن حصرُ ما هو بهذه السبيل؟ ! وفيما نبّهنا عليه مَقْنَعٌ لطالب هذه الصناعة ، والعمدةُ فيها على الدُّرْبة والمباشرة ، وقد قيل :

ولا بدّ من شيخ يريك[٤] شخوصَها وإلّا فنصُّ العلم عندك ضائعُ

كمل الجزء الثامن من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى
— رحمه الله تعالى — ويليه الجزء التاسع وأوّله :
ذكر كتابة الحكم والشروط

---

(١) فى الأصل : «بذلك» ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أن «التزم» يتعدّى بالباء .

(٢) «يستجدّ» بكسر الجيم ، أى يتجدد ؛ وفى المصباح أن استجد قد يستعمل لازما .

(٣) لم نقف فيما راجعناه من كتب اللغة على أنه يقال : « طرأ له » والذى وجدناه أنه يقال : « طرأ عليه » ؛ ولعله ضمن « طرأ » معنى « وقع » فعدّاه باللام مكان « على » .

(٤) فى الأصل : « منك » ولا يستقيم الوزن به ؛ ولعله تحريف صوابه ما أثبتنا .

اســـــتدراك

راجعنا هذا الجزء بعد طبعه فبدت لنا فى تفسير بعض ألفاظه معانٍ أخرى نرجّحها على ما كتبناه أوّلا فى حواشيه فرأينا أن نستدركها فى آخره خدمة للعلم وتتميما للفائدة .

ص	س	
٦٠	٩	«بنوء المُرزِم» وكتبنا على قوله : «المُرزِم» ما نصه : المرزم : «من أرزم الرعد اذا اشتدّ صوته» اهـ ومع صحة هذا الضبط واحتمال اللفظ لذلك التفسير المتقدّم فإننا نرجّح أن يضبط : «المِرزَم» بكسر الميم وفتح الزاى ، وهو من نجوم المطر قال فى اللسان : «المِرزَمان . نجمان من نجوم المطر، وقد يفرد» .
١٩٣	١١	« من ضريبة وموافرة » وكتبنا على قوله : «وموافرة» ما نصه : «فى الأصل : «وموامرة» بالميم؛ وهو تحريف» اهـ وقد بدا لنا بعدُ أنّ للفظ «المؤامَرة» معنًى مصطلحا عليه بين كتّاب الدواوين، ونصحح إرادته فى هذا الموضع . فقد ورد فى مفاتيح العلوم ص ٥٦ طبع أوربا ما نصه : «المؤامرة عملٌ تجمع فيه الأوامر الخارجة فى مدّة أيام الطمع ، ويوقّع السلطان فى آخره بإجازة ذلك؛ وقد تُعمَل المؤامرة فى كل ديوان تجمَع جميع ما يُحتاج اليه من استئمار واستدعاء توقيع» اهـ وانظر صفحة ٢٩٦ من هذا الجزء .
٢٠٢	٥	«والبدول»؛ وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : «كذا فى الأصل؛ ولم نجد من معانى هذه الكلمة ما يناسب سياق ما هنا» اهـ ويظهر لنا أن البذول فى هذا الموضع جمع بذل؛ والمراد ما يبذله السلطان من الإقطاعات لخواصّه وأجناده؛ وقد نبهنا على هذا المعنى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٠١، فانظره .

ص	س	
٢٠٢	٨	«مبقلة» وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : «فى الأصل : «مقبلة» ، وفيه قلب صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه الخ» . ومع جواز ما احترناه واستقامة الكلام به فقد بدا لنا أنه يصح أن يراد بقوله : «مقبلة» ، السمة التى تقبل بالنبات ، أى تجىء به . وقد ذكرنا هذا المعنى فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٩٥ ، فانظره .
٢٠٣	١	«ويحتاج الى أن يتعاهد مباشرى المعاملات» ولم نفسّر لفظ المعاملات فى هذا الموضع ، وقد فسرناه فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ ، فانظره .
٢٠٤	١٣	كلمة «الزردكشية» وكتبنا عن هذه الكلمة ما نصه : «الزردكشية» هم لابسو الدروع ؛ وكش باللغة الفارسية معناه لابس انظر المعجم الفارسى الإنجليزى تأليف ستاين جاس مادة (كشيدن) . هذا ما كتبناه فى تفسير هذا اللفظ ؛ وقد وقفنا بعد ذلك على أنهم يريدون بالزرد كاشية : صانعو الزرد والأسلحة انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢ ونحن نرجّح هذا المعنى ونؤثره على الأول .
٢٢٩	٣	قوله : «فإن تعذر فبالوجه» وكتبنا فى تفسير هذه العبارة ما نصه : «الظاهر أنه يريد بالوجه هنا : الجاه ، أى إن تعذر الكفيل ذو المال والغنى قبلت الكفالة بذى الجاه و إن لم يكن غنيا» اهـ وقد بدا لنا بعد ذلك فى تفسير هذه العبارة معنى آخر نرجّحه على الأول ، وهو أن الكفالة بالوجه هى أن يضمن الكافل إحضار المكفول بوجهه ، أى بذاته ، اذا طُلِب منه أن يُحضِره ؛ فمعنى العبارة إذن أنه إن تعذّر الكفيل بالمال قبلت الكفالة بأن يُحضِر الكافل شخص المكفول .

إصـــلاح خطــأ

ص	س	خطــأ	صــواب
٤٦	١٤	ذُكِرَ	ذَكَا
٦١	٢٢	حاضرة أى سابقة	حاضَرَه، أى سابَقَه
« «	« «	التفضّـل	الفضـل
١٢٣	١	ونرجوا	ونرجو
١٢٨	٥	ونرجوا	ونرجو
١٣٢	١٦	كان كان صحيح	كان صحيح
١٣٣	٥	نرجوا	نرجو
١٤٤	١٨	أنّ	إنّ
١٦٥	١٣	أثارك	آثارك
١٨٧	٢	الرّضى	الرِّضا
٢٠٤	١٣	والزَّرَد كَشِيّة	والزَّرد كاشِيّة
٢٠٨	٢	وأقدرَ	وأقدرُ

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩/٨١٣/٢٥٠٠)

ن - ن

جلد ٨

ع

٨٩٢/٧٩

النويري، شهاب الدين احمد

نهاية الارب في فنون الادب